

موسوعة الخطب المنبرية

مع أصحاب النبى الأمين صلى الله عليه وسلم

لا غنى عنه للوعاظ و الدعاة و الخطباء

سعد يوسف أبو عزيز

المجموعة الثانية

الجزء الأول

دار التوفيقية للتراث



مع أصحاب النبى الأمين ﷺ

سلسلة تحكى سيرة الصحابة و التابعين و الصالحين ، و الصحابيات و الصالحات .
مواقف مؤثرة ، وعظات بالغة ، ودروس مستفادة
لا غنى عنه للوعاظ و الدعاة و الخطاب

المجموعة الثانية

الجزء الأول

تأليف

سعد يوسف محمود أبو عزيز



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

اسم الكتاب: موسوعة الخطب المنبرية
المجموعة الثانية جـ ١

اسم المؤلف : سعد يوسف أبو عزيز
رقم الإيداع : ٢٠١٠/٢١٢٧١
النـــاشـــر : دار التوفيقية للتراث

دار التوفيقية للتراث

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ـ القاهرة
تليفون : ٢٥١٠٥٦٦٢

تنبيهات مهمة
قبل إعداد خطبة الجمعة

التنبيه الأول: قال الإمام ابن القيم - رَحِمَهُ الله - في «زاد المعاد» (١/ ١٨٨): «كان مدار خطبته ﷺ على حمد الله والثناء عليه بآلائه، وأوصاف كماله ومحامده، وتعليم قواعد الإسلام، وذكر الجَنَّة والنار والمعاد، والأمر بتقوى الله، وتبيين موارد غضبه، ومواقع رضاه، فعلى هذا مدار خُطبه... ولم يكن يخطب خطبةً إلا افتتحها بحمد الله، ويتشهد فيها بكلمتي الشهادة» ا.هـ.

هذا؛ واشترط الفقهاء لخطبة الجمعة شروطًا لا تصحّ الخطبة بدونها، ومن هذه الشروط: حمد الله، والصلاة على النَّبيّ ﷺ، والشهادتان، وقراءة آية من القرآن، والوصية بتقوى الله.

والراجح: أن ما ذكر من هذه الأمور لا تعد شروطًا للخطبة، لأن الأحاديث الواردة في ذلك لا تدلّ على الشرطية، إنما هي مستحبات ومكملات لها.

وأما الشرطية فلا، ويستثنى من ذلك: الشهادتان، فهما شرط، وذلك لحديث النبي ﷺ: «**الخطبة التي ليس فيها شهادة كاليد الجذماء**»[1] ا.هـ[2].

قال العلّامة السَّعدي - رَحِمَهُ الله -: «وأمَّا اشتراط تلك الشروط بين الخطبتين: الحمد، والصلاة على رسول الله ﷺ، وقراءة آية من القرآن، فليس على اشتراط ذلك دليل.

والصواب: أنه إذا خطب خطبةً يحصل بها المقصود والموعظة أن ذلك كاف... نعم مِن كمال الخطبة الثناء فيها على الله وعلى رسوله ﷺ، وأن تشتمل على قراءة شيء من كتاب الله، وأمَّا كون هذه الأمور شروطًا لا تصحّ إلا بدونها سواء تركها عمدًا أو خطأ

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٨٤١)، والترمذي (١١٠٦)، وصححه الألباني.

(٢) «تمام المنة» للعزازي (٢/ ١٨).

أو سهوًا؛ ففيه نظر ظاهر» ا.هـ[1].

وفي «الروضة الندية» (ص١٣٧): «الوعظ في خطبة الجمعة هو الذي يساق إليه الحديث، فإذا فعله الخطيب فقد فعل الأمر المشروع، إلا أنه إذا قدَّم الثناء على الله وعلى رسوله ﷺ أو استطرد في وعظه القوارع القرآنية كان أتمّ وأحسن» ا.هـ.

قلت: وهذا ما حاولت ذكره في هذه السلسلة - بفضل الله تعالى - قدر استطاعتي، وعلى الأخ الخطيب أن يستكمل ما يراه ناقصًا، هذا للعلم.

التنبيه الثاني: هذه السلسلة مهمّتها مساعدة الخطيب في اختيار الموضوع، وعلى الخطيب أن يضيف أو يحذف ما يراه مناسبًا، ويحاول ربط الأحداث بالواقع المعاشي، حتى لا يعيش بمعزلٍ عن الزمن الذي يعيش فيه.

التنبيه الثالث: لا يشترط ذِكر الخُطب مسلسلة كما هو مدوّن، فالأفضل التنويع، بمعنى إلقاء خطبة عن نبيّ من الأنبياء، أو صحابيّ من الصحابة مثلًا، والخطبة التي تليها تكون عن خُلُقٍ من أخلاق الإسلام، أو تذكيرٍ بالموت وما بعده، وذلك حتى لا يسأم المستمع.

وقد حاولت بناء خطب كثيرة على مواقف ومواعظ عديدة.

وأخيرًا...

أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفِّقتُ فيما أردتُ، وعلى الله قصد السبيل.

كتبه

سعد يوسف محمود أبو عزيز



---

(١) «المختارات الجلية» (ص٧٠).

الخطبة الأولى:

[أ] مع أبي بكر الصِّدِّيق

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فنلتقي اليوم - إن شاء الله تعالى- مع ﴿ثَانِيَ اثنَينِ إِذ هُمَا فِي الغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، مع الخليفة الأوّل للنبيّ ﷺ.

مع رجل صاغه الإسلام، وربَّاه سيِّد الأنام ﷺ.

تعالوا: نعيش مع رجلٍ بهر البشرية، بصلابته، وهزّها برأفته، وشدّ أنظارها بسياسته، وأيقظها بحكمته ومواعظه.

مع «أبي بكر الصِّدِّيق»، صدِّيق هذه الأُمَّة - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - ذلكم الرجل الكبير الذي

مدحه الله بقوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

قال عليّ - رَضِي الله عَنهُ -: «﴿الَّذِي جَاءَ بِالصِّدقِ﴾: محمدٌ ﷺ، ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾: أبو بكر»[(١)].

أنـــا مـــولاي إمـــامٌ ضَــحكت	مـــن ثـــنايا فـــضله آي الزُّمـــر
صَـــدَّق المُرسَـــل إيمانًـــا بـــه	ولحـــا في الله مَـــن كـــان كفـــر
ثـــم بالغـــار لـــه منقـــبة	خـــصَّه اللَّـــهُ بهـــا دون البـــشر
ثانـــي اثـــنين وقـــول المـــصطفى	معـــنا الله فـــلا تُـــبدي الحـــذر

فمن هو أبي بكر الصدِّيق؟

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مُرَّة بن كعب ابن لُؤَيّ القرشِيّ التيمي، أبو بكر الصِّدِّيق بن أبي قُحافة، واسم أبي قحافة: عثمان.

وأمَّهُ: أمّ الخير سَلمى بنت صخر بن عامر[(٢)].

وسُمّي «أبو بكر» بالصّديق لما روته عائشة رضي الله عنها أنَّهُ: «لَـمَّا أُسري بالنبيّ ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يُحدِّث بذلك النَّاس، فارتد ناسٌ مِمَّن كان آمن وصدَّق به، وفُتنوا، فقال أبو بكر: إنِّي لأصدّقه فيما هو أبعد من ذلك، أُصَدّقهُ بخبر السَّماء غَدوة أو رَوحة». فلذلك سُمّي أبو بكر الصِّدِّيق[(٣)].

ويقال له أيضًا: «عتيق»، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلت لِمَ سُمِّي أبو بكر عتيقًا؟ فقالت: نظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «هذا عتيقُ الله مِن النَّار»[(٤)].

عباد الله...

وكان أبو بكر - رَضِي الله عَنهُ - نحيفًا أبيض، حسن القامة، خفيف العارضين،

---

(١) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» للمحب الطبري (٢٠٨).

(٢) «أسد الغابة» (٣/ ٢٨٦).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٢، ٦٣)، وصحّحه وأقرّه الذهبيّ.

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٦٩٩)، وانظر «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١٥/ ٢٨٠).

معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، لا يَستَمسِكُ إزاره يسترخي عن حقويه، وكان كريمًا عالمًا بأنساب العرب.

وكان - رَضِي الله عَنهُ - من رؤساء قريش في الجاهلية، مُحبَّبًا فيهم، مألفًا لهم، وكان إليه الأشناق في الجاهلية، والأشناق: الدِّيَّات.

وكان إذا حمل شيئًا صدّقته قريش وأمضوا حَمَالَته وحمالة مَن قام معه، وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدّقوه.

فلما جاء الإسلامُ سَبَق إليه.

أخرجه ابن خيثمة بسندٍ صحيحٍ عن زيد بن أرقم - رَضِي الله عَنهُ - قال: «أوَّل مَن صلى مع النَّبيّ ﷺ أبو بكر الصدِّيق».

وأخرج البخاري عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «...**هَل أَنتُم تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ هَل أَنتُم تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ إِنِّي قُلتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيكُم جَمِيعًا، فَقُلتُم: كَذَبتَ، وَقَالَ أَبُو بَكرٍ: صَدَقتَ**».

قال العلماء: صحب أبو بكر النبيَّ ﷺ من حين أسلم حين تُوفِّي، لم يفارقه سَفَرًا ولا حضرًا، إلَّا فيما أذن له - عليه الصلاة والسلام - في الخروج فيه من حجٍّ وغزوٍ، وشهد معه المشاهد كلّها، وهاجر معه، وترك عياله وأولاده رغبةً في الله ورسوله ﷺ، وهو رفيقه في الغار، وقام بنصر رسول الله ﷺ في غير موضع، وله الآثار الجميلة في المشاهد، وثبت يوم أُحُد ويَومَ حُنين، وقد فرّ النَّاس.

عباد الله...

أسلم الصِّدّيق - رَضِي الله عَنهُ - وحمل الدعوة مع رسول الله ﷺ وتعلَّم مِن رسول الله ﷺ أنَّ الإسلام دين العمل والدَّعوة والجِهاد، وأنَّ الإيمان لا يكمل حتى يهب المسلم نفسه وما يملك لله ربِّ العالمين.

وكانت أوَّل ثمار الصِّديق الدعوية: دخول صفوة من خيرةِ الخَلق في الإسلام وهم: الزبير بن العوَّام، وعثمان بن عفَّان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد،

والأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنهم.

وجاء بهؤلاء الصحابة الكرام فرادى فأسلموا بين يدي رسول الله ﷺ، فكانوا الدعامات الأولى التي قام عليها صرح الدَّعوة[(١)].

واهتم الصِّدِّيق - رَضِي الله عَنهُ - بأسرته، فأسلمت أسماء وعائشة وعبد الله وزوجته أُمّ رومان، وخادمه عامر بن فهيرة.

وتحمَّل أبو بكر - رَضِي الله عَنهُ - الأذى مع رسول الله ﷺ في مكة:

فَعَن أَسماءَ بِنتِ أَبِي بَكرٍ أَنَّهُم قَالُوا لَهَا: مَا أَشَدُّ مَا رَأَيتِ المُشرِكِينَ بَلَغُوا مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَت: كَانَ المُشرِكُونَ قَعَدُوا فِي المَسجِدِ يَتَذَاكَرُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي آلِهَتِهِم فَبَينَا هُم كَذَلِكَ إِذ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَامُوا إِلَيهِ، وَكَانُوا إِذَا سَأَلُوا عَن شَيءٍ صَدَقَهُم، فَقَالُوا: أَلَستَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ: «بَلَى». فَتَشَبَّثُوا بِهِ بِأَجمَعِهِم، فَأَتَى الصَّرِيخُ إِلَى أَبِي بَكرٍ فَقِيلَ: بَادِر صَاحِبَكَ.

فَخَرَجَ مِن عِندِنَا وَإِنَّ لَهُ لَغَدَائِرَ، فَدَخَلَ المَسجِدَ وَهُوَ يَقُولُ: وَيلَكُم **﴿أَتَقتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَد جَاءَكُم بِالبَيِّنَاتِ مِن رَبِّكُم﴾**.

قَالَت: فَلَهَوا عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَقبَلُوا عَلَى أَبِي بَكرٍ، فَرَجَعَ إِلَينَا أَبُو بَكرٍ فَجَعَلَ لاَ يَمَسُّ شَيئًا مِن غَدَائِرِهِ إِلاَّ جَاءَ مَعَهُ وَهُوَ يَقُولُ: تَبَارَكتَ يَا ذَا الجَلاَلِ وَالإِكرَامِ.

عباد الله...

تعددت فضائل أبي بكر الصِّدِّيق - رَضِي الله عَنهُ - وكثرت مناقبه، ومن ذلك:

(١) عَن عَبدِ اللَّهِ بن مسعود: عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَو كُنتُ مُتَّخِذًا مِن أَهلِ الأَرضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذتُ ابنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا وَلَكِن صَاحِبُكُم خَلِيلُ اللَّهِ**»[(٢)].

قال الإمامُ النّووي - رحمه الله -: قَالَ القَاضِي عِيَاض - رَحِمَهُ الله تَعَالَى -: أَصل الخُلَّة الافتقار والانقطاع، فخليل الله: المنقطع إليه، وَقِيلَ: لقصره حاجته على الله تعالى،

---

(١) «محمد رسول الله» للشيخ/ محمد صادق عرجون (١/ ٥٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٨٣).

وقال ابن فورك: الخلّة صفاء المودة بتخلل الأسرار.

وقيل: أصلها المحبَّة، ومعناه: الإسعاف والإلطاف، وقيل: الخليل مَن لا يتسع قلبهُ لغير خليله.

ومعنى الحديث: أن حُبّ الله تعالى لم يُبق في قلبه موضعًا لغيره. ا.هـ[١].

(٢) وعَن عَمرُو بنُ العَاصِ - رَضِي الله عَنهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيتُهُ فَقُلتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» قُلتُ: مِن الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا»، قُلتُ: ثُمَّ مَن؟ قَالَ: «عُمَرُ» فَعَدَّ رِجَالًا[٢].

(٣) عَن جُبَيرِ بنِ مُطعِم: أَنَّ امرَأَةً سَأَلَت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيئًا فَأَمَرَهَا أَن تَرجِعَ إِلَيهِ، فَقَالَت: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيتَ إِن جِئتُ فَلَم أَجِدكَ؟ قَالَ: كَأَنَّهَا تَعنِي المَوتَ، قَالَ: «فَإِن لَم تَجِدِينِي فَأتِي أَبَا بَكرٍ»[٣].

عباد الله...

سبقت للصدّيق من ربّه الحُسنى، واختاره الرسول ﷺ لصحبته في الهجرة، قَالَ تَعالى: ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَد نَصَرَهُ اللَّهُ إِذ أَخرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثنَينِ إِذ هُمَا فِي الغَارِ إِذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحزَن إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠].

قَالَ الشّعبيّ: عاتب الله أهل الأرض جميعًا في هذه الآية، غير أبي بكر.

عَن عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَت:...قَالَ رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**أَشَعَرتَ أَنَّهُ قَد أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ**». قَالَ: الصُّحبَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ «**الصُّحبَةَ**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عِندِي نَاقَتَينِ أَعدَدتُهُمَا لِلخُرُوجِ، فَخُذ إِحدَاهُمَا. قَالَ: «**قَد أَخَذتُهَا بِالثَّمَنِ**».

قالت: فوالله ما شعرتُ قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح، حتى رأيتُ أبا بكر يومئذ يبكي.

غلب السّرور عليَّ حتى إنّني ... مِن فرط ما قد سرّني أبكاني

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٥/ ٥٣١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٨٦).

هذا والله هو بكاء الرجال.

أيها المسلمون...

وكان - رَضِي الله عَنهُ - عابدًا، زاهدًا، سخيًّا، كريمًا، مجاهدًا بماله ونفسه، يدلّ على ذلك ما يلي:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَن أَصبَحَ مِنكُم اليَومَ صَائِمًا؟**». قَالَ أَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَن تَبِعَ مِنكُم اليَومَ جَنَازَةً؟**». قَالَ أَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَن أَطعَمَ مِنكُم اليَومَ مِسكِينًا؟**»، قَالَ أَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: أَنَا. قَالَ: «**فَمَن عَادَ مِنكُم اليَومَ مَرِيضًا؟**». قَالَ أَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَا اجتَمَعنَ فِي امرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(١)].

وأخرج أبو داود وغيره عن عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَن نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِندِي مَالًا، فَقُلتُ: اليَومَ أَسبِقُ أَبَا بَكرٍ إِن سَبَقتُهُ يَومًا[(٢)]، قَالَ: فَجِئتُ بِنِصفِ مَالِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَا أَبقَيتَ لِأَهلِكَ؟**» قُلتُ: مِثلَهُ. وَأَتَى أَبُو بَكرٍ بِكُلِّ مَا عِندَهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكرٍ مَا أَبقَيتَ لِأَهلِكَ؟**»، قَالَ: أَبقَيتُ لَهُم اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلتُ: وَاللَّهِ لَا أَسبِقُهُ إِلَى شَيءٍ أَبَدًا[(٣)].

فاستحقّ - رَضِي الله عَنهُ - ثناء ربّ العالمين إذ أُنزل فيه: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتقَى * الَّذِي يُؤتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى**﴾ [الليل: ١٧، ١٨].

قال ابن الجوزي: «أجمعوا على أنها نزلت في أبي بكر».

وكان - رَضِي الله عَنهُ - شجاعًا يقتحم المنايا ويجابه الأخطار، ولا يخشى إلَّا الله.

عن محمد بن عقيل عن عليّ - رَضِي الله عَنهُ - أَنَّهُ خطبهم فقال: «يا أيها النَّاس مَن أشجع النَّاس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إنِّي ما بارزني أحدٌ إلا انتصفت

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٢٨).

(٢) «إن» هنا- نافية، يريد: ما سبقته.

(٣) ورواه الترمذي، وقال: هَذَا حديث حسن صحيح.

منه، ولكن هو أبو بكر - رَضِي الله عَنهُ - إنَّا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا[١]، فقلنا: مَن يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحدٌ من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر - رَضِي الله عَنهُ - شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس». رواه البزار.

وكان - رَضِي الله عَنهُ - ورعًا، يتحرى الحلال في طعامه وشرابه وفي كل شيء.

عن زيد بن أرقم، قال: «كان لأبي بكر - رَضِي الله عَنهُ - مملوك يغل عليه، فأتاه ليلة بطعامٍ فتناول منه لقمةً، فقال له المملوك: ما لك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة؟

قال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟

قال: مررتُ بقومٍ في الجاهلية فَرَقِيتُ[٢] لهم فوعدوني، فلمَّا كان اليوم مررت بهم فإذا عُرس لهم، فأعطوني.

فقال: أُفٍّ لك، كدت أن تهلكني، فأدخل يده في حَلقه فجعل يتقيأ وجَعَلت لا تخرج[٣].

فقيل له: إن هذه لا تخرج إلَّا بالماء، فدعا من ماء فجعل يتقيأ حتى رمى بها.

فقيل له: يرحمك الله، كل هذا من أجل هذه اللقمة؟!

قال: لو لا تخرج إلَّا مع نفسي لأخرجتُها، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِن سُحتٍ فالنَّار أولَى به**».

فخشيتُ أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة!!

عباد الله...

وظل أبو بكر - رَضِي الله عَنهُ - ملازمًا لرسول الله ﷺ لا يتخلّف عن غزوة، ولا يقعد عن قتالٍ، يقدّم ماله وكل ما يملك في سبيل الله تعالى.

---

(١) **العريش**: هو البيت الذي يستظلّ به، وكان ذَلِكَ في بدر.
(٢) المقصود هنا: الرُّقى الشِّركيّة.
(٣) المقصود: اللقمة التي ابتلعها - رَضِي الله عَنْهُ -.

وفي مرض النّبيّ ﷺ الذي مات فيه، ويوم موته ﷺ حدثت أحداث، وظهرت مواقف، دلّت على علوّ مكانته، وصدق معدنِهِ، وثباتِهِ في أصعب الأوقات وأحرجها.

نذكر بعضها بعد قليل، إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

عَن إبرَاهِيمَ، قَالَ الأَسوَدُ: قَالَ: كُنَّا عِندَ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - فَذَكَرنَا المُوَاظَبَةَ عَلَى الصَّلاَةِ وَالتَّعظِيمَ لَهَا، قَالَت: لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَضَهُ الَّذِى مَاتَ فِيهِ، فَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَأُذِّنَ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكرٍ فَليُصَلِّ بِالنَّاسِ».

فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، إِذَا قَامَ فِى مَقَامِكَ لَم يَستَطِع أَن يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكرٍ فَليُصَلِّ بِالنَّاسِ».

فَخَرَجَ أَبُو بَكرٍ فَصَلَّى، فَوَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ مِن نَفسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادَى بَينَ رَجُلَينِ كَأَنِّى أَنظُرُ رِجلَيهِ تَخُطَّانِ مِنَ الوَجَعِ، فَأَرَادَ أَبُو بَكرٍ أَن يَتَأَخَّرَ، فَأَومَأَ إِلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ أَن مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنبِهِ.

- وعندما تُوفِّي، قال عمر: لا يتكلّم أحمد بموته إلّا ضربتهُ بسيفي هذا!

قال: فقالوا له: اذهب إلى صاحب رسول الله ﷺ فادعه - يعني أبا بكر - قال: فذهبتُ فوجدتهُ في المسجد، قال: فأجهشت أبكي، قال: لعلّ نبيّ الله تُوفّي؟

قلت: إن عمر قال: لا يتكلم أحد بموته إلّا ضربتهُ بسيفي هذا؟

قال: فأخذ بساعدي ثم أقبل يمشي، حتى دخل، فأوسعوا له، فأكبّ على رسول الله ﷺ حتى كاد وجهه يمسّ وجه رسول الله ﷺ[1]، فنظر حتى استبان أنّهُ تُوفّي، فقال:

---

(١) وفي رواية: أنّهُ قبّله.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، قالوا: يا صاحب رسول الله، تُوفِّي رسول الله ﷺ؟

قال: نعم، فعلموا أَنَّهُ كما قال. قالوا: يا صاحب رسول الله هل يصلى على النبي؟ قال: نعم، يجيء نفرٌ منكم فيكبرون فيدعون ويذهبون حتى يفرغ النَّاس، فعلموا أَنَّهُ كما قال. قالوا: يا صاحب رسول الله هل يدفن النبي ﷺ؟ قال: نعم. قالوا: أين يُدفن؟ قال: حيث قَبَضَ اللَّـهُ روحه، فإنه لم يقبضه إلَّا في موضع طيِّب.

قال: فعرفوا أَنَّهُ كما قال[1].

عباد الله...

كانت هذه لقطات من حياة أبي بكر الصِّدِّيق - رَضِي الله عَنهُ - مع النبيّ ﷺ، فما هي مواقفه بعد وفاة النبيّ ﷺ؟

هذا ما سوف نلتقي معه في الجُمعة القادمة - إن شاء الله تعالى.

اللهُمَّ اجعلنا مِن أحبِّ خَلقِك إليك، ومن المقرّبين لَديك.

آمين... آمين... آمين.

---

(١) «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٠٣)، والرواية هنا مختصرة.

الخطبة الثانية:

[ب] مع أبي بكر الصديق

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن الخليفة الأوَّل «**أبي بكر الصِّدِّيق**» رَضِي الله عَنهُ.

عباد الله...

ذكر الواقدي عن أشياخه أنَّ أبا بكر - رَضِي الله عَنهُ - بويع يَومَ قُبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مُهَاجر رسول الله ﷺ.

ويحكي لنا عمر بن الخطاب - رَضِي الله عَنهُ - قصة استخلاف أبي بكر فيقول: «أَنَّهُ كان من خبرنا حين تُوفِّي رسول الله ﷺ إنَّ عليًّا والزُّبير ومَن كان معهما تخلفوا في بيت

فاطمة، وتخلَّف عنا الأنصار بأجمعهم في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت له: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار.

فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذى صنع القوم فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟

فقلت: نريد إخواننا من الأنصار.

فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين.

فقلت: والله لنأتينهم.

فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فاذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمّل.

فقلت: من هذا؟

قالوا: سعد بن عبادة.

فقلت: ما له؟

قالوا: وَجِعٌ، فلما جلسنا قام خطيبهم فاثنى على الله بما هو أهله وقال: أما بعد..

فنحن أنصار الله، وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهطٌ منَّا، وقد دَفَّت دافَّة منكم، تريدون أن تختزلونا من أصلنا وتحضنونا[١] من الأمر.

فلما سكت أردتُ أن أتكلم وكنتُ قد زوَّرت مقالة[٢] أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، وهو كان أحلم منِّي وأوقر، فقال أبو بكر: على رِسلك.

فكرهت أن أغضبه، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلَّا قالها في بديهته وأفضل، ثم سكت فقال: أما بعد:

فما ذكرتم من خبر فأنتم له أهل، وما تعرف العرب هذا الأمر إلَّا لهذا الحيّ من

---

(١) يقال: حضنه: أي أخرجه ونحَّاه.
(٢) زوَّرت مقالة: أي حسّنتُها وقوّمتُها.

قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم، وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح.

فلم أكره مما قال غيرها، وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحبَّ إليَّ أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر - رَضِي الله عَنهُ - إلَّا أن تغير نفسي عند الموت.

فقال قائل من الأنصار: أنا جُذَيلها المحكك[١] وعُذَيقها[٢] المرجَّب، منَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ يا معشر قريش.

قال: فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى خشيتُ الاختلاف.

فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعتُه، وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار».

ويقول علي بن أبي طالب - رَضِي الله عَنهُ -: «لَـمَّا قُبض النبيّ ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبيّ ﷺ قد قدّم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا مَن رَضي رسول الله ﷺ لديننا، فقدَّمنا أبا بكر».

عباد الله...

وكانت أوّل أعماله:

ما أخرجه الطبري عن عاصم بن عديّ، قال:

نادى منادى أبي بكر من بعد الغد من مُتوفَّى رسول الله ﷺ: لِيَتم بعث أُسامة، ألا لا يبقين بالمدينة أحدٌ من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف[٣]، وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«يا أيها الناس إنها أنا مِثلكم، وإني لا أدرى لعلكم ستكلِّفوني ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إنَّ الله اصطفى مُحَمّدًا على العالمين وعصمه من الآفات، وإنَّما أنا متبعٌ ولستُ

(١) **المحك**: أي: يستشفي برأيه.
(٢) **عُذَيقها**: كناية عن جَودة الرأي.
(٣) مكان على حدود المدينة، تجمع فيه جيش أسامة بن زيد.

بِمُبتدعٍ، فإن استقمتُ فتابعوني، وإن زِغتُ فَقَوّموني، وإنَّ رسول الله ﷺ قُبض وليس أحد من هذه الأُمّة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها.

ألا وإنَّ لى شيطانًا يَعترينى، فإذا أتانى فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، وأنتم تغدون وتروحون في أجل قد غُيّب عنكم علمه، فإن استطعتم أن لا يمضى هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإنَّ قومًا نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم فإيَّاكم أن تكونوا أمثالهم.

الجد الجد، والوحا[١] الوحا، والنجاء النجاء، فإنَّ وراءكم طالبًا حثيثًا[٢] أمره سريع، احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا[٣] الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات»[٤].

كلماتٌ يسيرات، لكنها مباركات، حدَّد فيها أبو بكر - رَضِي الله عَنهُ - معالم الطريق، وبيَّن فيها منهجَهُ في خلافته، وذكَّر فيها النَّاس بلقاء ربِّهم.

إنَّها تنمّ عن قلبٌ كبير، وعن فقهٍ عظيم، وعن إيمان عميق، وعن شعور بثقل الأمانة.

عباد الله...

«لَـمَّا اُستُخلِفَ أبو بكر - رَضِي الله عَنهُ - أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها، فلقيه عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟

قال: السوق.

---

(١) **الوحا**: السرعة.
(٢) **حثيثًا**: سريعًا.
(٣) **تغبطوا**: يقال: غبطت الرجل أغبطه غبطًا: إذا اشتهيت أن يكون لك مثل ماله، ولا يعتبر حسدًا، وإنما سُمّي حسدًا مجازًا.
(٤) «تاريخ الطبري» (٢/ ٤٦٠).

قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟

فقال: من أين أطعم عيالي؟

قالا له:انطلق حتى نفرض لك شيئًا.

فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة.

وعن حميد بن هلال قال: لَـمَّا وُلِّيَ أبو بكر - رَضِيَ الله عَنهُ - قال أصحاب رسول اللهّ ﷺ : افرضوا لخليفة رسول الله ﷺ ما يغنيه.

قالوا: نعم، بُردَاه إذا اخلَقَهما وضعهما وأخذ مثلهما، وظهره إذا سافر، ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يُستخلف. قال أبو بكر: رضيت».

أرأيتم معاشر السَّادة، كيف ربَّى الإسلام أتباعه، بأيِّ قَلم نَصِف هذه المواقف أيُّها النَّاس؟!

إنَّ اللِّسان ليقف عاجزًا لا يكاد يُبين!!

إنَّ ثقل الأمانة التي حملوها، قتلت في أنفسهم حبَّ الدُّنيا، وأخرجت من أفئدتهم التطلع إليها، وحقًّا فكما أنَّ الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، فهو سُبحانهُ أعلم كيف يختار لنبيِّه ﷺ حوارييه وصحابته.

أيُّها المسلمون...

ولما شاع خبرُ وفاة الرسول ﷺ ارتدت العرب، ونجم النفاق، واشرأبت اليهودية والنصرانية، والمسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لِفَقد نبيِّهم ﷺ وقلة عددهم وكثرة عدوّهم.

فماذا يصنع أبو بكر الصِّدِّيق - رَضِيَ الله عَنهُ -؟

قام ليتم بعث جيش أسامة المتجه إلى الشام لتصفية الحساب مع الروم، وكان النبيُّ ﷺ قد عقد لواءه لأسامة قبل موته بأيام.

فقال النَّاس لأبي بكر: إن هؤلاء[١] جُلّ جماعة المسلمين.

---

(١) أي: جيش أسامة.

فقال أبو بكر: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننتُ أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذتُهُ.

فلما فصل أسامة بالجنود، ارتدت العرب وعَظُمَ أمرُ «مسيلمة»، وظهر مدعين مثل «طليحة» فادَّعوا النبوّة، واسغلظ أمرهم، وارتدت غطفان، وقدَّمت هوازن رِجلًا وأخَّرت أخرى.

قال ربيعة الأسدي: قدمت وفود أسد وغطفان وهوازن وطئ فعرضوا الصلاة على أن يعفوا من الزكاة، واجتمع جماعة من المسلمين على قبول ذلك منهم، فأتوا أبا بكر فأبى إلَّا ما كان رسول الله ﷺ يأخذ، وأجَّلهم يومًا وليلة، فتطايروا إلى عشائرهم.

قال الشَّعبيّ: قال أبو بكر لعمر وعثمان وعليّ وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد وأمثالهم: أترون ذلك - يعني قبول الصلاة منهم دون الزكاة - قالوا: نعم حتى تسكن الناس وترجع الجنود.

فقام فحمد الله وأثنى عليه وقال: «لو منعوني عقالًا مما أعطوه رسول اللهّ ﷺ ما قبلتُ منهم ألا برئت الذمّة من رَجُلٌ من هؤلاء الوفود وُجِدَ بعد يومه وليلته».

فتواثبوا يتخطّون رقاب النَّاس.

ثم أمر عليًّا رضي الله عنه بالقيام على نقب من أنقاب المدينة، وأمر الزبير بالقيام على نقب، وأمر طلحة بالقيام على نَقب آخر، وأمر عبد اللهّ بن مسعود بالعسيس بالليل وجدّ في أمره وقام على رِجل.

قال علماء السِّير: «وجاء المشركون فطرقوا المدينة بعد ثلاث، فوافقوا أنقاب المدينة محروسة فبهتوهم، وخرج أبو بكر في أهل المسجد على النواضح إليهم، فانفشّ العدو[1]، فاتبعهم المسلمون، وبات أبو بكر ليلتئذ يتهيأ، فعبَّى النَّاس وخرج على تعبيته في آخر الناس يمشي وعلى ميمنته النعمان بن مقرن، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرّن، وعلى الساقة سويد بن مقرن معه الركاب، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا المسلمين حسًّا حتى وضعوا فيهم السيوف، فما ذَرّ قَرن الشَّمس حتى

(١) **انفشّ العدوّ**: انهزم وفشل.

ولى المشركون الأدبار.

واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة ونزل بها النعمان بن مقرن في عدد ورجع إلى المدينة.

وقدم أسامة - رَضِيَ الله عَنهُ - بعد أن غاب شهرين وأيامًا فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وقال له ولجنده: أريحوا وأرعوا ظهوركم.

ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذي القصة والذين كانوا على الأنقاب فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول اللهّ أن تعرّض نفسك فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشدّ على العدو، فابعث رجلًا فإن أصيب أمرّت آخر.

فقال: والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي.

فخرج في تعبيته إلى ذي القِصّة فنزلها وهي على بريد من المدينة فقطع فيها الجنود.

فلما أراحَ أسامةُ وجنده ظهرهم وجَمُوا قطع أبو بكر البعوث، وبلغ عقد الألوية أحد عشر لواء على أحد عشر جندًا.

وتحركت الكتائب المؤمنة، فدكّت معاقل المرتدين، وأطاحت بمملكتي «مسيلمة الكذاب»، و«طليحة»، وأزالت أثر الارتداد وعاد النَّاس إلى دين الله تعالى، وانضووا تحت راية التوحيد.

ومن هذه المعارك يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - في «فقه السيرة»:

«ولم تشهد الصَّحراء في حياة النبيّ ﷺ مثيلًا لهذه المعارك الطاحنة[١].

فقد اتسعت ميادينها، وتتابعت أمدادها، وفدحت مغارمها، وكثرت ضحاياها، إلَّا أن الرجال الذين ربَّاهم محمد ﷺ على معرفة الحقّ، صدقوا الله في عملهم، ونهضوا كأعتى الأبطال بالأثقال الباهظة التي رموا بها.

وضربوا الوثنية في الجزيرة ضربة كسرت فقارها، واعتصرت روحها، فهمدت إلى الأبد، وطردوا الرومان عن الحدود، وكسروا شوكة المرتدين، فعاد مَن عاد إلى

(١) لأن الارتداد في عهد النبي ﷺ لم يكن بهذا الشكل الجماعي.

الإسلام، وهلك مَن هلك بعيدًا عنه، وما هي إلَّا سنوات قلائل حتى كان الإسلام ملء البرّ والبحر، ملء السمع والبصر، بينما عاشت الأديان الأخرى على هامش الحياة» ا.هـ.

عباد الله...

وإضافة لما سبق، فقد قام أبو بكر - رَضِي الله عَنهُ - بأعمال جليلة خدمت الإسلام، من هذه الأعمال:

جمع القُرآن:

أخرج البخاريّ، عن زَيدَ بنَ ثَابِتٍ الأَنصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: قَالَ: «أَرسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكرٍ مَقتَلَ أَهلِ اليَمَامَةِ وَعِندَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتلَ قَد استَحَرَّ يَومَ اليَمَامَةِ بِالنَّاسِ وَإِنِّي أَخشَى أَن يَستَحِرَّ القَتلُ بِالقُرَّاءِ فِي المَوَاطِنِ فَيَذهَبَ كَثِيرٌ مِن القُرآنِ إِلَّا أَن تَجمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَن تَجمَعَ القُرآنَ.

قَالَ أَبُو بَكرٍ: قُلتُ لِعُمَرَ: كَيفَ أَفعَلُ شَيئًا لَم يَفعَلهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟

فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيرٌ، فَلَم يَزَل عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِذَلِكَ صَدرِي وَرَأَيتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ.

قَالَ زَيدُ بنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِندَهُ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ وَلَا نَتَّهِمُكَ كُنتَ تَكتُبُ الوَحيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَتَبَّعِ القُرآنَ فَاجمَعهُ فَوَاللَّهِ لَو كَلَّفَنِي نَقلَ جَبَلٍ مِن الجِبَالِ مَا كَانَ أَثقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِن جَمعِ القُرآنِ.

قُلتُ: كَيفَ تَفعَلَانِ شَيئًا لَم يَفعَلهُ النَّبِيُّ ﷺ ؟

فَقَالَ أَبُو بَكرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيرٌ، فَلَم أَزَل أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدرَ أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، فَقُمتُ فَتَتَبَّعتُ القُرآنَ أَجمَعُهُ مِن الرِّقَاعِ وَالأَكتَافِ وَالعُسُبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدتُ مِن سُورَةِ التَّوبَةِ آيَتَينِ مَعَ خُزَيمَةَ الأَنصَارِيِّ لَم أَجِدهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيرِهِ: **﴿لَقَد جَاءَكُم رَسُولٌ مِن أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوا فَقُل حَسبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَهُوَ رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ﴾** [التوبة: ١٢٨، ١٢٩]، وَكَانَت الصُّحُفُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا القُرآنُ عِندَ أَبِي بَكرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِندَ عُمَرَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِندَ حَفصَةَ بِنتِ عُمَرَ».

عباد الله...

وعلى الجانب الأخلاقي، فقد دكّ معاقل الرذيلة، وقضى على بؤر الفساد، التي ظهرت إثر وفاة النبيّ ﷺ.

«لَـمَّا مات رسول الله ﷺ قامت بعض بنات اليمن من يهود ومَن لَفَّ لَفَّهُم في حضرموت، وَطِرنَ فرحًا بموت رسول الله ﷺ، فأقمنّ الليالي الحمراء مع المجان والفُسَّاقِ، يشجعنّ على الرذيلة، ويزرين بالفضيلة، فقد رقص الشيطانُ فيها معهنّ وأتباعُهُ طربًا، لنكوص النَّاس عن الإسلام والدعوة إلى التمرد عليه وحرب أهله.

لقد حَنَّت تلك البغايا إلى الجاهلية وما فيها من المنكرات، وانجذبن إليها انجذاب الذُّباب إلى أكوام من الأقذار، فما إن سمعن بموت النبي ﷺ حتى أظهرن الشماتة، فخضبن أيديهن بالحناء وقمن يضربن بالدفوف، وكان معظمهن من عِلية القوم هناك، ولقد عُرِفَت هذه الحركة في التاريخ بـ«حركة البغايا» وكُنَّ نَيفًا وعشرين بغيًّا متفرقان في قرى حضرموت، وأشهرهنَّ «هر بنت يامن» اليهودية التي ضُرِبَ المثلُ بها في الزنا، فقيل: أزنى من هر.

ويذكر التاريخُ أنَّ الفُسَّاق كانوا يتناوبونها لهذا الغرض في الجاهلية، ولكن هؤلاء السواقط لم يُترَكنَّ وشأنهنّ يُفسِدنَ المجتمع كما يَحلُوا لهنّ، فقد وصل الخبر إلى الصِّدِّيق، حيث أرسل رجل من أهل اليمن إليه هذه الأبيات:

أبلـغ أبـا بكـر إذا مـا جئـته ... أن البـغايا رُمـنَ أي مـرامِ

أظهـرنَّ مـن مـوت الـنبي شماتـةً ... وخـضبنَّ أيـديهنَّ بـالعُلاَّم[1]

فاقطـع هُـدِيتَ كُفهـنّ بـصارمٍ ... كالـبرق أمـضى مـن مـتون غمـام[2]

فكتب أبو بكر - رَضِي الله عَنهُ - إلى عامله المهاجر بن أبي أميّة كتابًا كله الحزم والصرامة، جاء فيه: «فإذا جاءك كتابي هذا فسر إليهنّ بخيلك ورِجلكَ حتى تقطع

---

(١) العلام: الحِناء.

(٢) «عيون الأخبار» للدنيوري (٣/ ١٣٣).

أيديهنّ، فإن دَفَعَكَ عنهنّ دافعٌ فأعذر إليه باتخاذ الحجّة عليه وأعلمه عظيم ما دخل فيها من الإثم والعدوان، فإن رجع فاقبل منه، وإن أتى فَنَابِذهُ على سواء، إنَّ الله لا يهدي كيد الخائنين.

فلما قرأ المهاجر الكتاب جمع خيله ورَجلَهُ وسار إليهنّ، فحال بينه وبينهنّ رجالٌ من كندة وحضرموت، فأعذر إليهم بأَبَوا إلّا قتاله، ثم رجع عنه عامتهم فقاتلهم فهزمهم، وأخذ النسوة فقطع أيديهنّ، فمات عامتهنّ، وهاجر بعضهنّ إلى الكوفة، لقد نِلنَّ جزاءهن في محكمة الإسلام العادلة، إذ أخذهنّ عامل أبي بكر على تلك البلاد وطبَّقَ عليهنّ حدّ الحِرابة»[1].

أيها المسلمون...

إن شمائل الصِّدِّيق - رَضِي الله عَنهُ - لا نستطيع حصرها، ويضيق المقام عن استقصاءها، ويكفي أن نشير هنا إلى شيء منها، إضافة لما سبق ذكره:

فقد كان - رَضِي الله عَنهُ - زاهدًا في الدُّنيا:

عن زيد بن أرقم قال: دعا أبو بكر بشراب، فأتي بماء وعسل، فلما أدناه من فِيهِ نَحَّاه[2]، ثم بكى حتى بكى أصحابه، فسكتوا وما سكت. ثم عاد فبكى حتى ظنوا أنهم لا يقوون على مسألته، ثم أفاق فقالوا: يا خليفة رسول الله، ما أبكاك؟

قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ فرأيتهُ يدفع عن نفسه شيئاً، ولم أر أحدًا معه، فقلت: يا رسول الله، ما هذا الذي تدفع، ولا أرى أحداً معك؟

قال: **«هذه الدنيا تمثّلَت فقلت لها: إليك عنِّي، فَتَنَحَّت ثم رجعت، فقالت: أمَّا إنَّك إن أفلَت فلن يُفلِت مَن بَعدك»**. فذكرتُ ذلك فَمَقَتُّ أن تلحقني[3].

وكان - رَضِي الله عَنهُ - أوَّابًا:

كان مسطح بن أثاثة - رَضِي الله عَنهُ - مِمَّن خاض في «الإفك»[4]، وكان مسكينًا

---

(١) «حركة الرِّدة» د. علي العتوم (١٨٤).

(٢) **نحّاه**: أبعده.

(٣) «أسد الغابة» (٣/ ٢٩٩).

(٤) كان المنافقون قد اتهموا أمّ المؤمنين عائشة بصفوان بن المعطّل - رَضِي الله عَنهُما -.

لا مال له، إلَّا ما يُنفق عليه أبو بكر - رَضِيَ الله عَنهُ - وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد زلق زلقةً تاب الله عليه منها[١]، وهي خوضه في الإفك، وكان أبو بكر - رَضِيَ الله عَنهُ - قد حلف ألَّا يُنفق عليه بسبب ما سمع، فلمَّا أنزل الله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

قال أبو بكر: «بلى والله إنَّا نُحب أن تغفر لنا يا ربَّنا»، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: «والله لا أنزعها منه أبدًا»[٢].

وكان - رَضِيَ الله عَنهُ - خطيبًا مفوّهًا، وواعظًا مؤثّرًا:

وهذه بعض خطبه ومواعظه:

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الحذر» عن موسى بن عقبة: أنَّ أبا بكر الصِّدِّيق كان يخطب، فيقول:

«الحمد لله ربِّ العالمين، نحمده ونستعينه، ونسأله الكرامة فيما بعد الموت، فإنه قد دنا أجلي وأجلكم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيرًا ونذيرًا وسراجًا منيرًا، لينذر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين.

ومن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد ضل ضلالًا مبينًا.

أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به، فإنَّ جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص: السمع والطاعة لمن ولَّاه الله أمركم، فإنَّهُ مَن يطع وليّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر فقد أفلح وأدَّى الذي عليه من الحق، وإيَّاكم واتباع الهوى، قد أفلح مَن حفظ من الهوى والطمع والغضب.

وإيَّاكم والفخر وما فَخرُ مَن خُلق من تراب، ثم إلى التراب يعود، ثم يأكله الدود، ثم هو اليوم حَيّ وغدًا ميِّت، فاعملوا يومًا بيوم، وساعةً بساعة، وتوقوا دعاء المظلوم،

---

(١) وضُرب الحدّ عليها.

(٢) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢) بنحوه بإسنادٍ حسن.

وعدّوا أنفسكم في الموتى، واصبروا فإنَّ العمل كله بالصبر، واحذروا والحذر ينفع، واعملوا والعمل يُقبل، واحذروا ما حذركم الله من عذابه، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته، وافهموا، واتقوا توقوا، فإنَّ الله تعالى قد بيَّن لكم ما أهلك به مَن كان قبلكم وما نجا به مَن نجا قبلكم، قد بيَّن لكم في كتابه حلاله وحرامه وما يجب من الأعمال وما يكره، فإني لا آلوكم ونفسي، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

واعلموا أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم فربكم أطعتم، وحظكم حفظتم واغتبتم، وما تطوعتم به، فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا بسلفكم، وتعطوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم إليها، ثم تفكروا عباد الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا، قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه، وحلّوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت.

إنَّ الله ليس له شريك، وليس بينه وبين أحدٍ من خلقه نسب يعطيه به خيرًا ولا يصرف عنه سوءًا إلَّا بطاعته واتباع أمره، فإنه لا خير في خير بعده النار، ولا شرَّ في شرّ بعده الجَنَّة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وصلّوا على نبيكم ﷺ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

(٢) ومن وصاياه لجيوشه:

عن أبي عمران الجوني: أنَّ أبا بكر بعث جيوشًا إلى الشام، وأمَّر عليهم يزيد بن أبي سفيان، قال: «إني موصيك بعشر خلالٍ: لا تقتلوا امرأة، ولا صبيًّا، ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطع شجرًا مثمرًا، ولا تخربنّ عامرًا، ولا تعقر شاة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، ولا تفرقنّ نخلاً، ولا تحرقنّه، ولا تَغلل ولا تجبن»[١].

أيُّها النَّاس...

هذه أخلاق الحروب في الإسلام، فأين هي في دنيا النَّاس اليوم؟

---

(١) رواه البيهقي.

اسألوا الشيشان، والعراق، وفلسطين، والبوسنة، والصومال.

سمعنا كلامًا له في السَّمع وَقعه ... ورُبَّ لذيذ شابَ لذّته السُّمّ

أرى الدول الكبرى لها الغُنم وَحدها ... وقد عادت الصُّغرى على رأسها الغرم

ألا كلّ شعب ضائع حَقّه سُدَى ... إذا لم يؤيد حقّه المِدفع الضّخم

(٣) وصيته بالسمع والطاعة والجماعة:

وقال - رَضِيَ الله عَنهُ - في بعض مواعظه: «أين مَن كنتم تعرفون من آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وقراباتكم؟ وردوا على ما قدموا، وحلُّوا بالشقاوة والسعادة فيما بعد الموت.

اعلموا عباد الله أنَّ الله ليس بينه وبين أحدٍ من خلقه نسبٌ يعطيه خيرًا، ولا يدفع به عنه سوءًا إلَّا بطاعته واتباع أمره، فإن أحببتم أن تسلم دنياكم وآخرتكم فاسمعوا وأطيعوا ولا تفرّقوا فتفرّق بكم السُّبل، وكونوا إخوانًا بما أمركم الله»[(١)].

عباد الله...

هذه لقطات من حياة أبي بكر، وهي كما سمعتم ومضات على طريق ا لحق، ومعالم على طريق الإيمان، ونبراسًا يهدي إلى الرشد، ويدل على صراط الله العزيز الحميد.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد حياة حافلة بالعطاء، والجهاد، آن للصِّدِّيق أن يستريح بعد أن أدَّى الأمانة، فتعالوا نعيش معه على فراش الموت لنسمع آخر وصاياه قبل الرحيل.

---

(١) «عيون الأخبار» (٢/ ٢٣٢).

عن عائشة رضي الله عنها: قالت: «لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي فإني قد كنت استصلحته جهدي، وكنت أصيب من الودك نحوًا مما كنت أصيب في التجارة.

قالت عائشة: فلما مات نظرنا فإذا عبدٌ نوبي[١] كان يحمل صبيانه وإذا ناضح[٢] كان يسقي بستانًا له فبعثنا بهما إلى عمر.

قالت: فأخبرني حربي - يعني رسولي - أن عمر بكى وقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتعَبَ مَن بَعده تَعَبًا شَدِيدًا».

وعَن عَائِشَةَ قَالَت: «لَمَّا ثَقُلَ أَبُو بَكرٍ قَالَ: أَيُّ يَومٍ هَذَا؟ قُلنَا: يَومُ الِاثنَينِ.

قَالَ: فَأَيُّ يَومٍ قُبِضَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟

قُلنَا: قُبِضَ يَومَ الِاثنَينِ.

قَالَ: فَإِنِّي أَرجُو مَا بَينِي وَبَينَ اللَّيلِ.

قَالَت: وَكَانَ عَلَيهِ ثَوبٌ فِيهِ رَدعٌ مِن مِشقٍ، فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَاغسِلُوا ثَوبِي هَذَا وَضُمُّوا إِلَيهِ ثَوبَينِ جَدِيدَينِ فَكَفِّنُونِي فِي ثَلَاثَةِ أَثوَابٍ.

فَقُلنَا: أَفَلَا نَجعَلُهَا جُدُدًا كُلَّهَا؟

فَقَالَ: لَا إِنَّمَا هُوَ لِلمُهلَةِ[٣].

قَالَت: فَمَاتَ لَيلَةَ الثُّلَاثَاءِ».

وفي شدّة تلك اللحظات لا يَنسى الصِّدِّيق - رَضِيَ الله عَنهُ - مواعظه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَـمَّا ثَقُلَ أبو بكر تمثلت بهذا البيت:

لَعَمرُكَ ما يُغني الثَّـراءُ عن الفتى ... إذا حَشرَجت يومًا وضاق بها الصَّدرُ

فكشف عن وجهه وقال: لا تقولي هكذا يا بنية، ولكن قولي: ﴿وَجَاءَت سَكرَةُ

---

(١) نسبةً إلى منطقة النوبة جنوبي مصر.

(٢) ناضح: البعير الذي يُستقى عليه.

(٣) أي: للصديد.

الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

انظروا مُلَاءَتَي هاتين، فإذا متُّ فاغسلوهما وكفّنوني فيهما، فإنَّ الحيَّ أحوج إلى الجديد من الميت»[١].

ووصَّى عُمر بن الخطَّاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بوصيَّة تُكتب بماء الذَّهب:

عن أبي المليح: أنَّ أبا بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لَـمَّا حضرتهُ الوفاة أرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال:

«إني أُوصيك بوصية، إن أنت قبلتها عنِّي: إنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ حقًّا بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله عَزَّ وَجَلَّ حقًّا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه عَزَّ وَجَلَّ لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة، ألم تَرَ إنَّما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقل ذلك عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا حق أن يثقل، أَلَمْ تَرَ إنَّما خَفَت موازين من خفت موازينه في الآخرة باتباعهم الباطل في الدنيا، وخف ذلك عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا باطل أن يخف، ألم تَرَ أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أنزل آية الرجاء عند آية الشدة، وآية الشدة عند آية الرجاء، لكي يكون العبد راغبًا راهبًا، لا يلقي بيده إلى التهلكة، لا يتمنى على الله عَزَّ وَجَلَّ غير الحق.

فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكونن غائبٌ أحبَّ إليك من الموت، ولا بد لك منه. وإن أنت ضيَّعت وصيَّتي هذه فلا يكونن غائبٌ أبغض إليك من الموت»[٢].

أمَّا عن سبب وفاته:

فروت أُمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها سبب وفاةِ أبيها فقالت:

«كان أوَّل ما بدأ مرض أبى بكر به أنَّهُ اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يومًا باردًا، فَحُمَّ خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى الصلاة، وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يُصلِّي بالناس، ويدخل الناسُ يعودونه، وهو يثقل كل يوم، وهو نازل في داره التى قطع له رسول الله ﷺ، وجاهة دار عثمان بن عفان اليوم، وكان عثمان ألزمهم

(١) خبر حسن: أخرجه أحمد في «الزهد» (١٣٦)، وغيره.
(٢) «وصايا العلماء عند حضور الموت» للحافظ الرّبعي (٢٢، ٢٣).

له في مرضه[١].

ثم فاضت روحُه الكريمة إلى ربِّها الأعلى، وهو ابن ثلاث وستين، وأوصى أن تُغسله «أسماء بنت عميس» زوجته، فغسلته، وأن يُدفن إلى جنب رسول الله ﷺ.

وصلى عليه عُمَر بن الخطاب - رَضِي الله عَنهُ - بين القبر والمنبر.

قال عبد الله بن الزبير: «رأس أبي بكر عند كتفي رسول الله ﷺ، ورأس عمر عند حقوي أبي بكر»[٢].

ولما تُوفِّي - رَضِي الله عَنهُ - نعى إلى أبيه «أبي قحافة» فقال: «رَزءٌ جليل».

اللهُمَّ اجعلنا مِن أحبِّ خَلقِك إليك، ومن المقرّبين لَديك.

آمين... آمين... آمين.

۞۞۞۞۞

(١) «الصحابة والصالحون على فراش الموت» للأستاذ/ مجدي فتحي السيد. ط. دار التوفيقية.
(٢) «المنتظم» (٤/ ١٣١).

الخطبة الثالثة:

[أ] مع عمر بن الخطاب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فلنتقي اليوم - إن شاء الله - مع فاروق هذه الأُمة، مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عباد الله...

قال ابن مسعود - رَضِيَ الله عَنهُ -: «ما زلنا أعزّة منذ أسلم عُمَر، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نطوف بالبيت ونُصلِّي، حتى أسلم عُمَر، فلمَّا أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلّينا وطُفنا»(١).

---

(١) **إسناده حسن**: رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٣٤٤).

وقال أيضًا: «كان إسلام عُمَر فتحًا، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة».

بهذه الكلمات الطيّبة التي تَقطُر شَهدًا، نبدأ الحديث عن الخليفة الثاني: «**عُمَر بن الخطاب**» رَضِي الله عَنهُ.

من هو عُمَر؟

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد اللهّ بن قرط بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة... القرشيّ، ويكنى أبا حفص العدوي، الملقّب بالفاروق.

وأُمّه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة أخت أبي جهل بن هشام.

وُلد - رَضِي الله عَنهُ - بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، رُوي عن عُمَر أنَّهُ قال: وُلِدت بعد الفجَّار الأعظم بأربع سنين[١].

وكان - رَضِي الله عَنهُ - أبيض طوالًا، تعلوه حُمرة، أصلع، أشب، يخضب بالحناء والكتم، وكان نقش خاتمه: «كفى بالموت واعظًا يا عمر».

وقال ابن الأثير: «وكان - يعني عُمَر - من أشراف قريش وإليه كانت السّفارة في الجاهلية، وذلك أنَّ قريشًا كانوا إذا وقع بينهم حرب أو بينهم وبين غيرهم، بعثوه سفيرًا، وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر رضوا به، بعثوه منافرًا ومفاخرًا» ا.هـ[٢].

وكان النبيُّ ﷺ يتمنَّى أن يهدي اللّـهُ تعالى أحبَّ الرجلين إلى الله: عُمَر بن الخطاب أو عَمرو بن هشام[٣]، وكان يدعو ربّه بذلك.

عَن ابنِ عُمَرَ - رَضِي اللّـهُ عَنهُمَا -: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**اللهُمَّ أَعِزَّ الإِسلَامَ بِأَحَبِّ هَذَينِ الرَّجُلَينِ إِلَيكَ بِأَبِي جَهلٍ أَو بِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ**». قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيهِ عُمَرُ[٤].

---

(١) «أسد الغابة» (٣/ ١٢٥).

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) يعني: أبا جهل.

(٤) صحيح: انظر «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٠٧).

وعن سبب إسلامه:

ساق البخاريّ في «صحيحه» [(١)] القصة التالية:

«عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ قَالَ: مَا سَمِعتُ عُمَرَ لِشَيءٍ قَطُّ يَقُولُ: إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذَا، إِلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ، بَينَمَا عُمَرُ جَالِسٌ إِذ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ فَقَالَ: لَقَد أَخطَأَ ظَنِّي أَو إِنَّ هَذَا عَلَى دِينِهِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، أَو لَقَد كَانَ كَاهِنَهُم عَلَيَّ الرَّجُلَ، فَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا رَأَيتُ كَاليَومِ استُقبِلَ بِهِ رَجُلٌ مُسلِمٌ، قَالَ: فَإِنِّي أَعزِمُ عَلَيكَ إِلَّا مَا أَخبَرتَنِي.

قَالَ: كُنتُ كَاهِنَهُم فِي الجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَمَا أَعجَبُ مَا جَاءَتكَ بِهِ جِنِّيَّتُكَ؟

قَالَ: بَينَمَا أَنَا يَومًا فِي السُّوقِ جَاءَتنِي أَعرِفُ فِيهَا الفَزَعَ، فَقَالَت: أَلَم تَرَ الجِنَّ وَإِبلَاسَهَا وَيَأسَهَا مِن بَعدِ إِنكَاسِهَا وَلُحُوقَهَا بِالقِلَاصِ وَأَحلَاسِهَا.

قَالَ عُمَرُ: صَدَقَ، بَينَمَا أَنَا نَائِمٌ عِندَ آلِهَتِهِم إِذ جَاءَ رَجُلٌ بِعِجلٍ فَذَبَحَهُ فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ لَم أَسمَع صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوتًا مِنهُ، يَقُولُ: يَا جَلِيح أَمرٌ نَجِيح رَجُلٌ فَصِيح، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَوَثَبَ القَومُ، قُلتُ: لَا أَبرَحُ حَتَّى أَعلَمَ مَا وَرَاءَ هَذَا.

ثُمَّ نَادَى: يَا جَلِيح أَمرٌ نَجِيح رَجُلٌ فَصِيح يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقُمتُ فَمَا نَشِبنَا أَن قِيلَ: هَذَا نَبِيٌّ» [(٢)].

وأورد ابن إسحاق القصّة مع اختلاف يسير في لفظها[(٣)].

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: «لَمَّح المصنف (البخاريّ) بإيراد هذه القصّة في باب إسلام عُمَر بما جاء عن عائشة وطلحة عن عُمَر من أنَّ هذه القصة كانت سبب إسلامه».

وعن قصَّة إسلامه يقول أسلم مولى عُمَر:

قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أتحبون أن أعلمكم، أول إسلامي؟

(١) «كتاب مناقب الأنصار» / «باب إسلام عُمَر بن الخطَّاب رَضِي الله عَنْهُ» (٤/ ٢٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٢٤٣).

(٣) انظر «السيرة لابن هشام» (١/ ٢٢٧ - ٢٣٠)، وسندها قَالَ ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان أنَّهُ حدَّث أنَّ عمر بن الخطاب.... القصة بتمامها.

قلنا: نعم.

قال: كنت أشد الناس على رسول الله ﷺ فبينا أنا في يوم شديد الحر في بعض طرق مكة إذ رآني رجل من قريش فقال: أين تذهب يا ابن الخطاب؟

قلت: أريد هذا الرجل.

فقال: يا ابن الخطاب قد دخل عليك هذا الأمر في منزلك وأنت تقول هكذا.

فقلت: وما ذاك؟

فقال: إن أختك[١] قد ذهبت إليه.

قال: فرجعت مغضبًا حتى قرعت عليها الباب، وكان رسول الله ﷺ إذا أسلم بعض من لا شيء له ضم الرجل والرجلين إلى الرجل ينفق عليه.

قال: وكان ضم رجلين من أصحابه إلى زوج أختي[٢].

قال: فقرعت الباب، فقيل لي: من هذا؟

قلت: أنا عمر بن الخطاب، وقد كانوا يقرءون كتابا في أيديهم، فلما سمعوا صوتي قاموا حتى اختبئوا في مكان وتركوا الكتاب.

فلما فتحت لي أختي الباب قلت: أيا عدوة نفسها أَصَبَوتِ؟

قال: وأرفع شيئًا فأضرب به على رأسها، فبكت المرأة وقالت لي: يا ابن الخطاب، اصنع ما كنت صانعًا فقد أسلمت، فذهبت فجلست على السرير فإذا بصحيفة وسط الباب، فقلت: ما هذه الصحيفة ها هنا؟

فقالت لي: دعنا عنك يا ابن الخطاب فإنك لا تغتسل من الجنابة، ولا تتطهر، وهذا لا يمسه إلا المطهرون، فما زلت بها حتى أعطتنيها[٣] فإذا فيها «بسم الله الرحمن الرحيم» فلما قرأت «الرحمن الرحيم» تذكرت من أين اشتق، ثم رجعت إلى نفسي فقرأت في

---

(١) هي فاطمة رضي الله عنها.

(٢) هو سعيد بن زيد - رَضِي الله عَنْهُ -.

(٣) في رواية: أَنَّهُ ذهب فاغتسل.

الصحيفة ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ فكلما مررت باسم من أسماء الله ذكرت الله، فألقيت الصحيفة من يدي.

قال: ثم أرجع إلى نفسي فأقرأ فيها ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * لَهُ مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ يُحيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استَوَى عَلَى العَرشِ يَعلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرضِ وَمَا يَخرُجُ مِنهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُم أَينَ مَا كُنتُم وَاللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرجَعُ الأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُستَخلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وَأَنفَقُوا لَهُم أَجرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١ - ٧] (١).

قال: قلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، فخرج القوم مبادرين فكبروا استبشارا بذلك.

ثم قالوا لي: أبشر يا ابن الخطاب فإن رسول الله ﷺ دعا يوم الاثنين فقال: «**اللهُمَّ أَعِزَّ الإِسلَامَ بِأَحَبِّ هَذَينِ الرَّجُلَينِ إِلَيكَ بِأَبِي جَهلٍ أَو بِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ**» (٢)، وأنا أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك.

فقلت: دلوني على رسول الله ﷺ أين هو؟

فلمّا عرفوا الصدق منّي دلوني عليه في المنزل الذي هو فيه، فجئت حتى قرعت الباب فقال: «من هذا؟» فقلت: عمر بن الخطاب - وقد علموا شدّتي على رسول الله ﷺ ولم يعلموا بإسلامي - فما اجترأ أحد منهم أن يفتح لي حتى قال لهم رسول الله ﷺ: «**افتحوا له فإن يرد الله به خيرا يهده**».

قال: ففتح الباب، فأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من رسول الله ﷺ، فقال

---

(١) في رواية: أنَّهُ قرأ صدرًا من سورة «طه» ، ولا تعارض بين الروايتين، فلعلّه قرأ قدرًا من السورتين.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» ، و«الأوسط» بنحوه باختصار، وقال: «**أيد الإسلام**».

لهم رسول الله ﷺ: «أرسلوه» فأرسلوني، فجلست بين يديه فأخذ بمجامع قميصي ثم قال: «**أسلم يا ابن الخطاب، اللهم اهده**».

فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

قال: فكبَّر المسلمون تكبيرة سمعت في طرق مكة.

قال: وقد كانوا سبعين قبل ذلك وكان الرجل إذا أسلم فعلم به الناس يضربونه ويضربهم.

قال: فجئت إلى رجل فقرعت عليه الباب فقال: من هذا؟

قلت: عمر بن الخطاب.

فخرج إلي فقلت له: أعلمت أنِّي قد صبوت؟

قال: أَوَفعلت؟

قلت: نعم.

فقال: لا تفعل. قال: ودخل البيت فأجاف الباب دوني.

قال: فذهبت إلى رجل آخر من قريش فناديته فخرج فقلت له: أعلمت أني قد صبوت، فقال: أَوَفَعلت؟ قلت: نعم، قال: لا تفعل ودخل البيت وأجاف الباب دوني. فقلت: ما هذا بشيء.

قال: فإذا أنا لا أضرب ولا يقال لي شيء.

فقال الرجل: أتحب أن يعلم إسلامك؟

قال: قلت: نعم.

قال: إذا جلس الناس في الحجر[1] فأت فلانا فقل له فيما بينك وبينه: أشعرت أني قد صبوت فإنه قَلَّمَا يكتم الشيء، فجئت إليه وقد اجتمع الناس في الحجر فقلت له فيما بيني وبينه: أشعرت أني قد صَبَوت؟

قال: فقال: أفعلت؟

---

(١) الحِجر: حِجر الكعبة.

قال: قلت: نعم.

قال: فنادى بأعلى صوته: ألا إن عمر قد صبا.

قال: فثار إلي أولئك الناس فما زالوا يضربوني وأضربهم حتى أتى خالي فقيل له: إن عمر قد صبا، فقام على الحجر فنادى بأعلى صوته: ألا إني قد أجرت ابن أختي فلا يمسه أحد.

قال: فانكشفوا الناس عني فكنت لا أشاء أن أرى أحدا من المسلمين يضرب إلا رأيته فقلت: ما هذا بشيء، إن الناس يضربون وأنا لا أضرب، ولا يقال لي شيء فلما جلس الناس في الحجر جئت إلى خالي فقلت: اسمع، جوارك عليك ردّ.

قال: لا تفعل.

قال: فأبيت، فما زلت أضرب وأضرب حتى أظهر الله الإسلام»[١].

عباد الله...

وانضوى عُمَر - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - تحت لواء الإسلام، وساهم في بناء صرحه الكبير، وسيأتي بعض ما يدلّ على ذلك، إن شاء الله تعالى.

والمقصود هنا: أن إسلامه كان نصرًا، وهجرته كانت فتحًا، نعم، لقد كانت هجرة عُمَر - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - غير هجرة غيره.

قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا - قال لي عليّ بن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنهُ -: «ما علمتُ أنَّ أحدًا من المهاجرين هاجر إلا متخفيًا، إلَّا عُمَر بن الخطاب، فإنَّهُ لَـمَّا همّ بالهجرة، تقلّد سيفه، وتنكّب قوسه، وانتضى في يده أسهمًا، واختصر عترته[٢]، ومضى قِبَل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعًا متمكنًا، ثم أتى المقام[٣]،

---

(١) رواه البزار رقم (٢٤٩٣)، وقال: لا نعلم رواه بهذا السّند إلَّا إسحاق بن إبراهيم الحنيني، ولا نعلم في إسلام عمر أحسن من هَذَا الإسناد، على أن الحنيني خرج من المدينة، فكفّ واضطرب حديثه.

(٢) العترة: عصا في قدر نصف الرمح.

(٣) أي: مقام إبراهيم عليه السلام.

فصلّى متمكنًا، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال لهم: شاهت الوجوه، لا يُرغم الله إلا هذه المعاطس[١]، من أراد أن تثكله أمّه ويوتم ولده أو يرمل زوجه فليلقني وراء هذا الوادي.

قال علي - رَضِي الله عَنهُ -: فما تبعه إلّا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم ومضى لوجهه»[٢].

واحتلّ عُمَر بين الصحابة مكانًا عليًّا، يدلّ على ذلك ما جاء في الأحاديث التالية:

(١) عَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللَّهِ - رضى الله عنهما - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«رَأَيتُنِى دَخَلتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيصَاءِ امرَأَةِ أَبِى طَلحَةَ وَسَمِعتُ خَشَفَةً، فَقُلتُ: مَن هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلاَلٌ. وَرَأَيتُ قَصرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلتُ: لِمَن هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ. فَأَرَدتُ أَن أَدخُلَهُ فَأَنظُرَ إِلَيهِ، فَذَكَرتُ غَيرَتَكَ»**. فَقَالَ عُمَرُ: بِأُمِّى وَأَبِى يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيكَ أَغَارُ[٣].

(٢) عَن سَعدِ بنِ أَبِى وَقَّاصٍ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: «استَأذَنَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِندَهُ نِسوَةٌ مِن قُرَيشٍ يُكَلِّمنَهُ وَيَستَكثِرنَهُ، عَالِيَةً أَصوَاتُهُنَّ عَلَى صَوتِهِ، فَلَمَّا استَأذَنَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ قُمنَ فَبَادَرنَ الحِجَابَ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ عُمَرُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَضحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«عَجِبتُ مِن هَؤُلاَءِ اللاَّتِى كُنَّ عِندِى فَلَمَّا سَمِعنَ صَوتَكَ ابتَدَرنَ الحِجَابِ»**. فَقَالَ عُمَرُ: فَأَنتَ أَحَقُّ أَن يَهَبنَ يَا رَسُولَ اللهِ.

ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا عَدُوَّاتِ أَنفُسِهِنَّ، أَتَهَبنَنِى وَلاَ تَهَبنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟

فَقُلنَ: نَعَم، أَنتَ أَفَظُّ وَأَغلَظُ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِيهًا يَا ابنَ الخَطَّابِ وَالَّذِى نَفسِى بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيرَ فَجِّكَ»**[٤].

---

(١) المعاطس: الأنوف.
(٢) خبر لا بأس به: أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٥٢/ ٤٥) وغيره.
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٩).
(٤) رواه البخاري (٣٦٨٣).

(٣) وعَن عُمَيْرَ بن رَبِيعَةَ: «أَنَّ عُمَرَ بن الخَطَّابِ أَرسَلَ إِلَى كَعبِ الأَحبَارِ، فَقَالَ: يَا كَعبُ، كَيفَ تَجِدُ نَعتِي؟

قَالَ: أَجِدُ نَعتَكَ قَرنًا مِن حَدِيدٍ.

قَالَ: وَمَا قَرنٌ مِن حَدِيدٍ؟

قَالَ: أَمِيرٌ سَدِيدٌ لا يَأخُذُهُ فِي اللَّهِ لَومَةُ لائِمٍ.

قَالَ: ثُمَّ مَه؟

قَالَ: ثُمَّ يَكُونُ بَعدَكَ خَلِيفَةٌ تَقتُلُهُ فِئَةٌ ظَالِمَةٌ.

قَالَ: ثُمَّ مَه؟

قَالَ: ثُمَّ يَكُونُ البَلاءُ»[١].

(٤) عَنِ ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلبِهِ**».

وَقَالَ ابنُ عُمَرَ: مَا نَزَلَ بِالنَّاسِ أَمرٌ قَطُّ فَقَالُوا فِيهِ وَقَالَ فِيهِ عُمَرُ إِلاَّ نَزَلَ فِيهِ القُرآنُ عَلَى نَحوِ مَا قَالَ عُمَرُ[٢].

(٥) عَن عُقبَةَ بنِ عَامِرٍ - رَضِيَ الله عَنهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَو كَانَ بَعدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ**»[٣].

عباد الله...

ولازم عُمَر - رَضِي الله عَنهُ - رسولَ الله ﷺ منذ أن أسلم وإلى أن لحق النبيُّ ﷺ بالرفيق الأعلى، لم يقعد عن غزوة، ولم يتخلَّف عن قتال، وساهم بآرائه السّديدة في مواقف عديدة.

قال الإمامُ ابن الجوزيّ - رحمه الله -: «اتفق العلماء على أنَّ عُمَر رَضِي الله عَنهُ شهد

---

(١) **رجاله ثقات**: رواه الطبراني. وانظر: «المجمع» برقم (١٤٤١٨).

(٢) **صحيح**: «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٠٨).

(٣) **حسن**: «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٠٩).

بدرًا وأُحُدًا، والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، لم يغب عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ».

وفي غزوة بدر الكبرى قتل عُمَر - رَضِي الله عَنهُ - خاله العاص بن هشام بن المغيرة.

وهذا من أعظم صور التجرّد لله.

وبعد انتهاء المعركة أشار - رَضِي الله عَنهُ - بقتل أسارى المشركين.

(١) موقفه في غزوة بدر من الأسرى:

ففي «صحيح مسلم» عن ابنَ عَبَّاسٍ - رَضِي اللَّهُ عَنهُمَا - قال: حَدَّثَنِي عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: لَمَّا كَانَ يَومُ بَدرٍ..... فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ: «**مَا تَرَونَ فِي هَؤُلاَءِ الأُسَارَى؟**».

فَقَالَ أَبُو بَكرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُم بَنُو العَمِّ وَالعَشِيرَةِ، أَرَى أَن تَأخُذَ مِنهُم فِديَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَن يَهدِيَهُم لِلإِسلاَمِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا تَرَى يَا ابنَ الخَطَّابِ؟**».

قُلتُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَن تُمَكِّنَّا فَنَضرِبَ أَعنَاقَهُم، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِن عَقِيلٍ فَيَضرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِن فُلاَنٍ - نَسِيبًا لِعُمَرَ - فَأَضرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلاَءِ أَئِمَّةُ الكُفرِ وَصَنَادِيدُهَا.

فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكرٍ وَلَم يَهوَ مَا قُلتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ جِئتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكرٍ قَاعِدَينِ يَبكِيَانِ، قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخبِرنِي مِن أَيِّ شَيءٍ تَبكِي أَنتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِن وَجَدتُ بُكَاءً بَكَيتُ وَإِن لَم أَجِد بُكَاءً تَبَاكَيتُ لِبُكَائِكُمَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَبكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصحَابُكَ مِن أَخذِهِمُ الفِدَاءَ لَقَد عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُم أَدنَى مِن هَذِهِ الشَّجَرَةِ**»[١] وَأَنزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسرَى حَتَّى يُثخِنَ فِي الأَرضِ**﴾ إِلَى قَولِهِ: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا غَنِمتُم حَلاَلاً طَيِّبًا**﴾ فَأَحَلَّ اللَّهُ الغَنِيمَةَ لَهُم[٢].

---

(١) شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ.
(٢) رواه مسلم (١٧٦٣).

وانظر إلى الحسِّ الأمني عند عُمَر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وحمايته لرسول الله ﷺ عندما جاء عُمير بن وهب إلى المدينة قبل إسلامه في أعقاب بدر يريد قتل رسول الله ﷺ:

«بَينَا عُمَرُ بن الخَطَّابِ بِالمَدِينَةِ فِي نَفَرٍ مِنَ المُسلِمِينَ يَتَذَاكَرُونَ يَومَ بَدرٍ وَمَا أَكرَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَمَا أَرَاهُم مِن عَدُوِّهِم إِذ نَظَرَ إِلَى عُمَيرِ بن وَهبٍ قَد أَنَاخَ بِبَابِ المَسجِدِ مُتَوَشِّحَ السَّيفِ، فَقَالَ: هَذَا الكَلبُ عَدُوُّ اللهِ عُمَيرُ بن وَهبٍ مَا جَاءَ إِلا لِشَرٍّ هَذَا الَّذِي حَرَّشَ بَينَنَا، وَحَزَرَنَا لِلقَومِ يَومَ بَدرٍ.

ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا عَدُوُّ اللَّهُ عُمَيرُ بن وَهبٍ، قَد جَاءَ مُتَوَشِّحًا السَّيفَ. قَالَ: «**فَأَدخِلهُ**».

فَأَقبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ سَيفِهِ فِي عُنُقِهِ، فَلَبَّبَهُ بِهَا، وَقَالَ عُمَرُ لِرِجَالٍ مِمَّن كَانَ مَعَهُ مِنَ الأَنصَارِ: ادخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاجلِسُوا عِندَهُ، وَاحذَرُوا هَذَا الكَلبَ عَلَيهِ، فَإِنَّهُ غَيرُ مَأمُونٍ، ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعُمَرُ آخِذٌ بِحِمَالَةِ سَيفِهِ، فَقَالَ: «**أَرسِلهُ يَا عُمَرُ...**»[1].

فمسك عُمَر بحمالة سيف عمير الذي في عنقه عطَّله عن إمكانية استخدام سيفه للاعتداء على الرسول ﷺ[2].

(٢) وفي أُحُد:

عَنِ البَرَاءِ بن عازب- رضى الله عنه - قَالَ: لَقِينَا المُشرِكِينَ يَومَئِذٍ، وَأَجلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ عَلَيهِم عَبدَ اللَّهِ وَقَالَ: «**لاَ تَبرَحُوا، إِن رَأَيتُمُونَا ظَهَرنَا عَلَيهِم فَلاَ تَبرَحُوا وَإِن رَأَيتُمُوهُم ظَهَرُوا عَلَينَا فَلاَ تُعِينُونَا**».

فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيتُ النِّسَاءَ يَشتَدِدنَ فِى الجَبَلِ، رَفَعنَ عَن سُوقِهِنَّ قَد بَدَت خَلاَخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ.

فَقَالَ عَبدُ اللَّهِ بن جبير: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَن لاَ تَبرَحُوا. فَأَبَوا، فَلَمَّا أَبَوا صُرِفَ وُجُوهُهُم، فَأُصِيبَ سَبعُونَ قَتِيلاً، وَأَشرَفَ أَبُو سُفيَانَ فَقَالَ: أَفِى القَومِ مُحَمَّدٌ؟

---

(١) «صحيح السيرة النبوية» لإبراهيم صالح العليّ (٢٥٩).

(٢) نفس المصدر (٢٦٠).

فَقَالَ: «لاَ تُجِيبُوهُ».

فَقَالَ: أَفِي القَومِ ابنُ أَبِى قُحَافَةَ؟

قَالَ: «لاَ تُجِيبُوهُ».

فَقَالَ: أَفِي القَومِ ابنُ الخَطَّابِ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلاَءِ قُتِلُوا، فَلَو كَانُوا أَحيَاءً لأَجَابُوا.

فَلَم يَملِك عُمَرُ نَفسَهُ فَقَالَ: كَذَبتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، أَبقَى اللَّهُ عَلَيكَ مَا يُخزِيكَ.

قَالَ أَبُو سُفيَانَ: أُعلُ هُبَل.

فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ».

قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُ أَعلَى وَأَجَلُّ».

قَالَ أَبُو سُفيَانَ: لَنَا العُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُم.

فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ».

قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُ مَولاَنَا وَلاَ مَولَى لَكُم» (١).

وفي رواية ابن إسحاق: «ثم إنَّ أبا سُفيان صرخ بأعلى صوته، أعلُ هُبل، فقال رسول الله ﷺ: «قُم يا عُمَر فأجبه»، فقال: الله أعلى وأجلّ، لا سواء قتلانا في الجَنَّة وقتلاكم في النَّار.

فجاءه، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عُمَر، أقتلنا محمدًا؟

فقال عُمَر: اللهُمَّ لا، وإنه ليسمع كلامك الآن. قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبرّ - لقول ابن قمئة لهم: إنِّي قد قتلت محمدًا».

(٣) عُمَر - رَضِي الله عَنهُ - يوم حُنين:

في غزوة حُنين كمنت هوازن بين جنبتي وادي حُنين، وذلك في عماية الصبح، فحملوا على المسلمين حملةَ رجلٍ واحدٍ، فولَّى المنهزمون لا يَلوي أحدٌ على أحدٍ، فناداهم رسولُ الله ﷺ فلم يرجعوا، وثَبَتَ مع رسول الله ﷺ عشرةٌ فقط من أصحابه وآل بيته،

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٣)، وغيره.

كان أحدهم عُمَر بن الخطَّاب.

عباد الله...

كانت هذه لقطات من حياة عُمَر بن الخطَّاب الجهادية في حياة خير البريّة ﷺ.

وهي تبيّن كما سمعتم صدق معدنِهِ، وتكشف عن عمق إيمانه، وتُظهر مدى حُبّه للإسلام.

وسيأتي المزيد بعدُ، إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ومع ما تقدَّم فقد كان الفاروق - رَضِي الله عَنهُ - يغضب لمحارم الله، كما يغضب النَّمر إذا حُرب، ويظهر ذلك في الرواية التالية:

عَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللَّهِ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالجِعرَانَةِ[1] مُنصَرَفَهُ مِن حُنَينٍ، وَفِي ثَوبِ بِلاَلٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقبِضُ مِنهَا يُعطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اعدِل.

قَالَ: «**وَيلَكَ وَمَن يَعدِلُ إِذَا لَم أَكُن أَعدِلُ لَقَد خِبتَ وَخَسِرتَ إِن لَم أَكُن أَعدِلُ**»[2].

فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضى الله عنه: دَعنِى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقتُلَ هَذَا المُنَافِقَ.

فَقَالَ: «**مَعَاذَ اللَّهِ أَن يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّى أَقتُلُ أَصحَابِى إِنَّ هَذَا وَأَصحَابَهُ يَقرَءُونَ**

---

(١) **الجعرانة**: موضع قريبٌ من مكة.

(٢) **خبت وخسرت**: بالضم والفتح، ومعنى الضم ظاهر، وتقدير الفتح: خبتَ أنتَ أيها التابعُ إذا كنتُ لا أعدل؛ لكونك تابعًا ومقتديًا بمن لا يعدل. والفتح أشهر. أفاده النووي في «شرح النووي على مسلم» (٩/ ١٥٩)، وغيره.

القُرآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم يَمرُقُونَ مِنهُ كَمَا يَمرُقُ السَّهمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[1].

عباد الله...

وبعد أن لحق النبيُّ ﷺ بالرفيق الأعلى، ظلّ عُمَر - رَضِي الله عَنهُ - وفيًّا لدينه، مخلصًا لإسلامه، تعددت فضائله، وكثرت مناقبه، واتّسعت رقعة الإسلام في عهده بصورة لم يسبق لها مثيل.

وفي الجمعة القادمة إن شاء الله سيأتي تفصيل بعض ذلك، فإلى اللقاء.

اللهُمَّ اهدنا فيمن هَدَيتَ، وعَافِنَا فيمن عَافَيت.

آمين... آمين... آمين.

(١) رواه مسلم (١٠٦٣)، وغيره.

الخطبة الرابعة:

[ب] مع عمر بن الخطاب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فقد تعددت مناقب أمير المؤمنين عُمَر بن الخطاب - رَضِي الله عَنهُ - وكثرت فضائلُهُ، وفي هذه الخطبة نذكر إن شاء الله تعالى بعض الفتوحات التي تمت في عهده، وشيئًا من خوفه وزهده، وطرفًا من خطبه ومواعظه، وبعض موافقاته للقرآن، والله المستعان، وعليه التكلان.

عباد الله...

أما عن الفتوحات التي تمت في عهده:

فيقول اللواء محمود شيت خطَّاب - رحمه الله -: «عَهد الفاروق عُمَر بن الخطاب

- رَضِيَ اللهُ عَنهُ - هو عهد الفتح الإسلامي الذهبيّ، فقد حالف النصر فيه أعلام المسلمين، فامتدت دولتهم حَتَّى جاوزت أفغانستان إلى حدود الصِّين شرقًا، والأناضول وبحر قزوين شمالًا، وتونس وما وراءها من إفريقية الشمالية غربًا، وبلاد النوبة جنوبًا.

لقد فتح عُمَر العراق وإيران وأكثر مناطق أرمينية وأرض الشام بما فيها سورية ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين، ومصر وليبيا والنوبة، وخاضت جيوش المسلمين في أيام ثلاث معارك حاسمة من معارك الفتح الإسلامي:

١- معركة القادسية التي فتحت للعرب المسلمين أبواب العراق والأهواز.

٢- ومعركة بابليون التي فتحت لهم أبواب مصر وليبيا والنوبة.

٣- ومعركة نهاوند التي فتحت لهم أبواب بلاد فارس كلها.

كل هذا الفتح العظيم أُنجِزَ خلال عشر سنوات من سنة ثلاثة عشرة الهجرية (٦٣٣م) إلى سنة ثلاث وعشرين الهجرية (٦٤٣م)، فقد قُبِض أبو بكر الصِّدِّيق - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - بعد مغيب الشمس من مساء الاثنين لإحدى وعشرين ليلةً خلت من شهر جمادى الآخرة للسنة الثالثة عشرة من الهجرة، فتولى عُمَر الخلافة وتوفي ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين الهجرية، فكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام.

في هذه المدة القصيرة فتح عُمَر كل هذه الفتوح، فلا عجب أن يُذهل هذا الفتح عالم يومئذ ويدهش المؤرخين الذين فصلوا حوادثه وحاولوا استقصاء أسبابه.

وهذا تفصيل لسجل الفتوحات في عصر العبقريّ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنهُ:

سنة أربع عشرة: فيها فُتِحت دمشق، وحِمص، وبَعلبَك، والبصرة، والأُبُلَّة، ووقعة جسر أبي عبيد بأرض نجران، ووقعة فحل بالشام.

سنة خمس عشرة: في أولها افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة إلَّا طبرية فإنهم صالحوه، وذلك بأمر أبي عبيدة.

وكانت وقعة مشهودة، هي يوم اليرموك في شهر رجب، وكانت موقعة القادسية

في آخر السنة.

سنة ست عشرة: فيها فُتحت الأهواز، ودخل المسلمون مدينة بَهُرسير، وافتتحوا المدائن، وكانت وقعة جَلُولاء، وقِنَّسرين.

وعن تلك السنوات القليلة يقول مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبيّ - رحمه الله -: «استولى المسلمون في ثلاثة أعوام على كرسي مملكة كسرى، وعلى كرسي مملكة قيصر، وعلى أمَّي بلادهما، وغَنم المسلمون غنائم لم يُسمع بمثلها قطّ من الذَّهب الجواهر، والحرير، والرقيق، والمدائن، والقصور، فسبحان الله العظيم الفتَّاح».

سنة سبع عشرة: سار الفاروق إلى الشام، وزاد في عمارة المسجد النبوي، وافتتح أبو موسى الأشعري الأهواز صلحًا وعنوة، فقد نقضوا عهدهم بعد الفتح الأول.

سنة ثماني عشرة: افتتح أبو موسى - رَضِي الله عَنهُ - جُند نيسابور، والسوس صلحًا، ثم رجع إلى الأهواز.

وفيها: افتتح أبو موسى رامَهرمز ثم سار إلى تُستر.

سنة تسع عشرة: فيها فُتحت قيسارية، وأمير العسكر معاوية بن أبي سفيان، وسعيد ابن عامر - رَضِي اللَّهُ عَنهُمَا -، كُلٌّ أمير على جنده، فهزم الله المشركين، وقُتِل منهم مقتلة عظيمة.

وفيها: كانت وقعة صُهاب - قرية بفارس - وعلى المسلمين الحَكم بن أبي العاص، فَقَتل شَهر مقدَّم المشركين.

وفيها: فُتِحت تكريت.

وفيها: وجَّه عُمَر عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة.

سنة عشرين: وفيها افتتحت مصر.

وفيها: افتتح المغرب كله عنوة.

وفيها: سار أبو موسى الأشعري إلى تُستر، وحاصرها طويلًا.

وفيها: أجلى عُمَر يهود خيبر ونجران.

سنة إحدى وعشرين: فيها فتح عمرو بن العاص رَضِي الله عَنهُ الإسكندرية عنوة.

وفيها: نزل عثمان بن أبي العاص توَّج، ومصَّرها، وهي مدينة فارسية.

وفيها: بعث عُمَر سوار بن المثنى العبدي إلى سابور، فاستُشهد، وأغار عثمان بن أبي العاص على سيف البحر والسواحل، وبعث الجارود بن المعلى فاستشهد.

وفيها: كانت وقعة نهاوند، وافتتحت نهاوند.

وفيها: سار عمرو بن العاص إلى برقة فافتتحها.

وفيها: وصل أبو هاشم بن عتبة إلى أنطاكية، وقِلقِيَّة، وصالحَ أهلها.

سنة اثنين وعشرين: فيها فُتحت أذربيجان على يد المغيرة بن شعبة.

وفيها: غزا حُذيفة ماسبذان، فافتتحها عنوة، وغزا همذان فافتتحها عنوة، وافتتح عمرو بن العاص طرابلس الغرب.

وفيها: افتتحت جرجان.

وفيها: افتتح سويد بن مُقرِّن الرَّي، ثم عسكر وسار إلى قوس فافتتحها.

سنة ثلاث وعشرين: وفيها كان فتح كرمان، وأمير الفتح سهل بن عديّ.

وفيها فُتحت سجستان، وأمير فتحها هو عاصم بن عمرو.

وفيها: فُتحت مُكران، وهي من بلاد الجبل، وكان أمير الفتح الحَكم بن عثمان.

وفيها: غزا معاوية بن أبي سفيان الصائفة حَتَّى بلغ عمورية.

هذا هو السِّجل الحافل بالجِهاد في عهد الإمام الربَّانِّي عُمَر بن الخطاب - رَضِيَ الله عَنهُ وأرضَاهُ.

ومن أهم المعارك التي انتصر فيها المسلمون في عهد عُمَر رَضِيَ الله عَنهُ:

وقعة النمارق سنة ١٣ هـ ومعركة السَّقَّاطية بِكَسكَر، ومعركة باروسما سنة١٣هـ، ومعركة البويّب سنة ١٣هـ والقادسية «يوم أرمات»، و«يوم أغواث»، و«يوم عماس»، و«يوم القادسية»، وفتح المدائن، ومعركة جلولاء، وفتح رامهرمز، وفتح تستر، وفتح مدينة جُندَى وسابور، ثم معركة نهاوند «فتح الفتوح»، وفتح همذان ثانية سنة ٢٢هـ وفتح الرَّي سنة ٢٢هـ وفتح قوميس وجرجان سنة ٢٢هـ، وفتح أذربيجان سنة ٢٢هـ، وفتح الباب ٢٢هـ، وغزو خراسان سنة ٢٢هـ، وفتح اصطخر سنة ٢٣هـ، وفتح

فساودار بجرد سنة ٢٣هـ وفتح كرمان وسجستان سنة ٢٣هـ وفتح مُكران سنة ٢٣هـ وغزو الأكراد.

وفتوحات الشام: فتح دمشق، ووقعة فحل، فتح بيسان وطبرية، وقعة حِمص سنة ١٥هـ ووقعة قنسرين سنة ١٥هـ ووقعة قيسارية سنة ١٥هـ وفتح القدس سنة ١٦هـ.

ثم فتوحات مصر وليبيا: فتح الفرما، فتح بلبيس، معركة أم دنين، معركة حصن بابليون، فتح برقة وطرابلس.

عباد الله...

أما عن زهده وخوفه:

- فيقول معاوية بن أبي سفيان - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا -: «أمَّا أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عُمَر فأرادته فلم يردها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهرًا لبطن».
- وعُوتب عُمَر يومًا فقيل له: لو أكلت طعامًا طيِّبًا كان أقوى لك على الحقِّ.

فقال: إنِّي تركتُ صاحبيّ[1] على جادة، فإن أدركتُ جادتهما فلم أدركهما في المنزل.

- وكان يلبس وهو خليفة جبّة صوف مرقوعة بعضها بأدم ويطوف بالأسواق على عاتقه الدِّرة يؤدب بها النَّاس، وإذا مَرَّ بالنوى وغيره يلتقطه ويرمي به في منازل النَّاس ينتفعون به.
- وعن أنس - رَضِيَ الله عَنهُ - قال: كنتُ مع عُمَر فدخل حائطًا لحاجته فسمعتُهُ يقول - وبيني وبينه جدار الحائط -: عُمَر بن الخطاب أمير المؤمنين بخٍ بخٍ، والله لتتقين الله بُنَيَّ الخطاب أو ليعذبنك.
- وقيل: إنه حمل قِربة على عاتقه فقيل له في ذلك فقال: «إنَّ نفسي أعجبتني فأردتُ أن أذلها».
- وكان في عام الرمادة لا يأكل إلَّا الخبز والزيت حَتَّى اسودَّ جلدهُ، ويقول: «بئس الوالي أنا إن شبعتُ والنَّاس جياع».

---

(١) يقصد رسول الله ﷺ وأبا بكر رَضِيَ الله عَنهُ.

- وكان في وجهه خطّان أسودان من البكاء.
- وعن عبد الله بن شداد، قال: سمعتُ نشيج[١] عُمَر وأنا في آخر الصفوف في صلاة الصُّبح، وهو يقرأ سورة يُوسف حَتَّى بلغ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

وأما عن مواعظه وخُطبه:

عَن أَبِي فِرَاسٍ قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّا إِنَّمَا كُنَّا نَعرِفُكُم إِذ بَينَ ظَهرَينَا النَّبِيُّ ﷺ وَإِذ يَنزِلُ الوَحيُ وَإِذ يُنبِئُنَا اللَّهُ مِن أَخبَارِكُم.

أَلَا وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَد انطَلَقَ وَقَد انقَطَعَ الوَحيُ وَإِنَّمَا نَعرِفُكُم بِمَا نَقُولُ لَكُم، مَن أَظهَرَ مِنكُم خَيرًا ظَنَنَّا بِهِ خَيرًا وَأَحبَبنَاهُ عَلَيهِ، وَمَن أَظهَرَ مِنكُم لَنَا شَرًّا ظَنَنَّا بِهِ شَرًّا وَأَبغَضنَاهُ عَلَيهِ، سَرَائِرُكُم بَينَكُم وَبَينَ رَبِّكُم.

أَلَا إِنَّهُ قَد أَتَى عَلَيَّ حِينٌ وَأَنَا أَحسِبُ أَنَّ مَن قَرَأَ القُرآنَ يُرِيدُ اللَّهَ وَمَا عِندَهُ فَقَد خُيِّلَ إِلَيَّ بِآخِرَةٍ أَلَا إِنَّ رِجَالًا قَد قَرَءُوهُ يُرِيدُونَ بِهِ مَا عِندَ النَّاسِ فَأَرِيدُوا اللَّهَ بِقِرَاءَتِكُم وَأَرِيدُوهُ بِأَعمَالِكُم.

أَلَا إِنِّي وَاللَّهِ مَا أُرسِلُ عُمَّالِي إِلَيكُم لِيَضرِبُوا أَبشَارَكُم[٢] وَلَا لِيَأخُذُوا أَموَالَكُم وَلَكِن أُرسِلُهُم إِلَيكُم لِيُعَلِّمُوكُم دِينَكُم وَسُنَّتَكُم فَمَن فُعِلَ بِهِ شَيءٌ سِوَى ذَلِكَ فَليَرفَعهُ إِلَيَّ فَوَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ إِذَن لَأُقِصَّنَّهُ[٣] مِنهُ.

فَوَثَبَ عَمرُو بنُ العَاصِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ أَوَرَأَيتَ إِن كَانَ رَجُلٌ مِن المُسلِمِينَ عَلَى رَعِيَّةٍ فَأَدَّبَ بَعضَ رَعِيَّتِهِ أَئِنَّكَ لَمُقتَصُّهُ مِنهُ؟ قَالَ: إِي وَالَّذِي نَفسُ عُمَرَ بِيَدِهِ إِذَن لَأُقِصَّنَّهُ مِنهُ، وَقَد رَأَيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقِصُّ مِن نَفسِهِ، أَلَا لَا تَضرِبُوا المُسلِمِينَ فَتُذِلُّوهُم، وَلَا تُجَمِّرُوهُم[٤] فَتَفتِنُوهُم، وَلَا تَمنَعُوهُم حُقُوقَهُم فَتُكَفِّرُوهُم، وَلَا تُنزِلُوهُم

---

(١) **النشيج**: صوت معه توجّع وبكاء، وانظر «حياة الصحابة» (٣/ ٢٦٠).

(٢) **أبشاركم**: أي: ظاهر جلودكم.

(٣) **لأقصّنه**: أي: أنتقم له منه.

(٤) **لا تجمروهم**: أي: لا تجمعوهم في الثغور وتحبسوهم عن العودِ إلى أهليهم.

الغِيَاضَ[(١)] فَتُضَيِّعُوهُم»[(٢)].

عباد الله...

أما عن موافقات عُمَر - رَضِي الله عَنهُ - للقرآن، فكثيرة، نذكر بعضها بعد قليل إن شاء الله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فقد كان عمر من أكثر الصحابة شجاعةً وجُرأةً، فكثيرًا ما كان يسأل الرسول ﷺ عن التصرفات التي لم يدرك حكمها، كما كان - رَضِي الله عَنهُ - يبدي رأيه واجتهاده بكل صدق ووضوح، ومن شدة فهمه واستيعابه لمقاصد القرآن الكريم نزل القرآن الكريم موافقًا لرأيه - رَضِي الله عَنهُ - في بعض المواقف.

- قَالَ عُمَرُ: وَافَقتُ اللَّهَ فِي ثَلَاثٍ أَو وَافَقَنِي رَبِّي فِي ثَلَاثٍ:

قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَو اتَّخَذتَ مَقَامَ إِبرَاهِيمَ مُصَلًّى.

وَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَدخُلُ عَلَيكَ البَرُّ وَالفَاجِرُ فَلَو أَمَرتَ أُمَّهَاتِ المُؤمِنِينَ بِالحِجَابِ، فَأَنزَلَ اللَّهُ آيَةَ الحِجَابِ.

قَالَ: وَبَلَغَنِي مُعَاتَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ بَعضَ نِسَائِهِ فَدَخَلتُ عَلَيهِنَّ قُلتُ: إِن انتَهَيتُنَّ أَو لَيُبَدِّلَنَّ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ خَيرًا مِنكُنَّ، حَتَّى أَتَيتُ إِحدَى نِسَائِهِ قَالَت: يَا عُمَرُ أَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَعِظُ نِسَاءَهُ حَتَّى تَعِظَهُنَّ أَنتَ، فَأَنزَلَ اللهُ: ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُ أَزوَاجًا خَيرًا مِنكُنَّ مُسلِمَاتٍ مُؤمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ**

---

(١) الغياض: جمع غيضة، وهي الشجر الملتف.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤١)، والحاكم (٤/ ٤٣٩)، وصححه، ووافقه الذهبيّ.

وَأَبكَارًا ﴾ [التحريم: ٥] [١].

▪ وقَالَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ[٢] دُعِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلصَّلَاةِ عَلَيهِ، فَقَامَ إِلَيهِ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ تَحَوَّلتُ حَتَّى قُمتُ فِي صَدرِهِ، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَى عَدُوِّ اللهِ عَبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ؟ القَائِلِ يومَ كَذَا كَذَا وَكَذَا - يُعَدِّدُ أَيَّامَهُ -. قَالَ: وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَبَسَّمُ حَتَّى إِذَا أَكثَرتُ عَلَيهِ، قَالَ: «**أَخِّر عَنِّي يَا عُمَرُ إِنِّي خُيِّرتُ فَاختَرتُ وَقَد قِيلَ: ﴿استَغفِر لَهُم أَو لَا تَستَغفِر لَهُم إِن تَستَغفِر لَهُم سَبعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغفِرَ اللَّهُ لَهُم﴾: لَو أَعلَمُ أَنِّي إِن زِدتُ عَلَى السَّبعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدتُ**».

قَالَ: ثُمَّ صَلَّى عَلَيهِ وَمَشَى مَعَهُ، فَقَامَ عَلَى قَبرِهِ حَتَّى فُرِغَ مِنهُ، قَالَ: فَعَجَبٌ لِي وَجَرَاءَتِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا كَانَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَت هَاتَانِ الآيَتَانِ: **﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنهُم مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُم عَلَى قَبرِهِ إِنَّهُم كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُم فَاسِقُونَ﴾**: فَمَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعدَهُ عَلَى مُنَافِقٍ وَلَا قَامَ عَلَى قَبرِهِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[٣].

▪ قال عُمَر - رَضِي الله عَنهُ -: «.... فَلَمَّا كَانَ يَومُئِذٍ وَالتَقَوا فَهَزَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ المُشرِكِينَ فَقُتِلَ مِنهُم سَبعُونَ رَجُلًا وَأُسِرَ مِنهُم سَبعُونَ رَجُلًا، فَاستَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكرٍ وَعَلِيًّا وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم، فَقَالَ أَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: يَا نَبِيَّ اللهِ هَؤُلَاءِ بَنُو العَمِّ وَالعَشِيرَةُ وَالإِخوَانُ فَإِنِّي أَرَى أَن تَأخُذَ مِنهُم الفِديَةَ فَيَكُونُ مَا أَخَذنَا مِنهُم قُوَّةً لَنَا عَلَى الكُفَّارِ وَعَسَى اللَّهُ أَن يَهدِيَهُم فَيَكُونُونَ لَنَا عَضُدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَرَى يَا ابنَ الخَطَّابِ؟**» قَالَ: قُلتُ: وَاللهِ مَا أَرَى مَا رَأَى أَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، وَلَكِنِّي أَرَى أَن تُمَكِّنَنِي مِن فُلَانٍ - قَرِيبًا لِعُمَرَ - فَأَضرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ مِن عَقِيلٍ[٤] فَيَضرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ حَمزَةَ مِن فُلَانٍ أَخِيهِ فَيَضرِبَ عُنُقَهُ، حَتَّى يَعلَمَ

---

(١) «الفاروق القائد» للواء الركن/ محمود شيت خطّاب (٩٥).

(٢) ابن سلول زعيم المنافقين.

(٣) رواه الترمذي (٣٠٩٧).

(٤) هو عقيل بن أبي طالب، أسلم - رَضِي الله عَنهُ - يوم الفتح، وتُوفِّي في أول خلافة يزيد بن معاوية.

اللَّهُ أَنَّهُ لَيسَت فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ لِلمُشرِكِينَ هَؤُلَاءِ صَنَادِيدُهُم وَأَئِمَّتُهُم وَقَادَتُهُم.

فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ وَلَم يَهوَ مَا قُلتُ، فَأَخَذَ مِنهُم الفِدَاءَ، فَلَمَّا أَن كَانَ مِن الغَدِ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: غَدَوتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ وَأَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ وَإِذَا هُمَا يَبكِيَانِ، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخبِرنِي مَاذَا يُبكِيكَ أَنتَ وَصَاحِبَكَ؟ فَإِن وَجَدتُ بُكَاءً بَكَيتُ وَإِن لَم أَجِد بُكَاءً تَبَاكَيتُ لِبُكَائِكُمَا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصحَابُكَ مِن الفِدَاءِ لَقَد عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُم أَدنَى مِن هَذِهِ الشَّجَرَةِ**» - لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ - وَأَنزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسرَى حَتَّى يُثخِنَ فِي الأَرضِ**﴾ إِلَى قَولِهِ: ﴿**لَولَا كِتَابٌ مِن اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذتُم**﴾ [الأنفال: ٦٧]، مِن الفِدَاءِ، ثُمَّ أُحِلَّ لَهُم الغَنَائِمُ.

فَلَمَّا كَانَ يَومُ أُحُدٍ مِن العَامِ المُقبِلِ عُوقِبُوا بِمَا صَنَعُوا يَومَ بَدرٍ مِن أَخذِهِم الفِدَاءَ، فَقُتِلَ مِنهُم سَبعُونَ وَفَرَّ أَصحَابُ النَّبِيِّ ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ وَكُسِرَت رَبَاعِيَتُهُ[١]، وَهُشِمَت البَيضَةُ[٢] عَلَى رَأسِهِ، وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجهِهِ، وَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتكُم مُصِيبَةٌ قَد أَصَبتُم مِثلَيهَا**﴾ [آل عمران: ١٦٥] الآيَةَ، بِأَخذِكُم الفِدَاءَ»[٣].

▪ عَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَ تَحرِيمُ الخَمرِ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّن لَنَا فِي الخَمرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَنَزَلَت هَذِهِ الآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ البَقَرَةِ: ﴿**يَسأَلُونَكَ عَن الخَمرِ وَالمَيسِرِ قُل فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢١٩]، قَالَ: فَدُعِيَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ فَقُرِئَت عَلَيهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّن لَنَا فِي الخَمرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَنَزَلَت الآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُم سُكَارَى**﴾ [النساء: ٤٣]، فَكَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ نَادَى: أَن لَا يَقرَبَنَّ الصَّلَاةَ سَكرَانُ، فَدُعِيَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ فَقُرِئَت عَلَيهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّن لَنَا فِي الخَمرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَنَزَلَت الآيَةُ الَّتِي فِي المَائِدَةِ فَدُعِيَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ فَقُرِئَت عَلَيهِ فَلَمَّا بَلَغَ: ﴿**فَهَل أَنتُم مُنتَهُونَ**﴾ [المائدة: ٩١]، قَالَ:

---

(١) **الرباعية**: السّنة التي بين الثنية والناب.

(٢) **البيضة**: الخوذة.

(٣) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٢٥٠) برقم (٢٢١)، وصحّحه الشيخ أحمد شاكر، ورواه مسلم بنحوه برقم (١٧٦٣).

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: انتَهَينَا انتَهَينَا»[١].

وهكذا خضع تحريم الخمر لسنّة التدريج، وفي قوله: ﴿فَهَل أَنتُم مُنتَهُونَ﴾ فهمَ عمر من الاستفهام الاستنكاري بأن المراد به التحريم، لأنَّ هَذَا الاستفهام أقوى وأقطع في التحريم من النهي العادي، ففي ألفاظ الآية وتركيبها وصياغتها تهديد رهيب واضح كالشمس في التحريم[٢].

عباد الله...

هذه بعض مناقب أمير المؤمنين عُمَر بن الخطَّاب - رَضِي الله عَنهُ - وسيأتي المزيد في الجمعة التالية إن شاء الله تعالى، فإلى اللقاء.

اللهُمَّ اهدنا فيمن هَدَيتَ، وعَافِنَا فيمن عَافَيت.

آمين... آمين... آمين.

✡✡✡✡✡

(١) رواه أحمد في «المسند» (٣٧٨)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٢) «عمر بن الخطاب» د. الصّلابي (٣٧ - ٣٩).

الخطبة الخامسة:

[جـ] مع عمر بن الخطاب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فما زال الحديث موصولاً عن أمير المؤمنين: عُمَر بن الخطاب - رَضِيَ الله عَنهُ -: واليوم إن شاء الله تعالى نتكلم عن جوانب أخرى من حياته في أيام خلافته، لتعرف الدنيا كيف ربّى الإسلام أهله.

عباد الله:

لقد سار عُمَر - رَضِيَ الله عَنهُ - في النَّاس بالعدل. وبالعدل قامت السموات والأرض.

وهذه بعض المواقف التي تبيِّن عدله - رَضِيَ اللهُ عَنهُ -:

الموقف الأول: قِصَّته مع جَبَلَة بن الأيهم:

«رُوي أنَّ جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة، حين رغب في الإسلام أقبل على المدينة في موكبٍ كبير، عليهم ثياب الوشى، وهو لابس تاجه، ففرح عُمَر بقدومهم.

فلمَّا جاء الموسم - موسم الحج - خرج للحج مع عُمَر، فبينا هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجلٌ من فَزَارة، فحل الإزار، فلطمه جبلة على أنفه فهشمه، وسال الدم.

فاستعدى الفزاري عليه عُمَر.

فقال عُمَر لجبلة: ما دعاك لأن تلطم هذا الفزاري؟

قال: إنه وطئ إزاري فحلّه.

قال عُمَر: أما وقد أقررت فإما أن ترضيه، وإلَّا فعل بك مثل ما فعلت به.

قال جبلة: أيصنع هذا وأنا مَلِك، وهو سُوقة؟

قال عُمَر: لقد سوى الإسلام بينك وبينه، فما تَفضُلُه بشيء إلَّا بحُسن العمل.

قال جبلة: والله لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعزّ مني في الجاهلية.

قال عُمَر: إنه كذلك[١].

قال جبلة: أخرني إلى غد، حَتَّى أُفكر في الأمر يا أمير المؤمنين.

قال عُمَر: ذلك لك.

فلمَّا كان جنح الليل خرج هو وأصحابه حَتَّى دخلوا القُسطنطينية على هرقل، فتنصَّر جبلة وأقام عنده»[٢].

وهكذا يضرب عُمَر بن الخطاب مثلًا رائعًا للحاكم العادل، وصدق سعيد بن سويد عندما خطب النَّاس بِحِمص فقال: «أيُّها النَّاس، إنَّ للإسلام حائطًا منيعًا، وبابًا

---

(١) أي: أنت كذلك عزيز في الإسلام ما دُمت على الحقّ، والعدوان على النَّاس ليس من الحق.

(٢) «سيرة عمر بن الخطاب» للأستاذ أحمد التاجي (٢٣١، ٢٣٢).

وثيقًا، فحائط الإسلام الحقّ، وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعًا ما اشتد السلطان، وليست شدة السلطان قتلًا بالسَّيف ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاءً بالحق وأخذًا بالعدل».

الموقف الثاني: موقف عُمَر مع أبي موسى الأشعري لَـمَّا جَلَد أَحَد جنوده:

عن جرير بن عبد الله البَجَلي - رَضِي الله عَنهُ - قال: «إنَّ رجلًا كان مع أبي موسى الأشعري، وكان ذا صَوتٍ ونكاية في العَدُوِّ، فغنموا مغنمًا فأعطاه أبو موسى بَعض سَهمه، ولم يُوَفِّهِ حَقّه، فأبى الرجل أن يقبل حقَّه منقوصًا، فجلده أبو موسى عشرين سَوطًا، وحلق شَعر رأسه.

فجمع الرجل شَعره، ثم رحل إلى عُمَر، حَتَّى قَدِم عليه في مجلسه، ثم ضَرَبَ بِشَعرِه صَدر عُمَر، وقال: أما والله لولا النَّارُ لصنعتُ بعاملك ما صَنَعتُ، ثم حكى له ما صنع به أبو موسى.

فكتب عُمَرُ إلى أبي موسى: «سلامٌ عليك، أمَّا بعد: فإنَّ فلانًا أخبرني بكذا وكذا، فإن كنت فعلت ذاك في ملأٍ من النَّاس، فأقسمتُ عليك إلَّا قعدت له في ملأ من النَّاس، حَتَّى يقتصَّ منك، وإن كنت فعلت ذلك في خلاءٍ، فاقعُد له كذلك».

فقدِمَ الرَّجلُ بالكتَاب إلى أبي موسى، فقال له النَّاس: «اعفُ عنه»، فقال: لا والله لا أَدَعُهُ لأحدٍ من النَّاس.

فلَمَّا قعد أبو موسى لِيَقتَصَّ الرَّجلُ منه، رفع الرجل رأسه إلى السماء، ثم قال: «اللهُمَّ إنِّي قَد عَفوتُ عنه» ا.هـ[1].

هذا هو الإسلام، ولا تعليق.

عباد الله...

ولقد كان عُمَر - رَضِي الله عَنهُ - رحيمًا برعيته بصورة تبهر الألباب، وتلفت الأنظار، وتثير الدهشة والعجب، وهذه مواقف تدلّ على ما نقول:

---

(١) «سيرة عمر بن الخطاب» (٩٦).

الموقف الأول:

عَن أَسلَمَ مولى عُمَر قَالَ: خَرَجتُ مَعَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ - رضى الله عنه - إِلَى السُّوقِ، فَلَحِقَت عُمَرَ امرَأَةٌ شَابَّةٌ فَقَالَت: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ هَلَكَ زَوجِى وَتَرَكَ صِبيَةً صِغَارًا، وَاللَّهِ مَا يُنضِجُونَ كُرَاعًا، وَلاَ لَهُم زَرعٌ وَلاَ ضَرعٌ، وَخَشِيتُ أَن تَأكُلَهُمُ الضَّبُعُ، وَأَنَا بِنتُ خُفَافِ بنِ إِيمَاءَ الغِفَارِىِّ، وَقَد شَهِدَ أَبِى الحُدَيبِيَةَ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ، فَوَقَفَ مَعَهَا عُمَرُ، وَلَم يَمضِ، ثُمَّ قَالَ: مَرحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ.

ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى بَعِيرٍ ظَهِيرٍ كَانَ مَربُوطًا فِى الدَّارِ، فَحَمَلَ عَلَيهِ غِرَارَتَينِ مَلأَهُمَا طَعَامًا، وَحَمَلَ بَينَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَابًا، ثُمَّ نَاوَلَهَا بِخِطَامِهِ[١]، ثُمَّ قَالَ: اقتَادِيهِ فَلَن يَفنَى حَتَّى يَأتِيَكُمُ اللَّهُ بِخَيرٍ.

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ أَكثَرتَ لَهَا. قَالَ عُمَرُ: ثَكِلَتكَ أُمُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّى لأَرَى أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَا قَد حَاصَرَا حِصنًا زَمَانًا، فَافتَتَحَاهُ، ثُمَّ أَصبَحنَا نَستَفِىءُ سُهمَانَهُمَا فِيه».

هكذا كان وفاء عُمَر، إنه ينسب الفضل لأهله، ولا ينسى المعروف، بارك الله في دين رَبَّاك.

الموقف الثاني:

قال الأحنف بن قيس: «قدمتُ على عُمَر وهو معتجر بعمامة، في يومٍ صائف يَطلي بعيرًا من إبل الصدقة. فقال: يا أحنف، ضع ثيابك، وهلمَّ فأعِن أمير المؤمنين على هذا البعير، فإنه مريضٌ من إبل الصَّدقة، وفيه حق اليتيم والأرملة والمسكين. وعمر يأخذ القار (الزفت) ويطلي به مواجع البعير، وقد اسودت يداه.

فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، فهلَّا تأمر عبدًا من عبيد الصدقة فيكفيك ذلك؟

فقال عُمَر: وأيُّ عبدٍ هو أعبَدُ منّي ومِن الأحنف؟

إنَّهُ مَن وُلِّيَ أمر المسلمين يجب عليه ما يجب على العبد لسيِّده في النصيحة، وأداء

---

(١) **الخطام**: الحبل الذي يقاد به البعير.

الأمانة».

هذا هو عُمَر ولا تعليق.

الموقف الثالث:

وقال أسلم: «خرجت ليلة مع عمر - وهو أمير المؤمنين - إلى ظاهر المدينة فلاح[١] لنا بيت شَعر فقصدناه، فإذا فيه امرأة تمخض[٢] وتبكي، فسألها عُمَر عن حالها.

فقالت: أنا امرأة غريبة وليس عندي شيء.

فبكى عُمَر وعاد يهرول إلى بيته، فقال لامرأته أُمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ وأخبرها الخبر. فقالت: نعم.

فحمل على ظهره دقيقًا وشَحمًا وحملت أُمّ كلثوم ما يصلح للولادة وجاءا فدخلت أُمّ كلثوم على المرأة وجلس عمر مع زوجها وهو لا يعرفه يتحدث، فوضعت المراة غلامًا، فقالت أُمّ كلثوم: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام، فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عُمَر.

فقال عُمَر: لا بأس عليك، ثم أوصلهم بنفقة، وما يصلحهم وانصرف»[٣].

الموقف الرابع:

وقال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى «حرة واقم»[٤] حتى إذا كنا بـ«صرار» إذا بنارٍ، فقال: يا أسلم ههنا رَكبٌ قَد قصر بهم الليل، انطلق بنا إليهم، فأتيناهم فإذا امرأة معها صبيان لها، وقِدرٍ منصوبةٌ على النَّار وصُبيانها يتضاغون[٥].

فقال عُمَر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، قالت: وعليك السلام.

قال: ادنو، قالت: ادنُ أَودَع.

---

(١) **لاح:** ظهر

(٢) **تمخض:** أتاها ألم الطَلْق والولادة.

(٣) «البداية» الجزء السابع.

(٤) **الحرّة:** الحجارة السّود البركانية، وحرّة واقم: عَلَم على واحدة منها.

(٥) **يتضاغون:** يتصايحون.

فدنا، فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد.

قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: من الجوع.

فقال: وأيُّ شيء على النار؟ قالت: ماء أعللهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عُمَر.

فبكى عُمَر ورجع يهرول إلى دار الدقيق فأخرج عدلًا من دقيق وجراب شحم، وقال: يا أسلم احمله على ظهري، فقلت: أنا احمله عنك.

فقال: أأنت تحمل وزري يوم القيامة؟! فحمله على ظهره وانطلقنا إلى المراة فألقى عن ظهره وأخرج من الدقيق في القِدر وألقى عليه من الشحم وجعل ينفخ تحت القدر والدُّخان يتخلل لحيته ساعة، ثم أنزلها عن النار وقال: ايتني بصحفة فأتى بها فغرفها ثم تركها بين يدي الصبيان، وقال: كلوا.

فأكلوا حتى شبعوا، والمرأة تدعو له وهى لا تعرفه، فلم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف، ثم أقبل عليَّ فقال: يا أسلم الجوع الذي أسهرهم وأبكاهم، فأحببت أن لا أنصرف حَتَّى أرى ما رأيت»[(١)].

الموقف الخامس:

عن عبد الله بن عُمَر قال: «بينا النَّاس يأخذون أعطياتهم بين يدي عُمَر، إذ رفع رأسه فنظر إلى رجل في وجهه ضَربَةٌ، فسأله، فأخبره أنها أصابتهُ في غزوة مع المسلمين.

فقال عُمَر: عُدُّوا له ألف درهم، فأُعِطيَ الرَّجُل الألفَ، فقال: عُدُّوا له ألفًا ثانية، فأعطى الرجلُ ألفًا أُخرى.

قال عُمَر له ذلك أربع مَرَّات، وكُلَّ مَّرة يعطيه ألف درهم، فاستحيا الرجلُ من كثرة ما يُعطيه، فخرج.

قال عبد الله: فسأل عنه عُمَر، فقيل له: إنَّا رأينا أنَّهُ استحيا من كثرة ما تُعطيه فخرج.

قال عُمَر: أما والله لو أنَّهُ مكث ما زلتُ أُعطيه ما بقي منها درهَمٌ، رَجلٌ ضُرب في

---

(١) «عمر بن الخطاب» لابن الجوزي (٩٦، ٩٧).

سبيل الله ضَربةً حَفَرت في وجهه، فما أصنعُ له؟!»[١].

عباد الله...

كان هذا حال عُمَر - رَضِي الله عَنهُ - مع رعيته، فكيف كان حاله مع أهله وأقاربه؟

هل ميّزهم عن غيرهم؟

لا، بل اسمعوا:

عن ابن عُمَر قال: «كان إذا نهى عُمَر النَّاس عن شيء، دخل على أهله، فقال: «إنِّي نَهيتُ النَّاس عن كذا وكذا، وإنَّ النَّاس ينظرون إليكم كما ينظر الطيرُ إلى اللحم، فإن وقعتم وقعوا، وإن هِبتُم هابُوا، وإنِّي والله لا أُوتي برجلٍ منكم وقع فيما نَهيتُ عنه النَّاس إلَّا أضعَفتُ له العقاب، لمكانه مِنِّي! مَن شاء فليتقدم، ومن شاء فليتأخر».

وقال ابن سعد: «نظر عُمَر في عام الرمادة إلى بطيخة صغرة في يد طفلٍ من أولاده، فقال: بخٍ بخٍ يا ابن أمير المؤمنين، أتأكل الفاكهة وأُمَّةُ مُحَمَّدٍ هَزلى؟ - أي: في هزال من الجوع -.

فخرج الصَّبيُّ هاربًا وبكى، فقالوا: اشتراها الصَّبيُّ بِكفِّ نَوَى»[٢].

وعن قَتادة، قال: «كان مُعَيقيب خازنًا لبيت المال، فكنس بَيت المال فوجد فيه دِرهمًا فدفعه إلى صبيٍّ لعمر، قال معيقيب: ثم انصرفت إلى بيتي، فإذا رسولُ عُمَر قد جاءني يَدعوني، فجئت فإذا الدِّرهم في يده، فقال: ويحكَ يا مُعيقيب أوَجَدتَ[٣] عليَّ في نَفسِك شيئًا؟ ما لك وما لي؟

فقلت: وما ذاك؟

قال: أردت أن تُخاصمني أُمَّةُ محمد ﷺ في هذا الدِّرهم يوم القيامة؟! وَرَدَّ الدِّرهم إليه»[٤].

---

(١) «سيرة عمر» للتاجي (٧٣، ٧٤).

(٢) النوى: بذور الشَّجر كالنخل وغيره، أي: اشتراها بشيء تافه.

(٣) الموجدة: الغضب، أي: أبيني وبينك عداوة فأنت تنقم منِّي؟!

(٤) «سيرة عمر بن الخطاب» للتاجي (٦٠، ٦١).

وقال عبد الله بن عُمَر - رَضِيَ اللَّـهُ عَنهُمَا -: «اشتريتُ إبلًا وأرسلتُها إلى الحمى[١] ترعى مثل إبل النَّاس، فلمَّا سَمِنَت دخل عمرُ السُّوق فرأى إبلًا سمانًا، فقال: لِمَن هذه؟

قيل: لعبد الله بن عُمَر.

فجعل يقول: بخٍ بخٍ ابن أمير المؤمنين، فجئت أسعى إليه، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟

قال: ما هذه الإبل؟

قلت: إبلٌ اشتريتها، وبعثت بها إلى الحمى، أبتغي ما يبتغي النَّاس.

قال: ويقال: ارعُوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقُوا إبل ابن أمير المؤمنين.

ثم قال: يا عبد الله، اغدُ على رأس مالِك، واجعَل باقيهُ في بيت مال المسلمين»[٢].

وعن سعد بن أبي وقاص، قال: «قَدِمَ على عُمَر مِسكٌ وعَنبَر من البحرين، فقال عُمَر: والله لودِدتُ أن أجدَ امرأةَ حَسَنَةَ الوزن تزِنُ لي هذا الطِّيب، حَتَّى أُفرِّقَهُ بين النَّاس.

فقالت له امرأته عاتكة: أنا جيّدة الوزن، فَهَلُمَّ أَزِنُ لك.

قال عُمَر: لا.

قالت: ولِـمَ.

قال: أخشى أن تأخذيه هكذا فتجعليه هكذا - وأدخل إصبعَيهِ في صُدغَيه - وتمسحين عُنُقَكِ، فأصيب فَضلًا عن المسلمين».

عباد الله...

كان هذا حالُ عُمَر - رَضِيَ الله عَنهُ - مع أهله، فكيف كان حالهِ مع نفسه؟

هذا ما سوف نذكر منه شيئًا، بعد قليل - إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) **الحمى**: مرعى بظاهر المدينة.
(٢) أي: بع الإبل، وخذ منها رأس مالك، واجعل الباقي في بيت مال المسلمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فلا يخفى على حضراتكم أنَّ رجلًا يقيم العدل في الأرض، ويحكم بين النَّاس بالقِسط، ويسوس العباد إلى ربِّ العباد، بهذه الصُّورة المتقدّمة، لَرَجُلٌ يحمل بين جوانحه نفسًا كبيرة، وقلبًا رقيقًا رحيمًا، وضميرًا يقظًا، وإيمانًا حيًّا، وعقيدة متينة.

نعم يا سادة، ولله دَرُّ القائل:

وإذا كانت النُّفوسُ كِبَارًا تَعِبَت في مُرَادِها الأجسامُ

فكيف كان حال عُمَر مع نفسه؟

اسمعوا...

كان عُمَر إذا أمسَى - في عام الرمادة[١] - أتى بخبز وأثرده في الزيت إلَّا أنَّهُ نحر في يومٍ جَزُورًا[٢] فأطعمها النَّاس.

وغرفوا له فإذا هو قدرٌ من سَنام وكبد، فقال: مِن أين هذا؟

قالوا: مِنَ الجزور التي نَحَرنا اليوم.

فقال عُمَر: بخٍ بخٍ[٣]، بئس الوالي أنا إن أكلت طيِّبًا، وأطعمتُ النَّاس كراديسها - أي: عظامها - فأُتِيَ بخُبز وزيت، وجعل يكسِرُه ويُثرد[٤] في ذلك الزّيت.

ثم قال لغلامه: ويحك يا يَرفأُ، احمل هذه الجفنة حَتَّى تأتي بها أهل بيت بالمدينة، فإني لم آتهم منذ ثلاثة أيام، وأحسبهم مُقفرين[٥] فضعها بين أيديهم.

---

(١) كان عام الرمادة سنة ١٨ هـ.
(٢) الجزور: الناقة.
(٣) أي: حسَنٌ حَسَنٌ، على وجه السخرية.
(٤) يثرد: يصنع ثريدًا، أي: فتًّا.
(٥) مقفرين: جائعين.

فحمل إليهم يرفأ الطعام الطيّب، الذي آثرهم به عُمَر على نفسه.

عباد الله...

هذا هو عُمَر بن الخطاب.

هذا هو أمير المؤمنين الفاروق.

هذا هو أبو حفص، الذي سَبَّهُ الشيعةُ «الروافض»، ولعنوه وكَفَّروه!!

اسمعوا إلى الكُلَينِي - وهو شِيعيٌّ محترق - وهو يقول في كتابه المشئوم «الروضة من الكافي» (٨/ ٣٣٤): «عن أبي عبد الله في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿**رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ نَجعَلهُمَا تَحتَ أَقدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسفَلِينَ**﴾ [فصلت: ٢٩]، قال: هما أبو بكر وعمر».

واسمعوا إلى شيعيّ آخر، وهو شيخهم المجلسي في كتابه «حق اليقين» (٥١٩) وهو يقول: «وعقيدتنا أننا نتبرأ مِن الأصنام الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان ومعاوية، والنِّساء الأربعة: عائشة، وحفصة، وهند، وأمّ الحكم، ومن جميع أتباعهم وأشياعهم، وأنهم شرّ خلق الله على وجه الأرض».

أهذا يُعقل أيُّها النَّاس؟

حَقًّا ﴿**فَإِنَّهَا لاَ تَعمَى الأَبصَارُ وَلَكِن تَعمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤٦].

اللهُمَّ إنَّا نَبرأ إليك مِن قولِ هؤلاء الضُّلَّال، ونتبرأ منهم، ونُحبّ أبا بكر وعمر وعثمان وعليّ وسائر أصحابِ النَّبيّ ﷺ.

آمين... آمين... آمين.



الخطبة السادسة:

[د] استشهاد عمر بن الخطاب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فمازال الحديث موصولًا عن سيرة أمير المؤمنين «**عُمَر بن الخطَّاب**» رَضِي الله عَنهُ

عباد الله...

تقدَّم - فيما سبق - الحديث عن بعض مناقب عُمَر بن الخطَّاب - رَضِي الله عَنهُ - وشيءٍ من فضائله، ولا نستطيع أن نذكر كل ما ورد في مناقب وفضائل هذا السَّيِّد الكبير، فهذا شيءٌ يصعب استقصاؤه وجمع أطرافه.

ولكن يكفي - هنا - أن نشير إلى شيءٍ من نصائحه، ومواعظه، ووصاياه:

فها هو - رَضِي الله عَنهُ - يوجِّه نصائحه لرعيته فيقول: «أعطوا الحقَّ من أنفسكم،

ولا يحمل بعضكم بعضًا على أن تحاكموا إليّ، واعلموا أنَّ صلاح الأمر في ثلاث:

أداء الأمانة، والأخذ بالقُدوة، والحكم بما أنزل الله.

وصلاح المال في ثلاث:

أن يؤخذ من حق، ويُعطَى في حَقٍّ، ويُمنَع من باطل.

وأعاهدكم على ألَّا أجتني شيئًا من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم إلَّا مِن وَجهه - أي: حق بيت المال -.

ولكن عليَّ إذا وقع في يَدي ألَّا يخرج في حَقِّه - أي: يوزع بالعدل -.

ولكم عليَّ أن أزيد في عطاياكم، وأرزاقكم إن شاء الله.

ولكم عليَّ ألاَّ أُلقيكم في المهالك، ولا أُجَمِّركم في ثغوركم[1].

وإذا رغبتم في البُعوث - أي الحروب - وأعينوني على نفسي في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وإحضاري النَّصيحة فيما ولَّاني الله من أمركم».

وها هو - رَضِي الله عَنهُ - يخطب النَّاس عام الرّمادة فيقول:

«أيُّها النَّاس اتقوا الله في أنفسكم وفيما غاب عن النَّاس من أمركم، فقد ابتليتُ بكم وابتليتم بي، فما أدري السخطة عليَّ دونكم أو عليكم دوني، أو قد عمتني وعمتكم، فهلموا فلندع الله يصلح قلوبنا، وأن يرحمنا وأن يرفع عنَّا المحل».

قال: فرئي عُمَر يومئذ رافعًا يديه يدعو الله، ودعا النَّاس، وبكى وبكى النَّاس مليًّا ثم نزل.

عباد الله...

وأخلاق الإسلام ليست مقصورة على المسلمين وحدهم، بل عمَّت جميع المخلوقات العاقلة منها وغير العاقلة.

حَتَّى الكفَّار، طالتهم رحمةُ المسلمين وحسنُ أخلاقهم، وكان لهذا أثره الطيِّب في

(١) **لا أجمركم في ثغوركم**: أي: لا أحبسكم المدة الطويلة في الحروب بعيدًا عن أهلكم وبيوتكم، فلكل كتيبة موعد تعود فيه.

الفتوحات الإسلامية، بل وفي دخول النَّاس في الإسلام أفواجًا.

ولازمت أخلاق الإسلام أتباعه حَتَّى في حروبهم مع عدوّهم!!

اسمعوا يا سادة، واشكروا ربكم على نعمة الإسلام:

قال حيوة بن شريح: «كان عُمَر إذا بعث الجيوش أوصاهم بتقوى الله، ثم قال عند عقد الأولية: «بسم الله، وعلى عون الله، امضوا بتأييد الله والنصر، ولزوم الحق والصبر.

قاتلوا في سبيل الله مَن كفر بالله، ولا تعتدوا، إنَّ الله لا يُحب المعتدين، ثم لا تجبنوا عند اللّقاء، ولا تُمثِّلوا[1] عند القُدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تتكلموا عند الجهاد.

ولا تقتلوا امرأةً، ولا هرمًا، ولا وليدًا، وتوقوا قتلهم إذا التقى الجمعان، وعند حُمَّة النضهات، وفي شنّ الغارات، ولا تغلوا عند المغانم[2]، ونزِّهوا الجهاد عن عَرض الدنيا، وأبشروا بالإرباح في البيع الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم».

هذه هي أخلاق الإسلام في الحروب، وصَدقَ مَن قال: «إنَّ لسيوف الصحابة عقولًا».

فأين أخلاق الحروب عند الكُفَّار على مرِّ الدُّهور، وكرّ العصور؟!

اسألوا التاريخ عن أفغانستان.

واسألوه عن فلسطين.

واسألوه عن العراق.

واسألوه عن الصومال.

أيُّهَا المسلمون...

ولقطة أخرى نذكرها لحضراتكم من حياة عُمَر قبل أن نأتي إلى خِتام حياته - رَضِيَ الله عَنهُ -.

لَـمَّا انتهت فتوح المسلمين بالشام إلى بيت المقدس، وحاصرهُ المسلمين، طلب

(١) **المُثْلة:** تشويه الخِلقة.

(٢) **الغلول:** السَّرقة من الغنائم.

أصحابُ بيت المقدس أن يعقدوا صُلحًا مع المسلمين، ويسلِّموا لهم هذه المدينة المقدسة التي بها المسجد الأقصى، وجعلوا من شروطهم: أن يتسلَّم المدينة منهم «عُمَر بن الخطاب» نفسه، الذين يسمعون بعدله وتقواه، ليضمنوا أن يقوم المسلمون في حياته وبعد وفاته بتنفيذ ما شرط عُمَر لهم على نفسه.

وكتب أبو عبيدة إلى عُمَر بذلك، وسأله القدوم إلى الشام، فأسرع عُمَر وقصد الشام في جماعة من أصحابه، وكان ذلك في السنة الخامسة عشرة من الهجرة.

وسار عُمَر وأبو عبيدة حَتَّى أتوا بيت المقدس، وكتب لهم شروط الصلح، وأعطاهم الأمان.

وفتحت له المدينة المقدسةُ أبوابَها، ومشى فيها حَتَّى وصل إلى كنيسة القِيَامَة، التي يحجُّ إليها النصارى، وحان وقت الصَّلاة، فقال عُمَر للبَطرَك: أريد أن أُصلي، فقال له البطرك: صَلِّ في أي مكان في الكنيسة يا أمير المؤمنين، فإنك رجلٌ مبارك.

فقال عُمَر: لا أفعل، والتفت إلى أبي عبيدة وقال له: إنني لو صليتُ هنا داخل الكنيسة فعل المسلمون مثل ذلك، وقالوا: هَهُنا صلى عُمَر، ثم أخذوها من أصحابها.

قال أبو عبيدة: فأين تصلِّي إذًا؟

قال عُمَر: أُصلِّي على الدرجة التي أمام الكنيسة منفردًا.

فلمَّا أتم عُمَر صلاته قال للبطرك: أرني موضعًا أبني فيه مَسجدًا.

فقال له: على الصَّخرة التي كلَّم اللَّـهُ عليها يعقوب.

فوجد عُمَر عليها رَدمًا كثيرًا، فأخذ فأسًا وشَرَعَ في إزالته، وفعل أصحابهُ فِعله.

فنظر إليهم البطرك متعجبًا من أمير المؤمنين وصحبه، وقال: «هكذا كان يصنع المسيحُ والحواريون».

ثم أمر عُمَر ببناء المسجد على الصخرة المباركة.

ولا يزال مسجد عُمَر على الصخرة من آثار المسلمين.

ونسأل الله تعالى أن يحرر الأقصى من رجس اليهود، وأن ينجِّيه من مكرهم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ولما فرغ عُمَر - رَضِي الله عَنهُ - من الحج سنة ٢٣هـ ونزل بالأبطح دعا الله عَزَّ وَجَلَّ وشكا إليه أَنَّهُ قد كبرت سنهُ وضعفت قوتهُ، وانتشرت رعيتهُ، وخاف من التقصير، وسأل الله أن يقبضه إليه، وأن يمنّ عليه بالشهادة في بلد النبي ﷺ كما ثبت في «الصحيح» أَنَّهُ كان يقول: «اللهمَّ إنِّي أسألك شهادة في سبيلك، ومَوتًا في بلد رسولك» فاستجاب له مولاه وجمع له بين هذين الأمرين: الشهادة في المدينة.

فماذا حدث؟

عن أبي رافع، قال: «كان أبو لولؤة[1] عبدًا للمغيرة بن شعبة، وكان يصنع الأرحاء، وكان المغيرة يستغلّه كل يوم أربعة دراهم، فلقي أبو لؤلؤة عُمَر، فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل عليَّ فكلّمه يخفف عنِّي.

فقال له عُمَر: اتق الله وأحسن إلى مَولاك، ومِن نيَّة عُمَر أن يلقي المغيرة فيكلِّمه فيخفِّف.

فغضب العبدُ وقال: وسع النَّاس كلَّهم عدلُه غيري، فأضمر على قتله فاصطنع خنجرًا له رأسان، وشحذه وسَمَّهُ، ثمَّ أتى به الهُرمزان[2] فقال: كيف ترى هذا؟

قال: أرى أنك لا تضرب به أحدًا إلا قتلته.

قال: فتحين أبو لؤلؤة فجاء في صلاة الغداة حَتَّى قام وراء عُمَر، وكان عُمَر إذا أُقيمت الصلاة فتكلّم يقول: «أقيموا صفوفكم» كما كان يقول.

قال: فلمَّا كبَّر وجاَه[3] أبو لؤلؤة في كتفه ووجأه في خاصرته، فسقط عُمَر، وطعن

---

(١) المجوسي - لعنه الله.
(٢) كان قد أتي به أسيرًا.
(٣) وجأه: طعنه.

بخنجره ثلاثة عشر رجلًا، فهلك منهم سبعةٌ، وفرق[١] منهم، وجعل عُمَر يَذهب به إلى منزله، وضاج النَّاس حَتَّى كادت تطلع الشمس فنادى عبد الرحمن بن عوف: يا أيُّهَا النَّاس الصلاة الصلاة الصلاة.

قال: ففزعوا إلى الصلاة، وتقدم عبد الرحمن بن عوف، فصلَّى بهم بأقصر سورتين من القرآن، فلمَّا قضى الصلاة، توجَّهوا إلى عُمَر، فدعا بشراب لينظر ما قَدر جُرحه، فأتى بنبيذ فشربه، فخرج من جرحه، فلم يُدر أنبيذٌ هو أم دَمٌ، فدعا بلبن فشربه فخرج من جُرحه.

فقالوا: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين.

فقال: إن يكن القتل بأس فقد قُتلتُ، فجعل النَّاس يُثنون عليه ويقولون: جزاك الله خيرًا يا أمير المؤمنين، كُنتَ وكُنتَ، ثم ينصرفون، ويجيء قومٌ آخرون فيثنون عليه.

فقال عُمَر: «أما والله على ما تقولون ودِدتُ أنِّي خرجتُ منها كفافًا لا عليَّ ولا لي، وأن صُحبَة رسولِ الله ﷺ قد سَلِمت لي».

فتكلم عبد الله بن عباس وكان عند رأسه، وكان خليطه كأنَّه من أهله، وكان ابن عباس يقرأ القرآن، فتكلم عبد الله بن عباس فقال: والله لا تخرج منها كفافًا لقد صحبت رسول الله ﷺ فصحبته خير ما صحبه صاحبٌ كنتَ له، وكنتَ له، حَتَّى قُبض رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ، ثم صحبتَ خليفة رسول الله ﷺ ثم وُلِّيتها يا أمير المؤمنين أنت فَوَلَّيتها بخير ما وليها والٍ، كنت تفعلُ، وكنتَ تفعل، فكان عُمَر يستريح إلى حديث ابن عباس.

فقال عُمَر: «يا ابن عباس كَرِّر عليَّ حديثك» فكرَّر عليه.

فقال عُمَر: «أما والله على ما يقولون، لو أن لي طلاع الأرض[٢] ذهبًا لافتديتُ به اليوم من هَول المطلع، قد جعلتُها شورى في ستةٍ: عثمان، وعليّ، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص».

---

(١) فرق: أي خاف.

(٢) طلاع الأرض؛ أي: ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل.

وجعل عبد الله بن عُمَر معهم مُشيرًا وليس منهم وأجَّلهم ثلاثًا، وأمَرَ صُهَيبًا أن يُصلِّي بالناس»[١].

عباد الله...

وقبل أن تسافر الروحُ الطيِّبة إلى ربِّها راضيةً مرضيّة، انكسر صاحبُها لله تعالى أشد الانكسار.

فماذا حدث؟

يقول عبد الله بن عُمَر: كان رأس عُمَر على فخذي في مرضه الذي مات فيه، فقال: ضع خدّي بالأرض.

فقلت: ما عليك كان على الأرض، أو كان على فخذي.

فقال: لا أُمّ لك، ضعه على الأرض.

فقلت: فهل فخزي والأرض إلَّا سواءٌ؟

فقال: ضع خدّي بالأرض، فوضعته على الأرض، فسمعته يقول: ويلي، وويل أُمِّي إن لم يرحمني ربِّي، ويلي وويل أُمِّي إن لم يغفر الله لي[٢].

أيُّهَا المسلمون...

وإذا كان هذا هو حالُ عُمَر عند الموت، فماذا نقول نحن؟!

اللهُمَّ اغفر وارحم، واعفُ وتكرَّم، وتجاوز عمَّا تعلم، إنَّك أنت الأعزّ الأكرم.

قال ابن قتيبة: ضربه أبو لؤلؤة يوم الاثنين لأربع بقين من ذي الحجّة، ومكث ثلاثًا، وتُوفِّي، فصلّى عليه صُهيب، وقُبِرَ مع رسول الله ﷺ وأبي بكر.

وكانت خلافته عشر سنين، وستة أشهر، وخمس ليالٍ، وتُوفِّي وهو ابن ثلاث وستين سنة[٣].

---

(١) قَالَ الهيثمي في «المجمع» (١٤٤٦٤): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.
(٢) خبرٌ صحيح: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٨٠)، وغيره.
(٣) «أسد الغابة» (٣/ ١٥١).

عباد الله...

ولا نجد في نهاية المطاف، ونحن نودِّع الفاروق من كلماتٍ إلَّا ما قاله ابن مسعود - رَضِي الله عَنهُ -: «إن عُمَر كان حِصنًا حَصِينًا على الإسلام، يدخل النَّاسُ فيه ولا يخرجون، وإن الحصن أصبح وقد انثلم، فالناس يخرجون منه ولا يدخلون»[1].

وقال: «وددت أنِّي كُنتُ خادمًا لعمر حَتَّى أموت»[2].

فَنَم يا عُمَر قرير العين، فالعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلَّا على الظالمين.

اللهُمَّ إنَّا نسألك حُبَّك، وحُبَّ من أحبَّك، وحُبَّ كُلَّ عملٍ يُقَرِّبنا مِن حُبِّك.

آمين... آمين... آمين.

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير».

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» برقم (٨٨١٥).

الخطبة السابعة:

[أ] مع عثمان بن عفان

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فلقاؤنا اليوم إن شاء الله تعالى مع ذي النُّورَين «**عثمان بن عفَّان**» رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

عباد الله...

من هو عثمان بن عفان؟

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشيّ الأمويّ.

يجتمع هو ورسول الله ﷺ في «عبد مناف».

يكنى: أبا عبد الله، وقيل: أبا عمرو[(١)].

قال الحسن: «إنما سُمّي عثمان «ذا النورين» لأنا لا نعلم أحدًا أغلق بابه على ابنتي نبيّ غيره».

قال الذهبيّ: كان عثمان حسن الوجه رقيق البشرة، ليس بالقصير ولا بالطويل، كبير اللحية عظيمها، أسمر اللون عظيم الكراديس[(٢)]، بعيد ما بين المنكبين، يخضب بالصّفرة» ا.هـ[(٣)]. وكان نقش خاتمه: «آمن عثمان بالله العظيم»[(٤)].

- أسلم عثمان - رَضِي الله عَنهُ - في أوّل الإسلام، دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأسلم، كما تقدّم في ترجمة أبي بكر - رَضِي الله عَنهُ -.

- عن أبي ثور الفهمي، قال: قدمتُ على عثمان، فقال: «لقد اختبأتُ عند ربِّي عشرًا: إنِّي لرابع أربعةٍ في الإسلام، وما تغنيتُ ولا تمنيتُ بدلًا بديني منذ أسلمتُ، ولا ترددتُ في إسلامي، ولا وضعتُ يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا مرَّت بي جمعة منذ أسلمتُ إلَّا وأنا أعتق فيها رقبة، إلَّا أن لا يكون عندي فأعتقها بعد ذلك، ولا زنيتُ في جاهلية ولا إسلام قطّ، وجهزتُ جيش العُسرة، وأنكحني النبي ﷺ ابنته، ثم ماتت، فأنكحني الأخرى، وما سرقتُ في جاهلية ولا إسلام».

- تزوّج عثمان - رَضِي الله عَنهُ - رقيّة بنت رسول الله ﷺ، وماتت عنده ليالي غزوة بدر، فزوّجه الرسولُ ﷺ بعدها أُختها أُمّ كلثوم.

- وعن عبد الرحمن بن عثمان القرشي: أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته وهي تغسل رأس عثمان، فقال: «**يا بُنَيَّة أحسِني إلى أبي عَبدِ الله، فإنَّهُ أشبَهُ أصحَابي بي خُلُقًا**»[(٥)].

عباد الله...

ولَمَّا أسلم ذو النُّورين - رَضِي الله عَنهُ - عذَّبه عمُّه الحكم بن أبي العاص، ليردّه إلى

---

(١) «أسد الغابة» (٣/ ٥٣٨).

(٢) **الكراديس**: عظام المفاصل.

(٣) «تاريخ الإسلام» (٢/ ١٨٦).

(٤) «المنتظم» (٤/ ٣٣٤).

(٥) **رجاله ثقات**: رواه الطبراني، انظر «مجمع الزوائد» (١٤٥٠٠).

دين الآباء، فثبت عثمان ولم يُفتن.

أخرج ابن سعد (٣/ ٣٧) عن محمد بن إبراهيم التيمي، قال: «لَـمَّا أسلم عثمان بن عفان - رَضِيَ الله عَنهُ - أخذه عمّه الحكم بن أبي العاص بن أميّة، فأوثقه[١] رباطًا وقال: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟

والله لا أخليك أبدًا حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدِّين.

فقال عثمان: والله لا أدعه أبدًا ولا أفارقه.

فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه».

ولما ازداد أذى المشركين بالمسلمين أَذِنَ النبيُّ ﷺ للمستضعفين بالهجرة إلى الحبشة قائلًا لهم: «**لَو خَرَجتُم إِلَى أَرضِ الحَبَشَةِ فَإِنّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظلَمُ عِندَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرضُ صِدقٍ حَتّى يَجعَلَ الله لَكُم فَرَجًا عمَّا أنتم فيه**»[٢].

وكان عثمان وزوجه رقيّة مِمَّن هاجر إلى الحبشة.

وتخلَّف عثمان - رَضِيَ الله عَنهُ - عن غزوة بدر، وعن بيعة الرضوان، وقد شنَّع المرجفون على عثمان بسبب ذلك، وطعنوا فيه، فانبرى أصحاب النبي ﷺ للدفاع عنه:

فعَن عُثمَانُ بن مَوهَبٍ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ مِن أَهلِ مِصرَ حَجَّ البَيتَ فَرَأَى قَومًا جُلُوسًا فَقَالَ: مَن هَؤُلَاءِ القَومُ؟

فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيشٌ. قَالَ: فَمَن الشَّيخُ فِيهِم؟

قَالُوا: عَبدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ.

قَالَ: يَا ابنَ عُمَرَ إِنِّي سَائِلُكَ عَن شَيءٍ فَحَدِّثنِي، هَل تَعلَمُ أَنَّ عُثمَانَ فَرَّ يَومَ أُحُدٍ؟

قَالَ: نَعَم.

قَالَ: تَعلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَن بَدرٍ وَلَم يَشهَد؟

قَالَ: نَعَم.

---

(١) أوثقه: قيّده.

(٢) انظر الحديث بتمامه في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٦٦).

قَالَ: تَعلَمُ أَنَّهُ تَغيَّبَ عَن بَيعَةِ الرِّضوَانِ فَلَم يَشهَدهَا؟

قَالَ: نَعَم.

قَالَ: اللَّهُ أَكبَرُ.

قَالَ ابنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّن لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَومَ أُحُدٍ فَأَشهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَن بَدرٍ فَإِنَّهُ كَانَت تَحتَهُ بِنتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَت مَرِيضَةً فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجرَ رَجُلٍ مِمَّن شَهِدَ بَدرًا وَسَهمَهُ**». وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَن بَيعَةِ الرِّضوَانِ فَلَو كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطنِ مَكَّةَ مِن عُثمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُثمَانَ، وَكَانَت بَيعَةُ الرِّضوَانِ بَعدَ مَا ذَهَبَ عُثمَانُ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ اليُمنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثمَانَ**» فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثمَانَ**».

فَقَالَ لَهُ ابنُ عُمَرَ: اذهَب بِهَا الآنَ مَعَكَ» رواه البخاريّ.

عباد الله...

وقد وردت في فضائل عثمان - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - أحاديث وآثار، منها:

(١) أخرج البخاري في «صحيحه» عَن أَنَس - رضى الله عنه - قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ أُحُدًا، وَمَعَهُ أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ وَعُثمَانُ، فَرَجَفَ وَقَالَ: «**اسكُن أُحُدُ** - أَظُنُّهُ ضَرَبَهُ بِرِجلِهِ - **فَلَيسَ عَلَيكَ إِلاَّ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**».

(٢) وأخرج البخاري في «صحيحه» أيضًا، عَن أَبِى مُوسَى - رضى الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِى بِحِفظِ بَابِ الحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَستَأذِنُ، فَقَالَ: «**ائذَن لَهُ وَبَشِّرهُ بِالجَنَّةِ**». فَإِذَا أَبُو بَكرٍ.

ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَستَأذِنُ فَقَالَ: «**ائذَن لَهُ وَبَشِّرهُ بِالجَنَّةِ**». فَإِذَا عُمَرُ.

ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَستَأذِنُ، فَسَكَتَ هُنَيهَةً[1] ثُمَّ قَالَ: «**ائذَن لَهُ وَبَشِّرهُ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلوَى سَتُصِيبُهُ**». فَإِذَا عُثمَانُ بنُ عَفَّانَ.

(٣) عَن ابن عمر، قال: كنت مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل إلى النبيّ ﷺ،

---

(١) **هنيهة**: بالتصغير أي: قليلًا.

فصافحه، فلم ينزع النبي ﷺ يده من يد الرجل حتى انتزع الرجل يده، ثم قال له: يا رسول الله، جاء عثمان. قال: «**امرؤ مِن أهل الجَنَّة**»[(١)].

(٤) عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضطَجِعًا فِي بَيتِي كَاشِفًا عَن فَخِذَيهِ أَو سَاقَيهِ، فَاستَأذَنَ أَبُو بَكرٍ فَأَذِنَ لَهُ[(٢)]، وَهُوَ عَلَى تِلكَ الحَالِ، فَتَحَدَّثَ ثُمَّ استَأذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ ثُمَّ استَأذَنَ عُثمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَت عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكرٍ فَلَم تَهتَشَّ لَهُ وَلَم تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَم تَهتَشَّ لَهُ وَلَم تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثمَانُ فَجَلَستَ وَسَوَّيتَ ثِيَابَكَ، فَقَالَ: «**أَلَا أَستَحِي مِن رَجُلٍ تَستَحِي مِنهُ المَلَائِكَةُ؟**»»[(٣)].

قال الإمام النووي - رحمه الله - عقب هذا الحديث: «فيه فضيلة ظاهرة لعثمان وجلالته عند الملائكة، وأنَّ الحياء صفة جميلة من صفات الملائكة» ا.هـ[(٤)].

(٥) وهو - رَضِي الله عَنهُ - الذي جهَّز جيش العُسرة، وذلك لـمَّا جاءت الأنباء تترامى إلى المدينة بإعداد الروم للقيام بغزوة حاسمة ضد المسلمين، كان ذلك سنة تسع، فاستعدّ النبيّ ﷺ لهذه المعركة الفاصلة، وعمَّا حدث يقول ابن إسحاق:

«أَنّ رَسُولَ الله ﷺ أَمَرَ أَصحَابَهُ بِالتّهَيّؤِ لِغَزوِ الرّومِ، وَذَلِكَ فِي زَمَانٍ مِن عُسرَةِ النّاسِ وَشِدّةٍ مِن الحَرّ وَجَدبٍ مِن البِلَادِ، وَحِينَ طَابَت الثّمَارُ وَالنّاسُ يُحِبّونَ المُقَامَ فِي ثِمَارِهِم وَظِلَالِهِم وَيَكرَهُونَ الشّخُوصَ عَلَى الحَالِ مِن الزّمَانِ الّذِي هُم عَلَيهِ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَلّمَا يَخرُجُ فِي غَزوَةٍ إلّا كَنّى عَنهَا، وَأَخبَرَ أَنّهُ يُرِيدُ غَيرَ الوَجهِ الّذِي يَصمُدُ[(٥)] لَهُ، إلّا مَا كَانَ مِن غَزوَةِ تَبُوكَ، فَإِنّهُ بَيّنَهَا لِلنّاسِ لِبُعدِ الشّقّةِ، وَشِدّةِ الزّمَانِ، وَكَثرَةِ العَدُوّ الّذِي يَصمُدُ لَهُ، لِيَتَأَهّبَ النّاسُ لِذَلِكَ أُهبَتَهُ، فَأَمَرَ النّاسَ بِالجِهَازِ وَأَخبَرَهُم

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط»، و«الكبير» وإسناده حسن.
(٢) قَالَ النووي: «هَذَا الحديث ممَّا احتج به المالكية وغيرهم ممّن يقول: ليست الفخذ عورة، ولا حجّة فيه، لأنه مشكوك في المكشوف هل هو الساق أم الفخذان؟» ا.هـ.
(٣) رواه مسلم (٢٤٠١).
(٤) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٥/ ٥٤٥).
(٥) **يصمد**: يقصد.

أَنَّهُ يُرِيدُ الرّومَ»[١].

وقتال الروم ليس صدامًا مع قبيلة محدودة العدد والعُدّة، بل هو كفاح مرير مع دولة تبسط سلطانها على جملة قارات، وتملك موارد كثيرة من الرجال والأموال.

على أن أصحاب العقيدة لا ينكصون أمام الصعاب، والسكوت على تحدّي النصارى لهذا الدِّين ورغبتهم الملحّة في القضاء عليه يعتبر انتحارًا وبوارًا فليتحامل المسلمون على أنفسهم إذًا وليواجهوا مستقبلهم بما يفرض من تضحيات وتفديات.

وللظروف العصيبة التي اكتنفت إعداد هذا الجيش سُمِّي «جيش العُسرة».

والآيات التي أنزلها الله في كتابه - متعلّقة بغزة «تبوك» هي أطول ما نزل في قتال بين المسلمين وخصومهم.

وقد بدأت باستنهاض الهمم لردّ هجوم النصرانية على الإسلام، وإفهام المسلمين مغبّة تقصيرهم في أداء هذه الفريضة، قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُم إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلتُم إِلَى الأَرضِ أَرَضِيتُم بِالحَيَاةِ الدُّنيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبكُم عَذَابًا أَلِيمًا وَيَستَبدِل قَومًا غَيرَكُم وَلَا تَضُرُّوهُ شَيئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التوبة:٣٨، ٣٩].

وأنباء جيش العُسرة تفيض بها صفحات طوال من سورة التوبة.

ولعلّ من البيِّن في أسلوب القرآن وهو يصف هذا الجهاد، أَنَّهُ لم تأخذه هوادة في التنويه بمن اشتركوا فيه، والتنديد بمن تخلّفوا عنه، ولا عجب، فتحديد موقف الإسلام من النصرانية، هو بَتٌّ في مستقبل الدِّين كلّه إلى الأبد.

فإما ثبت المسلمون أمام لدد الكنيسة المتعصّبة، وإما أحرقتهم نارُها، فلم يبق لدينهم أثر.

وكان لهذا الحزم أطيب النتائج، فخرج المسلمون في تعبئة لم يخرجوا من قبل في مثلها، وانطلقوا صوب الشمال، حيث تربض جيوش الروم، وتجلّت - في هذا الإعداد -

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ١٤٠).

طوايا النفوس، ومقدار ما استودعت من إخلاص وسماحة ونشاط، فهناك أغنياء أخرجوا ثرواتهم لتجهيز الجيش وإمداده بحاجته، من الرواحل والسّلاح والخيل، منهم «**عثمان بن عفان**» الذي سبق في بذله سبقًا بعيدًا حَتَّى أن الرسول ﷺ عجب من كثرة ما أنفق، وقال: «**اللهُمَّ ارضَ عن عثمان فإنِّي عنه راضٍ**»[(١)].

ومنهم الفقراء الذين شاقهم الجود بأنفسهم في سبيل الله ثم أعجزتهم الوسائل تبلّغهم الميدان فسحَّت أعينهم الدَّمع لهذا الحرمان[(٢)].

هذه بعض فضائل عثمان - رَضِيَ الله عَنهُ -، وهي تكشف عن شخصية صاغها الإسلام، وسيأتي المزيد بعد قليل إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ومن الآثار التي وردت في فضائل عثمان - رَضِيَ الله عَنهُ -:

(١) عن ابن عُمَر - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا - أَنَّهُ قال في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ [الزمر: ٩]، قال: هو عثمان بن عفَّان[(٣)].

(٢) وعن الحسن - رحمه الله - وذكر عثمان - رَضِيَ الله عَنهُ - قال: «إن كان ليكون في البيت، والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياءُ أن يُقيم

---

(١) ضعيف بهذا اللفظ، واللفظ الصحيح: ما رواه عبد الرحمن بن سمرة - رَضِيَ الله عَنْهُ - قَالَ: جاء عثمان - رَضِيَ الله عَنْهُ - إلى النبيّ ﷺ بألف دينار حين جهّز جيش العُسرة ففرّغها عثمان في حِجر النبي ﷺ، قَالَ: فجعل النبيُّ ﷺ يقول: «**ما ضَرَّ عثمان ما عمل بعد هَذَا اليوم**» قالها مرارًا، أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

(٢) «فقه السيرة» للغزالي (٤٢٥، ٤٢٦) باختصار.

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٧٤).

صُلبه»[١].

عباد الله...

وفضائل عثمان - رَضِي الله عَنهُ - كثيرة، وسيأتي المزيد منها في الجمعة القادمة إن شاء الله، فإلى اللقاء.

اللهُمَّ اغفر وارحم، واعفُ وتكرَّم، وتجاوز عمَّا تعلم، إنك أنت الأعزّ الأكرم.

آمين... آمين... آمين.

(١) **رجاله ثقات**: قَالَ الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٨٢): رواه أحمد، ورجاله ثقات.

الخطبة الثامنة

[ب] مع عثمان بن عفان

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فمازال الحديث موصولًا عن سيرة عثمان بن عفان - رَضِيَ الله عَنهُ -.

عباد الله...

ومرت عجلةُ الزمن، ودارت الأيام، وعثمان - رَضِيَ الله عَنهُ - لا يفارق النبيّ ﷺ، ولَمَّا انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، كانت لعثمان مكانته المتميّزة في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر - رَضِيَ اللَّـهُ عَنهُمَا -.

ولَمَّا مات الخليفتان، اختار أهلُ الشورى عثمان - رَضِيَ الله عَنهُ -.

عن جابر: «أنّ عمر قال قبل موته: إن هذا الأمر لا يزال فيكم ما طلبتم به وجه الله

والدار الآخرة فإذا طلبتم به الدنيا وتنازعتم سلبكموه الله ونقله عنكم ثم لا يرده عليكم أبدًا هل تعلمون أن أحدًا أحق بهذا الأمر من هؤلاء الستة نفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ؟ قالوا: لا.

فلما مات قال عبد الرحمن: أيكم يكفينا النظر ويخرج نفسه فلم يجبه أحد.

فقال: أنا أخرج نفسي وابن عمي سعد بن أبي وقاص فأنظر لكم.

قالوا: نعم.

فخرج عبد الرحمن بن عوف فلم يدع أحدًا بالمدينة من المهاجرين السابقين والأنصار إلا استشاره وكلهم قال عثمان.

فنام فرأى في المنام أن أقرأ قرآنهم فإن استووا فأفقههم فإن استووا فأسنَّهم فانتبه فقال: هل تعلمون هذا اجتمع في أحد منكم غير عثمان فبايعوه».

«ولما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كآبة فأتى منبر النبي ﷺ فخطب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إنكم في دار قُلعة وفي بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فقد أتيتم صُبحتم أو مسيتم ألا إن الدنيا طويت على الغرور، ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الـحَيَاةُ الدُّنيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم باللَّهِ الغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣]. واعتبروا بمن مضى ثم شدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين آثروها ومُتعُوا بها طويلا.

ألم تلفظهم ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب مثلها فقال: ﴿وَاضرِب لَـهُم مَّثَلَ الـحَيَاةِ الدُّنيَا كَمَاءٍ أَنزَلنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاختَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرضِ فَأَصبَحَ هَشِيمًا تَذرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّـهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ مُّقتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥]»[١].

وأقبل النَّاس يبايعونه.

عباد الله...

وفي عهده - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - فتح الله على يديه كثيرًا من الأقاليم والأمصار،

(١) «المنتظم» (٤/ ٣٣٦).

وتوسعت المملكة الإسلامية، وامتدت الدولة المحمدية، وبلغت الرسالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها، وظهر مصداق قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي الأَرضِ كَمَا استَخلَفَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُمُ الَّذِي ارتَضَى لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعدِ خَوفِهِم أَمنًا يَعبُدُونَنِي لاَ يُشرِكُونَ بِي شَيئًا﴾ [النور: ٥٥].

وقوله ﷺ: «**إنَّ الله زوى لي مشارق الأرض ومغاربها، ويبلغ مُلك أمَّتي ما زُوِيَ لي منها**».

وقوله ﷺ: «**إِذَا هَلَكَ كِسرَى فَلاَ كِسرَى بَعدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيصَرُ فَلاَ قَيصَرَ بَعدَهُ، وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَتُنفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**».

وهذا كله تحقق وقوعه وتأكد وتوطّد في زمان عثمان - رَضِيَ الله عَنهُ - وكان - رَضِيَ الله عَنهُ - كريم الأخلاق، ذا حياء كثير، وكرم غزير، يؤثر أهله وأقاربه في الله، تأليفًا لقلوبهم من متاع الحياة الدنيا الفاني، لعله يرغّبهم في إيثار ما يبقى على ما يفنى، كما كان النبيُّ ﷺ يعطي أقوامًا ويدع آخرين، يعطي أقوامًا خشية أن يكبهم الله على وجوههم في النار، ويكل آخرين إلى ما جعل الله في قلوبهم من الهدى والإيمان، وقد تعنت عليه بسبب هذه الخصلة أقوام، كما تعنت بعض الخوارج على رسول الله ﷺ في الإيثار.

وإلى حضراتكم سجل الفتوحات في عهده - رَضِيَ الله عَنهُ -:

سنة أربع وعشرين: افتتح أبو موسى الأشعريُّ الريَّ، وكانت قد فُتحت على يد حُذيفة، وسويد بن مقرن، فانتقضوا.

وفيها: غزا الوليد بن عقبة أذربيجان، وأرمينية، لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه، فسبى وغنم ورجع.

وفيها: استمد أمراء الشام من عثمان - رَضِيَ الله عَنهُ - مددًا، فأمدهم بثمانية آلاف من العراق، فمضوا حَتَّى دخلوا إلى أرض الروم مع أهل الشام، وعلى أهل العراق سلمان بن ربيعة الباهليّ، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة الفهري، فشنوا الغارات،

وسبوا وافتتحوا حصونًا كثيرة.

سنة خمس وعشرين: سار الجيش من الكوفة عليهم سلمان بن ربيعة إلى بَرذعة، فقتل وسبى.

وفيها: انتقض أهل الإسكندرية فغزاهم عمرو بن العاص أمير مصر وسباهم، فردَّ عثمان السبي إلى ذمتهم، وكان ملك الروم بعث إليها منويل الخَصيُّ في مراكب فانتقض أهلها - غير المقوقس - فغزاهم عمرو في ربيع الأول، فافتتحها عنوة غير المدينة، فإنها صلح.

وفيها: استأذن ابن أبي سرح عثمان في غزو إفريقية فأذن له.

سنة ست وعشرين: فُتحت سابور وأميرها عثمان بن أبي العاص.

سنة سبع وعشرين: غزا معاوية بن أبي سفيان قبرص، فركب البحر بالجيوش، وأكمل ابن أبي سرح غزو إفريقية.

سنة ثمان وعشرين: غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم.

وفيها: غزا الوليد بن عقبة أذربيجان مرة أخرى، فصالح أهلها مثل صُلح حذيفة.

سنة تسع وعشرين: افتتح عبد الله بن عامر إصطخر عنوةً فقتل وسبى كثيرًا.

وفيها: انتقضت أذربيجان فغزاهم سعيد بن العاص فافتتحها.

وفيها: غزا ابن عامر وابن بديل الخزاعي أصبهان.

سنة ثلاثين: فُتحت جور من أرض فارس على يد ابن عامر، فغنم كثيرًا.

وفيها: افتتح ابن عامر بلادًا كثيرة من أرض خراسان.

وسار الأحنف بن قيس في أربعة آلاف، فَجُمِعَ له أهل طخارستان، وأهل الجوزجان، والفارياب فاقتتلوا قتالًا شديدًا، ثم هزم الله المشركين وكان النصر، ثم سار الأحنف بن قيس على بلخ فصالحوه، ثم أتى خوارزم فلم يُطقها ورجع، وفتحت هراة، وفتح ابن عامر مرو صلحًا.

سنة إحدى وثلاثين: فُتحت نيسابور صلحًا.

وفيها: معركة الأساور، فغزا عبد الله بن أبي سرح من مصر في البحر، وسار فيه إلى

ناحية مصيصة.

سنة اثنين وثلاثين: كانت وقعة المضيق بالقرب من القسطنطينية، وأميرها معاوية - رَضِي الله عَنهُ -.

سنة ثلاث وثلاثين: غزا معاوية ملطية وحصن المرَّة من أرض الروم.

وفيها: غزا ابن أبي سرح الحبشة.

سنة أربع وثلاثين: كانت غزوة ذات الصواري في البحر من ناحية الإسكندرية، وأميرها ابن أبي سرح.

سنة خمس وثلاثين: غزوة ذي خُشب، وأميرها معاوية - رَضِي الله عَنهُ -.

وفيها: استشهد عثمان بن عفان - رَضِي الله عَنهُ - بمقتله، لينال أجر الشهادة - رَضِي الله عَنهُ -(١).

أيُّهَا المسلمون...

وتعدّدت فضائل هذا الإمام الكبير، والخليفة الراشد، وكثرت مناقبه، وعمَّم عدله، وبان زهده، وفاح شذا ورعه.

فمن مناقبه الكبار، وحسناته العظيمة: أنَّهُ جمع النَّاس على مصحفٍ واحد.

وكتب المصحف على العرضة الأخيرة، التي درسها جبريلُ عليه السلام على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته.

وكان سبب ذلك: أن حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود وأبي الدرداء، وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود وأبي موسى، وجعل مَن لا يعلم بسوغان القراءة على سبعة أحرف يفضل قراءته على قراءة غيره وربما خطَّأ الآخر أو كَفَّرهُ، فأدَّى ذلك إلى اختلاف شديد وانتشار في الكلام السيئ بين النَّاس.

فركب حذيفة إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأُمَّة قبل أن تختلف في

(١) «فرسان النهار» د. سيد العفّاني (٢/ ٢٥٠ - ٢٥٢).

كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كُتبهم، وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة.

فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه، لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة ودفع الاختلاف، فاستدعى بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب وأن يملي عليه سعيد بن العاص الأموي بحضرة عبد الله بن الزبير الأسديّ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش.

فكتب لأهل الشام مصحفًا، ولأهل مصر آخر بعث إلى البصرة مصحفًا، وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحفًا، وإلى اليمين مثله، وأقر بالمدينة مصحفًا، ويقال لهذه المصاحف الأئمة، وليست كلها بخط عثمان بل ولا واحد منها وإنما هي بخط زيد ابن ثابت وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه[١].

وأما عن زهده:

فالحديث عن زهد عثمان - رَضِيَ الله عَنهُ - يطول، ويكفي أن نشير - هنا - إلى ما يلي:

عن عبد الملك بن شداد، قال: «رأيتُ عثمان بن عفان - رَضِيَ الله عَنهُ - يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدني غليظ ثم أربعة دراهم أو خمسة دراهم وريطة[٢] كوفية ممشقة[٣]».

وعن الحسن وسُئل عن القائلين في المسجد فقال: «رأيتُ عثمان بن عفان

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٧٧).

(٢) **الريطة**: كل ملاءة تكون قطعة واحدة ونسجًا واحدًا وليس لها لفقان: أي: شقتان.

(٣) **ممشقة**: أي: مصبوغة بالمشق وهو المغرة.

- رَضِي الله عَنهُ - يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة. قال: ويقوم وأثر الحصى بجنبه. قال: فيقال: هذا أمير المؤمنين، هذا أمير المؤمنين».

وأما عن عدله:

فعن أبي الفرات، قال: «كان لعثمان - رَضِي الله عَنهُ - عبدٌ فقال له: إنِّي كنتُ عركتُ أُذنك فاقتص منِّي، فأخذ بأذنه، ثم قال عثمان - رَضِي الله عَنهُ -: شدد يا حبذا قصاص في الدُّنيا، لا قِصاص في الآخرة».

عباد الله...

وبعد هذه المناقب، وتعدّد ما سبق من فضائل، ماذا حدث؟

افتعل الذين يبيِّتون شرًّا بأمّة الإسلام مشكلات، ونسجوا من أوهامهم أباطيل وترّهات، وحاكوا ضد ذي النُّورين المؤامرات، ليتسنّى لهم القضاء عليه، وإزهاق روح دولة الإسلام.

فأشاعوا أخبارًا كاذبة، واتهموا الخليفة الراشد الثالث باتهامات هو منها براء، وكان الذي تولّى كِبَرَ هذه الإشاعات «عبد الله بن سبأ» وهو يهوديّ ادَّعى الإسلام، ليمكر به وبأهله.

وكان من جملة الافتراءات:

(١) قولهم: إن عثمان لم يَقتُل عُبيد الله بن عُمَر بالهرمزان.

والجواب: هنا ثلاثة توجيهات لعدم قَتلِ عبيدِ الله بالهُرمُزَانِ:

الأوّل: أنَّ الهُرمُزانَ تَمالأَ مع أبي لُؤلُؤةَ على قَتلِ عُمَرَ كَمَا رآهما عبدُ الرَّحمن بن أبي بكر، وبهذا يكونُ مُستحِقًّا للقَتلِ كما قال عُمَر: «لو تَمَالأَ أهلُ صَنعاءَ على قَتلِ رَجُلٍ لَقَتَلتُهُم به» [(١)]، فهنا يكونُ دَمُ الهُرمُزانِ مُباحًا، لأَنَّهُ شاركَ في قَتلِ عُمَر.

الثاني: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يقتُل أُسامة بن زَيدٍ لَـمَّا تأوَّل في عَهدِه، وذلك أَنَّهُ في إحدى المَعَارِكِ رَأى رجلًا من المُشركِينَ قَد قَتَلَ من المُسلمينَ الكثيرَ، فَذَهبَ إليه فلمَّا رآه المُشرِكُ

---

(١) رواه البخاري (٦٨٩٦).

فَرَّ منه ثُمَّ اختبَأَ خلفَ شَجَرةٍ، وقَالَ: أشهدُ أنَّ لا إله إلَّا اللهُ، فَقَتَله أُسَامةُ فَلَمَّا بَلَغَ النَّبيَّ ﷺ هذا الأمرُ استَدعَى أُسَامةَ فَقَالَ: «**أَقَتَلتَهُ بعد أن قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ؟**». قال: إنَّما قَالَهَا تَعَوُّذًا - يعني خائفًا من السَّيفِ - فقال النَّبيُّ ﷺ: «**هَلَّا شَقَقتَ عَن قَلبِه**» فَمَا زال يُرَدِّدُها عَلَيَّ «**أَقَتَلتَهُ بعد أن قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ؟**». حَتَّى تَمَنَّيتُ أنِّي لم أُسلِم إلَّا الآن[1].

فالنَّبيُّ ﷺ لم يُقِم الحَدَّ على أُسامة؛ لأنَّه كان مُتأوِّلًا، فكذلك الحالُ بالنِّسبة لعُثمان لم يُقِم الحَدَّ على عبيدِ الله بن عُمَرَ، لأنَّه كان مُتأوِّلًا.

الثالث: قيل: إن الهُرمزانَ لم يَكُن له وَلِيّ، والمَقتُولُ الذي لا وَلِيَّ له وليُّه السُّلطانُ، فَتَنَازلَ عن القَتلِ. وقيل: إنَّ له ولدًا يقال له: القامذبان، وأَنَّهُ تَنازَلَ عَن دَم عبيدِ الله بن عُمَر[2].

(٢) قولهم: إن عثمان ولَّى أقاربه كعبد الله بن عامر، والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن أبي السّرح، وسعيد بن العاص، وعزل كبار الصحابة.

والجواب: «هؤلاء خمسةٌ ولَّاهم عثمان، وهم من أقاربه، وهذا في زعمهم مَطعَنٌ عليه، فَلنَنظُر إلى بَاقي وُلَاةِ عُثمان - رَضِي الله عَنهُ -:

أبو مُوسَى الأشعري، القَعقَاع بن عَمرو، جَابِر المُزَنيّ، حبيب بن مَسلمَة، عبد الرَّحمن بن خَالِد بن الوَليد، أبو الأعوَر السُّلمِي، حَكيم بن سَلَامة، الأشعَث بن قَيس، جَرير بن عبد الله البجَلِيّ، عُتَيبة بن النَّهاس، مَالِك بن حَبِيبِ، النّسير العَجَليّ، السَّائب ابن الأقرع، سعيد بن قَيس، سَلمَان بن ربيعة، خنيس بن خبيش.

هؤلاء هُم ولاة عثمان - رَضِي الله عَنهُ - وبنظرةٍ سريعةٍ نَجدُ أنَّ عدد الولاة من أقاربِ عثمان أقلُّ بكثير من غيرهم، وبخاصَّة إذا عَلِمنا أنَّ النبيَّ ﷺ كان يولِّي بني أُميَّة أكثر من غيرهم.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لا نعرفُ قبيلةً من قَبَائلِ قُرِيشٍ فيها عُمَّالٌ

---

(١) رواه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (١٥٨) (٩٦).

(٢) قصّة تنازل القامذبان عن قتل عبيد الله في «تاريخ الطبري» (٣/ ٣٠٥)، ولكنها من طريق سيف ابن عمر الكذّاب، وانظر «حقبة من التاريخ» للشيخ عثمان محمد الخميسي (١٥٤، ١٥٥).

لرسولِ الله ﷺ أكثر من بني أُمَيَّة، لأنَّهم كانوا كثيرين، وفيهم شَرَفٌ وسُؤدُدٌ»[١].

والولاة الذين وَلَّاهُم النبي ﷺ واستَعمَلَهُم من بني أُميَّةَ هُم: عَتّاب بن أُسيد، أبو سُفيانَ بن حَربٍ، خَالِد بن سَعيدٍ، عُثمان بن سَعيدٍ، أبان بن سعيدٍ، هؤلاء خمسة كعدد الذين وَلّاهم عثمان - رَضِي الله عَنهُ -.

ثُمَّ يُقال بعد ذلك: إنَّ هؤلاء الولاة لم يَتَوَلَّوا كلُّهم في وقتٍ واحدٍ بل كان عثمان - رَضِي الله عَنهُ - قد وَلَّى الوليدَ بن عقبةَ ثُمَّ عَزَلَه فَوَلَّى مكانه سعيد بن العاصِ فلم يكونوا خمسة في وقتٍ واحدٍ.

وأيضًا لم يُتوفَ عثمانُ إلَّا وقد عَزَلَ أيضًا سعيد بن العاص[٢]، فعندما تُوفِّي عثمانُ لم يكن من بني أُميَّة من الولاةِ إلا ثلاثة، وهم: مُعاويةُ، وعبد الله بن سعدِ بن أبي السَّرح، وعبد الله بن عَامر بن كريزٍ، فقط[٣].

وهنا أمرٌ يجب التَّنبُّهُ إليه: وهو أنَّ عُثمان عَزَل الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص من الكوفة، الكوفةُ التي عَزَل منها عُمَر سَعيد بن أبي وقاص وعزل ابن مسعود.

وعزل عثمان منها أبا موسى والوليد وغيرهما.

الكوفة التي دعا عليّ على أهلها.

الكوفة التي غدر أهلها بالحسن بن عليّ.

الكوفة التي نقض أهلها العهد مع مسلم بن عقيل.

وأخيرًا وليس آخرًا: الكوفة التي قتل أهلها الحسين بن عليّ.

الكوفةُ التي لم تَرضَ بوالٍ أبدًا.

إذًا عَزلُ عثمان - رَضِي الله عَنهُ - لأولئك الولاةِ لا يعتبرُ مطعنًا فيهم، بل مطعنًا في المدينةِ التي وُلُّوا عليها، ثُمَّ هل أثبَتَ هؤلاءِ الولاةُ كفاءَتهم أو لا؟ وهذه شهادتُ أهلِ العِلمِ في أولئك الولاةِ الذين وَلَّاهُم عُثمانُ رَضِي الله عَنهُ»ا.هـ[٤].

---

(١) «منهاج السنة» (٦/ ١٩٢).
(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ٤٤٥).
(٣) المرجع السابق.
(٤) «حقبة من التاريخ» (١٣٦، ١٣٧).

الأول: معاوية بن أبي سفيان - رَضِي اللَّهُ عَنهُمَا -:

قال ابن كثير - رحمه الله -: «هو خال المؤمنين، وكاتب وحي رسولَ ربِّ العالمين» .هـ[1].

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قد دعا له: فَعَن عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ أَبِى عَمِيرَةَ - وَكَانَ مِن أَصحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - عَنِ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ: **«اللهُمَّ اجعَلهُ هَادِيًا مَهدِيًّا وَاهدِ بِهِ»**[2].

وقال عنه الذهبيُّ - رحمه الله -: «وكان مُحَبَّبًا إلى رعيته، عمل نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يهجه أحد في دولته، بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم...» ا.هـ[3].

الثاني: عبد الله بن سعد بن أبي السَّرح:

أسلم عبد الله في حياة النبيّ ﷺ ثم ارتدّ عن الإسلام، ثم أسلم وحسنَ إسلامه.

قال ابن عبد البرّ: «أسلم عبد الله بن سعد بن أبي السّرح أيام الفتح، فحسُن إسلامه، ولم يظهر منه ما يُنكر عليه بعد ذلك.

وهو أحد النُّجباء العقلاء الكرماء من قريش، وفارس بني عامر بن لؤيّ المعدود فيهم» ا.هـ.

وكان - رَضِي الله عَنهُ - من خير الولاة وقادة الفتح، وهو الذي فتح إفريقية.

قال الإمام الذهبيّ - رحمه الله -: «لم يتعدّ، ولا فَعَلَ ما يُنقَمُ عليه بعد أن أسلَم عام الفتح، وكان أحدُ عُقلاءِ الرِّجال وأجودهم» ا.هـ[4].

وشارك - رَضِي الله عَنهُ - في حروب الرِّدة وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وكان فارسًا من

---

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٦١٩).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٦٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٣٣)، وللمزيد: راجع ترجمته في كتاب «أصحاب حول الرسول» ط. التوفيقية.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٤).

فرسان المسلمين يوم اليرموك.

ولما احتُضر - رَضِيَ الله عَنهُ - جعل يقول من الليل: آصبحتم؟ فيقولون: لا، فلمَّا كان الصُّبح قال: إنِّي لأجدَ بَردَ الصُّبح، ثم قال: «اللهُمَّ اجعل خاتمة عملي الصُّبح»، فتوضأ ثم صلّى، فقرأ في الأولى بأمّ القرآن والعاديات، وفي الأخرى بأمّ القرآن وسورة، وسلّم عن يمينه، وذهب يسلّم عن يساره فقُبض- رَضِيَ الله عَنهُ -.

عباد الله...

وللحديث بقيّة، ستأتي بعد قليل إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

والثَّالث: سعيدُ بن العاص:

كان من خِيار أصحابِ رَسُول الله ﷺ، حتى قالَ الذَّهبيُّ عنه: «كانَ أ ميرًا شَرِيفًا جَوَادًا، مَمدُوحًا، حَلِيمًا، وقُورًا، ذَا حَزمٍ، وعَقلٍ يَصلُحُ للخِلَافةِ» [١].

الرَّابع: عبد الله بن عَامر بن كريزٍ:

هو الذي فَتَحَ بِلَادَ كِسرَى وخُرَاسان، وانتَهَت دَولةُ فارس في زَمَنِ عُثمانَ على يَدِه، وفَتَح سَجِستَان وكَرمَان وغيرهما من البلاد، قال عنه الذَّهبيُّ: «كَانَ من كِبارَ مُلُوكِ العَرَبِ وشُجعَانِهم وأجوَادِهم» [٢].

الخامس: الوليدُ بن عُقبةَ:

وقد نُقِمَ على الوليد بن عُقبة أمَرانِ اثنانِ:

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٤٥).

(٢) نفس المرجع (٣/ ٢١).

الأوَّل: قالوا: نَزَلَ فيه قَولُ الله تَبارَكَ وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَومًا بِجَهَالَةٍ فَتُصبِحُوا عَلَى مَا فَعَلتُم نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات: ٦].

على المَشهُورِ في كُتُبِ التَّفسيرِ أنَّ هذه الآية نَزَلت عِندَمَا أَرسَلَ النَّبيُّ ﷺ الوليد بن عُقبة ليجبِيَ صَدَقات بني المُصطَلِقِ، فَلَمَّا انطلق وَجَدهُم قد قَدِمُوا عَليه فَخَافَ ورَجَع إلى النَّبيِّ ﷺ، وقال: إنَّهم أرَادوا قَتلي، فَغَضِبَ النَّبيُّ ﷺ عَليهم، وأرسَلَ خَالد بن الوليد، ثُمَّ أَمَرَ النَّبيُّ ﷺ بالتَّثَبُّت من الأمر عِندما أنزلَ الله تبارك وتعالى هذه الآية، فلَمَّا تَبَيَّنُوا الأمرَ قالوا: لم نَأتِ لِنُقَاتِلَ، وإنَّما جئنا بِصَدقاتِنَا لَمَّا تأخَّر عَلينا رَسُول رَسُول الله ﷺ.

الثاني: قالوا كانَ يُصَلِّي الفَجر وهو سَكران، وصَلَّى بهم الفَجرَ أربعَ ركعاتٍ، ثُمَّ سَلَّمَ وقال: أَزِيدُكُم؟ فقالوا له: أنتَ منذُ اليوم في زِيادةٍ، ثُمَّ ذَهَبُوا إلى عُثمان واشتكوه فَجَلده عثمان حدَّ الخَمرِ.

وقد ثبت في «صحيح مسلم» أنَّ عُثمانَ جَلَدَهُ في حَدِّ الخَمرِ[١].

أما الأمرُ الأوَّلُ: فهو المَشهورُ عندَ أهل التَّفسير[٢] أنَّ الوليد بن عُقبة هو الذي نَزَلت فيه هذه الآيةُ ولكن لا يَلزمُ أن يَكُونَ فَاسِقًا، لأنَّ الله تَبارك وتَعَالى إنَّما أَعطَى حُكمًا عامًّا لكلِّ مَن جَاءَ بِخَبَرٍ، وإن كَانَ اللَّـهُ تَبارك وتَعَالى سَمَّاه فَاسِقًا يَعنِي هذا أن يَظَلَّ فَاسِقًا طَوَال عُمُره؟

فاللَّـهُ تبارك وتعالى قال: ﴿**وَالَّذِينَ يَرمُونَ المُحصَنَاتِ ثُمَّ لَـم يَأتُوا بِأَربَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجلِدُوهُم ثَمَانِينَ جَلدَةً وَلاَ تَقبَلُوا لَـهُم شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعدِ ذَلِكَ وَأَصلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النور: ٤، ٥].

ولو فَرَضنا أنَّ هذه الآية نَزَلت في الوليد بن عُقبةَ، أليست له توبةٌ؟![٣]

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٠٧).

(٢) سيأتي تخريج الحديث الوارد في هَذَا الشأن بعد قليل، إن شاء الله تعالى.

(٣) ليست لهذه القصة سند موصول صحيح، وأقلّ ما يوصف به السند أنَّهُ ضعيف، ويدلّ على ذَلِكَ أيضًا: أن الوليد بن عقبة كان يوم الفتح صغيرًا. وللمزيد: راجع مقدمة كتابي: «رجال ونساء مبشّرون بالنار» ط. التوفيقية، فهناك دافعنا عن هَذَا الصحابي الجليل، ولم نذكره ضمن من ذكرناهم في هَذَا الكتاب المتقدم ذكره.

أمَّا شُربُه الخَمر فهذه أوَّلًا عِلمُهَا عند الله تَبَارك وتَعَالى، لا تَكذيبًا لصحيح مُسلم، فهو قَد جُلد على الخَمر، ولكِن هَل ثَبتَ عنه أَنَّهُ شَرِبَ الخَمر أو لا؟ هذا أمرٌ آخر.

فالوليدُ بن عُقبة لَـمَّا كان واليًا على الكوفةِ، خَرجَ اثنانِ من أهلِ الكُوفةِ إلى عثمان ابن عَفَّان في المدينة، وقالا له: رأينا الوليد بن عُقبة صَلَّى بنا الفَجر وهو سَكران، قالَ أحدُهما: رأيتُه سَكرَانَ، وقال الآخرُ: رأيتُه يَتَقَيَّأهَا.

فقال عثمان: ما تَقَيَّأهَا إلَّا بعد أن شَرِبَها.

وكانَ عليٌّ - رَضِيَ الله عَنهُ - حاضرًا، ومعه الحسنُ بن عليٍّ، وعبدُ الله بن جعفر رضي الله تَبارك وتعالى عنهم أجمعين، فأَمَرَ عُثمانُ بجلدِ الوليد بن عُقبة، ثُمَّ عَزَله عن الكوفةِ، ولكن شَكَّك بعضُ أهلِ العلمِ في شَهادةِ الشَّاهِدَين، لا في صِحَّة القِصَّة، نَعَم هو جُلِدَ كما في «صحيح مسلم» ولكن هَل كَانَ الشَّاهدانِ صَادِقَينِ أم لا؟

مَن أرادَ التَّوسُّع في هذه المسألةِ فَليرجِع إلى كِتاب «العَوَاصِمُ من القَوَاصِم» بتحقيق مُحبّ الدِّين الخطيب فإنَّه طَعَنَ في شَهَادةِ الشَّاهدَين وبيَّن أنَّهما ليسا من الثِّقاتِ[١].

وإن ثَبَتَت فهذه لَيسَت بمطعنٍ على عُثمان، فقد ثَبت عنده أنَّهُ شَرِبَ الخَمر فَجَلَدَهُ وعَزَلهُ، فهل أخطأَ عُثمان؟ وَاقِعُ الأمرِ أنَّهُ لم يُخطئ، بل هَذِه مَنقَبَةٌ له - رَضِيَ الله عَنهُ -، فَقَد عَزَلَ وجَلَدَ قَرِيبَهُ وَوَاليه ولم يُحابِهِ، وهل الوليدُ بن عُقبة مَعصومٌ؟ ونحن قد ذَكَرنا في بِداية حَديثنا أنَّنَا لا نَدَّعِي العِصمة في أصحابِ النَّبيّ ﷺ، وقد وَقَعَ في زَمَنِ عُمَر - رَضِيَ الله عَنهُ - شَيءٌ من هذا حين شَرِبَ ابنُ مَظعُون الخَمر وتأوَّل قولَ الله تَبَارك وتعَالى: ﴿**لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحسَنُوا وَاللَّـهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ**﴾ [المائدة: ٩٣].

فَبَيَّن له عُمَر الصَّواب، ثُمَّ عَزَلَه - رَضِيَ الله عَنهُ -، فَهَؤلاءِ هم وُلَاةُ عُثمان، الوحيدُ الذي يُمكِنُ أن يُطعنَ فيه هو الوَليد بن عُقبة، وليس فيه مَطعنٌ على عُثمان، وإن كانَ هناك مَطعنٌ، فهو على الوليد بن عُقبة نَفسِه». ا.هـ[٢].

---

(١) «العواصم من القواصم» (١٠٧، ١٠٨) الحاشية.

(٢) «حقبة من التاريخ» (١٤٠ - ١٤٤) باختصار.

عباد الله...

وبهذا القدر نكتفي، وسنردّ على بقية الافتراءات التي أشاعها الأفّاكون عن عُثْمان - رَضِي الله عَنهُ - في الجُمعة القادمة إن شاء الله. فإلى اللقاء.

اللهُمَّ اهدنا، واجعلنا سببًا لمن اهتدى.

آمين... آمين... آمين.

الخطبة التاسعة

[جـ] استشهاد عثمان رَضِي الله عَنهُ

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فما زالت الردود متتابعة على افتراءات المفترين على عُثمان بن عفَّان رَضِي الله عَنهُ.

عباد الله...

ومن أقوال المفترين على عثمان - رَضِي الله عَنهُ -: إنَّه أمر بنفي أبي ذرّ - رَضِي الله عَنهُ - إلى الرّبذة.

والجواب: أن أبا ذرّ هو الذي اختار ذلك، ووافق عليه عثمان[1].

(١) «العواصم من القواصم» لأبي بكر العربي (٧٣ - ٧٧).

ومن أقوالهم: أَنَّهُ ضَرَب ابن مسعود، وعَمَّار بن ياسر.

والجواب: أن ذلك إفكٌ مفترى، فأين السّند المتّصل، والرواة العدول لثبوت ذلك؟ وعلى فرض ثبوت ذلك، فإن الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول: «إن قيل: إن عثمان قد ضَرب ابن مسعود وعمّار، فهذا لا يقدح في واحدٍ منهم، فإنا نشهد أن الثلاثة في الجَنَّة، وأنهم من أكابر أولياء الله المتقين، ولقد ضرب عُمَر أُبيّ بن كعب بالدرة لَـمَّا رأى النَّاس يمشون خلفه، وقال: «ذلّة للتابع، وفتنة للمتبوع» ا.هـ[1].

ومن أقوالهم: إنَّهُ ردَّ طريد رسول الله ﷺ «الحكم بن العاص».

والجواب: قال ابن تيمية - رحمه الله -: «لم تثبت من الأصل، وليس لها إسناد» ا.هـ.

ومن أقوالهم: أَنَّهُ حرَّق المصاحف[2]:

والجواب: قال عليّ بن أبي طالب - رَضِي الله عَنهُ -: «... فوالله ما حرقها إلَّا على ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ، جمعنا وقال: ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف النَّاس فيها، يلقى الرَّجلُ الرجلَ فيقول: قراءتي خيرٌ من قراءتك، وهذا يجرُّ إلى الكُفر، فقلنا: ما الرأي؟ قال: أريد أن أجمع النَّاس على مصحف واحد، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان مَن بعدكم أشدّ اختلافًا، فقلنا: نِعمَ ما رأيت».

هذا؛ وكان حذيفة بن اليمان - رَضِي الله عَنهُ - قد أشار على عثمان - رَضِي الله عَنهُ - بجمع النَّاس على مصحف واحد[3].

«هذا؛ والمَصَاحِفُ التي أحرَقَهَا عُثمانُ فيها أشيَاء من مَنسوخِ التِّلاوةِ وقد أبقَاه بعضُ الصَّحَابةِ.

وفيها: ترتيبُ على غيرِ التَّرتيبِ الذي في العَرَضَةِ الأخِيرة التي عَرَضَها جِبرِيلُ على النَّبيِّ ﷺ.

---

(١) «منهاج السنة» (٣/ ١٩١).

(٢) وجمعهم على مصحف واحد كما تقدّم.

(٣) انظر «صحيح البخاري» (٤٩٨٧).

وفي بعضِ المَصَاحِف تَفسيراتٌ لبعضِ الصَّحابةِ، لذلك أمَرَ عُثمانُ بإحراقِ تلك المَصَاحِف، وكَتَب المُصحفَ الوَحيدَ وفيه القَرَاءاتُ، ولم يَلغِ القِراءات الثَّابتة عن النَّبيِّ ﷺ».

وقالَ بعضُ أهلِ العِلمِ: بل تَرَكَ حَرفًا واحِدًا فقط وهو مَا كانَ على لِسَانِ قُرَيشٍ.

قال ابنُ العربيِّ - رحمه الله - عن جَمع القُرآنِ وإحراقِ بَقيَّةِ المَصَاحِف: «تِلك حَسَنَتُهُ العُظمَى، وخَصلَتُهُ الكُبرَى، فإنَّهُ حَسَمَ الخِلَافَ وحَفَظَ اللـهُ القُرآنَ على يَدَيهِ»[1].

فَهذِه مَنقَبةُ لِعُثمانَ، جَعَلُوها من مَسَاوِئِه ومَثَالِبِهِ - رَضِي الله عَنهُ - وأرضَاه.

ومَن يكن ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ يجد مُرًّا به الماءَ الزُّلالا[2]

ومن أقوالهم: إنَّهُ أتمَّ في السَّفر.

وقَد صَلَّى الرَّسُولُ ﷺ في السَّفرِ ركعتين، وصَلَّى أبو بكرٍ في السَّفرِ ركعتين، وصَلَّى عُمَر في السَّفر ركعتين، وصَلَّى عُثمانُ صَدرًا من خِلَافَتِهِ في السَّفر ركعتين ثمَّ أتمَّ في السَّفرِ.

والجوابُ هو:

أوَّلًا: هذه مسألةُ فِقهيَّةٌ اجتِهَاديَّةٌ اجتَهَدَ فيها عُثمان فأخطَأَ فَكَانَ ماذا؟ هَذا إذا كَانَ قد أخطَأَ فِعلًا.

وهل هذا الأمرُ يُبيح دَم عُثمان؟ ومَن المَعصُوم غير رَسُول الله ﷺ ؟ ثُمَّ إنَّ في هذه المسألةِ خِلافًا بين أهلِ العِلم، وأكثرُ أهلِ العِلم على أنَّ القَصرَ في الصَّلاةِ سُنَّةٌ مُستَحَبَّةٌ[3]، فإذا كانَ عُثمانُ فَعَلَ شيئًا هو أنَّهُ تَرَكَ المُستحَبَّ فقط، وفَعلَ الجَائزَ، أو تَرَكَ الرُّخصة وفَعلَ العَزيمةَ.

أمَّا لماذا أتمَّ عُثمانُ؟ فقد قيل لأحدِ أمرين:

١- لأنَّه تأهَّل - أي تَزَوَّج - في مَكَّة فكَانَ يَرَى أنَّهُ في بَلدِهِ ولذلك أتمَّ هناك.

---

(١) «العواصم» (ص٨٠).

(٢) «حقبة من التاريخ» (١٤٧، ١٤٨).

(٣) وبه قَالَ مالك والشافعيّ والأوزاعيّ وأحمد، انظر «المغني» (٢/ ٥٤).

٠- إنَّه خَشِي أن يُفتنَ الأعرابُ ويَرجِعوا إلى بِلادِهم فيَقصُرونَ الصَّلاةَ هناك، فأتمَّ حَتَّى يُبيِّنَ لهم أنَّ أصلَ الصَّلاةِ أربعُ ركعات، والعلمُ عند الله تَبارك وتعَالى.

ولَمَّا أتمَّت عائشةُ في السَّفرِ رضي الله عنها قَالُوا لِعُروة: مَاذَا أرَادَت عائِشةُ؟ قال: تَأوَّلت كَمَا تأوَّلَ عُثمان رضي الله عنهم أجمعين، فالقَصدُ أنَّ عُثمان تَأوَّلَ[1].

ومن أقوالهم: إنَّهُ لم يحضر بدرًا، وفرّ يوم أُحُد، وغابَ عن بيعة الرِّضوان.

والجواب: تقدّم في ردّ ابن عُمَر - رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا - على السائل الذي جاء من مِصر.

ومن أقوالهم: إنَّهُ زاد الأذان الثاني يَومَ الجُمعة.

والجواب: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «...**فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ من بَعدي**»[2].

وهذه الزِّيَادةُ من سُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشدينَ، ولاشكَّ أنَّ عُثمان من الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ، ورَأى مَصلَحةً في أن يُزَادَ هذا الأذَانُ لِتَنبيه النَّاس عن قُربِ وَقتِ صَلاةِ الجُمعةِ بعد أن تَّسعت رُقعةُ المَدينةِ، فَاجتَهدَ في هذا وَوَافَقَه جميعُ الصَّحابةِ، واستَمرَّ العملُ به لم يُخَالِفهُ أحدٌ حَتَّى في زَمَن عليٍّ وزَمَنِ مُعَاوية وزَمِنِ بني أُمَيَّةَ وبني العَبَّاسِ، وإلى يَومِنا هذا لم يُخالِفهُ أحدٌ من المُسلمينَ، فهي سُنَّةٌ بإجماعِ المُسلمينَ[3].

ثُمَّ هُوَ أصلٌ في الشَّرعِ، وهو الأذَانُ الأوَّلُ في الفَجر، فَلَعلَّ عُثمان قَاسَ هذا الأذَانَ عليه». ا.هـ[4].

---

(١) «حقبة من التاريخ» (١٤٩، ١٥٠).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦).

(٣) قَالَ الشيخ الألباني في «الأجوبة النافعة» (٢٨): «إنما زاد الأذان الأوّل لعلّة معقولةً؛ وهي كثرة النَّاس وتباعد منازلهم عن المسجد النبويّ فأراد إعلامهم بدخول الوقت، ولا يخفى أن هَذَا الإعلام حاصل في عصرنا بدون زيادة هَذَا الأذان، إذ لا يكاد المرء يمشي خطوات حتى يسمع أذان الجُمعة من مكبرات الصوت» ا.هـ. مختصرًا.
قلت: ويُعْمل بأذان عثمان إذا اقتضت الحاجة.

(٤) «حقبة من التاريخ» (١٥٦).

عباد الله...

وعلى الرغم من دفع هذه الشبهات، وتجلية الأمور، إلَّا أنَّ ابن سبأٍ أخذ ينفث سمومه، ويثير النَّاس ابتغاء الفتنة، ومكرًا بالأُمّة الإسلامية.

والتفّ النَّاس حوله، وتعاهدوا، وتعاقدوا على قتل عثمان - رَضِيَ الله عَنهُ -.

وكان النَّبيّ ﷺ وهو الصَّادق المصدوق قد أخبر بمقتله، وأنَّهُ سَيُقتَلُ ظُلمًا:

ومن هذه الأحاديث:

(١) عَن عَائِشَةَ رَضِي الله عَنها قَالَت: «أَرسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُثمَانَ بنِ عَفَّانَ فَجَاءَ فَأَقبَلَ عَلَيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَينَا إقبال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقبَلَت إِحدَانَا عَلَى الأُخرَى، فَكَانَ مِن آخِرِ كَلاَمٍ كَلَّمَهُ أَن ضَرَبَ مَنكِبَهُ وَقَالَ: «**يَا عُثمَانُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَسَى أَن يُلبِسَكَ قَمِيصاً فَإِن أَرَادَكَ المُنَافِقُونَ عَلَى خَلعِهِ فَلاَ تَخلَعهُ حَتَّى تَلقَانِي**» ثلاثًا[1].

(٢) عَن مُوسَى بنُ عُقبَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي جَدِّي أَبُو أُمِّي أَبُو حَبِيبَةَ أَنَّهُ دَخَلَ الدَّارَ وَعُثمَانُ مَحصُورٌ فِيهَا، وَأَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيرَةَ يَستَأذِنُ عُثمَانَ فِي الكَلاَمِ فَأَذِنَ لَهُ، فَقَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثنَى عَلَيهِ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّكُم تَلقَونَ بَعدِي فِتنَةً وَاختِلاَفاً** - أَو قَالَ - **اختِلاَفاً وَفِتنَةً**». فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنَ النَّاسِ: فَمَن لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**عَلَيكُم بِالأَمِينِ وَأَصحَابِهِ**». وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى عُثمَانَ بِذَلِكَ[2].

والمقصود: أنَّهُ بعد أن أُثيرَت هذه الأمورُ على عُثمان - رَضِي الله عَنهُ - خَرجَ أُناسٌ من أهلِ البصرةِ وأُناسٌ من أهلِ الكوفةِ، وأُناسٌ من أهلِ مِصرَ إلى المدينةِ في السَّنةِ الخَامِسةِ والثَّلاثين من هِجرةِ النَّبيِّ ﷺ يُظهِرون أنَّهُم يُرِيُدون الحَجَّ وقَد أبطَنُوا الخُروجَ على عُثمانَ رَضِي الله عَنهُ وأرضَاهُ.

واختُلِف في أعدَادِهم، فقيل: إنَّهُ ألفَانِ من أهلِ مِصر، وألفَانِ من أهلِ الكُوفةِ، وألفَانِ من أهلِ البصرَةِ. وقيل: إنَّ الكلَّ ألفانِ، وقيل غير ذلك، وليسَت هناك إحصائيَّة

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» برقم (٢٤٩٢٠).

(٢) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» برقم (٨٥٤٩)، وقال ابن كثير: إسناده جيد حسن.

دَقِيقَة، ولكِنَّهُم لا يَقِلُّون عن ألفين ولا يَزيدُون عن سِتَّةِ آلافٍ بأيِّ حالٍ من الأحوَالِ.

دَخَلُوا مدينةَ رَسُول الله ﷺ، وكانَ أُولئكَ القَومُ من فُرسانِ قَبَائِلهم جَاءُوا لِعَزلِ عُثمانَ إمَّا بالتَّهديدِ وإمَّا بالقُوَّةِ، وحَاصَرُوا بيتَ عُثمانَ رضي اللَّـهُ تَبَارك وتَعَالى عنهُ في أواخِرِ ذِي القِعدةِ، وأمَرُوه أن يَخلَعَ نَفسَهُ من الخِلافةِ، واستَمَرَّ الحِصَارُ إلى الثَّامن عشر من ذِي الحِجَّة، وهو يَومُ مَقتلِ عُثمانَ رضي اللَّـهُ تَبَاركَ وتَعَالى عنهُ.

لَـمَّا حُوصِرَ عُثمانُ - رَضِيَ الله عَنهُ - في بَيتِهِ ومُنِعَ من الصَّلاةِ بل ومِن المَاءِ، فكان يُصَلِّي بالناس رجلٌ من أئمةِ الفِتنةِ حَتَّى إنَّ عُبيد الله بن عُدي بن الخيار دخل على عُثمان فقال: يُصلي بالناس إمامُ فتنةٍ فما تأمرنا؟ قال: الصلاةُ أحسنُ ما يعملُ الناسُ، فإذا أحسنَ الناسُ فأحسن معهم، وإذا أساءُوا فاجتنب إساءتهم [١].

وقد دَخلَ بعضُ أصحابُ رسولِ الله ﷺ بيت عثمان كلُّهم يريدُ الدِّفاع عنه وكانَ من أشهرِ الذين جَلَسُوا عندهُ في بَيتهِ: الحَسنُ بن عليٍّ، عَبد الله بنُ الزُّبير، أبو هُرَيرةَ، مُحَمَّد بنُ طَلحَةَ بن عبيدِ الله (السَّجَّاد)، وعبدُ الله بن عُمَر، وقد شَهَرُوا سُيُوفَهُم في وَجهِ أولئك البغاةِ الذين أرَادُوا قَتلَ عُثمانَ رضي اللَّـهُ تَبَاركَ وتَعَالى عَنهُ [٢].

ولكنَّ عُثمانَ أمرَ الصَّحابةَ بعدمِ القِتَالِ، بل إنَّهُ جَاءَ في بعض الرِّوَاياتِ أنَّ الذين جَاءُوا للدِّفاعِ عن عُثمان أكثر من سَبعُمائةٍ من أبناءِ الصَّحابةِ، ولكن حَتَّى هؤلاء السَّبعمائة لا يَصِلُون إلى عَدَدِ أولئك البُغَاةِ على القَولِ بأنَّ أقلّ عَدَدٍ أنَّهم ألفانِ.

عَن عبد الله بن عَامرِ بن ربيعة قال: كُنت مع عُثمانَ في الدَّارِ، فَقَالَ أعزِمُ على كلِّ مَن رأى أنَّ عليه سَمعًا وطاعةً إلَّا كَفَّ يَدَهُ وسِلاحَهُ [٣].

وعن ابن سِيرِينَ قال: جَاءَ زيدُ بن ثَابتٍ إلى عُثمانَ - رَضِي الله عَنهُ - فقالَ: هذه الأنصَارُ بالبابِ قَالُوا: إن شِئتَ أن نَكُونَ أنصارَ الله مرتين كما كُنَّا مع النَّبيِّ ﷺ نَكُونُ معك. فَقَالَ عُثمانُ: أمَّا قِتَالٌ فَلَا [٤].

---

(١) أخرجه البُخاري (٦٩٥).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ١٨٤).

(٣) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٩٥٠٨) بسندٍ صحيح.

(٤) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٩٥٠٩) بسند صحيح.

ودَخَلَ ابنُ عُمَر على عُثمان فقَال عُثمانُ: يا ابنَ عُمَر انظُر مَا يَقُولُ هؤلاءِ يَقُولُونَ: اخلَعهَا، ولا تَقتُل نَفسَكَ.

فَقالَ ابن عُمَر: إذا خَلعتَها أَمُخَلَّدٌ أنتَ في الدُّنيَا؟

فَقال عثمان: لا. قال عبد الله بن عُمَر: فَلَا أرَى أن تَخلَعَ قَميصًا قَمَّصَكَهُ الله فتَكُون سُنَّةً، كُلَّمَا كَرِهِ قَومٌ خَليفَتَهم، أو إمَامَهم خَلَعُوه[١].

عباد الله...

مَن قَتلَ عُثمانَ؟

بعد أن حُوصِرَ عُثمانُ، تَسَوَّرُوا عليه البيتَ فَقَتَلُوه - رَضِي الله عَنهُ - وهو واضِعٌ المصحف بين يَديه.

قِيلَ لِلحَسنِ البَصريّ - وكَانَ الحَسَنُ البصريُّ قَد عَاشَ تلك الفَترَةَ لأنَّه مِن كِبار التَّابعينَ - أكَانَ فِيمن قَتَلَ عُثمانَ أحدٌ من المُهاجِرينَ أو الأنصارِ؟

فَقَال: كانُوا أعلاجًا مِن أهلِ مِصر[٢].

ولكِنَّ الرُّءُوس مَعرُوفةٌ وهم: كِنَانَةُ بن بِشرٍ، ورُومانُ اليَمانِيّ، وشَخصٌ يُقالُ له جَبَلَةَ، وسودَانُ بن حَمران، ورجُلٌ يُلَقَّبُ بالمَوتِ الأسودِ من بني سَدُوس. وقيل: مالكُ ابن الأشترِ النَّخعِيّ.

هَؤلاءِ كَانُوا من رُءُوس الفِتنة التي قَامَت على عُثمانَ - رَضِي الله عَنهُ -.

أمَّا مَن باشر قتله؛ فالمشهورُ أنَّهُ رجلٌ مصريٌّ يُقالُ له جَبَلَةَ[٣].

عباد الله...

وهكذا قُتل عُثمان بن عفَّان - رَضِي الله عَنهُ - مظلومًا كما أخبر النبيُّ ﷺ.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٧٣)، وانظر «حقبة من التاريخ» (١٥٨ - ١٦٠) باختصار.

(٢) «تاريخ خليفة» (ص١٧٦) بإسنادٍ صحيح.

(٣) «حقبة من التاريخ» (١٦٢).

فهل ترك الله تعالى الجُنَاةَ دون عقابٍ في الدُّنيا؟

لا، بل عجّل لهم العذاب.

فماذا فعل بهم؟

هذا ما سوف نذكره بعد قليل، إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فيقول ربّنا سُبحَانَهُ وتَعَالَى في الحديث القدسيّ «الصحيح»: «**مَن عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَد آذَنتُهُ بِالحَربِ**».

لقد تتبع المؤرخون قتلة عثمان، فما فمات منهم رجلٌ سويًّا.

وها هي عمرةَ بنتِ أرطأةَ تقول: خَرَجتُ مع عَائِشةَ سنةَ قتل عُثمان إلى مَكَّة، فمَرَرنا بالمَدينةِ فَرَأينَا المُصحف الذي قُتل وهو في حِجره فَكَانت أوَّل قَطرَةٍ قَطَرت من دَمِهِ على أوّل هذه الآية: ﴿**فَإِن آمَنُوا بِمِثلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهتَدَوا وَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا هُم فِي شِقَاقٍ فَسَيَكفِيكَهُمُ اللَّـهُ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ [البقرة: ١٣٧].

قَالت عَمرةُ: فَمَا مَاتَ منهم رَجلٌ سَوِيًّا[١].

عن محمد بن سيرين - رحمه الله - قال: «كنتُ أطوف بالكعبة وإذا رجل يقول: اللهُمَّ اغفر لي وما أظن أن تغفر لي. فقلت: يا عبد الله ما سمعتُ أحدًا يقول ما تقول.

قال: كنتُ أعطيتُ لله عهدًا إن قدرتُ أن ألطم وجه عثمان إلا لطمته فلما قتل ووضع على سريره في البيت والناس يجيئون يصلون عليه فدخلت كأني أصلي عليه فوجدت خلوة فرفعت الثوب عن وجهه ولحيته ولطمته، فأيبس الله يدي اليمنى،

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٥٠١).

فأصبحت كالخشبة لا تتحرك.

قال ابن سيرين: فنظرتُ إلى يده فرأيْتها يابسة كأنها عود»[١].

ولله دَرُّ كعب بن مالك - رَضِي الله عَنهُ - حين قال:

فكــفّ يديــه ثُــمَّ أغلــق بابــه	**وأيقـــن أنَّ الله لــــيس بغافــــلِ**
وقـــال لمـــن في داره لا تقاتلــــوا	**عفــا الله عــن كــل امــرئ لم يقاتــل**
فكــيف رأيــتَ الله صَــبَّ علــيهم	**العــداوةَ والبغــضاء بعــد التواصــل**
وكــيف رأيــتَ الخــير أدبــر بعــده	**عــن الــنَّاس الــنّعام الجــوافل[٢]**

عباد الله...

ونختم الحديث عن الخليفة الثالث بأقوال من عاصروه، ورأوه، وليس مَن رأى كمن سمع:

عن الحسن: قال عثمان: لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربّنا، وإنِّي لأكره أن يأتي عليَّ يومٌ لا أنظر في المصحف، وما مات عثمان حَتَّى خرق مصحفه من كثرة ما يديم[٣] النظر فيه.

وقال محمد بن سيرين رحمه الله: قالت امرأة عثمان يوم الدَّار[٤]: «اقتلوه أو دعوه، فوالله لقد كان يُحيي الليل بالقرآن في ركعة».

قال الذهبيّ: «وصحّ من وجوهٍ، أن عثمان قرأ القرآن كلّه في ركعة»[٥].

قلت: قَد ورد النَّهيّ عن قراءة القُرآن في أقلّ من ثلاث، ولكن هذا النَّهي يشمل من داوم على ذلك، والله أعلم.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير.

(٢) «ديوان كعب» (٢٦٤).

(٣) يديم: يطيل.

(٤) اليوم الذي قُتل فيه ظُلمًا.

(٥) «تاريخ الإسلام» للذهبي (٢/ ١٨٨).

وقال غير واحد: إنه - رَضِي الله عَنهُ - لا يوقظ أحدًا من أهله إذا أقام من الليل يعينه على وضوئه، إلَّا أن يجده يقظانًا، وكان يصوم الدهر، وكان يُعاتب فيقال: لو يقظت بعض الخَدم؟ فيقول: لا، الليل لهم يستريحون فيه.

وكان إذا اغتسل لا يرفع المئزر عنه، وهو في بيت مغلق عليه، ولا يرفع صُلبه جيدًا من شدة حيائه - رَضِي الله عَنهُ -.

وقال حسَّان بن ثابت - رَضِي الله عَنهُ -:

ضَحَّوا بأشمَط عنوانُ السُّجودِ به يُقَطِّع الليلَ تَسبيحًا وقرآنا

وكان استشهاده - رَضِي الله عَنهُ - لثماني عشرة خلت من ذي الحجرة، يوم الجمعة، بعد العصر، وهو ابن ستٍّ وثمانين سنة، وصلى عليه مروان، ودُفن في ثيابه بدمائه، ولم يُغسَّل، ودُفن بالبقيع بين العشاءين - رَضِي الله عَنهُ -[1].

عباد الله...

وهكذا فوّض ذو النُّورين لربِّه، فقضى الله أمره، ونفذَ قَدَره، وجعل من ظلمه عبرة، والله عزيزٌ ذو انتقام.

فالحمد لله، ناصر المظلومين، وكاسِر الظالمين.

اللهُمَّ مَن كادَنَا فَكِدهُ، ومَن بَغى عَلينَا فَخُذه، فإنَّهُ لا يَعظُم عليك يا جَبَّار السموات والأرض.

آمين... آمين... آمين.



(١) نفس المرجع (٢/ ١٩٠).

الخطبة العاشرة

[أ] مع عليّ بن أبي طالب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فنحن اليوم إن شاء الله تعالى على موعدٍ مع حَيدَرةِ الأبطال، السَّيِّد الكبير، وأحد السَّابقين الأوَّلين: «**عليٌّ بن أبي طالب**».

عباد الله...

فمن هُوَ علي بن أبي طالب؟

هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ويكنى أبا الحسن، وأبا تراب.

وأُمّهُ فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف،وهي أول هاشمية ولدت هاشميًّا،

وقد أسلمت وهاجرت رضي الله عنها.

وأبوه هو العمّ الشقيق الرفيق أبو طالب، وقد كان كثير المحبَّة الطبيعية لرسول الله ﷺ، ولم يؤمن به إلى أن مات على دينه.

أسلم عليٌّ - رَضِي الله عَنهُ - قديمًا، وهو دون البلوغ على المشهور. ويقال: إنَّهُ أوّل من أسلم من الغلمان كما أن خديجة أول من أسلمت من النساء، وأبو بكر الصِّدِّيق أول من أسلم من الرجال الأحرار، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي[١].

وعن حبَّة العرنيّ قال: «رأيت عليًّا يضحك على المنبر، لم أره ضحك ضحكًا أكثر منه حَتَّى بدت نواجذهُ، ثُمَّ قال: ذكرتُ قول أبي طالب: ظهر علينا أبو طالب وأنا مع رسول الله ﷺ ونحن نصلي ببطن نخلة[٢]، فقال: ماذا تصنعان يا ابن أخي؟ فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام. فقال: ما بالذي تصنعان بأس، لكن لا تَعلُونِّي[٣] استي أبدًا.

فضحك تعجبًا لقول أبيه ثُمَّ قال: «اللهُمَّ لا أعرف عبدًا من هذه الأمة عَبَدَكَ قبلي غير نبيِّك - ثلاث مرات - لقد صليتُ قبل أن يُصلي النَّاس - سبعًا»[٤].

وكان - رَضِي الله عَنهُ - رجلٌ آدم شديد الأدمة، ثقيل العينين، أصلع، إلى القصر أقرب.

وقال الشَّعبيّ: رأيت عليًّا - رَضِي الله عَنهُ - وكان عريض اللحيّة، وقد أَخَذَت ما بين منكبيه، أصلع على رأسه زُغَيبات.

عباد الله...

وصحب عليٌّ رسول الله ﷺ مُدة مقامه بمكة، وكان عنده في المنزل وفي كفالته في

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٨٤).

(٢) بطن نخلة: مكان بمكة.

(٣) است الرجل: مقعدته.

(٤) قَالَ الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٠٢): رواه أحمد وأبو يعلى باختصار، والبزار والطبراني في «الأوسط» وإسناده حسن.

حياة أبيه أبي طالب لفقر حصل لأبيه في بعض السنين مع كثرة العيال، ثم استمر في نفقة رسول الله ﷺ بعد ذلك إلى زمن الهجرة، وقد خلفه رسول الله ﷺ ليؤدي ما كان عنده ﷺ من ودائع النَّاس، فإنَّهُ كان يعرف في قومه بالأمين، فكانوا يودعونه الأموال والأشياء النفيسة، ثم هاجر عليٌّ بعد رسول الله ﷺ .

أخرج ابن سعد عن عليّ - رَضِي الله عَنهُ - قال: لَـمَّا خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة في الهجرة أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده للناس، ولذا كان يسمى الأمين، فأقمت ثلاثًا فكنتُ أظهَر ما تغيبتُ يومًا واحدًا، ثم خرجتُ فجعلتُ أتبع طريق رسول الله ﷺ حتى قدمتُ بني عمرو بن عوف ورسول الله ﷺ مقيمٌ، فنزلت على كلثوم بن الهدم، وهنالك منزل رسول الله ﷺ [١].

وصحب - رَضِي الله عَنهُ - رسول الله ﷺ إلى أن تُوفِّي وهو راض عنه، وحضر معه مشاهده كلها، وجرت له مواقف شريفة بين يديه في مواطن الحرب كيوم بدر وأُحُد والأحزاب وخَيبر وغيرها، ولما استخلفه عام «تبوك» على أهله بالمدينة قال: «**أَمَا تَرضَى أَن تَكُونَ مِنِّي بِمَنزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى، غَيرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعدِي**» [٢].

أيُّها المسلمون...

ومِمَّا يدلّ على مكانة عليّ عند الله وعند رسوله ﷺ : أنَّ رسول الله ﷺ زوّجه ابنته فاطمة رضي الله عنها، وكان ذلك بعد غزوة أُحُد.

وقيل: تزوّجها عليّ بعد أن ابتنى رسولُ الله ﷺ بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وابتنى بها بعد تزويجه إيَّاها بسبعة أشهر ونصف، وكان سنّها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر [٣].

قال رسول الله ﷺ : «**إنَّ الله أمرني أن أُزوّج فاطمة من عليّ**» [٤].

---

(١) «الطبقات» (٣/ ١٣).

(٢) رواه مسلم والترمذي.

(٣) «أسد الغابة» (٧/ ٢٠٩).

(٤) قَالَ الهيثمي في «المجمع» (١٥٢٠٨): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

هذا؛ وكان مهرها رضي الله عنها درع عليّ «الحُطمية» وأهديت إليه ومعها خميلة ومرفقة من أدم حشوها ليف، وقِربَة ومنخل وقدح ورحى وجراباان، ودخلت عليه وما لها فراش غير جلد كبش يناما عليه بالليل، وتعلف عليه الناضح بالنهار، وكانت هي خادمة نفسها.

قال الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - «تالله ما ضرّها ذلك» (١).

نعم والله ما ضرّها ذلك، بل كانت قدوة للنساء في كل زمان ومكان.

فأين هذا اليُسر في هذا الزمان؟

وأين هذا التواضع في هذه الأيام؟

بنتُ النبيّ ﷺ دخلت على عليّ وما لها فراش غير جلد كبش، يا خالق هذه النَّفس سُبحانك.

ما أحوجنا إلى هذا التيسير، خصوصًا في هذه الأيام، للقضاء على العنوسة، ولإعانة الأُمّة على العِفّة.

عباد الله...

وقبل أن نذكر لقطات من حياة عليّ الجهاديّة، ومزيدَ بيانٍ عن سيرته الذاتيّة، نذكر شيئًا من فضائله:

لقد تعددت فضائل عليّ - رَضِيَ الله عَنهُ - وكثرت مناقبه، ومن ذلك:

(١) عَن سَلَمَةَ بنِ كُهَيلٍ قَالَ: سَمِعتُ أَبَا الطُّفَيلِ يُحَدِّثُ عَن أَبِي سَرِيحَةَ أَو زَيدِ بنِ أَرقَمَ شَكَّ شُعبَةُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَن كُنتُ مَولاَهُ فَعَلِيٌّ مَولاَهُ**» (٢).

(٢) وعن حُبش بن جَنَادة قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليّ منِّي وأنا من عليّ...**» الحديث (٣).

---

(١) «التبصرة» (١/ ٤٥٢).

(٢) **صحيح**: انظر «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٣٠).

(٣) **حسن**: انظر «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٣١).

(٣) عَن سَعدِ بن أبي وقَّاص: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاستَخلَفَ عَلِيًّا فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبيَانِ وَالنِّسَاءِ؟

قَالَ: «أَلاَ تَرضَى أَن تَكُونَ مِنِّي بِمَنزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لَيسَ نَبِيٌّ بَعدِي»[1].

(٤) عَن عَلِيٍّ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَّهُ لاَ يُحِبُّكَ إِلاَّ مُؤمِنٌ وَلاَ يُبغِضُكَ إِلاَّ مُنَافِقٌ»[2].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يقدِّمونه إجلالًا لمقامه واعترافًا بفضله وعلمه.

قال ابن عباس: قال عُمَر: «عليٌّ أقضانا، وأُبيٌّ[3] أقرؤنا».

وقال ابن المسّيّب، عن عُمَر قال: «أعوذ بالله من مُعضلةٍ ليس لها أبو الحسن» - أي: عليّ - رَضِي الله عَنهُ -.

وقال ابن عباس - رَضِي اللَّهُ عَنهُمَا -: «إذا حدثنا ثقة بفُتيا عن عليّ لم نتجاوزها».

وذُكر عن عائشة رضي الله عنها صوم عاشوراء، فقالت: «مَن يأمركم بصَومه؟ قالوا: عليٌّ. قالت: أمَّا إنَّهُ أعلم مَن بَقي بالسُّنَة».

وقال مسروق: «انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ إلى عُمَر، وعليّ، وعبد الله بن مسعود».

وقال هشام بن حسان: «بينا نحن عند الحسن البصري إذ أقبل رجل من الأزارقة[4] فقال: يا أبا سعيد ما تقول في عليّ بن أبي طالب؟ قال: فاحمرّت وجنتا الحسن وقال: رحم الله عليًّا، إنَّ عليًّا كان سهمًا لله صائبًا في أعدائه، وكان فى محلة العلم أشرفها وأقربها إلى رسول الله ﷺ، وكان رهبانىّ هذه الأُمّة، لم يكن لمال الله بالسروقة، ولا فى أمر الله بالنومة، أعطى القرآن عزائمه وعمله وعلمه، فكان منه فى رياض مونقة،

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي.

(٢) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه.

(٣) هو: أُبي بن كعب رَضِي الله عَنْهُ.

(٤) **الأزارقة**: فرقة من الخوارج هم أتباع نافع بن الأزرق.

ءِ ْعلام بينة، ذاك عليُّ بن أبى طالب يا لُكع»[١].

عباد الله...

ولما أَذِنَ اللّـهُ تعالى لنبيِّه ﷺ بالقتال، كان لعليّ - رَضِي الله عَنهُ - اليد الطولى في مجالدة أعداء الله تعالى، وإليكم لقطاتٌ من حياته الجهادية:

اللقطة الأولى: في بدر:

قتل خمسة عشرة رجلًا:

روى البخاريّ: «عَن قَيسِ بنِ عُبَادٍ عَن عَلِيِّ بنِ أَبِى طَالِبٍ - رضى الله عنه - أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أَوَّلُ مَن يَجثُو بَينَ يَدَيِ الرَّحمَنِ لِلخُصُومَةِ يَومَ القِيَامَةِ.

وَقَالَ قَيسُ بنُ عُبَادٍ: وَفِيهِم أُنزِلَت: ﴿هَذَانِ خَصمَانِ اختَصَمُوا فِى رَبِّهِم﴾ [الحج: ١٩] قَالَ: هُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَومَ بَدرٍ: حَمزَةُ، وَعَلِىٌّ، وَعُبَيدَةُ - أَو أَبُو عُبَيدَةَ بنُ الحَارِثِ - وَشَيبَةُ ابنُ رَبِيعَةَ، وَعُتبَةُ، وَالوَلِيدُ بنُ عُتبَةَ»[٢].

وَعَن عَلِيٍّ قَالَ: «تَقَدَّمَ - يَعنِى عُتبَةَ بنَ رَبِيعَةَ - وَتَبِعَهُ ابنُهُ وَأَخُوهُ فَنَادَى: مَن يُبَارِزُ؟ فَانتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الأَنصَارِ، فَقَالَ: مَن أَنتُم؟ فَأَخبَرُوهُ، فَقَالَ: لاَ حَاجَةَ لَنَا فِيكُم إِنَّمَا أَرَدنَا بَنِى عَمِّنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُم يَا حَمزَةُ قُم يَا عَلِيُّ قُم يَا عُبَيدَةُ بنَ الحَارِثِ**». فَأَقبَلَ حَمزَةُ إِلَى عُتبَةَ، وَأَقبَلتُ إِلَى شَيبَةَ، وَاختُلِفَ بَينَ عُبَيدَةَ وَالوَلِيدِ ضَربَتَانِ فَأَثخَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ مِلنَا عَلَى الوَلِيدِ فَقَتَلنَاهُ وَاحتَمَلنَا عُبَيدَةَ»[٣].

قال الحافظ ابن حجر[٤]: فيه فضيلةٌ ظاهرةٌ لحمزة وعليٍّ وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم.

اللقطة الثانية: ثباته يوم أُحُد:

ثبت عليّ - رَضِي الله عَنهُ - مع النبيّ يوم أُحُد ولم يفرّ، وقتل أبا أميّة بن حذيفة بن

---

(١) «البداية والنهاية»، واللكع: اللئيم، والأحمق، والعبد.
(٢) رواه البخاري (٣٩٦٥).
(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٦٦٥).
(٤) «الفتح» (٧/ ٢٩٨).

المغيرة، وعبد الله بن حميد بن زهير.

اللقطة الثالثة: قَتلُه «عمرو بن عَبد ود» في غزة الخَندق:

كان عمرو بن عبد ود العامريّ فارس قريش كبش الكتيبة في غزوة الخندق.

روى البيهقيّ عَنِ ابنِ إِسحَاقَ قَالَ:

«خَرَجَ - يَعنِي يَومَ الخَندَقِ - عَمرُو بنُ عَبدِ وُدٍّ فَنَادَى: مَن يُبَارِزُ؟

فَقَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ وَهُوَ مُقَنَّعٌ فِي الحَدِيدِ فَقَالَ: أَنَا لَهَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ.

فَقَالَ: «**إِنَّهُ عَمرٌو اجلِس**».

وَنَادَى عَمرٌو: أَلاَ رَجُلٌ، وَهُوَ يُؤَنِّبُهُم[١] وَيَقُولُ: أَينَ جَنَّتُكُمُ الَّتِي تَزعُمُونَ أَنَّهُ مَن قُتِلَ مِنكُم دَخَلَهَا أَفَلاَ يَبرُزُ إِلَيَّ رَجُلٌ؟

فَقَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ: «**اجلِس**».

ثُمَّ نَادَى الثَّالِثَةَ وَذَكَرَ شِعرًا[٢] فَقَامَ عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا.

فَقَالَ: «**إِنَّهُ عَمرٌو**».

قَالَ: وَإِن كَانَ عَمرًا.

فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَشَى إِلَيهِ حَتَّى أَتَاهُ وهو يقول:

لا تعجلـــنَّ فقـــد أتـــاكَ	**مجـــيب صـــوتك غـــير عاجـــز**
في نـــــيّة وبـــــصيرة	**والـــصِّدق منجـــى كـــل فائـــز**
إنِّــي لأرجـــو أن أقـــيم	**علـــيك نائحـــة الجنائـــز**
مـــن ضـــربةٍ نجـــلاء	**يبقـــى ذكـــرها عـــند الهزاهـــز[٣]**

---

(١) **يؤنبهم**: يلومهم ويعنفهم.

(٢) ذكر ابن إسحاق شعرًا لعمرو قَالَه حينئذٍ.

(٣) **الهزاهز**: الشدائد.

فَقَالَ لَهُ عَمرٌو: مَن أَنتَ؟

قَالَ: أَنَا عَلِيٌّ.

قَالَ: ابنُ عَبدِ مَنَافٍ؟

فَقَالَ: أَنَا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ.

فَقَالَ: غَيرُكَ يَا ابنَ أَخِي مِن أَعمَامِكَ مَن هُوَ أَسَنُّ مِنكَ، فَإِنِّي أَكرَهُ أَن أُهرِيقَ دَمَكَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: لَكِنِّي وَاللَّهِ مَا أَكرَهُ أَن أُهرِيقَ دَمَكَ.

فَغَضِبَ فَنَزَلَ وَسَلَّ سَيفَهُ كَأَنَّهُ شُعلَةُ نَارٍ ثُمَّ أَقبَلَ نَحوَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ مُغضَبًا فَستَقبَلَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ بِدَرَقَتِهِ فَضَرَبَهُ عَمرٌو فِي الدَّرَقَةِ فَقَدَّهَا[1] وَأَثبَتَ فِيهَا السَّيفَ وَأَصَابَ رَأسَهُ بِشَجَّةٍ وَضَرَبَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عَلَى حَبلِ العَاتِقِ فَسَقَطَ وَثَارَ العَجَاجُ[2]، وَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التَّكبِيرَ فَعَرَفَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَد قَتَلَهُ.

ثُمَّ قال عليّ - رَضِي الله عَنهُ -:

أعليَّ تقتحم الفوارس هكذا ... عنِّي وعنهم أخروا أصحابي[3]

اليوم يمنعني الفرار حفيظتي ... ومصمم في الرأس ليس بنابي[4]

إلى أن قال:

عَبَدَ الحِجَارَةَ مِن سَفَاهَةِ رَأيِهِ ... وعبدتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابي[5]

فَصَدَدت حِينَ تَرَكته مُتَجَدِّلاً ... كَالجِذعِ بَينَ دَكَادِكٍ وروابي[6]

وَعَفَفت عَن أَثوَابِهِ وَلَو أَنَّنِي ... كُنتُ المُقَطَّرَ[7] بَزَّنِي[8] أَثوَابي

(١) قدّها: شقّها.
(٢) العجاج: الغبار.
(٣) هكذا عني: أي: تنحّوا عنّي.
(٤) نبا السّيف: ارتفع فلم يصب.
(٥) أي: أَنَّهُ يحارب سفاهة عن حجارة، ونحن نحارب دفاعًا عن الحقّ.
(٦) الروابي: ما ارتفع من الأرض.
(٧) المقطر: الذي وقع على قطره وهو جنبه.
(٨) بزني: سلبني.

لاَ تَحْسَبَنَ الله خَاذِلَ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ يَا مَعْشَرَ الأَحْزَابِ[(١)]

قال: ثُمَّ أقبل علي - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلَّل.

فقال له عُمَر بن الخَطَّاب - رَضِيَ اللهُ عَنهُ -: هلَّا استلبته درعه؟ فإنَّهُ ليس للعرب درعٌ خير منها. قال: ضربته فاتقاني بسوءته، فاستحييتُ ابن عمِّي أن أسلبه[(٢)].

اللقطة الرابعة: جهاده يوم خَيبر:

عَن سَهلُ بنُ سَعدٍ - رضى الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَومَ خَيبَرَ: «**لأُعطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً، يَفتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**». قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيلَتَهُم أَيُّهُم يُعطَاهَا؟

فَلَمَّا أَصبَحَ النَّاسُ غَدَوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُم يَرجُو أَن يُعطَاهَا فَقَالَ: «**أَينَ عَلِيُّ بنُ أَبِى طَالِبٍ؟**». فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشتَكِى عَينَيهِ.

قَالَ: «**فَأَرسِلُوا إِلَيهِ**». فَأُتِىَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى عَينَيهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَن لَم يَكُن بِهِ وَجَعٌ، فَأَعطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُم حَتَّى يَكُونُوا مِثلَنَا؟

فَقَالَ: «**انفُذ عَلَى رِسلِكَ حَتَّى تَنزِلَ بِسَاحَتِهِم، ثُمَّ ادعُهُم إِلَى الإِسلاَمِ، وَأَخبِرهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيهِم مِن حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَن يَهدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيرٌ لَكَ مِن أَن يَكُونَ لَكَ حُمرُ النَّعَمِ**»[(٣)].

وعند البخاريّ عَن سَلَمَةَ بنِ الأَكوَعِ - رضى الله عنه - قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ - رضى الله عنه - تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ فِى خَيبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِىِّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيلَةِ الَّتِى فَتَحَهَا فِى صَبَاحِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ** - أَو قَالَ: **لَيَأخُذَنَّ - غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** - أَو قَالَ: **يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ - يَفتَحُ اللَّهُ عَلَيهِ**». فَإِذَا نَحنُ بِعَلِيٍّ، وَمَا نَرجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ،

(١) قَالَ ابن هشام: وأكثر أهل العلم يشك فيها لعليّ بن أبي طالب.

(٢) «حياة الصحابة» (٢/ ١٠٩، ١١٠).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

فَأَعطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيهِ[١].

وَعَن أبي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ - رَضِي الله عَنهُ - قال: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخذَ الرَّايَةَ فَهَزَّهَا ثُمَّ قَالَ: «**مَن يَأخُذُهَا بِحَقِّهَا؟**». فَجَاءَ فُلاَنٌ فَقَالَ: أَنَا. قَالَ: «**أَمِط**». ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: «**أَمِط**». ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالَّذِى كَرَّمَ وَجهَ مُحَمَّدٍ لأُعطِيَنَّهَا رَجُلاً لاَ يَفِرُّ هَاكَ يَا عَلِيُّ**». فَانطَلَقَ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيهِ خَيبَرَ وَفَدَكَ وَجَاءَ بِعَجوَتِهِمَا وَقَدِيدِهِمَا[٢].

وفي حديث سلمة بن الأكوع عند «مسلم»: «...ثُمَّ أَرسَلَنِي - أي رَسُول الله ﷺ - إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرمَدُ فَقَالَ: «**لَأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَو يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: فَأَتَيتُ عَلِيًّا فَجِئتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرمَدُ حَتَّى أَتَيتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَبَسَقَ فِي عَينَيهِ فَبَرَأَ وَأَعطَاهُ الرَّايَةَ، وَخَرَجَ «مَرحَبٌ» فَقَالَ:

قَد عَلِمَت خَيبَرُ أَنِّي مَرحَبُ ... شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الحُرُوبُ أَقبَلَت تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّتنِي أُمِّي حَيدَرَه[٣] ... كَلَيثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ المَنظَرَه

أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيلَ السَّندَرَه

قَالَ: فَضَرَبَ رَأسَ «مَرحَبٍ» فَقَتَلَهُ ثُمَّ كَانَ الفَتحُ عَلَى يَدَيهِ»[٤].

ومَرحب هذا فارس فرسان اليهود، وكان مكتوبًا على سيفه بالعبرية:

هذا سيف مرحب ... من يذقه يعطب

فضربه عليٌّ فقدَّ الحجر والمغفر رأسه، ووقع السيف في الأضراس.

وقبله قتل عليّ أخا مَرحب، وهو الحارث، وبارز عليٌّ يهوديًّا بعد مبارزة الزُّبير

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٦)، وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٩٨٧، ١٠٥٤).

(٣) حيدَرة: الأسد.

(٤) أخرجه مسلم (١٨٠٧).

لياسر، وكان هذا القائد الفارس يُسمَّى عامرًا، فقتله عليٌّ أمام الحصن، قال رسول الله ﷺ حين طلع عامرٌ: «**ترونه خمسة أذرع؟**» وكان طويلًا جسيمًا، فلمَّا دعا للبراز وخطر بسيفه، وعليه دِرعان، وهومُقَنَّعٌ في الحديد يصيح: مَن يبارز؟ فأحجم النَّاس عنه، فبرز إليه عليٌّ فضربه ضرباتٍ، كل ذلك لا يصنعُ شيئًا، حَتَّى ضرب ساقيه فبرك، ثُمَّ ذفَّف[1] عليه فأخذ سلاحه»[2].

وفتح الله على يد عليِّ بن أبي طالب حصن «ناعم» أقوى حصون خيبر، فيا لعليٍّ مِن حَيدَرة.

عَن البَرَاءِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيشَينِ وَأَمَّرَ عَلَى أَحَدِهِمَا عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ، وَعَلَى الآخَرِ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ، فَقَالَ: «**إِذَا كَانَ القِتَالُ فَعَلِيٌّ**».

قَالَ: فَافتَتَحَ عَلِيٌّ حِصنًا فَأَخَذَ مِنهُ جَارِيَةً، فَكَتَبَ مَعِي خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشِي بِهِ، فَقَدِمتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ الكِتَابَ فَتَغَيَّرَ لَونُهُ ثُمَّ قَالَ: «**مَا تَرَى فِي رَجُلٍ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟**» قَالَ: قُلتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِن غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ فَسَكَتَ[3].

وعن عمران بن حصين: «أنَّ النبيّ ﷺ قال: «**لأعطينَّ الراية رجلًا يُحِبُّ الله ورسوله** أو قال: **يُحِبُّهُ الله ورسوله**»، فدعا عليًّا وهو أرمد ففتح الله على يديه»[4].

عَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللَّهِ قَالَ: «.... بَينَا ذَلِكَ الرَّجُلُ مِن هَوَازِنَ صَاحِبُ الرَّايَةِ عَلَى جَمَلِهِ ذَلِكَ يَصنَعُ مَا يَصنَعُ، إِذ هَوَى لَهُ عَلِيُّ بنُ أَبِى طَالِبٍ وَرَجُلٌ مِنَ الأَنصَارِ يُرِيدَانِهِ، قَالَ: فَيَأتِيهِ عَلِيٌّ مِن خَلفِهِ فَضَرَبَ عُرقُوبَي الجَمَلِ فَوَقَعَ عَلَى عَجُزِهِ، وَوَثَبَ الأَنصَارِيُّ عَلَى الرَّجُلِ فَضَرَبَهُ ضَربَةً أَطَنَّ قَدَمَهُ بِنِصفِ سَاقِهِ فَانجَعَفَ عَن رَحلِهِ، وَاجتَلَدَ النَّاسُ، فَوَاللَّهِ مَا رَجَعَت رَاجِعَةُ النَّاسِ مِن هَزِيمَتِهِم حَتَّى وَجَدُوا الأَسرَى

---

(١) **ذفّف عليه**؛ أي: أجهز عليه.

(٢) «موسوعة الغزوات الكبرى» (خيبر)، لمحمد أحمد باشميل (ص١٢٢).

(٣) **صحيح بشواهده**: أخرجه الترمذي (٣٧٢٥)، وقال: هَذَا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هَذَا الوجه. وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢١٦٨).

(٤) **صحيح**: أخرجه النسائي في «الخصائص» (٢١)، وفي «فضائل الصحابة» (٤٧).

مُكْتَفِينَ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[(١)].

أيُّهَا المسلمون...

كانت هذه لقطاتٌ من حياة عليّ الجهاديّة، وهي تكشف - كما سمعتم - عن شخصية امتلأت إيمانًا، وحُبًّا لله ورسوله.

وظلّ عليٌّ - رَضِي الله عَنهُ - ملازمًا للنبيِّ ﷺ طوال حياته، ولما انتقل المصطفى ﷺ إلى الرفيق الأعلى لازم عليٌّ أبا بكر ومن بعده عُمَر، ومن بعده عثمان رضي الله عنهم.

وبايعهم جميعًا، وانضوى تحت إمرتهم، وكانت له عندهم مكانة متميّزة - كما مرّ ذكرُ بعض ذلك - وكما سيأتي ذكرُ بعضه إن شاء الله تعالى.

ولما استُشهد عثمان - رَضِي الله عَنهُ - وقُتل ظلمًا، كما مرّ، بُويع عليّ بالخلافة.

فكيف تمّت مبايعته؟

هذا ما سوف يأتي بيانه بعد قليل، إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فَعن الحسن قال: «لَـمَّا قدم عليٌّ البصرة[(٢)] قام إليه ابن الكواء وقيس بن عباد فقالا له ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تتولى على الأمة تضرب بعضهم ببعض؟ أعهد من رسول الله ﷺ عهده إليك فحدثنا فأنت الموثوق المأمون على ما سمعت فقال: أما أن يكون عندي عهد من النبي ﷺ في ذلك، فلا والله لئن كنت أول من

---

(١) حسن: أخرجه أبو يعلى (٣/ ٣٨٨)، وأحمد (٣/ ٣٧٦)، وانظر «فرسان النهار» (٢/ ٢٦٣).
(٢) يعني: بعد أن تولّى الخلافة.

صدق به فلا أكون أول من كذب عليه، ولو كان عندي من النبي ﷺ عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة، وعمر بن الخطاب يقومان على مَنبرة ولقاتلتهما بيدي، ولو لم أجد إلا بردي هذا، ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة، مكث في مرضه أيامًا وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني، ولقد أرادت امرأة من نسائه[1] أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال: «**أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر يصلي بالناس**».

فلما قبض الله نبيّه ﷺ نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله ﷺ لديننا، وكانت الصلاة أصل الإسلام وهي أمير الدين وقوام الدين، فبايعنا أبا بكر وكان لذلك أهلا، لم يختلف عليه منا اثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم تقطع منه البراءة، فأديت إلى أبي بكر حقَّهُ وعرفت له طاعتهُ، وغزوت معه في جنوده وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي.

فلما قُبض تولاها عمر فأخذها بسُنة صاحبه، وما يعرف من أمره، فبايعنا عمر ولم يختلف عليه منا اثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض ولم تقطع منه البراءة، فأديت إلى عمر حقَّهُ وعرفت له طاعتهُ، وغزوت معه جيوشهُ، وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي.

فلما قُبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وسالفتي وفضلي، وأنا أظن أن لا يعدل بي[2]، ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده ذنبًا إلا لحقه في قبره، فأخرج منها نفسه وولده[3] ولو كانت محاباة منه، لآثر بها ولده، فبرئ منها إلى رهط من قريش ستة أنا أحدهم.

فلما اجتمع الرهط ظننت أن لا يعدلوا بي، فأخذ عبد الرحمن بن عوف مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا، ثم أخذ بيد عثمان بن عفان وضرب بيده على يده، فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي، وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري، فبايعنا

---

(١) هي أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
(٢) يقصد عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -.
(٣) ولد عمر، وهو عبد الله بن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما -.

عثمان فأديت له حقَّهُ وعرفت له طاعته، وغزوت معه في جيوشه، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي.

فلما أُصيب نظرتُ في أمري، فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله ﷺ إليهما بالصلاة قد مضيا، وهذا الذي قد أخذ له الميثاق قد أصيب، فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين، فوثب فيها من ليس مثلي[1] ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي، وكنت أحق بها منه.

قالا: فأخبرنا عن قتالك هذين الرجلين - يعنيان: طلحة والزبير -.

قال: بايعاني بالمدينة، وخلعاني بالبصرة، ولو أن رجلًا مِمَّن بايع أبا بكر وعمر خلعه لقاتلناه» ا.هـ.

عباد الله...

هذا النَّص جاء بتمامه في كتاب «تاريخ الإسلام» للذهبيّ (٢/ ٢٥٠)، ولعله - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - إن صحّت الرواية يقصد بقوله عن معاوية: «فوثب فيها - يعني في الخلافة - مَن ليس مثلي...» المخالفة، لأنه لم يثبت - كما سيأتي - أنَّ معاوية - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - دعا النَّاس لمبايعة نفسه، ولعله - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - يقصد بقوله عن طلحة والزُّبير: «بايعاني بالمدينة وخلعاني بالبصرة» المخالفة أيضًا.

وعلى كل حال، فالأمر يحتاج إلى مزيد بيان.

وهذا المزيد سيأتي في الجُمعة التالية، إن شاء الله تعالى. فإلى اللقاء.

اللهُمَّ أرِنا الحقّ حَقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله مُلتَبِسًا علينا فَنَضِلّ.

آمين... آمين... آمين.

---

(١) يقصد معاوية - رَضِيَ اللهُ عَنهُ -.

الخطبة الحادية عشرة

[ب] مع عليّ بن أبي طالب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن حياة علي بن أبي طالب - رَضِي الله عَنهُ -.

عباد الله...

ذكرنا في الجُمعة الماضية قصَّة مبايعة المسلمين لعليّ - رَضِي الله عَنهُ - ووعدناكم بمزيد بيان في هذا الموضوع المهمّ.

يحكي «**محمد ابن الحنفيّة**» وهو: محمد بن عليّ بن أبي طالب، قصّة بيعة عليّ - رَضِي الله عَنهُ - بالخلافة فيقول:

أَتى عَلِيٌّ دَارَ عُثمانَ وقد قُتِلَ، فَدَخَلَ إلى دَارِه وأغلَقَ بابَه عَليه، فأَتَاه النَّاس فضَربوا

عليه البَابَ فقالُوا: إنَّ هذا الرَّجُل قَد قُتل، ولابُّد للنَّاس من خَلِيفةٍ، ولا نَعلمُ أحدًا أحقَّ بِها مِنكَ.

فَقالَ لَهُم عليٌّ: لا تُرِيدُوني، فإنِّي لكم وَزيرٌ، خَيرٌ لكم منِّي أميرٌ.

فقالوا: لا والله، لا نَعلمُ أحدًا أحقَّ بها منك.

قال: فإن أبَيتُم عَليّ فإنَّ بَيعتِي لا تَكُونُ سِرًّا، ولكن أخرُجُ إلى المَسجدِ فَمَن شَاءَ أن يُبَايعَني بَايَعَني، فَخَرج إلى المَسجِدِ فَبَايعهُ النَّاس[١].

وبايعَه المُهَاجرونَ والأنصَارُ الذين كَانُوا في المَدينةِ، وقيل: إنَّهُ تَخَلفَ عن بَيعتهِ بعضُ الصَّحابةِ كسعدِ بن أبي وقَّاص، وعبد الله بن عُمَر، ومُحمَّد بن مَسلمَة وغَيرهم، وقيل: إنَّهُ بُويعَ من الجَميع، وهذا هُوَ المَشهُورُ. إنَّما تخلَّفَ سَعدٌ، وابنُ عُمَر، ومُحمَّد بنُ مَسلَمَةَ عن القِتالِ مَعَهُ، أمَّا البيعةُ فَقَد بَايَعُوه.

قال عوف بن أبي جميلة: كنتُ عندَ الحَسَنِ البَصريّ، وكانَ في المدينةِ عِندَ مَقتلِ عُثمانَ، فَذَكرُوا أصحَابَ النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ ابنُ جَوشَن الغَطَفَانيُّ: «يا أبا سعيدٍ إنَّما زُرِّي بأبي مُوسَى اتباعُه عَليًّا»، فَغَضِبَ الحَسَنُ حَتَّى تَبيَّنَ في وَجهِه فَقَالَ: فَمَن يُتبَع؟ قُتِلَ أميرُ المُؤمنينَ مَظلُومًا فَعَمدَ النَّاس إلى خَيرِهم فَبَايَعُوه فَمَن يُتَّبَعُ؟ حَتَّى رَدَّدَها مِرَارًا[٢].

وأهلُ السُّنة مُجمعُون عَلَى أنَّ أفضلَ الصَّحابةِ بعدَ عُثمانَ بن عَفَّان - رَضِي الله عَنهُ - هُوَ عَليٌّ بن أبي طالب - رَضِي الله عَنهُ -.

قال ابن تيمية رحمه الله: «المنصوص عند أحمد بن حنبل: تَبدِيعُ مَن تَوَقَّفَ في خلافة عليٍّ، وقال: هُوَ أضَلُّ مِن حِمارِ أهلِه، وأمَرَ بهُجرانِه»[٣].

فَأهلُ السُّنةِ مُجمِعُون على أن أفضلَ الصَّحابةِ بعد رَسُول الله ﷺ: أبو بكرٍ، ثُمَّ عُمَر، ثُمَّ اختلَفُوا كما ذَكرنا في عُثمان وعَليّ، والجُمهورُ على أنَّ عُثمانَ أفضَلُ من عَليّ، ثُمَّ اتفقُوا بعد ذلك على أنَّ علي بن أبي طالبٍ رابعُ الخُلَفاءِ[٤].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» برقم (٦٩٦).
(٢) صحيح: رواه أحمد في «فضائل الصحابة» برقم (٩٧٦).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٣٨).
(٤) «حقبة من التاريخ» (١٧٣، ١٧٤).

عباد الله...

وفي سنة ستٍّ وثلاثين من الهجرة، دارت رحى موقعة «الجمل» بين عليّ - رَضِيَ الله عَنهُ - من جهة، والجيش الذي كان على رأسه طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم من جهةٍ أخرى.

وكان النبيُّ ﷺ قَد أخبر بوقوعها في أحاديث:

(١) عَن قَيسٌ بن أبي حازم، قَالَ: «لَـمَّا أَقبَلَت عَائِشَةُ[1] بَلَغَت مِيَاهَ بَنِى عَامِرٍ لَيلاً نَبَحَتِ الكِلاَبُ، قَالَت: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قَالُوا: مَاءُ الحَوأَبِ[2].

قَالَت: مَا أَظُنُّنِى إِلاَّ أَنِّى رَاجِعَةٌ.

فَقَالَ بَعضُ مَن كَانَ مَعَهَا: بَل تَقدَمِينَ فَيَرَاكِ المُسلِمُونَ فَيُصلِحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَاتَ بَينِهِم.

قَالَت إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا ذَاتَ يَومٍ: **«كَيفَ بِإِحدَاكُنَّ تَنبَحُ عَلَيهَا كِلاَبُ الحَوأَبِ»**[3].

(٢) عَن قَيسِ بنِ أَبِى حَازِمٍ: «أَنَّ عَائِشَةَ قَالَت لَمَّا أَتَت عَلَى الحَوأَبِ سَمِعَت نُبَاحَ الكِلاَبِ، فَقَالَت: مَا أَظُنُّنِى إِلاَّ رَاجِعَةً، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَنَا: **«أَيَّتُكُنَّ تَنبَحُ عَلَيهَا كِلاَبُ الحَوأَبِ»**.

فَقَالَ لَهَا الزُّبَيرُ: تَرجِعِينَ! عَسَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَن يُصلِحَ بِكِ بَينَ النَّاسِ»[4].

أما عن أحداث هذه الموقعة:

فيقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - ما مختصره: «أن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - رَضِيَ الله عَنهُ - لَـمَّا تولى الخلافة، ولى عبد الله بن عباس على اليمن، وولى سمرة بن جندب على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وقيس بن سعد بن عبادة

---

(١) يعني من المدينة قاصدة البصرة.

(٢) **الحوأب**: ماء قريب من البصرة على طريق مكّة.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، وغيرهم، وانظر «السلسلة الصحيحة».

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٩٧)، وغيره، وانظر «الصحيحة» (٤٧٤).

على مصر، وعلى الشام سهل بن حنيف بدل معاوية، فسار (سهل) حتى بلغ تبوك فتلقه خيل معاوية، فردّوه. فرجع إلى عليّ.

وأمَّا قيس بن سعد فاختلف عليه أهل مصر، فبايع له الجمهور وقالت طائفة: لا نبايع حتى نقتل قتلة عثمان، وكذلك أهل البصرة.

وأما عمارة بن شهاب المبعوث أميرًا على الكوفة فصدَّه عنها طلحة بن خويلد[١] غضبًا لعثمان، فرجع إلى عليّ فأخبره.

وانتشرت الفتنة، وتفاقم الأمر، واختلفت الكلمة، وبعث علي إلى معاوية كُتبًا كثيرة فلم يرد عليه جوابها.

ثم بعث معاوية طومارًا مع رجل فدخل به على علي فقال: ما وراءك؟

قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلَّا القَود[٢] كلهم مَوتور [٣]، تركتُ سبعين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق.

فقال علي: اللهُمَّ إني أبرأ إليك من دم عثمان.

وعزم علي - رَضِي الله عَنهُ - على قتال أهل الشام، وكتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم، وإلى أبي موسى بالكوفة، وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك، وخطب الناس فحثهم على ذلك، وعزم على التجهّز وخرج من المدينة واستخلف عليها قثم بن العباس وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه مَن عصاه وخرج عن أمره.

ورتب الجيش، فدفع اللواء إلى محمد ابن الحنفية، وجعل ابن العباس على الميمنة، وعمرو بن أبي سلمة على الميسرة، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمرو بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة، واستخلف على المدينة قثم بن العباس، ولم يبق شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصدًا إلى الشام، حتى جاءه ما شغله عن ذلك كله وهو: أَنَّهُ لَـمَّا وقع قتل عثمان - رَضِي الله عَنهُ - بعد أيام التشريق كان أزواج النبيّ ﷺ قَد خرجنّ إلى الحج في هذا

(١) أسلم ثم ارتد، ثم أسلم وحسن إسلامه، وقُتِلَ شهيدًا - رَضِي الله عَنهُ -.
(٢) **القود**: أن يقتل القاتل بالقتيل.
(٣) **الموتور**: صاحب التأثر.

العام فرارًا من الفتنة، فلما بلغ النَّاس أنَّ عثمان قد قُتل أقمنّ بمكة بعد ما خرجوا منها، ورجعوا إليها وأقاموا بها وجعلوا ينتظرون ما يصنع النَّاس.

فلما بويع لعليّ وصار حظ النَّاس عنده بحكم الحال وغلبة الرأي لا عن اختيار منه لذلك رءُوس أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان، مع أن عليًّا في نفس الأمر يكرههم ولكنه تربص بهم الدوائر ويودّ لو تمكّن منهم ليأخذ حقّ الله منهم، ولكن لَـمَّا وقع الأمر هكذا واستحوذوا عليه وحجبوا عنه عِليةَ الصَّحابة، فرّ جماعة من بني أمية[1] وغيرهم إلى مكة، واستأذنه طلحة والزبير في الاعتمار، فأذن لهما فخرجا إلى مكة وتبعهم خَلقٌ كثير.

... وقدم إلى مكَّة أيضًا في هذا العام يعلى بن أميّة من اليمن، وكان عاملًا عليها لعثمان ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم، وقدم لها عبد الله بن عامر من البصرة وكان نائبها لعثمان فاجتمع فيها خلق من سادات الصحابة وأمهات المؤمنين فقامت عائشة رضي الله عنها في الناس تخطبهم وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان، فاستجاب الناس لها وقالوا لها: حيثما سِرتِ سِرنَا معك.

فقال قائل: نذهب إلى الشام، فقال بعضهم: إن معاوية قد كفاكم أمرها.

وقال آخرون: نذهب إلى المدينة فنطلب من علي أن يسلّم إلينا قتلة عثمان فيقتلوا.

وقال آخرون: بل نذهب إلى البصرة فنتقوى من هنالك بالخيل والرجال، ونبدأ بمن هناك من قتلة عثمان، فاتفق الرأى على ذلك.

وجهز الناس يعلى بن أمية وابن عامر، وسار الناس خلف عائشة في ثلاثة آلاف فارس، وأم المؤمنين عائشة تُحمل في هودج على جمل اسمه «عسكر»، وسار الناس قاصدين البصرة، وكان الذي يصلي بالناس عن أمر عائشة ابن أختها عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم يؤذن للناس في أوقات الصلوات.

وقد مرّوا في مسيرهم ليلًا بماءٍ يقال له: الحوأب، فنبحتهم كلاب عنده، فلما سمعت ذلك عائشة قالت: ما اسم هذا المكان؟ قالوا: الحوأب، فضربت بإحدى يديها

(١) منهم الوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن عامر، وسعيد بن العاص.

عى الأخرى وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون ما أظنني إلا راجعة، قالوا: ولم؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه: «ليتَ شِعري أَيَّتُكنَّ التي تَنبحَها كِلابُ الحَوأَبِ». ثم ضربت عضد[١] بعيرها فأناخته، وقالت: ردُّوني ردُّوني، أنا والله صاحبة ماء حوأب.

فَقَالَ لَهَا الزُّبَيْرُ: تَرجِعِينَ! عَسَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَن يُصلِحَ بِكِ بَيْنَ النَّاسِ[٢].

فارتحلوا نحو البصرة، فلما اقتربت من البصرة كتبت إلى الأحنف بن قيس وغيره من رءوس النَّاس أنَّها قَد قدمت، فبعث عثمانُ بنُ حنيف عمران بن حصين[٣] وأبا الأسود الدؤلي إليها ليعلما ما جاءت له.

فلما قدما عليها سَلَّما عليها واستَعلَما منها ما جاءت له، فذكرت لهما ما الذي جاءت له من القيام بطلب دم عثمان.

فخرجا من عندها فجاءا إلى طلحة فقالا له: ما أقدمك؟

فقال: الطلب بدم عثمان.

فقالا: ما بايعتَ عليًّا؟

قال: بلى، والسّيف على عنقي، ولا أستقبله إن هو لم يُخلِ بيننا وبين قتلة عثمان.

فذهبا إلى الزبير فقال مثل ذلك، قال فرجع عمرانُ وأبو الأسود إلى عثمان بن حنيف فأخبراه بما سمعا، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، رَحَى الإسلام وربّ الكعبة.

ونادى في النَّاس يأمرهم بلبس السلاح.

وقدمت أُمّ المؤمنين بمن معها من النَّاس فنزلوا المربد[٤] من أعلاه قريبًا من

---

(١) **العضد**: ما بين المرفق إلى الكتف.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الخزاعي، صاحب راية النبي ﷺ على خزاعة يوم الفتح.

(٤) **مربد البصرة**: موضع كانت تقام فيه سوق الإبل خارج البلدة، ثم صارت تكون فيه مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء، ثم اتسع عمران البصرة فدخل المربد في العمران فكان من أجلّ شوارعها.

البصرة، وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يكون معها، وخرج عثمان بن حنيف بالجيش فاجتمعوا بالمربد.

ولما التقى الفريقان تكلم طلحة فندب إلى الأخذ بثأر عثمان والطلب بدمه، وتابعه الزبير فتكلم بمثل مقالته، فردّ عليهما ناسٌ من جيش عثمان بن حنيف، وتكلمت أم المؤمنين فحرضت وحثت على القتال، فتناور طوائف من أطراف الجيش فتراموا بالحجارة، ثم تحاجز الناس ورجع كلٌّ فريق إلى حوزته، وقد صارت طائفةٌ من جيش عثمان بن حنيف إلى جيش عائشة، فكثروا... وحجز الليل بينهم.

فلما كان اليوم الثاني قصدوا للقتال فاقتتلوا قتالًا شديدًا، إلى أن زال النهار، وكان على خيل عثمان بن حنيف: حكيمُ بنُ جَبَلَة[1] - أحد المحرضين على القتال - وقُتل خلقٌ كثير من أصحاب ابن حنيف، وكثرت الجراح في الفريقين، فلما عضتهم الحربُ تداعوا إلى الصلح على أن يكتبوا بينهم كتابًا:

- أن يكفّوا عن القتال.
- ولعثمان دار الإمارة، والمسجد، وبيت المال.
- وأن ينزل طلحةُ والزُّبير من البصرة حيث شاءا.
- ولا يعرض بعضهم لبعض حَتَّى يقدم عليٌّ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ -.

وروى أن حكيم بن جبلة عارضهم حينئذٍ.

وجمع طلحةُ والزُّبير النَّاس وقصدوا المسجد وانتظروا عثمان بن حنيف فأبطأ ولم يحضر، وكان قَد بلغ عليًّا - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - ما وقع، فكتب إلى عثمان بن حنيف يصفه بالعجز، ووقعت فتنة في المسجد من رعاع البصرة أتباع حكيم بن جبلة، وكان لها ردّ فعل من أُناس ذهبوا إلى عثمان بن حنيف قصره، فأخرجوه إلى طلحة والزبير، ولم يبق في وجهه شعرة إلَّا نتفوها[2]، فاستعظما ذلك وبعثا إلى عائشة فأعلماها الخبر، فأمرت أن

---

(١) أحد من باشر قتل عثمان.

(٢) في «تاريخ الطبري» (٥/١٧٨): «أمرهم بذلك مجاشع بن مسعود السّلمي، زعيم هوازن وبني سلم والأعجار من قبائل البصرة».

يخلّي سبيله، فأطلقوه، وولوا على بيت المال عبد الرحمن بن أبي بكر، وقسّم طلحة والزبير أموال بيت المال في النَّاس، وأخذوا الحرس، واستبدوا في الأمر بالبصرة، فحمى لذلك جماعة من قوم قتلة عثمان وأنصارهم، فركبوا في جيش قريب من ثلثمائة ومقدمهم حكيم بن جبلة - وهو أحد من باشر قتل عثمان - فبارزوا وقاتلوا، فضرب رَجُلٌ رِجلَ حكيم بن جبلة فقطعها، فزحف حتى أخذها وضرب بها ضاربه فقتله، ثم أتكأ عليه، فمر عليه رجل وهو متكىء برأسه على ذلك الرجل فقال له: من قتلك؟ فقال له: وسادتي.

ثم مات حكيم قتيلا هو ونحو من سبعين من قتلة عثمان وأنصارهم أهل المدينة، فضعف جأش من خالف طلحة والزبير من أهل البصرة، ويقال: إن أهل البصرة بايعوا طلحة والزبير.

وقد كانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخرة سنة ست وثلاثين» ا.هـ[1].

عباد الله...

وخَرَجَ عليٌّ - رَضِي الله عَنهُ - من المَدينةِ إلى الكُوفةِ وذلك لَـمَّا سَمِعَ أَنَّهُ وَقَعَ هناك قِتالٌ بين عثمان بن حُنيف وهو والي عليّ عَلَى البصرة وبين طلحة والزُّبير وعائِشةَ ومَن مَعَهُم، فَخَرجَ عليٌّ - رَضِي الله عَنهُ - وجَهَّزَ جَيشًا قِوَامهُ عشرة آلافِ لمقاتلةِ طلحةَ والزُّبير.

وهنا يَظهر لنا جَليًّا أنَّ عليَّ بن أبي طالب هُوَ الذي خَرَجَ إليهم ولم يَخرجُوا عليه، ولم يَقصُدوا قِتَالهُ كما تَدَّعي بعضُ الطَّوائفِ ومَن تأَثَّرَ بهم، ولو كَانُوا يُريدُون الخُروجَ على عليّ لَذَهبُوا إلى المَدينةِ مباشرةً وليس إلى البصرةِ.

فَطلحةُ والزبيرُ وعائشةُ ومَن كان معهم لم يَحدُث قطّ أنَّهم أبطَلُوا خِلَافة عليّ ولا طَعَنُوا عليه، ولَا ذَكَرُوا فيه جرحًا ولا بَايعوا غَيرهُ، ولا خَرجُوا لِقِتاله إلى البصرة فإنَّه لم يكن بالبصرة يومئذٍ.

---

(١) «البداية» (٨/ ٤ - ٧).

وَلذَلكَ قَالَ الأحنفُ بنُ قيس: لَقيتُ طَلحةَ والزُّبير بعدَ حَصرِ عُثمان فقُلتُ: مَا تأمُرَاني فإنِّي أراه مَقتُولًا؟

قالًا: عَليك بِعَليّ.

قَالَ: وَلقيتُ عائشةَ بعد قَتلِ عُثمانَ في مكَّة فقُلتُ: مَا تأمُرِيني؟

قالت: عَلَيك بِعَليّ[١].

وأرسلَ عليٌّ المقداد بن الأسود والقَعقَاعَ بن عَمرو لِيتَكلَّما مع طَلحة والزُّبير، واتَّفَقَ المِقدادُ والقَعقَاعُ من جِهةٍ وطَلحةُ والزُّبير من جهةٍ أُخرى عَلَى عَدم القِتالِ وبَيَّن كُلُّ فريقٍ وجهةَ نظرِه.

فطلحةُ، والزُّبير يَرَيَان أنَّهُ لا يَجُوزُ تركُ قَتَلةِ عُثمان، وعليٌّ يَرَى أنَّهُ ليسَ مِن المصلَحَةِ تَتبُّعُ قَتَلةِ عُثمان الآن، بل حَتَّى تَستَتِبَّ الأُمورُ، فَقتلُ قَتلةِ عُثمان مُتَّفَقٌ عليه، والاختِلَافُ إنَّما هُوَ فِي مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ.

وبعد الاتفاقِ نَامَ الجَيشَانِ بِخَيرِ لَيلةٍ، وبَاتَ السَّبَئِيةُ (وهُم قَتَلةُ عُثمان)[٢] بِشَرِّ ليلةٍ، لأَنَّهُ تَمَّ الاتفاقُ عليهم، وهَذَا ما ذَكَرهُ المُؤرِّخون الذين أرَّخُوا لِهَذِه المعركةِ أمثَالَ: الطَّبريّ، وابن كثيرٍ، وابن الأثيرِ، وابن حَزم، وغيرهم.

عند ذلك أجمعَ السَّبئيُّونَ رأيَهُم عَلَى أن لا يَتِمَّ هذا الاتفاقُ، وفِي السَّحَرِ والقَومُ نائِمونَ، هَاجَمَ مجموعةٌ من السَّبَئِيِّين جَيشَ طَلحةَ والزُّبير وقَتلُوا بعضَ أفرادِ الجَيشِ وفَرُّوا، فَظَنَّ جيشُ طلحةَ أنَّ جَيشَ عَليٍّ غَدَرَ بهم، فَنَاوشُوا جيش عَليٍّ في الصَّباحِ، فَظَنَّ جيشُ عليٍّ أنَّ جَيشَ طلحةَ والزُّبير قَد غَدَرَ، فاستمَرَّت المُنَاوشَاتُ بين الفَرِيقين حَتَّى كانت الظَّهيرةُ فَاشتعلت المَعرَكةُ.

وقد حَاولَ الكِبارُ من الجَيشين وَقفَ القِتَالِ، ولكِن لم يُفلِحوا، فَكانَ طلحةُ يقولُ: يَا أيُّهَا النَّاس أتنصِتُونَ؟ فَأصبَحُوا لا يُنصتُونَه، فَقَال: أُفٍّ أُفٍّ فَرَاشُ نارٍ، وذُبَّانُ طَمَعٍ[٣]، وعليٌّ يَمنعُم ولا يَرُدُّونَ عليه، وأرسَلَت عَائِشةُ كعب بن سَور بالمُصحَفِ

---

(١) قَالَ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٣٨): أخرجه الطبريّ بإسناد صحيح.

(٢) وهم أتباع (ابن سبأ اليهودي) الذي تدثر بالإسلام وأبطن الكفر.

(٣) «تاريخ خليفة بن خياط» (١٨٢).

يُوقفِ المَعركة، فَرَشَقَه السَّبئيُّون بالنِّبال حَتَّى أردَوه قَتيلًا.

وذلك أنَّ الحَرب والعياذُ بالله إذَا اشتعَلَت لا يَستَطيعُ أحدٌ أن يُوقِفَهَا، وقد ذَكَرَ البُخاريُّ أبياتًا من الشِّعر لامرئ القيس:

الحَربُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فتِيَّةً ... تَسعَى بزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ

حَتَّى إِذَا اشتَعَلَت وَشَبَّ ضِرَامُهَا ... وَلَّت عَجُوزًا غَيرَ ذاتِ حَلِيلِ

شَمطَاءَ يُنكَرُ لَونُهَا وَتَغيَّرَت ... مَكرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقبِيلِ[١]

قَالَ شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله: «والفتنة إذا وقعت عَجَزَ العُقلاء فيها عَن دَفع السُّفَهاء، فَصَارَ الأكابر - رَضِي الله عَنهُ - عَاجِزين عَن إطفَاءِ الفتنة، وكَفِّ أهلِها، وهذا شَأنُ الفِتن كما قَالَ تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُم خَاصَّةً وَاعلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥][٢].

وَقعةُ الجَمَلِ كَانت في سنةِ ستٍّ وثَلَاثِينَ من الهِجرةِ، أي: في بدايةِ خِلَافةِ عليٍّ - رَضِي الله عَنهُ - بَدَأت بعدَ الظُّهرِ وانتَهَت قُبيلَ مَغِيبِ الشَّمسِ من اليوم نفسه.

كَانَ مع عليٍّ عشرةُ آلافٍ، وأهلُ الجَمَلِ كَانَ عَدَدُهم مَا بين الخَمسةِ والسِّتَّةِ آلاف، ورَاية عليٍّ كَانتَ مع مُحمَّد بن عليّ بن أبي طَالبٍ، ورَايةُ أهلِ الجَمَل مع عبدِ الله بن الزُّبير». ا.هـ[٣].

«وقامت الحرب على ساق وقدم، وتبارز الفريقان، وجالت الشجعان، وتوافق الفريقان، وقد اجتمع مع عليّ عشرون ألفًا، والتفّ على عائشة ومن معها نحوا من ثلاثين ألفًا[٤]، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

والسَّابئة أصحاب ابن السَّوداء - قبحه الله - لا يفترون[٥] عن القتل، ومنادي عليّ

---

(١) رواه البخاري (٧٠٩٦).

(٢) «مختصر منهاج السُّنة» (٢٨١).

(٣) «حقبة من التاريخ» (١٧٦ - ١٧٩).

(٤) فقد جاءت امدادات كثيرة لكلا الفريقين.

(٥) لا يتوقفون.

ينادي: ألا كفُّوا، ألا كُفُّوا، فلا يسمع أحدٌ.

وجاء كعب بن سوار قاضي البصرةُ فقال: يا أم المؤمنين أدركي الناس لعل الله أن يُصلح بكِ بين النَّاس.

فجلست في هودجها فوق بعيرها وسيروا الهودج بالدروع، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس عند حركاتهم، فتصاولوا وتجاولوا، وكان في جملة من تبارز الزُّبير وعمَّار، فجعل عمَّار ينخره بالرّمح، والزُّبير كاف عنه ويقول له، أتقتلني يا أبا اليقظان فيقول: لا يا أبا عبد الله، وإنما تركه الزبير لقول رسول الله ﷺ: «**تَقتُلكَ الفِئَةُ البَاغِية**»[(١)]، وإلَّا فالزبير أقدر عليه منه عليه، فلهذا كفّ عنه، وقد كان من سُنَّتهم في هذا اليوم أنَّهُ لا يُجهز عَلَى جريح، ولا يتبع مُدبر، وقد قُتل مع هذا خلق كثير جدًّا.

وقال مبارك بن فضالة عن الحسن بن أبي بكرة: لَـمَّا اشتد القتال يوم الجمل ورأى عليّ الرءوس تندر[(٢)]، أخذ عليٌّ ابنهُ الحسن فضمَّهُ إلى صدره ثُمَّ قَالَ: «إنا لله يا حسن، أيّ خير يُرجى بعد هذا؟».

وفي رواية أخرى: «ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عامًا»[(٣)].

وعن حرب بن أبي الأسود الدؤلي قَالَ: لَـمَّا دنا عليّ وأصحابه من طلحة والزُّبير، ودنت الصفوف بعضها من بعض، خرج عليّ وهو على بغلة رسول الله ﷺ فنادى: ادعوا إليَّ الزُّبير بن العَوَّام فأني عليّ.

فَدُعى له الزُّبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابّهما، فقال عليّ: يا زبير نشدتك الله، أتذكر يوم مرّ بك رسول الله ﷺ ونحن في مكان كذا وكذا، فقال: «**يا زُبَيرُ ألا تُحب عَليًّا؟**» فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني؟ فقال: «**يَا زُبَيرُ أما والله لَتُقَاتِلنَّهُ وأنتَ ظَالِمٌ لَهُ**».

فقال الزُّبير: بلى والله، لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ﷺ ثم ذكرته الآن،

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وغيرهما.

(٢) تندر: تسقط.

(٣) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٥٤٦/ ٣٧٨٢٤).

والله لا أقاتلك[١].

ثُمَّ مضى الزُّبير منصرفًا، فلقيه ابنه عبد الله بن الزبير فقال: جُبنًا جُبنًا، قال: قَد علم النَّاس أنِّي لست بجبان، ولكن ذكّرني عليّ بشيء سمعتُهُ من رسول الله ﷺ فحلفتُ أن لا أُقاتله، ثُمَّ قَالَ:

تـركُ الأمـور الـتي أخـشى عَواقـبها   في الله أحـــسَنُ في الدُّنـــيا والـــدِّين

والمقصود: أن الزُّبير لَـمَّا رجع يوم الجَملِ سار فنزل واديًا يقال له: وادي السِّباع، فاتبعه عمرو بن جرموز، فجاءه وهو نائم فقتله غيلة.

وأمَّا طلحة: فجاءه سهمٌ غرب[٢]، فانتظم رجله مع فرسه فجمحت به الفرس فجعل يقول: «إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله»، فاتبعه مولى له فأمسكها، فقال له: «ويحَك، اعدِل بي إلى البيوت»، وامتلأ خُفّه دمًا، فقال لغلامه: «انزعه وأردِفني»، وذلك أَنَّهُ نزفه الدم وضعُف، فركب الغلامُ وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة فمات فيه - رَضِيَ اللهُ عَنهُ -.

وتقدمت عائشة رضي الله عنها في هودجها، وناولت كعب بن سوار قاضي البصرة مصحفًا وقالت: ادعهم إليه.

فلما تقدم «كعب بن سوار» بالمصحف يدعو إليه، استقبله مقدمة جيش الكوفيين،

---

(١) أخرجه الحاكم بنحوه (٣/ ٣٣٦)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبيّ.
والصواب: أن الحديث ضعيف، ذُكر من طرق قَالَ العقيلي عنها في «الضعفاء» (٢/ ٣٠٠): «الأسانيد في هَذَا لينة» ا.هـ.
قلت: ولذلك رجّح بعضهم أن طلحة والزبير لم يحاربا فيها.

(٢) غرب: لا يُدرى راميه. قَالَ ابن كثير في «البداية» (٥/ ٣٣٨): «يقال: رماه به مروان بن الحكم، فالله أعلم».
قلت: لا يصحّ، وإن صحّحه الحاكم، فالحاكم معروف بتساهله، وقول ابن كثير «يقال» فيه إشارة إلى ضعفه، والله أعلم. وللمزيد انظر «حاشية العواصم من القواصم» (١٦٠).
تنبيه: تنبأ النبي ﷺ باستشهاده، ففي «صحيح الترمذي» (٢٩٤٠) قَالَ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ» وستأتي قصّته إن شاء الله تعالى.

وكان عبد الله بن سبأ وهو ابن السوداء وأتباعه بين يدي الجيش يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة، فلما رأوا كعب بن سوار رافعًا المصحف رشقوه بنبالهم فقتلوه، ووصلت النبالُ إلى هودج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فجعلت تنادى: «الله الله يا بني، اذكروا يوم الحساب»، ورفعت يديها تدعو على أولئك النفر من قتلة عثمان، فضجّ النَّاس معها بالدُّعاء حتى بلغت الضجةُ إلى عليّ فقال: ما هذا؟

فقالوا: أُمّ المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم.

فقال: اللهُمَّ العن قتلة عثمان.

وجعل أولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنّبال حتى بقى مثل القنفذ، وجعلت تحرّض النَّاس على منعهم وكَفّهم، فحملت مُضَر حملة فطردوهم حَتَّى وصلت الحملة إلى الموضع الذي فيه علي بن أبي طالب، فقال لابنه محمد ابن الحنفية: ويحك تقدم بالراية، فلم يستطع فأخذها عليّ من يده فتقدم بها، وجعلت الحرب تأخذ وتعطى، فتارة لأهل البصرة وتارة لأهل الكوفة، وقتل خلق كثير، وجمّ غفير، ولم تُر وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة، وقتل حول الجمل خلقٌ كثير، وكان منهم محمد بن طلحة المعروف بالسَّجاد، ثُمَّ جاء رجل فضرب الجمل عَلَى قوائمه فعقره وسقط إلى الأرض، ويقال: إن الذي أشار بعقر الجمل عليّ، وقيل: القعقاع بن عمرو لئلا تُصَاب أُمّ المؤمنين، فإنها بقيت غرضًا للرماة.

ولما سقط البعير إلى الأرض انهزم من حوله من النَّاس، وأمر عليّ نفرًا أن يحملوا الهودج من بين القتلى، وأمر محمد بن أبي بكر وعمَّارًا أن يضربا عليها قُبّة، وجاء إليها عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين مُسَلِّمًا فقال: كيف أنتِ يا أُمّه؟

قالت: بخير.

فقال: يغفر الله لكِ.

وجاء وجوهُ النَّاس من الأمراء والأعيان يسلمون عليها.

فلما كان الليل دخلت أم المؤمنين البصرة، ومعها أخوها محمد بن أبي بكر، فنزلت في دار عبد الله بن خلف الخزاعي - وهي أعظم دار بالبصرة - على صفية بنت الحارث ابن أبي طلحة بن عبد العُزَّي بن عثمان بن عبد الدار، وهي أُمّ طلحة الطلحات عبد الله

ابن خلف، وتسلل الجرحى من بين القتلى فدخلوا البصرة، وأقام عليّ بظاهر البصرة ثلاثًا، وقد طاف عليّ بين القتلى فجعل كلما مر برجل يعرفه ترحم عليه ثُمَّ صلى عَلَى القتلى من الفريقين، وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء، رحمهم الله ورضي عن الصحابة منهم.

وقد سأل بعض أصحاب عليّ عليًّا أن يقسّم فيهم أموال أصحاب طلحة والزُّبير، فأبى عليه، فطعن فيه السبئيّة وقالوا: كيف يحلّ لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم؟

فبلغ ذلك عليًّا فقال: أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه؟ فسكت القوم.

ولما أرادت أم المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها عليّ رضي الله عنه بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذِنَ لمن سَلِم ممن جاء في الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام، واختار لها أربعين امرأةً من نساء أهل البصرة المعروفات، وسَيَّر معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلمَّا كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء عليّ فوقف على الباب وحضر النَّاس، وخرجت من الدار في الهودج فودّعت الناس ودعت لهم وقالت: «يا بني لا يعتب بعضنا على بعض».

وسار علي معها مودّعًا ومُشيّعًا أميالًا، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم، وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين، وقصدت في مسيرها ذلك إلى مكة فأقامت بها إلى أن حجّت عامها ذلك، ثم رجعت إلى المدينة رضي الله عنها[١].

عباد الله...

وبهذا انتهت وقعة الجَمل، لتبقى أحداثها ونتائجها عبرةً لأولي الألباب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

(١) هَذَا ملّخص ما ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» مع إضافات.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وخلاصة الكلام:

(١) أنَّ عليّ بن أبي طالب - رَضِي الله عَنهُ - رأى اجتماع شمل الأُمّة أوَّلًا، ثُمَّ تعقُّب قَتلة عُثمان ثانيًا.

(٢) أما طلحة والزُّبير وعائشة رضي الله عنهم فرأوا تعقّب قَتلة عُثمان أوَّلا، ثُمَّ اجتماع شمل الأُمة ثانيًا.

(٣) أن السبب في نشوب القتال بين الفريقين قتلةُ عُثمان بقيادة عبد الله بن سبأ، كما تقدّم.

(٤) أنَّ الحقّ - بلا شك - كان مع عليّ - رَضِي الله عَنهُ - دون تأثيم الطرف الثاني، لأَنَّهُ مجتهد، والمجتهد مأجور.

قَالَ الشيخ الألباني - رحمه الله -: ولا نشك أن خروج أمّ المؤمنين كان خطأ من أصله، ولذلك هَمّت بالرجوع حين علمت بتحقق نبوءة النبي ﷺ عند الحوأب، ولكن الزُّبير أقنعها بترك الرجوع بقوله: «عسى الله أن يصلح بك بين الناس».

ولا شك أَنَّهُ كان مخطئًا في ذلك أيضًا، والعقل يقطع بأنه لا مناص من القول بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللتين وقع فيهما مئات القتلى[1]، ولا شك أن عائشة رضي الله عنها هي المخطئة، لأسباب كثيرة وأدلة واضحة، ومنها ندمها عَلَى خروجها، وذلك هُوَ اللائق بفضلها وكمالها، وذلك مما يدلّ عَلَى أن خطأها من الخطأ المغفور، بل المأجور».

---

(١) آلاف، كما تقدّم.

قَالَ الإمام الزيلعي[١]: وقد أظهرت عائشة رضي الله عنها الندم، كما أخرجه ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب، عن ابن أبي عتيق، وهو عبد الله بن محمد بن أبي بكر الصِّدِّيق - قَالَ: «قالت عائشة لابن عُمَر: يا أبا عبد الرحمن، ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قَالَ: رأيتُ رجلًا غلب عليك - يعني الزُّبير -. فقالت: أما والله، لو نهيتني ما خرجتُ» ا.هـ[٢].

اللهُمَّ آرنا الحقَّ حَقًّا وارزقنا اتَّباعه، وأرنا الباطل بَاطلًا وارزقنا اجتنابه

آمين... آمين... آمين.

۞۞۞۞۞

(١) في «نصب الراية» (٤/ ٦٩، ٧٠).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٨٥٤).

الخطبة الثانية عشرة

[جـ] موقعة صِفِّين... بين الحقيقة والافتراء

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن سيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - رَضِيَ الله عَنهُ - ونلتقي اليوم مع «موقعة صفِّين».

عباد الله...

دارت رحى هذه الوقعة بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما وبدأت أحداثُها في ذي الحجة سنة ستٍّ وثلاثين، ثُمَّ تهادنوا في المحرّم سنة سبع وثلاثين، واستؤنف القتالُ بعده، ثُمَّ كُتب كتاب التحكيم في صفر سنة سبعٍ وثلاثين عَلَى أنَّ يُعلن الحكمان حكمهما

في رمضان بدومة الجندل بمكان منها يسمّى «أذرح».

وكان النبيُّ ﷺ قَد أخبر بوقوعها في أحاديث، منها:

(١) عَن أَبَا بَكرَةَ الثقفيّ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: رَأيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى المِنبَرِ وَالحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنبِهِ وَهُوَ يُقبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيهِ أُخرَى وَيَقُولُ: «**إِنَّ ابنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَن يُصلِحَ بِهِ بَينَ فِئَتَينِ عَظِيمَتَينِ مِن المُسلِمِينَ**»[١].

قَالَ الشيخ مُقبل الوادعيّ - رحمه الله -: «وفي قوله ﷺ: «مِن المُسلِمِينَ» ردّ عَلَى الروافض الذين يكفّرون معاوية رَضِي الله عَنهُ» ا.هـ[٢].

(٢) عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تَكُونُ فِي أُمَّتِي فِرقَتَانِ فَتَخرُجُ مِن بَينِهِمَا مَارِقَةٌ[٣] يَلِي قَتلَهُم أَولَاهُم بِالحَقِّ**»[٤].

(٣) وَعَن أَبُو هُرَيرَةَ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ وَتَكُونُ بَينَهُمَا مَقتَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَدَعوَاهُمَا وَاحِدَةٌ**»[٥].

قَالَ الإمام النووي - رحمه الله -: «هذا من المعجزات، وقد جرى هذا في العصر الأوّل» ا.هـ[٦].

أما أحداثها فملخصها:

أنَّ عليّ بن أبي طالب - رَضِي الله عَنهُ - لَـمَّا فرغ من وقعة الجمل، ودخل البصرة وشيّع أمّ المؤمنين عائشة لَـمَّا أرادت الرجوع إلى مكّة - كما تقدّم - سار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من رجب سنة ستٍّ وثلاثين، ونزل في «الرّحبة» وصلّى في الجامع الأعظم ركعتين، ثُمَّ خطب النَّاس فحثّهم عَلَى الخير

---

(١) رواه البخاريّ (٥/ ٣٠٦).

(٢) «الصحيح المسند من دلائل النبوّة» (٤٢٢).

(٣) هم الخوارج.

(٤) رواه مسلم (٢/ ٧٤٥).

(٥) رواه مسلم (٢٨٨٨).

(٦) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨/ ٣٤٠).

ونهاهم عن الشّر، ومدح أهل الكوفة، ثُمَّ بعث جرير بن عبد الله إلى معاوية وبعث معه كتابًا إلى معاوية يُعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار عَلَى بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه النَّاس.

فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه الكتاب، فطلب معاوية عمرو بن العاص ورءوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه.

فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا، فخرج علي - رَضِيَ الله عَنهُ - من الكوفة عازمًا عَلَى الدخول إلى الشام فعسكر بالنخيلة، واستخلف عَلَى الكوفة أبا مسعود عقبة ابن عامر البدريّ الأنصاري.

وبلغ معاوية أن عليًّا قَد خرج بنفسه فاستشار عمرو بن العاص، فقال له: اخرج أنت أيضًا بنفسك.

وعقدت الألوية والرايات للأمراء وتهيأ أهل الشام وتأهبوا، وخرجوا أيضا إلى نحو الفرات من ناحية صفين[1]، حيث يكون مقدم عليّ بن أبي طالب - رَضِيَ الله عَنهُ - وسار عليّ - رَضِيَ الله عَنهُ - بمن معه من الجنود من النخيلة قاصدًا أرض الشام.

قال الحكم بن عيينة: وكان في جيشه ثمانون بدريًّا، ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة.

وكان جيش عليّ في مائة وعشرين ألفًا، وجيش معاوية في تسعين ألفًا[2]، وتواجه الفريقان، وذلك بمكان يقال له «صفين» وذلك في أوائل ذي الحجّة، ثُمَّ عدل عليّ - رَضِيَ الله عَنهُ - فارتاد لجيشه منزلًا، وقد كان معاوية - رَضِيَ الله عَنهُ - سبق بجيشه فنزلوا عَلَى مشرعة الماء في أسهل موضع وأفسحه، فلمّا نزل عليّ نزل بعيدًا عن الماء.

وجاء أهل العراق ليردوا من الماء[3] فمنعهم أهلّ الشام، فوقع بينهم مقاتلة بسبب

---

(١) موضع بقرب «الرّقة» على شاطئ الفرات آخر تخوم العراق وأوّل أرض الشام.

(٢) انظر «حاشية العواصم من القواصم» (١٦٦).

(٣) أي: ليشربوا.

ذلك، ثُمَّ ما زال أهل العراق يكشفون الشامين عن الماء حَتَّى أزاحوهم عنه، وخلّوا بينهم وبينه، ثُمَّ اصطلحوا عَلَى الورود حَتَّى صاروا يزدحمون في تلك الشريعة لا يكلّم أحدٌ أحدًا، ولا يؤذي إنسان إنسانًا.

وأقام عليّ - رَضِي الله عَنهُ - يومين لا يكاتب معاوية - رَضِي الله عَنهُ - ولا يكاتبه معاوية.

ثُمَّ دعا عليّ - رَضِي الله عَنهُ - بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبيب بن ربعيّ السّهمي، فقال: «ايتوا هذا الرجل - يعني معاوية - فادعوه إلى الطاعة والجماعة، واسمعوا ما يقول لكم».

فلما دخلوا عَلَى معاوية أخبروه برسالة أمير المؤمنين عليّ، فقال معاوية: لا والله لا أفعل ذلك أبدًا، وصمّم عَلَى القيام بطلب دم عثمان.

فعند ذلك نشبت الحربُ بينهم، وأمَر عليّ بالطلائع والأمراء أن تتقدم للحرب، وجعل عليّ يؤمّر عَلَى كل قوم من الحرب أميرًا، فمن أمرائه:

- الأشتر النخعيّ، حجر بن عديّ، شبث بن ربعيّ، خالد بن المعتمر، زياد بن النضر، زياد بن حفصة، سعيد بن قيس، معقل بن قيس، قيس بن سعد.

وكذلك جعل معاويةُ يؤمّر عَلَى كل قوم من الحرب أميرًا، فمن أمرائه:

- عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، أبو الأعور السّلميّ، حبيب بن مسلم، ذو الكلاع الحميري، عبيد الله بن عُمَر بن الخطاب[١]، شرحبيل بن السّمط، حمزة بن مالك الهمدانيّ.

واقتتلوا في مدّة شهر ذي الحجة كل يوم، وجرت بينهم حروب يطول ذكرُها، والمقصود منها أنَّهُ لَـمَّا دخل شهرُ المحرّم تحاجز القوم رجاء أن يقع بينهم مهادنة وموادعة يئول أمرُها إلى الصلح بين النَّاس، وحقن دماؤهم.

قَالَ ابن جرير - رحمه الله -: ثُمَّ لم تزل الرُّسل تتردّد بين عليّ ومعاوية والناس

---

(١) أخو عبد الله بن عمر.

كافّون عن القتال حَتَّى انسلخ المحرّم من هذه السنة ولم يقع بينهم صلحٌ، فَأَمَر عليّ - رَضِي الله عَنهُ - يزيد بن الحارث الجشميّ فنادى أهل الشام عند غروب الشمس: «ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم: إني قَد استأنيتُكم لتراجعوا الحق، وأقمتُ عليكم الحجّة فلم تجيبوا، وإني قَد نبذتُ إليكم عَلَى سواء، إن الله لا يحب الخائنين».

ففزع أهل الشام إلى أمرائهم فأعلموهم بما سمعوا المنادي يقول، فنهض عند ذلك معاوية وعمرو فَعبِّيا الجيش ميمنة وميسرة، وبات عليّ يعبي جيشه من ليلته، فجعل عَلَى خيل أهل الكوفة «الأشتر النخعيّ»، وعلى رجَّالتهم «عمَّار بن ياسر»، وعلى خيل أهل البصرة «سهل بن حنيف»، وعلى رجّالتهم «قيس بن سعد»، و«هاشم بن عتبة»، وعلى قرّائهم «سعيد بن فدكي التميمي»، وتقدّم عليّ - رَضِي الله عَنهُ - إلى النَّاس أن لا يبدأوا واحدًا بالقتال حَتَّى يبدأ أهل الشام، وأنه لا يجهز عَلَى جريح، ولا يتبع مُدبر، ولا يكشف ستر امرأة ولا تُهان وإن شتمت أمراء النَّاس وصلحاءهم.

وبرز معاوية صبح تلك الليلة وقد جعل عَلَى الميمنة «ابن ذي الكلاع الحميريّ»، وعلى الميسرة «حبيب بن مسلمة الفهريّ»، وعلى المقدّمة «أبا الأعور السّلميّ»، وعلى خيل دمشق «عمرو بن العاص»، وعلى رجّالتهم «الضَّحَّاك بن قيس»، ذكره ابن جرير.

وقد تعاقد جماعة من أهل الشام عَلَى أَلَّا يفروا فعقلوا أنفسهم بالعمائم، وكان هؤلاء خمسة صفوف، ومعهم ستة صفوف آخرين، وكذلك أهل العراق كانوا أحد عشر صفًا - أيضًا - فتوافقوا عَلَى هذه الصّفة أوَّل يوم من صفر وكان ذلك يوم الأربعاء.

وكان أمير الحرب يومئذ للعراقيين «الأشتر النخعي»، وأمير الشاميين «حبيب بن مسلمة» فاقتتلوا ذلك اليوم قتالاً شديدًا، ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد انتصف بعضهم من بعض، وتكافئوا في القتال، ثم أصبحوا من الغد يوم الخميس وأمير حرب أهل العراق «هاشم بن عتبة» وأمير الشاميين يومئذ «أبا الأعور السّلميّ» فاقتتلوا قتالا شديدًا، ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد صبر كل من الفريقين للآخر وتكافئوا.

ثم خرج في اليوم الثالث وهو يوم الجمعة عمار بن ياسر من ناحية أهل العراق وخرج إليه عمرو بن العاص في الشاميين فاقتتل الناس قتالًا شديدًا، وحمل عمار على

عمرو بن العاص فأزاله عن موقفه... وتراجع النَّاس من العشيّ وقد صبر كُلّ فريق لصاحبه.

وخرج في اليوم الرابع وهو يوم السبت محمد بن عليّ وهو ابن الحنفية، ومعه جمع عظيم، فخرج إليه في كثير من جهة الشاميين عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وتحاجز النَّاس يومهم ذلك.

ثم خرج في اليوم الخامس وهو يوم الأحد في العراقيين عبد الله بن عباس، وفي الشاميين الوليد بن عقبة، واقتتل النَّاس قتالًا شديدًا، ويقال: إن ابن عباس قاتل يومئذ قتالًا شديدًا بنفسه رَضِي الله عَنهُ.

ثم خرج في اليوم السادس وهو يوم الاثنين وعلى الناس من جهة العراقيين قيس ابن سعد، ومن جهة أهل الشام ابن ذي الكلاع فاقتتلوا قتالًا شديدًا أيضًا، وتصابروا ثم تراجعوا.

ثم خرج الأشتر النخعي في اليوم السابع وهو يوم الثلاثاء من جهة عليّ، وخرج إليه من جهة معاوية حبيب بن مسلمة، فاقتتلوا قتالًا شديدًا أيضًا ولم يغلب أحدٌ أحدًا في هذه الأيام كلها.

ثُمَّ قام علي - رَضِي الله عَنهُ - عشية الأربعاء بعد العصر، فخطب النَّاس، وحثّهم عَلَى قيام الليل، والإكثار من تلاوة القرآن، والدُّعاء بالنصر.

ثم أصبح عليّ في جنوده قد عبأهم كما أراد، وركب معاوية في جيشه قد عبأهم كما أراد، فتقاتل الناس قتالًا عظيمًا لا يفر أحدٌ من أحدٍ ولا يغلب أحدٌ أحدًا، ثم تحاجزوا عند العشيّ، وأصبح عليّ فصلَّى الفجر بغلس[1]، وباكر القتال ثم استقبل أهل الشام فاستقبلوه بوجوههم، فدعا عليّ - رَضِي الله عَنهُ - ربَّه، وكان مِمَّا دعا به: «... إن أظهرتنا عَلَى عدوّنا فجنّبنا الفساد والبغي وسددنا للحقّ، وإن أظهرتهم علينا فارزقني الشهادة، وجنّب بقيّة أصحابي من الفتنة».

ثم تقدم عليّ - رَضِي الله عَنهُ - وهو في القلب في أهل المدينة، وعلى ميمنته يومئذ

(١) الغلس: آخر ظلمة اللَّيل.

عبد الله بن بديل، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس، وعلى القرَّاء عمار بن ياسر، وقيس بن سعد، والناس على راياتهم، فزحف بهم إلى القوم، وأقبل معاوية وقد بايعه أهل الشام على الموت، فتواقف الناس في موطن مهول وأمر عظيم، وحرّض أميرِ المؤمنين عليّ النَّاس عَلَى الصبر والثبات والجهاد، وحثّهم عَلَى قتال أهل الشام، واندلع القتالُ وحمي وطيس المعركة، وقد ذكر علماء التاريخ وغيرهم: أنَّ عليًّا - رَضِيَ الله عَنهُ - بارز في أيام «صفين» وقاتل وقَتَلَ خَلقًا كثيرًا، حَتَّى ذكر بعضهم أَنَّهُ قتل خمسمائة.

وحمل «حبيب بن مسلمة» بمن معه من الشجعان عَلَى ميمنة أهل العراق فأزالهم عن أماكنهم، وانكشفوا عن أميرهم حَتَّى لم يبق معه إلَّا زهاء ثلاثمائة، وارتدّ بقيّة أهل العراق، ولم يبق مع عليّ من تلك القبائل إلَّا أهل المدينة وعليهم «سهل بن حنيف».

ثم إن عليا أمر الأشتر النخعي أن يلحق المنهزمين فيردّهم، فسار فأسرع حتى استقبل المنهزمين من العراق فجعل يؤنبهم ويوبخّهم، فاجتمع عليه خلق عظيم من النَّاس، فجعل لا يلقى قبيلة إلا كشفها ولا طائفة إلا ردّها، ثُمَّ حمل الأشتر حَتَّى خالط الصفوف الخمسة الذين تعاقدوا أن لا يفروا وهم حول معاوية فخرق منهم أربعة وبقي بينه وبين معاوية صفٌّ.

وتبارز الشجعان وقُتل خلقٌ كثير من الأعيان من الفريقين، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وممن قُتل في هذا اليوم من الشاميين (من الأمراء): عبيد الله بن عُمَر بن الخطاب، ذو الكلاع الحميريّ.

ومن جيش عليّ: عمّار بن ياسر - رَضِيَ الله عَنهُ - وكان قَد بلغ يومئذٍ ثلاثًا وتسعين سنة، وكان أثناء قتاله يقول: «أزِفَتِ الجنان، وزُوِّجت الحور العين، اليوم نَلقَى حَبِيبَنا محمّدًا ﷺ»[1].

وعن أبي البختري، قَالَ: قَالَ عَمّارٌ يَومَ صِفِّينَ: ائتُونِي بِشَربَةِ لَبَنٍ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ شَربَةٍ تَشرَبُهَا مِن الدُّنيَا شَربَةُ لَبَنٍ»، فَأُتِيَ بِشَربَةِ لَبَنٍ فَشَرِبَهَا ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقُتِلَ[2].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبيّ (١/ ٤٢٥).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣١٩)،وغيره، وإسناده صحيح لغيره.

وبان وظهر بذلك سِرُّ ما أخبرَ به الرسولُ ﷺ من أَنَّهُ تقتله الفئة الباغية.

قَالَ الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الأَعمَشُ عَن عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ زِيَادٍ عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ الحَارِثِ قَالَ: إِنِّي لَأَسِيرُ مَعَ مُعَاوِيَةَ فِي مُنصَرَفِهِ مِن صِفِّينَ بَينَهُ وَبَينَ عَمرِو بنِ العَاصِ، فَقَالَ عَبدُ اللَّهِ بنُ عَمرِو بنِ العَاصِ: يَا أَبَتِ مَا سَمِعتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِعَمَّارٍ: «وَيحَكَ يَا ابنَ سُمَيَّةَ تَقتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ»، فَقَالَ عَمرٌو لِمُعَاوِيَةَ: أَلَا تَسمَعُ مَا يَقُولُ هَذَا؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَا تَزَالُ تَأتِينَا بِهَنَةٍ أَنَحنُ قَتَلنَاهُ إِنَّمَا قَتَلَهُ الَّذِينَ جَاءُوا بِهِ[١].

قَالَ الحافظ ابن كثير: «وهذا التأويل الذي سلكه معاوية - رَضِي الله عَنهُ - بعيد» ا.هـ[٢].

واستمرّ القتال، ثُمَّ حانت صلاة المغرب، فما صلّى بالناس إلَّا إيماء صَلَاتَي العشاء، واستمر القتال في هذه الليلة كلها، وهي من أعظم الليالي شرًّا بين المسلمين، وتسمّى هذه الليلة «ليلة الهرير» وكانت ليلة الجمعة.

وذكر غير واحد من علماء السِّير: أنهم اقتتلوا بالرماح حَتَّى تكسّرت، وبالنبال حَتَّى فنيت، وبالسيوف حَتَّى تحطّمت، ثُمَّ صاروا إلى أن تقاتلوا بالأيدي، والرمي بالحجارة، والتراب يعفّرونه في الوجوه، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك، وصلى الناس الصبح إيماء وهم في القتال حتى تضاحي النهار، وتوجّه النصر لأهل العراق على أهل الشام، وذلك أن الأشتر النخعي - وكان من الشجعان - حمل بمن فيها على أهل الشام وتبعه عليّ فانتقضت غالب صفوف أهل الشام ولم يبق إلَّا الهزيمة والكسر والفرار، وكادوا ينهزمون، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح، وقالوا: هذا بيننا وبينكم، قَد فني النَّاس فمن للثغور؟ ومن لجهاد المشركين والكفّار؟ وذكر ابن جرير وغيره من أهل التاريخ أن الذي أشار بهذا عمرو بن العاص، وذلك لَـمَّا رأى أن أهل العراق قَد ظهروا وانتصروا.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٦١).

(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ٤٨).

ورفض عليّ - رَضِيَ الله عَنهُ - أولًا إجابة طلبهم قائلًا: «... إنما رفعوها خديعة... وتخذيلًا لكم...».

فقال له مسعد بن فدكيّ التميميّ وزيد بن حصين الطائيّ في عصابة معهما من القرَّاء الذين صاروا بعد ذلك خوارج: «يا علي أجب إلى كتاب الله إذا دُعيت إليه...».

وكان ممَّن أشار عَلَى عليّ بالقبول والدخول في ذلك «الأشعث بن قيس الكندي» - رَضِيَ الله عَنهُ -.

وأرسل عليّ إلى الأشتر يأمره بالكفّ عن القتال، فقال الأشتر: «ألا ترى إلى ما نحن فيه من النّصر ولم يبق إلّا القليل».

ثُمَّ لَـمَّا علم أن بقاء القتال قَد يعرّض حياة عليّ - رَضِيَ الله عَنهُ - للخطر لَـمَّا يسببه من انشقاق في صفوف جيشه، ترك القتال، وأقبل عَلَى عليّ.

ورغب أكثر النَّاس من العراقيين وأهل الشام بكمالهم إلى المصالحة والمسالمة مدّة لعله يتفق أمر يكون فيه حقن لدماء المسلمين، فإن النَّاس تفانوا في هذه المدّة، ولاسيّما في هذه الثلاثة الأيّام المتأخّرة التي آخر أمرها ليلة الجمعة، وهي ليلة الهرير - كما تقدّم.

وكل من الجيشين فيه من الشجاعة والصبر ما ليس يوجد في الدنيا مثله، ولهذا لم يفر أحدٌ من أحد، بل صبروا حَتَّى قُتل من الفريقين فيما ذكره غير واحد سبعون ألفًا، خمسة وأربعون ألفًا من أهل الشام، وخمسة وعشرون ألفًا من أهل العراق.

وقال الزهري: بلغني أنَّهُ كان يدفن في القبر الواحد خمسون نفسًا[1].

عباد الله...

وبهذه المأساة، انتهت موقعة «صفّين»، واستغلّها المغرضون، والذين في قلوبهم مرض، والرجفون، أسوأ استغلال، وسيأتي بعد قليل مزيد بيان.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) هَذَا كله ملخص من كلام ابن جرير، وابن الجوزيّ، في «المنتظم»، وابن كثير في «البداية»، وابن العربي في «القواصم».

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرُها عَلَى التحكيم، وهو أن يُحَكِّم كلّ واحد من الأمرين - عليّ ومعاوية - رجلًا من جهته ثُمَّ يتفق الحكمان عَلَى ما فيه مصلحة المسلمين.

فوكّل معاوية عمرو بن العاص، وأراد عليّ أن يوكّل عبد الله بن عباس، لكن منعه القُرَّاء وقالوا: لا نرضى إلَّا بأبي موسى الأشعري، وكان أبو موسى قَد اعتزل في بعض أرض الحجاز[1]، فذهبت الرُسلُ إليه، لَـمَّا قيل له: إنَّ النَّاس قَد اصطلحوا، قَالَ: الحمد لله.

قيل له: وقد جُعلتَ حكمًا.

فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثُمَّ أخذوه حَتَّى أحضروه إلى عليّ - رَضِي الله عَنهُ - ثُمَّ أخذ الحَكَمَان - أبو موسى وعمرو بن العاص - من عليّ ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما آمنان عَلَى أنفسهما وأهلهما، والأُمّة لهما أنصار عَلَى الذي يتقاضيان عليه.

واجتمعا بأذرح[2] من دُومة الجندل، وهناك رواية تقول: أنهما تفاوضا واتفقا عَلَى أن يخلعا الرّجلين «عليّا ومعاوية»، ثُمَّ يجعلا الأمر شورى بين النَّاس ليتفقوا عَلَى الأصلح لهم منهما أو من غيرهما.

ثُمَّ جاءوا إلى المجتمع الذي فيه النَّاس، فتقدّم أبو موسى، وقال: «... إني خلعت عليًّا ومعاوية».

ثُمَّ تنحى، وجاء عمرو بن العاص فقام مقامه وقال: «... إنه خلع صاحبه، وإني قَد

---

(١) أي: أعتزل الفتنة، كما اعتزلها سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، ومحمد بن مَسلمَة رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) أذرح: قرية من أعمال الشراة تقع في منطقة بين أراضي شرقي الأردن والمملكة العربية السعودية في الأطراف الجنوبية من بادية الشام.

خلعتهُ كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية».

قالوا: وكان ابن العاص ذا دهاء، فخدع أبا موسى وغدر به.

لكن العلَّامة محب الدين الخطيب - رحمه الله - ردّ هذه الرواية قائلًا:

«من الحقائق ما إذا أسيء التعبير عنه وشابته شوائب المغالطة يوهم غير الحقيقة فينشأ عن ذلك الاختلاف في الحكم عليه. ومن ذلك حادثة التحكيم وقول المغالطين إن أبا موسى وعمرًا اتفقا على خلع الرجلين، فخلعهما أبو موسى، واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية.

وأصل المغالطة: مِن تجاهل المغالطين أن معاوية لم يكن خليفة، ولا هو ادعى الخلافة يومئذ حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه. بل إن أبا موسى وعمرًا اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم[(١)].

واتفاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية لأنه لم يكن خليفة ولم يقاتل على الخلافة وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان[(٢)]. فلما وقع التحكيم على إمامة المسلمين، واتفق الحكمان على ترك النظر فيها إلى كبار الصحابة وأعيانهم تناول التحكيم شيئًا واحدًا هو الإمامة.

أما التصرف العملي في إرادة البلاد التي كانت تحت يد كل من الرجلين المتحاربين فبقي كما كان: عليّ متصرف في البلاد التي تحت حكمه، ومعاوية متصرف في البلاد التي تحت حكمه، فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة[(٣)].

وكان يكون محلًّا للمكر أو الغفلة لو أن عمرًا أعلن في نتيجة التحكيم أنه ولى معاوية إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين، وهذا ما لم يعلنه عمرو، ولا ادعاه معاوية، ولم يقل به أحد في الثلاثة عشر قرنًا الماضية. وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع

---

(١) يعني مِمَّن تَبَقَّى منهم.
(٢) كما طالب طلحة والزبير رَضِي الله عَنْهُما، وكما طالبت أمّ المؤمنين عائشة رَضِي الله عَنْها.
(٣) كما أُتهم بعض كُتاب السِّير أبا موسى رَضِي الله عَنْهُ.

الحسن بن علي، وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية، ومن ذلك اليوم فقط سمي معاوية أمير المؤمنين. فعمرو لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه، لأنه لم يعط معاوية شيئًا جديدًا، ولم يقرر في التحكيم غير الذي قرره أبو موسى. ولم يخرج عما اتفقا عليه معًا، فبقيت العراق والحجاز وما يتبعهما تحت يد من كانت تحت يده من قبل، وبقيت الشام وما يتبعها تحت يد من كانت تحت يده من قبل، وتعلقت الإمامة بها سيكون من اتفاق أعيان الصحابة عليها، وأي ذنب لعمرو في أي شيء مما وقع؟ إن البلاهة لم تكن من أبي موسى، ولكن ممن يريد أن يفهم الوقائع على غير ما وقعت عليه. فليفهمها كل من شاء كما يشاء. أما هي فظاهرة واضحة لكل من يراها كما هي ا.هـ[١].

عباد الله...

مع مَن كان الحقّ؟

قَالَ ابنُ حَجَر - رَضِي الله عَنهُ -: «ذَهَبَ جُمهُور أَهل السُّنَّة إِلَى تَصوِيب مَن قَاتَلَ مَعَ عَلِيّ، وَقَد ثَبَتَ أَنَّ مَن قَاتَلَ عَلِيًّا كَانُوا بُغَاة، وَهَؤُلَاءِ مَعَ هَذَا التَّصوِيب مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يُذَمّ وَاحِد مِن هَؤُلَاءِ بَل يَقُولُونَ: اِجتَهَدُوا فَأَخطَأُوا»[٢].

وقال: «اتَّفَقَ أهل السُّنة على وُجُوبِ مَنع الطَّعنِ على أحدٍ من الصَّحابة، بِسَبَبِ مَا وَقَعَ منهم ولو عُرِف المحِقُّ منهم؛ لأنَّهم لَم يُقَاتِلُوا إلَّا عن اجتِهَادٍ»[٣].

قَالَ الطَّبَرِيُّ فِي تَقوِيَة مَذهب مَن نَاصَرَ عليًّا - رَضِي الله عَنهُ -: «لَو كَانَ الوَاجِب فِي كُلّ اِختِلَاف يَقَع بَينَ المُسلِمِينَ الهَرَب مِنهُ بِلُزُوم المَنَازِل وَكَسر السُّيُوف لَمَا أُقِيمَ حَدّ وَلَا أُبطِلَ بَاطِل، وَلَوَجَدَ أَهل الفُسُوق سَبِيلًا إِلَى اِرتِكَاب المُحَرَّمَات»[٤].

وهذا كَلَامٌ صحيحٌ إذا تَبيَّن الأمرُ، ولَكِن إذَا كَانَت الأُمورُ مُشتَبِهةً لَزِمَ الابتعادُ، فَلِذَلِكَ تَخَلَّف الكثيرُ عن المُشَارَكَة فِي هَذِه المَعرَكة[٥].

---

(١) «حاشية العواصم» (١٧٧).
(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٧٢).
(٣) نفس المرجع (١٣/ ٣٧).
(٤) نفس المرجع (١٣/ ٣٧).
(٥) «حقبة من التاريخ» (١٨٧، ١٨٨).

عباد الله...

وبهذا نأتي إلى خِتام حديثنا عن «موقعة صفّين»، وفي الخِطبة القادمة إن شاء الله نواصل الحديث عن الأحداث المتبقية في حياة أمير المؤمنين عليّ - رَضِي الله عَنهُ - ونذكر شيئًا من مناقبه إن شاء الله. فإلى اللقاء.

اللهُمَّ أرنا الحقَّ حَقًّا وارزقنا اتِّباعه، وأرنا الباطل بَاطلًا وارزقنا اجتنابه

آمين... آمين... آمين

الخطبة الثالثة عشرة

[د] استشهاد عليّ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فقد انتهينا في الخطبة الماضية من الحديث عن موقعة صفّين، وكتاب التحكيم.

والمقصود: أنَّ الأشعث بن قيس مرّ عَلَى ملأ من بني تميم فقرأ عليهم كتاب التحكيم، فقام إليه عروةُ بن جرير من بني ربيعة بن حنظلة فقال: أتحكّمون في دين الله الرِّجال؟

وقد أخذ هذه الكلمة من هذا الرجل طوائف من أصحاب عليّ من القرَّاء وقالوا: لا حكم إلا الله، فسموا المحكميّة.

وتفرق الناس إلى بلادهم من صفين وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه، ورجع عليّ إلى الكوفة.

ولما كان قد قارب دخول الكوفة اعتزل من جيشه قريب من اثنى عشر ألفًا وهم الخوارج، وأبوا أن يساكنوه في بلده، ونزلوا بمكان يقال له «حروراء» وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها، فبعث إليهم عليّ - رَضِي الله عَنهُ - عبد الله بن عباس فناظرهم فرجع أكثرهم وبقي بقيتهم، فقاتلهم عليّ بن أبي طالب وأصحابه، كما سيأتي بيانه وتفصيله قريبا إن شاء الله تعالى.

والمقصود أن هؤلاء الخوارج هم المشار إليهم في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِندَ فُرقَةٍ مِن المُسلِمِينَ يَقتُلُهَا أَولَى الطَّائِفَتَينِ بِالحَقِّ**».

فهذا الحديث من دلائل النبوّة إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به ﷺ وفيه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهلِ العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطّغام من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أنَّ أصحاب عليّ أدنى الطائفتين إلى الحقّ، وهذا هُوَ مذهب أهل السُّنة والجماعة أن عليًّا - رَضِي الله عَنهُ - هُوَ المصيب وإن كان معاوية مجتهدًا، وهو مأجور إن شاء الله، ولكن عليّ هُوَ الإمام فله أجران كما ثبت في «صحيح البخاري» من حديث عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجتَهَدَ فَأَخطَأَ فَلَهُ أَجرٌ**»[(١)].

هذا، وقد اجتمع ما تبقّى من الخوارج في منزل «عبد الله بن وهب الراسبيّ» فخطبهم خطبة بليغة زهّدهم في هذه الدنيا، ورغّبهم في الآخرة والجنة، وحثّهم عَلَى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ثُمَّ قَالَ: «فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السّواد إلى بعض كور الجبال، أو بعض هذه المدائن، منكرين لهذه الأحكام الجائرة».

ثم قام حرقوس بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: «إن المتاع بهذه الدنيا قليل وإن الفراق لها وشيك فلا يدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها، ولا تلتفت بكم عن

---

(١) رواه البخاري، وانظر «البداية» (٨/ ٥٨ - ٦٢) باختصار.

طلب الحق وإنكار الظلم...».

فقال سنان بن حمزة الأسدي: «يا قوم إن الرأي ما رأيتم، وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلًا منكم فأنه لا بد لكم من عماد وسناد، ومن راية تحفّون بها وترجعون إليها».

فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائي - وكان من رءوسهم - فعرضوا عليه الإمارة فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها وقال: «أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فَرَقًا[1] من الموت».

واجتمعوا أيضًا في بيت زيد بن حصن الطائي فخطبهم وحثّهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... ثُمَّ قَالَ: «فأشهد عَلَى أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب وجاروا في القول والأعمال، وأن جهادهم حقّ على المؤمنين».

فبكى رجل منهم يقال له عبد الله بن سخبرة السلمي، ثم حرّض أولئك على الخروج على النَّاس، وقال في كلامه: «اضربوا وجوههم وجباههم بالسّيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم».

قَالَ الإمام ابن كثير: «وهذا الضَّرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوَّع خلقه كما أراد، وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿قُل هَل نُنَبِّئُكُم بِالأَخسَرِينَ أَعمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعيُهُم فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَهُم يَحسَبُونَ أَنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِم وَلِقَائِهِ فَحَبِطَت أَعمَالُهُم فَلاَ نُقِيمُ لَهُم يَومَ القِيَامَةِ وَزنًا﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٥].

والمقصود: أن هؤلاء الجهلة الضلال والأشقياء في الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطئوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هو على رأيهم ومذهبهم من

---

(١) الفَرَق: الخوف.

أهل البصرة وغيرها، فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها، فقال لهم زيد بن حصن الطائي: إن المدائن لا تقدرون عليها، فإن بها جيشًا لا تطيقونه وسيمنعوها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخى[(١)] ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحدانًا لئلا يفطن بكم».

فكتبوا كتابًا عامًّا إلى من هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا به إليه ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يدًا واحدة عل النَّاس، ثم خرجوا يتسللون وحدانًا، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة... ثم عاثوا في الأرض فسادًا، فسفكوا الدماء، وقطعوا السّبل، واستحلوا المحارم، وكان من جملة من قتلوه «عبد الله بن خبَّاب» صاحب رسول الله ﷺ بعد أن أسروه.

فلمّا بلغ ذلك عليًّا - رَضِي الله عَنهُ - عزم عَلَى الذهاب إليهم ليكبح جماحهم ويستأصل شرّهم.

وتحرّك - رَضِي الله عَنهُ - بجيشه، فعبر الجسر فصلَّى ركعتين عنده، ثم سلك على دير عبد الرحمن، ثم دير أبي موسى، ثم على شاطئ الفرات، ثُمَّ سلك على ناحية الأنبار، وبعث بين يديه قيس بن سعد وأمره أن يأتي المدائن وأن يتلقاه بنائبها سعد بن مسعود وهو أخو عبد الله بن مسعود الثقفي في جيش المدائن، فاجتمع الناس هنالك على عليّ وبعث إلى الخوارج: أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم حتى أقتلهم بهم... فبعثوا إلى علي يقولون: كُلنّا قَتَل إخوانكم، ونحن مستحلّون دماءهم ودماءكم وأموالكم.

فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم فيما ارتكبوه من الأمر العظيم والخطب الجسيم، فلم ينفع وكذلك أبو أيوب الأنصاري أنَّبهم ووبّخهم فلم ينجع[(٢)]، وتقدم أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب إليهم فوعظهم وخوفهم فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيؤا للقاء الرَّب عَزَّ وَجَلَّ الرَّواح الرَّواح إلى الجَنَّة.

---

(١) نهر جوخي: عليه كورة واسعة في سواد بغداد، وهو بين خانقين وخوزستان.
(٢) ينجع: يفلح.

وتقدموا فاصطفوا للقتال، وتأهبوا للنزال، فأمر عليّ - رَضِيَ الله عَنهُ - أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: «مَن جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حاجة لنا فيكم إلَّا فيمن قتل إخواننا».

فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا في أربعة آلاف، فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبيّ، فزحفوا إلى عليّ فقدم عليٌّ - رَضِيَ الله عَنهُ - بين يديه الخيل، وقدَّم منهم الرُّماة، وصفّ الرجَّالة، وقال لأصحابه: «كفّوا عنهم حتى يبدؤوكم».

وأقبلت الخوارج يقولون: «لا حُكم إلا لله الرَّواح الرَّواح إلى الجنَّة» فحملوا على الخيالة الذين قدّمهم عليّ ففرَّقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة، فاستقبلتهم الرُّماة بالنّبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيَّالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقُتل أمراؤهم عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سخبرة السلمي - قبحهم الله.

قالوا: ولم يقتل من أصحاب علي إلا سبعة نفر.

وجعل عليّ - رَضِيَ الله عَنهُ - يمشي بين القتلى منهم ويقول: «بُؤسًا لكم لقد ضَرَّكم من غَرّكم».

فقالوا: يا أمير المؤمنين ومن غَرّهم؟

قَالَ: «الشيطان وأنفس بالسُّوء أمّارة، غرّتهم بالأمانيّ وزيَّنت لهم المعاصي، ونَبَّأتهم أنَّهم ظاهرون».

ثم أمر بالجرحى من بينهم فإذا هم أربعمائة، فسلّمهم إلى قبائلهم ليداووهم، وقسّم ما وجد من سلاح ومتاع لهم.

وعن النزال بن سبرة: أن عليًا - رَضِيَ الله عَنهُ - لم يخمس ما أصاب من الخوارج يوم النهروان، ولكن ردّه إلى أهله كلّه، حتى كان آخر ذلك مِرجَل أتى به فَرَدّه.

وعن علقمة بن عامر قَالَ: «سُئل عليّ عن أهل النهروان أمُشرِكون هم؟

فقال: مِنَ الشِّرك فَرّوا.

قيل: أفَمُنَافقون؟

قَالَ: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا.

فقيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟

قَالَ: إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا» ا.هـ[1].

عباد الله...

وذكر ابن جرير - رحمه الله - وقعات أخرى كثيرة بين أصحاب عليّ - رَضِي الله عَنهُ - والخوارج تركنا ذكرها قصدًا.

هذا؛ وقد كانت خلافة عليّ - رَضِي الله عَنهُ - تقطر رحمة وعدلًا واستقامة عَلَى الجادة.

وإليكم مواقف ومواعظ ووصايا له - رَضِي الله عَنهُ - تدلّ عَلَى ما ذكرنا:

- عن مروان بن عنترة عن أبيه قَالَ: «دخلتُ على عليّ بن أبى طالب بالخورنق وعليه قطيفة وهو يَرعد من البرد، فقلت: يا أمير المؤمن إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيبًا في هذا المال وأنت ترعد من البرد؟ فقال: إنى والله لا أرزأ من مالكم شيئًا، وهذه القطيفة هى التى خرجتُ بها من بيتى - أو قال من المدينة».

قلتُ: خليفة لا يملك من الدنيا إلا قطيفة!! واعجبًا، فهل نصدق أن هذه النفوس الكبيرة الكريمة تتطلع إلى منصب زائل أو إلى دنيا؟! أين ذهبت عقولُ المفترين عَلَى عليّ - رَضِي الله عَنهُ -.

وتعالوا إلى موقف آخر يجلّي حقيقة هذا الخليفة المفترى عليه:

- عن مجمع بن سمعان التميمى قَالَ: «خرج عليّ بن أبى طالب بسيفه إلى السوق فقال: من يشترى منى سيفى هذا؟ فلو كان عندى أربعة دراهم أشترى بها إزارًا ما بعته».

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٧٠ - ٧٢).

إيه يا أصحاب محمد ﷺ ما هذه العظمة يا رجال؟!

- وعن الحسن بن جرموز عن أبيه قَالَ: «رأيت عليًا وهو يخرج من القصر وعليه قطيتان إزار إلى نصف الساق ورداء مشمّر قريب منه، ومعه درَّة له يمشى بها فى الأسواق ويأمر الناس بتقوى الله وحُسن البيع ويقول: أوفوا الكيل والميزان، ويقول: لا تنفخوا اللّحم».

- وعن صالح - بيَّاع الأكيسة - عن جدته، قالت: «رأيتُ عليًا اشترى تمرًا بدرهم فحمله في ملحفته، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك؟ فقال: أبو العيال أحقُّ بحمله».

- وعن زاذان قَالَ: كان عليٌّ - رَضِيَ الله عَنهُ - يمشى فى الأسواق وحده وهو خليفة يُرشد الضالَّ ويُعِين الضعيف، ويمرُّ بالبيَّاع فيفتح عليه القرآن ويقرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرضِ وَلاَ فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، ثم يقول: «نزلت هذه الآية فى أهل العدل والتواضع من الولاة وأهلِ القدرة من أهل الأموال ومن سائر النَّاس»[(١)].

- عن أوفى بن دلهم عن عليّ بن أبى طالب أنه قَالَ: «تعلموا العلم تُعرفوا به، واعملوا تكونوا من أهله، فإنه يأتى من بعدكم زمان ينكر فيه من الحق تسعة أعشاره، وإنه لا ينجو منه إلا كُلّ أواب منيب، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالعجل المذاييع البذر.

ثم قَالَ: «ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة إن الآخرة قد أتت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وإن الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب.

ألا إن لله عبادًا كمن رأى أهل الجنة فى الجَنَّة مخلدين وأهل النَّار فى النَّار معذبين،

---

(١) المرجع السابق.

شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة، وأنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة، صبروا أيام قليلة لعقبى راحة طويلة.

أمَّا الليل فصافّون أقدامهم، تجرى دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى الله فى فكاك رقابهم.

وأما النَّهار فظمَّاء حُلماء، بررة أتقياء، كأنهم القداح ينظروا إليهم الناظر فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرض، وخولطوا ولقد خالط القوم أمرٌ عظيم».

- وعن يحيى بن يعمر: «أنَّ عليّ بن أبي طالب - رَضِيَ الله عَنهُ - خطب النَّاس، فحمد الله وأثنى عليه ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاس إنما أهلك مَن كان قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأحبار، أنزل الله بهم العقوبات، ألا فمروا وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم.

واعلموا أن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر لا يقطع رزقًا ولا يقرّب أجلًا، إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر إلى كل نفس بما قدَّر الله لها من زيادة أو نقصان في أهلٍ أو مالٍ أو نفسٍ، فإذا أصاب أحدكم النقصان في أهلٍ أو مالٍ أو نفسٍ، ورأى لغيره غيره[١] فلا يكونن ذلك له فتنة، فإن المرء المسلم ما لم يغشَ دناءة، يظهر تخشّعًا لها إذا ذكرت، يُغري به لئام النَّاس كالياسر[٢] الفالج[٣] الذي ينتظر أول فوزه[٤] من قداحه، توجب له المغنم، وتدفع عنه المغرم، فكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة، إنما ينتظر إحدى الحسنيين: إذا ما دعا الله لما عند الله هُوَ خير له، وإما أن يرزقه الله مالًا فإذا هُوَ ذو أهل ومال.

الحرث حرثان: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، قَد يجمعهما الله لأقوام».

قَالَ سفيان بن عيينة: ومن يُحسن يتكلم بهذا الكلام إلَّا عليّ بن أبي طالب.

---

(١) رأى لغيره غيره: أي: غير النقصان.
(٢) الياسر: المقامر.
(٣) الفالج: الغالب في القمار.
(٤) في «البداية»: فوره.

وذكر ابن كثير[١]: أن عليًّا قام فيهم خطيبًا، فقال:

«الحمد لله فاطر الخلق وفالق الإصباح، وناشرِ الموتى، وباعث من في القبور، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أوصيكم بتقوى الله، فإنَّ أفضل ما توسّل به العبد الإيمان والجهاد في سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملّة، وإيتاء الزكاة فإنها من فريضته، وصوم شهر رمضان فإنه جُنّة[٢] من عذابه، وحَجّ البيت فإنه منفاة للفقر مدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها مثراة في المال منسأة في الأجل محبة في الأهل، وصدقة السِّر فإنها تكفِّر الخطيئة وتطفئ غضب الرَّب، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السُّوء ويقي مصارع الهول.

أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذِّكر، وارغبوا فيما وعد المتقون فإن وعد الله أصدق الوعد، واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ فإنه أفضل الهدي، واستسنوا بسنته فإنها أفضل السُّنن، وتعلموا كتاب الله فإنه أفضل الحديث، وتفقهوا في الدِّين فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، وإذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذي لا يستقيم عن جهله، بل قد رأيت أن الحجّة أعظم والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحير في جهله، وكلاهما مضلل مثبور[٣]، لا ترتابوا فتشكّوا ولا تشكّوا فتكفروا، ولا ترخّصوا[٤] لأنفسكم فتذهلوا ولا تذهلوا في الحق فتخسروا.

ألا وإن من الحزم أن تثقوا، ومن الثقة أن لا تغتروا، وإنَّ أنصحكم لنفسه أطوعكم لربّه، وإن أغشكم لنفسه أعصاكم لربّه، من يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يَعصِ الله

---

(١) «البداية» (٧/ ٣٠٧).

(٢) جُنّة: وقاية.

(٣) مثبور: هالك.

(٤) أي: لا تتبعوا الرُّخص وتتساهلوا.

يخف ويندم، ثم سلوا الله اليقين وارغبوا إليه في العافية، وخير مادام في القلب اليقين، إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها، وكل محدثٍ بدعة، وكل محدثٍ مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيّع، وما أحدث محدثٍ بدعة إلا ترك بها سنّة، المغبون من غبن دينه، والمغبون من خسر نفسه، وإن الريا من الشرك، وإن الإخلاص من العمل، والإيمان ومجالس اللهو تنسى القرآن، ويحضرها الشيطان وتدعو إلى كل غي، ومجالسة النِّساء تزيغ القلوب وتطمح إليه الأبصار، وهي مصائد[1] الشيطان، فاصدقوا الله فإن الله مع مَن صدق، وجانبوا الكذب فإن الكذب مجانب للإيمان، ألا إن الصدق على شرف منجاة وكرامة، وإن الكذب على شرف ردى هلكة.

ألا وقولوا الحق تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله، وأدُّوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وصلوا أرحام من قطعكم، وعودوا بالفضل على من حرمكم، وإذا عاهدتم فأوفوا، وإذا حكمتم فاعدلوا، ولا تفاخروا بالآباء، ولا تنابزوا بالألقاب، ولا تمازحوا، ولا يغتب بعضكم بعضًا، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والسائلين، وفي الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم، وافشوا السلام، وردوا التحيّة على أهلها بمثلها أو بأحسن منها، **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾** [المائدة: ٢].

وأكرموا الضيف وأحسنوا إلى الجار وعودوا المرضى وشيعوا الجنائز وكونوا عباد الله إخوانا، أما بعد:

فإنَّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإنَّ الآخرة قد أظلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغدًا السباق، وإن السبقة الجَنَّة، والغاية النار.

ألا وإنكم في أيام مهل من ورائها أجلٌ يحثه عجل، فمن أخلص لله عمله في أيام مهله قبل حضور أجله، فقد أحسن عمله ونال أمله، ومن قصَّر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمله وضرّه أمله، فاعملوا في الرغبة والرهبة فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله، واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها

---

(١) جمع مصيدة: وهو ما يُصاد به.

رغبة، فإن الله قد تأذَّن المسلمين بالحسنى، ولمن شكر بالزيادة، وإني لم أر مثل الجَنَّة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها، ولا أكثر مكتسبا من شيء كسبه ليوم تدخر فيه الدخائر وتبلى فيه السرائر وتجتمع فيه الكبائر، وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل، ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال، ومن لا ينفعه اليقين يضره الشك، ومن لا ينفعه حاضره فعازبه عنه أعور وغائبه عنه أعجز، وإنكم قد أُمرتم بالظعن ودللتم على الزاد.

ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم اثنان: طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسى الآخرة، وأما اتباع الهوى فيبعد عن الحق.

ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم، ولا تكونوا من بني الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل».

قَالَ الحافظ ابن كثير: وهذه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر وقد روى لها شواهد من وجوه أخر متصلة ولله الحمد والمنة» ا.هـ[١].

عباد الله...

هذه لقطاتٌ ومواقف ومواعظ من حياة عليٍّ - رَضِي الله عَنهُ -، وهي تكشف لنا عن نفسٍ كبيرة، تثق في الله، وتطمع فيما عنده.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد حياةٍ حافلة بالعطاء، خَتمَ اللَّـهُ تعالى حياةَ هذا الإمام بالشهادة، وتحققت نبوءة النبيِّ ﷺ.

---

(١) «البداية» (٧/ ٣٠٧).

فما هي قِصَّة استشهاده؟

في سنة أربعين من الهجرة كان أمير المؤمنين رَضِي الله عَنهُ، قد انتقضت عليه الأمور واضطربت عليه الأحوال وخالفه جيشه من أهل العراق وغيرهم، ونكلوا عن القيام معه، واستفحل أمرُ أهل الشام وصالوا وجالوا يمينًا وشمالاً زاعمين أن الإمرة لمعاوية بمقتضى حكم الحكمين في خلعهما عليًّا وتولية عمرو بن العاص معاوية عند خلو الإمرة عن أحد، وقد كان أهل الشام بعد التحكيم يسمون معاوية الأمير، وكلما ازداد أهل الشام قوة ضعف جأش أهل العراق، هذا وأميرهم علي بن أبي طالب خير أهل الأرض في ذلك الزمان، أعبدهم وأزهدهم وأعلمهم وأخشاهم لله عَزَّ وَجَلَّ، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه حتى كره الحياة وتمنى الموت، وذلك لكثرة الفتن وظهور المحن، فكان يكثر أن يقول: «ما يحبس أشقاها - أي ما ينتظر؟- ما له لا يقتل؟» ثم يقول: «والله لتخضبن هذه - ويشير إلى لحيته - من هذه - ويشير إلى هامته-»[1].

قلت: كان النبيّ قَد أخبر بقتله عَلَى يد أحد الأشقياء، فهو ينتظر الموعد.

فعن جابر بن سُمرة - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ لعليّ: «**مَن أشقى الأولين؟**» قَالَ: عاقر الناقة، قَالَ: «**فَمن أشقى الآخرين؟**» قَالَ: الله ورسوله أعلم. قَالَ: «**قاتلك**». رواه الخطيب وله شواهد صحيحة.

قَالَ علماء السير: «أن ثلاثة من الخوارج وهم: عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكر، اجتمعوا فتذاكروا قتل عليّ إخوانهم من أهل النَّهروان فترحموا عليهم، وقالوا ماذا نصنع بالبقاء بعدهم؟ فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد والعباد؟

فقال ابن ملجم: أما أنا فأكفيكم علي بن أبي طالب.

وقال البرك وأنا أكفيكم معاوية.

وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص.

فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت

---

(١) «البداية والنهاية».

دونه، فأخذوا أسيافهم فسمّوها.

فأما البرك وعمرو بن بكر ففشلا في أداء مهمتهما.

وأما ابن ملجم فاختبأ لعليّ، فلمّا خرج لصلاة الفجر، ضربه ابنُ ملجم بالسيف عَلَى قرنه، فسال دمه عَلَى لحيته، وقال: لا حُكم إلا لله ليس لك يا عليّ، ولا لأصحابك.

وأمسك النَّاس بابن ملجم، وحُمل عليّ إلى منزله، وحُمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف - قبّحه الله - فقال له: أي عدو الله ألم أحسن إليك؟ قَالَ: بلى، قَالَ: فما حملك على هذا؟ قَالَ: شحذته أربعين صباحًا وسألت الله أن يُقتل به شر خلقه؟

فقال له عَلَى: لا أراك إلا مقتولًا به، ولا أراك إلا من شرّ خلق الله.

ثم قَالَ: إن مت فاقتلوه، وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به.

فقال جندب بن عبد الله: يا أمير المؤمنين إن متّ نبايع الحسن؟

فقال: لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر.

ولما احتُضر عليّ جعل يكثر من قول: لا إله إلا الله، لا يتلفظ بغيرها.

وقد أوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله، والصلاة والزكاة، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عن الجاهل، والتفقّه في الدِّين، والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحُسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش، ووصاهما بأخيهما محمد ابن الحنفية، ووصاه بهما وصاهما به، وأن يعظمهما ولا يقطع أمرًا دونهما، وكتب ذلك كله في كتاب وصيته رضي الله عنه وأرضاه.

وقد غسَّله ابناه الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر، وصلَّى عليه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات.

ودفن - رَضِيَ الله عَنهُ - بدار الإمارة بالكوفة، خوفًا عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته، هذا هو المشهور[١].

---

(١) «البداية والنهاية».

عباد الله...

وإلى هنا نأتي إلى ختام حديثنا عن سيرة عليّ - رَضِيَ الله عَنهُ -. وإلى اللقاء مع صحابيّ آخر إن شاء الله تعالى.

اللهُمَّ أحسِن عاقِبتنا في الأمورِ كلها، وأجِرنا من خِزي الدنيا وعذاب الآخرة.

آمين... آمين... آمين

الخطبة الرابعة عشرة
مع الزُّبير بن العوَّام

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فضيفنا: رجلٌ صاغه الإيمان، وربَّاه القُرآن، فتعددت فضائله، وكثرت مناقبه.

فمن هُوَ؟ وما هي قِصَّته؟

هُوَ الزُّبير بن العوَّام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصيّ بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. أبو عبد الله القرشي الأسديّ.

يجتمع نسبه ونسب الرسول ﷺ في «قُصي بن كلَّاب» وينسب إلى أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ.

أُمُّه «صفيّة بنت عبد المطلب»، عَمة رسول الله ﷺ، أسلمت وهاجرت، والنبيّ ﷺ ابن خاله[١].

أسلم - رَضِيَ الله عَنهُ - وهو ابن ثمان سنين، وهاجر وهو ابن ثمان عشرة سنة، وكان عمّ الزُّبير يعلّقه في حصير، ويُدخن عليه بالنار، وهو يقول: ارجع إلى دين آباءك، فيقول الزُّبير: لا أكفر أبدًا[٢].

قَالَ ابن الأثير: «وكان إسلامه - رَضِيَ الله عَنهُ - بعد أبي بكر بيسير، كان رابعًا أو خامسًا في الإسلام» ا.هـ[٣].

عباد الله...

وهكذا انضوى الزُّبير - رَضِيَ الله عَنهُ - تحت لواء الإسلام، وبلغ بين الصحابة مكانًا عليًّا، فهو أحد العشرة المبشَّرين بالجنة، وقد وردت أحاديث وآثار في فضائله، منها:

(١) عَن عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَوفٍ - رَضِيَ الله عَنهُ -: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَبُو بَكرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَعُثمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَطَلحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بنُ زَيدِ بنِ عَمرِو بنِ نُفَيلٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»[٤].

(٢) عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيرِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيرُ وَابنُ عَمَّتِي**»[٥].

(٣) عَن عُروَةَ بن الزُّبير قَالَ: قَالَت لِي عَائِشَةُ: يا ابن أختي، كَانَ أَبَوَاكَ - تعني الزُّبير - مِنَ: ﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ**﴾ [آل عمران: ١٧٢][٦].

---

(١) «الرياض النّضرة» (٧٢٩).
(٢) قَالَ الهيثمي في «المجمع» (١٤٨٣٣): رواه الطبراني، ورجاله ثقات إلَّا أَنَّهُ مرسل.
(٣) «أسد الغابة» (٢/ ٢٨٥).
(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٤٠١٢)، وقال الألباني: صحيح.
(٥) **صحيح**: رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي والأرناؤوط. انظر «هامش سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٨)، والحواريّ: الناصر، وقيل: الخالص من كل شيء.
(٦) **صحيح**: «صحيح سنن ابن ماجه» (١٠١).

(٤) وعن مطيع بن الأسود، قَالَ: سمعتُ عُمَر بن الخطَّاب - رَضِيَ الله عَنهُ - يقول: «والله لقد عهدتُ عهدًا أو تركتُ تركةً لكان أحبّ إليَّ أن أجعلها إلى الزُّبير بن العوَّام، فإنه ركنٌ من أركان الدِّين»[(١)].

أيُّهَا المسلمون...

«ولما أسلم الزُّبير - رَضِيَ الله عَنهُ - نال حظه من الأذى، فلمَّا رأى النبيُّ ﷺ ذلك، أذِنَ للمستضعفين بالهجرة إلى الحبشة، فهاجروا، وكان مِمَّن هاجر: الزُّبير بن العوَّام - رَضِيَ الله عَنهُ -، ثُمَّ هاجر بعد ذلك إلى المدينة، فلمَّا قَدِمَ المدينة وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين سلامة بن سلَّامة بن وَقش.

وقد لخَّصَ الشيخ محمد الصادق عرجون - رحمه الله - مقاصد الهجرة إلى الحبشة في أمورٍ، منها:

(١) البعد عن مواطن الفتنة في الدِّين للذين لا يستطيعون ردَّ الاعتداء عليهم.

(٢) البعد عن كل ما يثير العراقيل أمام الدَّعوة، وقد كان بعضُ الصَّحابة لا يطيق صبرًا عَلَى ما يلاقيه من أذى مثل سعد بن أبي وقَّاص - رَضِيَ الله عَنهُ - الذي ضرب مشركًا فشجّ رأسه في ظروف لا تمكّن المسلمين من حماية سعد - رَضِيَ الله عَنهُ - وأمثاله، والأوفق بالدعوة أن تهاجر إلى أن تكتمل العدّة.

(٣) تخفيف الأزمات النفسيّة التي كان يحسّ بها رسول الله ﷺ كلَّما شاهد مسلمًا يهان أو يعذّب، وحتى يتفرغ للدعوة في ظروف نفسيّة مواتية، وإذًا فكان من أحكم التدبير، وحكمة السياسة أن يفتح ﷺ لأصحابه باب الهجرة حَتَّى يجدوا لأنفسهم متنفّسًا في حركاتهم وهم آمنون عَلَى أنفسهم، يعبدون ربَّهم وهم مطمئنون، لا يهيجهم أمرٌ، ولا يفزعهم شيء، ولا شك أن هذا لون من ألوان السياسة في تبليغ الدَّعوة، بدأ هامًا، فلمَّا حرَّك تحرّك معبرًا أصدق تعبير عن هداية الإسلام في أعظم محفل من محافل الحوار، الذي هيَّأ الله له أسبابه وعوامله ودوافعه». ا.هـ[(٢)].

---

(١) قَالَ الهيثمي في «المجمع» (١٤٨٣٢): رواه الطبراني، وإسناده حسن.

(٢) «محمد رسول الله» (١٠ - وما بعدها) باختصار.

وكان الزُّبير - رَضِيَ الله عَنهُ - قَد تزوّج بأسماء بنت أبي بكر - رَضِيَ اللَّـهُ عَنهُمَا - قبل الهجرة، وهاجرت معه وهي حامل بعبد الله بن الزُّبير، فوضعته بقباء.

وكانت رضي الله عنها نِعم الزَّوج، لقد أحسنت تبعّلها لزوجها.

عَن أَسماءَ بِنتِ أَبِي بَكرٍ قَالَت: «تَزَوَّجَنِي الزُّبَيرُ وَمَا لَهُ فِي الأَرضِ مِن مَالٍ وَلَا مَملُوكٍ وَلَا شَيءٍ غَيرَ فَرَسِهِ، قَالَت: فَكُنتُ أَعلِفُ فَرَسَهُ وَأَكفِيهِ مَئُونَتَهُ وَأَسُوسُهُ، وَأَدُقُّ النَّوَى لِنَاضِحِهِ، أَعلِفُ وَأَستَقِي المَاءَ، وَأَخرُزُ غَربَهُ - أي أخيط دلوه الكبير - وَأَعجِنُ، وَكُنتُ أَنقُلُ النَّوَى مِن أَرضِ الزُّبَيرِ الَّتِي أَقطَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رَأسِي وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَي فَرسَخٍ - مسافة ساعة تقريبًا - حَتَّى أَرسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكرٍ بَعدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ فَكَفَتنِي سِيَاسَةَ الفَرَسِ فَكَأَنَّمَا أَعتَقَنِي».

عباد الله...

ولما أَذِنَ تعالى لنبيِّه ﷺ بالجهاد، ونادى المنادى: «**حيّ عَلَى الجهاد**» كان الزُّبير أوَّل مَن لَبَّى النِّداء.

وإليكم لقطاتٌ حيّة من تاريخ جهادِهِ المبارك:

(١) في غزوة أُحُد:

يحدّثنا ابن إسحاق، فيقول: «إنَّ طلحة بن أبي طلحة العبدريَّ حامل لواء المشركين يوم أُحُد دعا إلى البراز، فأحجم النَّاس عنه[1]، فبرز إليه الزُّبير بن العوام - رَضِيَ الله عَنهُ - فوثب حَتَّى صار معه عَلَى جمله، ثُمَّ اقتحم به الأرض، فألقاه عنه، وذبحه بسيفه، فأثنى عليه رسول الله ﷺ قَالَ: «**إن لكل نَبيٍّ حواريًا، وحواريَّ الزُّبير**»، وقال: «**لو لم يبرز إليه لبرزتُ أنا إليه، لما رأيتُ من إحجام النَّاس عنه**» [2].

(٢) وفي غزوة الخندق:

يحكي ابن إسحاق قصّة جهاده يومئذ فيقول: «خرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة

---

(١) أي: نكصوا هيبةً.

(٢) مرسل: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٢٧)، والشطر الأول في «الصحيحين».

المخزوميّ فسأل المبارزة، فخرج إليه الزُّبير بن العوام - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - فضربه، فشقّه باثنتين حَتَّى فلّ في سيفه فلًّا، وانصرف وهو يقول:

إنِّـي امـرؤٌ أحمـي وأحتمـي عـن الـنَّبيِّ المـصطفى الأُمِّـي

(٣) وفي غزوة حُنَين:

كان الزُّبير بن العوام ممن ثبت مع رسول الله ﷺ حين فرّ النَّاس، وكان عثمان بن عفان، وعليّ، وأبو دُجانة، وأيمن، يقاتلون بين يدي رسول الله ﷺ واستبسل قائد قبيلة هوازن وملكها مالك بن عوف النصري وقبيلته بني نصر، وقاتلوا بشراسة وشجاعة وثبات، حَتَّى كادوا أن يفنوا عن آخرهم، ولم ينسحب مالك بن عوف من الميدان إلا بعد أن رأى أن الهزيمة ماثلة أمام عينيه، وانسحب من الميدان في كوكبة من الفرسان هم كبار قادته وهيئة أركان حربه وحرسه، وكان الذي تولى مطاردة مالك وصحبه: الزُّبير بن العوام في الخيل، وقد ذكر المؤرخون أن القائد العام مالكًا لَـمَّا رأى أن الزُّبير هُوَ الذي يتولى مطاردته نزل عن فرسه واختفى بين الأشجار في الشعاب، لئلا يقع أسيرًا في يد الزُّبير، لأن مالكًا يعلم أن الزُّبير لن يتركه يفلت من يده.

فقد جاء في كتب التاريخ والسِّير: أنَّ مالك بن عوف - عقب انهزامه - وقف عَلَى مرتفع من الأرض ومعه فُرسَانٌ من أصحابه، فأمرهم أن يقفوا مكانهم حَتَّى يمرَّ الضعفاء من استطاع النجاة من الذراري قائلًا: قفوا حَتَّى يمضي ضعفاؤكم حَتَّى تلتئم أخراكم.

وبعد أن مرَّ الضعفاء وأصبحوا بمنجى في مرتفعات الجبال قَالَ لأصحابه - طالبًا الاستطلاع - انظروا ماذا ترون؟ قالوا: نرى قومًا عَلَى خيولهم واضعين رماحهم عَلَى آذان خيولهم.

قَالَ - وكان خبيرًا عسكريًّا واسع الاطلاع عَلَى عادات القبائل -: أولئك إخوانكم بنو سليم وليس عليكم منهم بأس، ثُمَّ قَالَ: انظروا ماذا ترون؟

قالوا: نرى رجالًا أكفالًا[1] قَد وضعوا رماحهم عَلَى أكفال خيولهم.

---

(١) **الكفل من الرجال:** الذي يكون في مؤخر الحرب، والأكفال جمع «كفل» بالتحريك، وهو =

قَالَ: تلك الخزرج، وليس عليكم منهم بأس، وهم سالكون طريق إخوانهم، ثُمَّ قَالَ: انظروا ماذا ترون؟

قالوا: نرى قومًا كأنهم الأصنام عَلَى الخيل.

قَالَ: تلك كعب بن لؤي وهم مقاتلوكم.

ثُمَّ قَالَ: انظروا ماذا ترون؟

قالوا: نرى رجلًا بين رجلين معلمًا بعصابة صفراء، يخبط برجليه الأرض واضعًا رمحه عَلَى عاتقه.

قَالَ: ذلك ابن صفيّة، الزُّبير بن العوام، وايم الله لينزلنكم عن مكانكم.

وفي رواية: «هذا الزُّبير بن العوام، وأحلف بالله ليخالطنكم، فاثبتوا، فلمَّا انتهى الزُّبير إلى أسفل الثنية، أبصر القوم، فعمد إليهم فلم يزل يطاعنهم حَتَّى أزالهم عنها»[١].

وفعلًا هاجم الزُّبير مالكًا وأصحابه حَتَّى كاد يطوقهم، فلمَّا غشيت مالكًا الخيلُ نزل عن فرسه مخافةً أن يقع في الأسرى، ثُمَّ أخذ يلوذ ويتستر بالشجر كي لا يراه أحد من أصحاب الزُّبير، ثُمَّ سلك في يسوم - جبل بأعلى نخلة- فأعجزهم هربًا، ومازال ملك هوازن وقائدهم موغلًا في الهرب، حَتَّى وصل وادي لية[٢]، وهناك تحصّن في قصر له، وبلغ النبيّ ﷺ تحصنُ مالك بن عوف في قصر لية، فلم يأمر بتعقبه أو إزعاجه؛ لأَنَّهُ كان يطمع في أن يهديه الله للإسلام، وفعلًا بعث الرسول ﷺ إلى ملك هوازن مبعوثًا خاصًا يبلغه أن الرسول ﷺ سيعفو عنه وسيعيد إليه أهله وأمواله إن هُوَ دخل في الإسلام، فأسلم مالك وحَسُن إسلامه، وصار خيرعون للإسلام في محاربة مَن تبقى عَلَى الشرك[٣].

= العجز، وقيل: ردف العجز.

(١) «مختصر تاريخ دمشق» (٩/ ١٨).

(٢) بكسر أوّله وثانيه «لِيِة».

(٣) «فرسان النهار» (٢/ ٣٢١، ٣٢٢).

(٤) وفي معركة اليرموك:

سار الزُّبير - رَضِيَ الله عَنهُ - مع المجاهدين في أيام أبي بكر إلى أرض الشام، فشهد معركة اليرموك، وأبلى فيها بلاءً حسنًا.

عَن عُروَةَ: «أَنَّ أَصحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا لِلزُّبَيرِ يَومَ اليَرمُوكِ: أَلَا تَشُدُّ فَنَشُدَّ مَعَكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي إِن شَدَدتُ كَذَبتُم، فَقَالُوا: لَا نَفعَلُ، فَحَمَلَ عَلَيهِم حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُم فَجَاوَزَهُم وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ رَجَعَ مُقبِلًا فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ فَضَرَبُوهُ ضَربَتَينِ عَلَى عَاتِقِهِ بَينَهُمَا ضَربَةٌ ضُرِبَهَا يَومَ بَدرٍ، قَالَ عُروَةُ: كُنتُ أُدخِلُ أَصَابِعِي فِي تِلكَ الضَّرَبَاتِ العَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ.

قَالَ عُروَةُ: وَكَانَ مَعَهُ عَبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيرِ يَومَئِذٍ، وَهُوَ ابنُ عَشرِ سِنِينَ فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلًا»[١].

قَالَ الذهبيّ في السِّير معلقًا: هذه الوقعة هي يوم اليمامة، إن شاء الله، فإنَّ عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين[٢].

فانظروا - عباد الله - كيف كان أصحاب النَّبيّ ﷺ يُدرِّبُون أولادهم عَلَى الجهاد في سبيل الله.

وبعض الآباء اليوم يدرّبون أولادهم عَلَى فن الرّقص، وتقليد الكفّار، ويخوفونهم من بيوت الله!!

وإلى الله المشتكى.

(٥) وفتح - رَضِيَ الله عَنهُ - حِصن بابليون:

«لَـمَّا قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كانت معه قوّات تبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل، كتب إلى عُمَر بن الخطاب يستمدُّه، فأشفق عُمَر من قلّة عدد قوات عمرو، فأرسل الزُّبير بن العوام في اثني عشر ألفًا، وقيل: أرسل عُمَر أربعة آلاف رجل،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٦٢، ٦٣)، وقال ابن كثير: أن الموقعة هي «اليرموك»، ولا مانع من وقوع ذَلِكَ في الموقعتين.

عليهم من الصَّحابة الكبار: الزُّبير، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومَسلمة ابن مُخلَّد، وقال آخرون: خارجة بن حذافة هُوَ الرابع، وكتب إليه: إني أمددتك بأربعةِ آلافٍ، عَلَى كل ألفٍ منهم رجل مقام ألفٍ، وكان الزُّبير عَلَى رأس هؤلاء الرجال».

«وكان الزُّبير قَد هَمَّ بالغزو وأراد إتيان إنطاكية، فقال له عُمَر: يا أبا عبد الله هل لك من ولاية مصر؟ فقال: لا حاجة لي فيها، ولكن أخرُجُ مجاهدًا، وللمسلمين معاونًا، فإن وجد عَمرًا قَد فتحها لم أعرض لعمله وقصدت إلى بعض السواحل فرابطت به، وإن وجدته في جهاد كنت معه، فسار عَلَى ذلك.

وحين قدم الزُّبير عَلَى عمرو وجده مُحاصِرًا حصن بابليون، فلم يلبث الزُّبير أن ركب حصانه، وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثُمَّ فرّق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حَتَّى بلغت مدته سبعة أشهرٍ، فقيل للزبير: إن بها الطاعون، فقال: إنما جئنا للطعن والطاعون.

وأبطأ الفتح عَلَى عمرو بن العاص، فقال الزُّبير: إني أهبُ نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك عَلَى المسلمين، فوضع سُلَّمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سُوق الحَمَّام ثُمَّ صَعِد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزُّبير عَلَى رأس الحصن يكبر ومعه السيف، فتحامل النَّاس عَلَى السُّلم حَتَّى نهاهم عمرو، خوفًا من أن ينكسر، فلمَّا رأى الرُّوم أن العرب قَد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فَتَحَ حصنُ بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر.

وكانت شجاعة الزُّبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين عَلَى المقُوقِس في معركة بابليون الحاسمة التي فتحت للعرب والمسلمين أبواب مصر عَلَى مصراعيها»[(١)].

هذه لقطاتٌ سريعة من جهاد الزُّبير بن العوَّام، ذكرناها للعظة والعبرة، ليتبيّن لنا الفارق الكبير بين هِمَمِهم وهِمَمِنَا، وهدفهم وهدفنا، وسعيهم وسعينا.

«إن أولئك الرجال الكبار هم أصحاب اليد الطولى في صوغ التاريخ، وتوجيه أحداثه.

---

(١) «فرسان النهار» (٢/ ٣٢٥، ٣٢٦).

والأفراد النابهون لا الجماهير الكثيفة هم صُنَّاع الحياة وقادة الفكر والخلق، والمسلمون اليوم لن ينجحوا في حرب الاستعمار[١] إلَّا إذا استهتروا بالموت وأحبّوه في ذات الله»[٢].

عباد الله...

إنها همم ترمي إلى جَنَّات عَدن، فلتكن هذه الهمم الفذّة منا عَلَى بال، والله الموفّق لَـمَّا يُحب ويرضى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد هذاالعمر المبارك، آن للمسافر أن يبلغ داره، وحان الوقت ليقطف ثمار جهاده وإخلاصه وهجرته وصحبته.

ويقيني أَنَّهُ كان طوال هَذَا العمر المبارك يبحث عن الشهادة، لينال أجر الشهداء الذين هم عند ربّهم يُرزقون، والذين لهم أجرُهم ونورُهم، فلم يُحرم منها، وأعطاه الله ما تمنّى.

وقد تقدّم في ترجمة عليّ بن أبي طالب - رَضِيَ الله عَنهُ - أنَّ الزُّبير خرج يوم الجمل مع عائشة رضي الله عنها ضد عليّ رَضِيَ الله عَنهُ.

والصَّحيح أَنَّهُ لم يشارك في القتال يومئذ، ورجع منصرفًا إلى المدينة.

فرأى عبد الله بن جرموز فقال: أي ها[٣]، تورش[٤] بين النَّاس، ثم تتركهم والله لا نتركه،

---

(١) قَالَ بعضهم: الصحيح أن يقال: الاستخراب.

(٢) «حصاد الغرور» للشيخ محمد الغزالي (١٤٧).

(٣) **أي ها**: بمعنى كيف.

(٤) **التوريش**: التحريش: ورشت بين القوم وأرشت.

فلمّا لحق بالزبير ورأى أَنّهُ يريده أقبل عليه الزُّبير، فقال له ابن جرموز: اذكر الله. فكفّ عنه الزُّبير، حتى فعل ذَلِكَ مرارًا.

فقال الزُّبير: قاتله الله يذكّر بالله وينساه.

ثم غافصه[١] ابن جرموز فقتله[٢].

وفي «البداية»: أن ابن جرموز جعل يحدثه وكان وقت الصلاة، فقال له الزبير: الصلاة. فقال: الصلاة. فتقدّم الزُّبير ليصلي، فطعنه عمرو بن جرموز فقتله، ويقال: بل أدركه عمرو بوادٍ يقال له وادي السباع، وهو نائم في القائلة[٣]، فهجم عليه فقتله.

قَالَ ابن كثير: وهذا القول هو الأشهر.

ولما قتله عمرو بن جرموز اجتز رأسه وذهب به إلى عليّ ورأى أن ذَلِكَ يحصل له به حظوة عنده، فاستأذن فقال علي: لا تأذنوا له وبشّروه بالنَّار.

وفي رواية: أن عليًا قَالَ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**بشِّر قاتل ابن صفيّة بالنَّار**»[٤]، ودخل ابن جرموز ومعه سيف الزُّبير، فقال عليّ: «إن هَذَا السيف طالما فرّج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ»[٥].

وصيته:

كان الزُّبير رضي الله تعالى عنه يشعر بدنوِّ أجله، فجعل يوصي ولده عبد الله يوم الجمل.

يقول عبد الله بن الزُّبير:

جعل الزُّبير يوم الجمل يوصيني بِدَينهِ، ويقول: إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي.

---

(١) **غافصه**: أي أخذه على غرّة.

(٢) «الرياض النّضرة» (٧٤٦).

(٣) **القائلة**: وقت الظهيرة.

(٤) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (١/ ٨٩).

(٥) «البداية» (٨/ ٢٦).

فوالله ما دريت ما أراد حتى قلتُ: يا أبت مَن مولاك؟ قال: الله تعالى.

فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير، اقض عنه، فيقضيه.

وإنما كان دَينه الذي عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال يستودعه إيَّاه فيقول الزبير: لا ولكنه سلف، فإني أخشى عليه الضيعة.

قال عبد الله: فَحسبتُ ما عليه من الدَّين فَوجدتُهُ ألفي ألف ومائة ألف[1]؛ فقتل ولم يدع دينارًا ولا درهمًا إلا أرضين بعتُهما وقَضيتُ دَينه.

فقال بنو الزبير: ميراثنا؛ قلتُ: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزُّبير دَين فليأتنا فلنقضه. فجعل كلّ سنة ينادي.

فلما انقضت أربع سنين قسم بينهم، وكان للزبير - رَضِيَ الله عَنْهُ - أربع نسوة، فأصاب كلّ امرأة ألف ألف ومائتا ألف، فجمع مال الزبير خمسون ألف ألف ومائتا ألف.

ولقي حكيم بن حزام - رَضِيَ الله عَنْهُ - فقال له: يا ابن أخي، كم على أخي؟

قَالَ عبد الله: فكتمه، وقلت: مائة ألف.

فقال حكيم: والله ما أرى أموالكم تسع هذا.

فقال عبد الله: أرأيت إن كانت ألفي ألف ومائتي ألف؟

قال: ما أراكم تطيقون هذا، فإن عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي.

وكان الزبير قد اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف[2]، فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف، ثم قال: من كان له على الزبير شيء فليوافنا على الغابة.

قال: فأتاه عبد الله بن جعفر[3] وكان له على الزبير أربعمائة ألف.

---

(١) أنفق الزُّبير - رَضِيَ الله عَنْهُ - كل ذَلِكَ في سبيل الله، إمَّا لتجهيز الجيوش الغازية، وإما بالتصدق على المحتاجين.

(٢) كان الزُّبير - رَضِيَ الله عَنْهُ - تاجرًا محظوظًا، فقيل له: بم أدركت في التجارة؟ قَالَ: لأني لم أشتر معيبًا ولم أردّ ربحًا، والله يبارك لمن يشاء، هَذَا بالإضافة لما حَصَّله من ثمرات الجهاد في سبيل الله، والرزق تحت ظلّ الرّمح.

(٣) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - رَضِيَ الله عَنْهُما -.

قال لعبد الله: إن شئتم تركتُها لكم.

قال عبد الله: لا.

قال: إن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم.

قال عبد الله: لا.

قال: فاقطعوا لي قطعة.

قال عبد الله: من هَهُنَا إلى هَهُنَا.

قال: فباع عبد الله منها فقضى دينه وأوفاه، وبقي منها أربعة أسهم ونصف.

قال: فقدم على معاوية وعنده عُمَر بن عثمان، والمنذر بن الزُّبير، وابن ربيعة، قَالَ: فقال له معاوية: كم قوَّمتَ الغابة؟

قال: كل سهم بمائة ألف.

قال كم بقي منه؟

قَالَ: أربعة أسهم ونصف.

قال المنذر بن الزُّبير: أخذتُ منها سهمًا بمائة ألف.

وقال عمر بن عثمان: أخذت منها سهمًا بمائة ألف.

وقال ابن ربيعة: أخذت منها سهمًا بمائة ألف.

فقال معاوية: كم بقي؟

قال: سهم ونصف.

قال: قد أخذتُه بخمسين ومائة ألف»[1].

عباد الله...

وبهذا القدر نأتي إلى خِتام حديثنا عن حواريّ رسول الله ﷺ. **سائلًا المولى جلّت قدرته، أن يرزقنا حُبّ أصحاب رسول الله ﷺ حَتَّى يحشرنا معهم.**

آمين... آمين... آمين.

---

(١) «الرياض النّضرة» (٧٤٧، ٧٤٨).

الخطبة الخامسة عشرة

مع عبد الرَّحمن بن عوف

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فنحن اليوم - إن شاء الله تعالى - عَلَى موعد مع أحد العشرة المبشّرين بالجنَّة.

عباد الله...

يا تُرى من هذا السَّعيد؟ وما هي قصّته؟

هُوَ عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرّة، القرشي، يكنى أبا محمد.

كان اسمه في الجاهلية: عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسمّاه رسولُ الله ﷺ:

عبد الرحمن.

وأُمّه: الشّفا بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة.

ولد - رَضِيَ الله عَنهُ - بعد عام الفيل بعشر سنين[١].

وأسلم - رَضِيَ الله عَنهُ - قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم، وكان أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا عَلَى يد أبي بكر رَضِيَ الله عَنهُ.

هَاجرَ - رَضِيَ الله عَنهُ - إلى الحبشة، وإلى المدينة، فهو من أصحاب الهجرتين.

وكان - رَضِيَ الله عَنهُ - عالي الهمّة في طلب الرزق الحلال.

ولا بأس بالغني لمن اتّقى، فما أحوج الأُمّة في كل عصر إلى أغنياء أتقياء، يفرّج الله بهم الكروب، ويقوّي بهم ساعد المجاهدين.

لَـمَّا هاجر عبد الرحمن بن عوف آخى الرسولُ ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع.

ونترك الحديث لأنس بن مالك - رَضِيَ الله عَنهُ - ليحدّثنا عمَّا حدث:

عن حُميد، عن أنس أن رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار، وآخى بين سعد بن الرَّبيع وبين عبد الرحمن بن عوف، قال له سعد: إن لي مالاً فهو بيني وبينك شَطران، ولي امرأتان فانظر أيتهما أحببت حتى أخالعها، فإذا حَلّت فتزوّجها.

فقال: لا حاجة لي في أهلك ومالك، بارك الله لك في أهلك ومالك، دلّوني على السّوق[٢].

انظروا - عباد الله - إلى هذا المشهد المؤثّر الذي صاغه الإيمان، إننا لا ندري بأيهما نعجب، أنعجب بإيثار الأنصاريّ، أم نعجب بعزّة المهاجريّ؟

أين هذه النماذج في دُنيا النَّاس اليوم.

وخرج عبد الرحمن إلى السوق، فتاجر وربح، حَتَّى أصبح من أغنياء الصَّحابة، ثُمَّ

---

(١) «أسد الغابة» (٣/ ٤٤١).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٤٤٢).

أحد المجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

عباد الله...

وتعددت مناقب هذا السَّيِّد الكبير، وكثرت فضائله:

فهو: أحد السِّتة أصحاب الشورى، ثُمَّ أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم، ثُمَّ كان هُوَ الذي اجتهد في تقديم عثمان - رَضِي الله عَنهُ -.

وثبت في الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ صلى وراءه الركعة الثانية من صلاة الفجر في بعض الأسفار، وهذه منقبة عظيمة لا تبارى[(١)].

وتبّوأ عبدُ الرحمن - رَضِي الله عَنهُ - مكانًا عليًّا في الدنيا والآخرة.

عَن ابن أَبِي أَوفَى، قَالَ: شَكَا عَبدُ الرَّحمَنِ بن عَوفٍ خَالِدَ بن الوَلِيدِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: **«يَا خَالِدُ، لا تُؤذِ رَجُلا مِن أَهلِ بَدرٍ، فَلَو أَنفقتَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا لَم تُدرِك عَمَلَهُ»**، فَقَالَ: يَقَعُونَ فِيَّ فَأَرُدُّ عَلَيهِم، فَقَالَ: **«لا تُؤذُوا خَالِدًا، فَإِنَّهُ سَيفٌ مِن سُيُوفِ اللَّهِ صَبَّهُ اللَّهُ عَلَى الكُفَّارِ»**[(٢)].

ومن مناقبه: أنَّ النبيَّ ﷺ بعثه أميرًا عَلَى سريّة إلى دومة الجندل، ولفّ له عمامته بيده الشريفة وأرخى له عذبتها.

قَالَ ابن إسحاق: حدثني مَن لا أتهم عن عطاء بن أبي رَبَاح قَالَ: سمعتُ رجلًا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عُمَر بن الخطاب، عن إرسال العمامة من خلف الرَّجلُ إذا اعتمَّ، قَالَ: فقال عبد الله: سأُخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم: كنتُ عاشرَ عشرة رَهطٍ من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجده: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، وأبو سعيد الخدريّ، وأنا مع رسول الله ﷺ إذ أقبل فتى مِن الأَنصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ المُؤمِنِينَ أفضَلُ؟

---

(١) «البداية» (٥/ ٢٤٨).

(٢) قَالَ الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٤٩): رواه الطبراني باختصار، والبزار بنحوه، ورجال الطبراني ثقات.

قَالَ: «أَحسَنُهُم خُلُقًا».

قَالَ: فَأَيُّ المُؤمِنِينَ أَكيَسُ؟

قَالَ: «أَكثَرُهُم لِلمَوتِ ذِكرًا وَأَحسَنُهُم لِمَا بَعدَهُ استِعدَادًا أُولَئِكَ الأَكيَاسُ».

قَالَ: سكت الفتى، أَقبَلَ عَلَينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مَعشَرَ المُهَاجِرِينَ خَمسٌ إِذَا ابتُلِيتُم بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَن تُدرِكُوهُنَّ:

لَم تَظهَر الفَاحِشَةُ فِي قَومٍ قَطُّ حَتَّى يُعلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِم الطَّاعُونُ وَالأَوجَاعُ الَّتِي لَم تَكُن مَضَت فِي أَسلَافِهِم الَّذِينَ مَضَوا.

وَلَم يَنقُصُوا المِكيَالَ وَالمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ المَئُونَةِ وَجَورِ السُّلطَانِ عَلَيهِم.

وَلَم يَمنَعُوا زَكَاةَ أَموَالِهِم إِلَّا مُنِعُوا القَطرَ مِن السَّمَاءِ، وَلَولَا البَهَائِمُ لَم يُمطَرُوا.

وَلَم يَنقُضُوا عَهدَ اللَّهِ وَعَهدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيهِم عَدُوًّا مِن غَيرِهِم فَأَخَذُوا بَعضَ مَا فِي أَيدِيهِم.

وَمَا لَم تَحكُم أَئِمَّتُهُم بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأسَهُم بَينَهُم»[1].

ثُمَّ أَمَّر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهّز لسرية بعثه عليها، فأصبح قد اعتمَّ بعمامة كرابيس سوداء، فأدناه النبي ﷺ ثُمَّ نقضها، ثُمَّ عممه بها، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوًا من ذلك، ثم قَالَ: «هكذا يا ابن عوف فاعتم فإنه أحسنُ و أعرف» ثم أمر النبي ﷺ بلالا أن يدفع إليه اللواء، فدفعه إليه، فحمد الله تعالى، ثم قَالَ: «اغزوا جميعًا في سبيل الله، فقاتلوا مَن كفر بالله، لا تَغُلُّوا ولا تغدروا، ولا تمثلُوا ولا تقتُلُوا وليدًا، فهذا عهد رسول الله وسنته فيكم». فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء[2].

أيُّهَا المسلمون...

اسمعوا نصّ وصيّة رسول الله ﷺ مَرَّة أخرى: «لا تَغُلُّوا ولا تغدروا، ولا تمثلُوا ولا

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٤٠، ٥٤١)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبيّ.

(٢) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٣١٧، ٣١٨)، وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

تقتُلُوا وليدًا، فهذا عهد رسول الله وسنته فيكم» هذا هُوَ نهج الإسلام في الحروب، فأين دعاة حقوق الإنسان اليوم من هذا الأدب، أين أعضاء لجنة الرفق بالحيوان، لا يَرَون ما يحدث للمسلمين من تشريد، وتقتيل، واغتصاب للنساء، وقتل للأبرياء، أم أن دماء المسلمين أهون عندهم من دم الحيوان؟!

وخرج عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل، فلمَّا دخلها دعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، فلمَّا كان اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي - رَضِي الله عَنهُ - وكان نصرانيًّا وكان رأسهم.

فكتب عبد الرحمن مع رجل من جهينة، يقال له رافع بن مكيث، إلى النبي ﷺ يخبره، فكتب إليه النبيُّ ﷺ أن تزوج ابنة الأصبغ، فتزوجها، وهي تماضر، التي ولدت له بعد ذلك أبا سلمة بن عبد الرحمن[١].

عباد الله...

لم يتخلف عبد الرحمن بن عوف عن غزوة ولم يقعد عن قتال، بل جاهد بنفسه وماله.

أخرج أبو نعيم في «الحلية» [٢] عن الزهري، قَالَ: «تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدَّق بأربعين ألفًا، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامَّة ماله من التجارة». ا.هـ.

وتصدَّق - رَضِي الله عَنهُ - في غزوة تبوك بمائتي أوقية.

وعن جهاده - رَضِي الله عَنهُ -:

يحدثنا اللواء الركن: محمود شيت خطاب فيقول: «أثبت عبد الرحمن بن عوف كفاية قتالية متميِّزة في كلِّ غزوة خاضها تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام، فأسر في بعض تلك الغزوات أسرى من المشركين، وقتل منهم قتلى، وباشر القتال في الصفوف الأمامية، وثبت مع عدد قليل من المسلمين ثبتوا إلى جانب الرسول

---

(١) رواه الدارقطني.
(٢) (١/ ٩٩).

ﷺ واستقتل في الدفاع عن النبي ﷺ حَتَّى أصيب بأكثر من عشرين جرحًا، أحدها في ثنيتيه فهُتم، وفي رجله فعرج كل حياته، فكان عَرَجُهُ بعد إصابته برجله يوم أُحُد شاهدًا عَلَى ثباته العنيد ووسامًا عَلَى شجاعته وبطولته رَضِي الله عَنهُ.

لقد أبلى بلاءً حسنًا في كل غزوة خاضها، وبخاصة غزة أُحُد، وأبدى شجاعةً نادرة في تلك الغزوة وفي غيرها من الغزوات حَتَّى أصبح معدودًا من شجعان المسلمين المعدودين الذين يشار إليهم بالبنان، ويرشحون لقيادة السرايا عَلَى عهد النبي ﷺ، وقيادة الجيوش بعد انتقاله عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى.

ولم يكن مجاهدًا من الطراز الأول بنفسه فحسب، بل كان مجاهدًا من الطراز الأول بماله أيضًا، وقد ذكرنا جهاده بالمال نقدًا وإبلًا وخيولًا.

كان عارفًا بمبادئ الحرب، مطبِّقًا لها، يختار مقصده اختيارًا دقيقًا، وكان قائدًا تعرضيًّا، يطبق مبدأ المباغتة عَلَى خصمه، ويحرمه من تطبيق هذا المبدأ عَلَى رجاله، يحشد قوته قبل المعركة، ويقتصد بالمجهود ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، ويحرص عَلَى أمن رجاله حرصًا بغير حدود، خططهُ مرنة، يتعاون تعاونًا وثيقًا مع القيادة من جهة، ومع رجاله من جهة أخرى، ويديم معنويات قواته، ويؤمِّن لها أمورها الإدارية.

يتحلى بالطاعة والضبط المتين، ولا يخالف الأوامر التي تصدر إليه، ولا يحب الفتنة ولا يحب أهلها، ولا يسعى إليها بسيفه أو يده أو لسانه أو بهم جميعًا، فمصلحة المسلمين ووحدة كلمتهم وصفوفهم هي هدفه الأعلى الذي يسعى إلى تحقيقه بكلِّ ما يستطيع من قوة وتصميم وعزم.

ولم يكن يحب الإمارة ولا يسعى إليها، ولكنه لا يمتنع عن تولِّيها باعتبارها تكليفًا لا تشريفًا(١).

عباد الله...

ومع ما تقدّم من فضائل لعبد الرحمن بن عوف - رَضِي الله عَنهُ - إلَّا أن الخوف من عدم قبول عمله كان يساوره، وهكذا يجب أن يكون المؤمن.

---

(١) «قادة النبيّ ﷺ» (٢٩٥، ٢٩٦).

عَن شَقِيقٍ قَالَ: «دَخَلَ عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَ: يَا أُمَّ المُؤمِنِينَ إِنِّي أَخشَى أَن أَكُونَ قَد هَلَكتُ، إِنِّي مِن أَكثَرِ قُرَيشٍ مَالاً، بِعتُ أَرضاً لِي بِأَربَعِينَ ألفَ دِينَارٍ.

فَقَالَت: أَنفِق يَا بُنَيَّ فَإِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ مِن أَصحَابِي مَن لاَ يَرَانِي بَعدَ أَن أُفَارِقَهُ**».

فَأَتَيتُ عُمَرَ فَأَخبَرتُهُ، فَأَتَاهَا فَقَالَ: بِاللَّهِ أَنَا مِنهُم؟ قَالَت: اللهُمَّ لاَ، وَلَن أُبَرِّئَ أَحَداً بَعدَكَ» [١].

وعن نوفل بن إياس الهذلي قَالَ: «كان عبد الرحمن - رَضِي الله عَنهُ - لنا جليسًا وكان نِعم الجليس، وإنه انقلب بنا يومًا حَتَّى دخلنا بيته، ودخل فاغتسل ثُمَّ خرج فجلس معنا، وأتينا بصحفة[٢] فيها خبز ولحم، فلمّا وُضعت بكى عبد الرحمن بن عوف، فقلنا له: يا أبا محمد ما يبكيك؟ قَالَ: هلك رسول الله ﷺ ولم يشبع هُوَ وأهل بيته من خبز الشعير، ولا أرانا أُخرنا لما هُوَ خير لنا» [٣].

عباد الله...

وكان عبد الرحمن كبقية الصَّحابة، مِن أزهد النَّاس في الدنيا.

قَالَ الشيخ محمد الغزالي: «لقد كان الصَّحابة رضوان الله عليهم قدوة في الزهد الماديّ، فقد كانوا يزهدون في الماديات البسيطة رغم ضآلة ثمنها وقلّة خطرها، لأن ذلك الزهد المادي يصقل نفوسهم، ويقوّم شخصيتهم، ويجعلهم أقدر عَلَى تحمل أعباء الجهاد في سبيل القضايا الاجتماعية والإنسانية الكبرى، ليس الزهد الماديّ مضرًّا في حدِّ ذاته، وإنما الضرر أن نجعله غاية ولا نجعله وسيلة، إذ يصبح الزهد في هذه الحالة عنوانًا لليأس، وذلك ما كنا نراه في العصور التي ضعف فيها الإسلام وخرج النَّاس فيها عَلَى تعاليمه.

كنا نجد طائفة من النَّاس يستنكرون الشّر ويكرهونه، ولكنهم كانوا أضعف من

---

(١) **رجاله ثقات**: أخرجه أحمد (٦/ ٣١٧).

(٢) **الصحفة**: إناء كالقصعة المبسوطة.

(٣) «الإصابة» (٢/ ٤١).

أن يقاوموه ويحاربوه لخور نفوسهم، وقلّة عزيمتهم، فكانوا يلجأون إلى اعتزال الدنيا والناس، معتقدين أنهم بذلك تخلّصوا من المسئولية الكبرى التي فرضها الله عَلَى كل مسلم من أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وجهاد لإعلاء كلمة الله ونصر دينه.

والزهد الماديّ عَلَى حقيقته لا يتنافى مُطلقًا مع السّعي وراء الرزق، بل هُوَ يقضي بضرورة ذلك، فالزهد: هُوَ أن نزهد بعد أن نمتلك، ويصبح لدينا المال الحلال والرزق الطيّب(١).

أمَّا أن نزهد وأيدينا خواء لا شيء فيها، فهذا هُوَ التظاهر الكاذب بالزّهد». ا.هـ(٢).

هذا، وأعلى درجات الزهد في الدنيا: الزهد في طلب الإمارة، وقد جمع عبد الرحمن ابن عوف - رَضِي الله عَنهُ - بين كل درجات الزهد.

قَالَ الإمام الذهبيّ: «ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزلُه نفسه من الأمر وقتَ الشورى، واختياره للأمَّة مَن أشار به أهلُ الحلِّ والعَقد، فنهض في ذلك أتمَّ النهوض عَلَى جمع الأمة عَلَى عثمان، ولو كان محابيًا فيها، لأخذها لنفسه، أو لولَّاها ابن عمِّه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص».

قلت: ومَن زهد في الإمارة فهو لغيرها أزهد.

قَالَ سفيان الثوريّ - رحمه الله -: «ما رأيتُ الزّهد في شيء أقلّ منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة حامَى عليها وعادى».

وقال يوسف بن أسباط - رحمه الله -: «الزهد في الرئاسة أشدّ من الزهد في الدنيا، وأصحاب محمد ﷺ كانوا أبعد النَّاس عن حبّ الظهور، وطلب الرئاسة، لقوّة إيمانهم، وتعلّق قلوبهم بما عند ربِّهم، فرضي الله عنهم، ورضوا عنه».

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) قَالَ الإمام ابن القيّم - رحمه الله - : «ومن أحسن ما قيل في الزهد: كلام الحسن البصري، أو غيره: «ليس الزّهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون ثواب المصيبة إذا أُصبت بها أرغب منك فيها لو لم تصبك»، فهذا من أجمع الكلام في الزّهد وأحسنه». اهـ.

(٢) «تأملات في الدين والحياة» (٢٠٠، ٢٠١).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد حياة حافلة بالجهاد والعطاء، والعبادة، والإخلاص، حضرت عبد الرحمن ابن عوف الوفاةُ.

يروي إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فيقول: غُشي على عبد الرحمن بن عوف - رَضِيَ الله عَنهُ - في وجعه غشية، فظنوا أنها قد فاضت نفسه فيها، حتى قاموا من عنده وجللوه ثوبًا، وخرجت أم كلثوم بنت عقبة امرأته إلى المسجد تستعين، فيما أمرت به من الصبر والصلاة، فلبثوا ساعة وهو في غشية، ثم أفاق فكان أول ما تكلم به أن كبَّر، فكبَّر أهل البيت، ثم قال لهم: «غشي عليَّ آنفا؟»، فقالوا: نعم، فقال: «صدقتم»، فقال: «إنه انطلق بي في غشيتي رجلان أحدهما فيه شدة وفظاظة، فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز العليم، فانطلقا بي حَتَّى لقيا رجلًا، قَالَ: أين تذهبان بهذا؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين، فقال: أرجعاه فإنه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة في بطون أمهاتهم، وأنه سيمُتَّع به بنوه إلى ما شاء الله»، فعاش بعد ذلك شهرًا، ثم توفي رَضِيَ الله عَنهُ[١].

عبد الرحمن بن عوف عَلَى فراش الموت:

قَالَ ابن كثير - رحمه الله -: «ولما حضرته الوفاة - أي: عبد الرحمن - أوصى لكل رجل مِمَّن بقي من أهل بدر بأربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها حتى عثمان وعليّ، وقال عليّ: اذهب يا ابن عوف فقد أدركتَ صفوها وسبقت زيفها.

وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول: سقاه الله من السلسبيل.

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الحاكم (٣/ ٣٠٧)، وابن سعد (٣/ ١/ ٩٥)، وغيرهما.

وأعتق خلقًا من مماليكه، ثم ترك بعد ذلك كله مالًا جزيلًا، من ذلك ذهب قُطّع بالفئوس حتى مجلت أيدي الرجال، وترك ألف بعير ومائة فرس، وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع»[(١)].

قلت: فهل نصدِّق بعد ذلك أن الإسلام يدعو إلى الفقر ويَحُضُّ عليه. إن الذين اتهموا الإسلام بأنه يدعو إلى الفقر والجهل والمرض يجهلون، فلا يحزنك قولهم.

ولما مات عبد الرحمن - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - صلى عليه عثمان بن عفان وحمل في جنازته سعد بن أبي وقاص، ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

عباد الله...

وإلى هنا نأتي إلى ختام حديثنا عن عبد الرحمن بن عوف - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - وفي الجمعة القادمة نلتقي مع صحابيّ آخر إن شاء الله تعالى فإلى اللقاء.

اللهُمَّ إنَّا نسألك حُبَّك وحُبَّ مَن أحَبَّك، وَحُبَّ كُلِّ عملٍ يُقَرِّبنا من حُبِّك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

آمين... آمين... آمين



---

(١) «البداية والنهاية»، وفي الصحيحين وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف، قَالَ: «فلقد رأيتني ولو رفعت حجرًا أن أصيب ذهبًا أو فضة».

الخطبة السادسة عشرة

مع طلحة بن عبيد الله

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فيسعدنا أن نَذكُرَ اليوم - إن شاء الله - ترجمةً حقيقية لرجلٍ من أهل الجَنَّة، وشهيدٍ كان يمشي على الأرض.

أتعلمون - عباد الله - مَن هو؟ إنَّهُ **طلحة بن عبيد الله**، أبو محمد، القُرَشيّ التَّميميّ.

أُمُّهُ: الصعبة بنت عبد الله بن مالك الحضرمية.

يعرف بطلحة الخير، وطلحة الفيّاض[1].

أسلم طلحة - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - في بداية الدَّعوة الإسلامية، دعاه أبو بكر الصِّدِّيق

(١) «أسد الغابة» (٣/ ٧٦).

إلى الإسلام فأسلم.

إذًا فهو أحد السابقين الأوّلين من المؤمنين المهاجرين.

ولّما أسلم طاله الأذى من المشركين.

قَالَ ابن الأثير: «لَـمَّا أسلم طلحة وأبو بكر - رَضِيَ اللَّـهُ عَنهُمَا - أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية فشدهما في حبل واحد، ولم يمنعهما بنو تيم، وكان نوفل أشدّ قريش، فلذلك كان أبو بكر وطلحةُ يُسميّان القرينين، وقيل: إن الذي قرنهما عثمان بن عُبيد الله أخو طلحة، فشدّهما ليمنعهما عن الصلاة، وعن دينهما، فلم يجيباه، فلم يَرُعهما إلَّا وهما مطلقان يصلّيان»(١).

ولما أَذِنَ الله تعالى لنبيّه ﷺ بالهجرة، هاجر طلحةُ من مكَّة إلى المدينة تاركًا وراءه كُلَّ ما يملك في سبيل الله عز وجل.

قَالَ ابن الأثير: «لَـمَّا أسلم طلحة والزبير آخى رسول الله ﷺ بينهما بمكة قبل الهجرة، فلما هاجر المسلمون إلى المدينة آخى رسول الله ﷺ بين طلحة وبين أبي أيوب الأنصاري»(٢).

عباد الله...

ولما أَذِنَ اللَّـهُ تعالى لنبيِّه بالجهاد في سبيل الله تعالى، انضوى طلحةُ تحت لواء المجاهدين، وأبلى بلاءً حسنًا.

والحديث عن مسيرة نضال هذا البطل يحتاج إلى مجلّد كامل، ويكفي أن نشير هنا إلى لقطات من تاريخ جهاده، عسى أن توقظ روح العزّة والكرامة والتعلّق بالآخرة في أُمّتنا المسكينة اليوم، الأُمّة التي حَجَر الأعداء عليها كما يُحجر عَلَى مال اليتيم الذي لا يُحسن التصرّف.

في غزوة أُحُد:

قاتل طلحة بن عُبيد الله التيميّ يوم أُحُد دون رسول الله ﷺ قتالَ جيشٍ كامل،

---

(١) نفس المرجع (٣/ ٧٦).

(٢) المرجع السابق.

ولعل قتال طلحة - يوم انهزم النَّاس عن النبيّ ﷺ - كان أروع وأصدق قتال؛ فقد روى البيهقي في «الدلائل» عن جابر قَالَ: «انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحُد، وبقي معه أحد عشر رجلًا من الأنصار، فيهم طلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل، فلحقهم المشركون فقال: «**ألا أحد لهؤلاء؟**» فقال طلحة: أنا يا رسول الله، فقال: «**كما أنت يا طلحة**»، فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل عنه، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه، ثم قتل الأنصاري فلحقوه، فقال: «**ألا أحد لهؤلاء؟**» فقال طلحة مثل قوله، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فأذن له فقاتل مثل قتاله وقتال صاحبه، ورسول الله ﷺ وأصحابه يصعدون، ثم قتل فلحقوه، فلم يزل رسول الله ﷺ يقول مثل قوله الأول، ويقول طلحة: أنا يا رسول الله، فيحبسه، فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال، فيأذن له، فقاتل مثل قتال من كان قبله، حتى لم يبق معه إلا طلحة، فغشوهما، فقال رسول الله ﷺ: «**من لهؤلاء؟**» فقال طلحة: أنا، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله»[(١)].

وفي رواية أخرى: عَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللّهِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَومُ أُحُدٍ وَوَلَّى النَّاسُ كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِى نَاحِيَةٍ فِى اثنَى عَشَرَ رَجُلاً مِنَ الأَنصَارِ وَفِيهِم طَلحَةُ بنُ عُبَيدِ اللّهِ فَأَدرَكَهُمُ المُشرِكُونَ فَالتَفَتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَقَالَ «**مَن لِلقَومِ؟**». فَقَالَ طَلحَةُ: أَنَا. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**كَمَا أَنتَ**». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللّهِ. فَقَالَ «**أَنتَ**». فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ التَفَتَ فَإِذَا المُشرِكُونَ فَقَالَ: «**مَن لِلقَومِ**». فَقَالَ طَلحَةُ: أَنَا. قَالَ: «**كَمَا أَنتَ**». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنصَارِ: أَنَا. فَقَالَ: «**أَنتَ**». فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ لَم يَزَل يَقُولُ ذَلِكَ وَيَخرُجُ إِلَيهِم رَجُلٌ مِنَ الأَنصَارِ فَيُقَاتِلُ قِتَالَ مَن قَبلَهُ حَتَّى يُقتَلَ، حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَطَلحَةُ بنُ عُبَيدِ اللّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**مَن لِلقَومِ**». فَقَالَ طَلحَةُ: أَنَا. فَقَاتَلَ طَلحَةُ قِتَالَ الأَحَدَ عَشَرَ حَتَّى ضُرِبَت يَدُهُ فَقُطِعَت أَصَابِعُهُ فَقَالَ: حَسِّ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**لَو قُلتَ بِسمِ اللّهِ لَرَفَعَتكَ المَلاَئِكَةُ وَالنَّاسُ يَنظُرُونَ**». ثُمَّ رَدَّ اللّهُ المُشرِكِينَ.

---

(١) «موسوعة الغزوات الكبرى» (أُحُد) لمحمد أحمد باشميل (ص١٤٢).

وعند الطبراني: «لَو قُلتَ: بِسمِ اللهِ، لَطَارَت بِكَ المَلائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنظُرُونَ إِلَيكَ»[١].

وقد جُرِحَ طلحة البطل وهو يذود المشركين عن رسول الله ﷺ أكثر من سبعين جُرحًا.

فقد روى أبو داود الطيالسيّ عن أُمّ المؤمنين عائشة، قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أُحُد، قَالَ: ذاك كله لطلحة، ثُمَّ أنشأ يحدِّث.... قَالَ: «كنت أوّل مَن فاء يوم أُحُد، فرأيت رجلًا يقاتل في سبيل الله دون رسول الله، فقلت: كن طلحة حيث فاتني ما فاتني، وكان بيني وبين المشركين رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله منه، وهو يخطف المشي خطفًا لا أخطفه، فإذا هُوَ أبو عبيدة بن الجراح، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كُسِرت رباعيته وشُجَّ في وجهه، ودخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر؛ فقال ﷺ: «عليكما صاحبكما» يريد طلحة، وقد نزف، فأتينا طلحة في بعض تلك الحفار، فإذا به بضع وسبعون بين طعنة وضربة ورمية، وإذا به قَد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه»[٢].

وعن عائشة وأمِّ إسحاق بِنتي طلحة، قالتا: جُرح أبونا يوم أُحُد أربعًا وعشرين جرحًا، وقع منها في رأسه شجة مربعة، وقطع نساه - يعني العِرق - وشُلَّت إصبعه، وكان سائر الجراح في جسده، وغلبه الغشيُ، ورسول الله ﷺ مكسورةٌ رباعيتهُ، مشجوجٌ في وجهه، قَد علاه الغشى، وطلحة مُحتَمِلُه، يرجع به القَهقَرَي، كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه، حَتَّى أسنده إلى الشِّعب[٣].

- ولما حَمَل لواء المشركين الجلاسُ بن طلحة بن أبي طلحة بعد مقتل إخوته لم يمهله طلحةُ بن عبيد الله حَتَّى طعنه طعنةً أودت بحياته.
- وحمل طلحةُ - رَضِي الله عَنهُ - النبيَّ ﷺ في هذه الغزوة عَلَى ظهره.

روى الترمذي وابن حبان بإسناد حسن: كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَومَ أُحُدٍ دِرعَانِ، فَنَهَضَ إِلَى صَخرَةٍ فَلَم يَستَطِع، فَأَقعَدَ تَحتَهُ طَلحَةَ فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى

---

(١) حسن: أخرجه النسائي والطبراني وغيرهما، وانظر «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٢٠٤).
(٢) «البداية» (٤/ ٣٠)، والحديث أخرجه أبو داود الطيالسي، ومن طريق البيهقي (٣/ ٢٦٣) في «الدلائل»، وإسناده ضعيف.
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٢).

اسْتَوَى عَلَى الصَّخرَةِ، فَقَالَ: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَوجَبَ طَلحَةُ».

أي: عمل عملًا أوجب له الجَنَّة.

- ولما انصرف النبي ﷺ يوم أُحُد، قَالَ لحسان: «قل في طلحة» فأنشأ حسان وقال:

وطلحة يوم الشِّعب آسى محمدًا ... عَلَى سالكٍ ضاقت عليه وشقَّتِ

يقيه بكفَّيه الرماح وأسلمت ... أشاجعُهُ تحت السيوفِ فشُلَّتِ

وكان إمام النَّاس إلا محمدا ... أقام رحى الإسلام حَتَّى استقلَّت[1]

- ونزل في طلحة وغيره من الصَّحابة قَولِهِ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

عَن طَلحَةَ: أَنَّ أَصحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا لِأَعرَابِيٍّ جَاهِلٍ سَلهُ عَمَّن قَضَى نَحبَهُ مَن هُوَ؟ وَكَانُوا لَا يَجتَرِئُونَ عَلَى مَسأَلَتِهِ ﷺ، يُوَقِّرُونَهُ وَيَهَابُونَهُ، فَسَأَلَهُ الأَعرَابِيُّ فَأَعرَضَ عَنهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعرَضَ عَنهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعرَضَ عَنهُ، ثُمَّ إِنِّي اطَّلَعتُ مِن بَابِ المَسجِدِ وَعَلَيَّ ثِيَابٌ خُضرٌ فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَينَ السَّائِلُ عَمَّن قَضَى نَحبَهُ؟»[2]، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَذَا مِمَّن قَضَى نَحبَهُ»[3].

عباد الله...

وكان طلحة - رَضِي الله عَنهُ - سخيًّا كريمًا، يتقرَّب إلى الله تعالى بكل الوسائل المقضية إلى محبّة الله، والموصِّلة إلى جنّته.

عن قُبيصة بن جابر، قَالَ: «ما رأيت رجلًا قطّ أعطى الجزيل من المال من غير مسألة من طلحة بن عبيد الله».

قَالَ سفيان: كان أهله يقولون: إنَّ رسول الله ﷺ سمَّاه الفيَّاض.

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٥).

(٢) **حسن صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٤٢)، وقال الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٩٤٢): حسن صحيح.

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي، وقال الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٩٤١): حسن.

ويحدّث عن نفسه ﷺ فيقول: سمَّاني رسولُ الله ﷺ يوم أُحُد: «**طلحة الخير**»، وفي غزوة ذي العشيرة «**طلحة الفيّاض**»، ويوم حُنين: «**طلحة الجود**»[(١)].

وعن سُعدى بنت عوف[(٢)]، قالت: «دخلت عَلَى طلحة ورأيته مغمومًا، فقلتُ: ما شأنك؟ فقال: المال الذي عندي قَد كَثُر وقد كربني. فقلت: وما عليك؟ اقسمه، فَقَسَمهُ حَتَّى ما بقي منه درهم.

قَالَ طلحة بن يحيى: فسألت خازن طلحة: كم كان المال؟ فقال: أربعمائة ألف».

وعن الحسن قال: «باع طلحة أرضًا بسبعمائة ألف، فبات ذلك المال عنده ليلةً فبات أرقًا من مخافة ذلك المال، فلمَّا أصبح فرَّقهُ كُلّه».

عباد الله...

هذا هُوَ الجود في أحلى صوره، وأسمى معانيه، فعاملوا مَولاكم بها أولاكم.

فما أقبح البخل مع اليسار، وما أقبح منع الإحسان مع حُسن الإمكان.

واسمعوا - عباد الله - لمولاكم وهو يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُم وَأَموَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد حياةٍ حافلة بالعطاء والجود والجِهاد في سبيل الله تعالى، مَنَّ الله تعالى على عبده طلحة بالشهادة. وكان - رَضِيَ الله عَنهُ - قد حضر موقعة الجمل، كما مرّ بنا، فاجتمع به عليّ ابن أبي طالب - رَضِيَ الله عَنهُ - فوعظه فتأخَّر فوقف في بعض الصفوف، فجاء سهمٌ

---

(١) فيه ضعف.

(٢) زوجته.

غَرِب[١]، فوقع في رُكبته، وقيل: في رقبته، فمات رَضِي الله عَنهُ.

قَالَ الشَّعبيُّ: «لَـمَّا قُتل طلحة ورآه عليّ مقتولًا جعل يمسح التراب عن وجهه وقال: عزيزٌ عليَّ أبا محمد أن أراك مُجَدَّلًا تحت نجوم السماء، ثم قَالَ: إلى الله أشكو عجري وبُجري، وترحّم عليه، وقال: ليتني مِتُّ قبل هَذَا اليوم بعشرين سنة[٢]، وبكى هو وأصحابه عليه، وسمع عليّ رجلًا ينشد:

فتى كان يُدنيه الغنى من صديقه … إذا مَا هُوَ استغنى يَبْعدهُ الفقرُ

فقال: ذاك أبو محمد طلحة بن عُبيد الله، رحمه الله[٣]. ودُفن طلحة - رَضِي الله عَنهُ - بالبصرة.

عباد الله...

وفي الجمعة القادمة نلتقي مع صحابيّ آخر - إن شاء الله - فإلى اللقاء.

اللهُمَّ اغفر لنا وارحمنا وارضَ عنَّا، وتقبَّل منَّا، وأدخلنا الجَنَّة ونجِّنا من النار، وأصلح لنا شأنَنَا كُلّه.

آمين... آمين... آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

(١) لا يُدرى راميه.

(٢) «البداية» (٨/ ٢٣).

(٣) «أسد الغابة» (٣/ ٧٩).

الخطبة السابعة عشرة

[أ] مع أبي عبيدة بن الجرَّاح

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فضيفنا اليوم: رجلٌ مبارك، تعدَّدت مناقبه، وكثرت فضائله، وعطَّر صحائف أعماله وصفحات التاريخ بعبير إيمانه وإخلاصه.

فمن هُوَ؟ وما هي قصّته؟

هُوَ أبو عبيدة بن الجرَّاح، وقيل:اسمه عامر بن عبد الله بن الجرَّاح، وقيل: عبد الله ابن عامر، والأوّل أصح، وهو: عامر بن عبد الله بن الجرَّاح بن هلال بن أُهيب بن ضبّة ابن الحارث بن فِهر بن مالك بن النّضر القرشيّ الفِهريّ.

أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة، وشهد بدرًا، وأُحُدًا، وسائر المشاهد مع رسول الله

ﷺ وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية(١).

أسلم قديمًا مع عثمان بن مظعون، وهو ممَّن أسلم عَلَى يدي أبي بكر - عَلَى ما تقدّم بيانه.

ووردت أحاديث وآثار في فضائله:

فمن الأحاديث:

(١) عن أبي هريرة - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**نِعمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكرٍ، نِعمَ الرَّجُلُ عُمَرُ، نِعمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ**...» الحديث(٢).

(٢) عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلتُ لِعَائِشَةَ: أَيُّ أَصحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَت: أَبُو بَكرٍ، قُلتُ: ثُمَّ مَن؟ قَالَت: عُمَرُ، قُلتُ: ثُمَّ مَن؟ قَالَت: ثُمَّ أَبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، قُلتُ: ثُمَّ مَن ؟ فَسَكَتَت(٣).

ومن الآثار:

عن تميم بن سلمة: أن عُمَر لقي أبا عبيدة، فصافحهُ، وقبَّل يده، وتنحَّيا يبكان(٤).

عباد الله...

كان أصحاب النبي ﷺ يجمعون بين كل الفضائل، فترى أحدَهَم عالًما، عابدًا، فقيهًا، زاهدًا، مجاهدًا، صبورًا، حليمًا، شكورًا، مخلصًا... إلخ الفضائل الحسنة.

وهذه هي الشخصية المتكاملة التي تأخذ بالإسلام كلّه.

وهذا هُوَ سرّ فوزهم في الدَّارين.

والأُمّة في هذا العصر، لن تسترد عافيتها، ولن يعود إليها مجدُها إلَّا إذا اقترب أفرادها من هذا النوع الكريم.

وها هُوَ أبو عبيدة بن الجرَّاح - رَضِي الله عَنهُ - يذهب وحده إلى أهل نَجران

---

(١) «أسد الغابة» (٦/ ١٩٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٤٠٢٨)، وصحّحه الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٩٦٢).

(٣) **صحيح**: «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٥٨).

(٤) **رجاله ثقات**: لكنه منقطع، انظر «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٥).

ليعلِّمهم الإسلام.

عن حذيفة بن اليمان قَالَ: جَاءَ أَهلُ نَجرَانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: ابعَث لَنَا رَجُلًا أَمِينًا، فَقَالَ: «لَأَبعَثَنَّ إِلَيكُم رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فَاستَشرَفَ لَهُ النَّاسُ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيدَةَ ابنَ الجَرَّاحِ[١].

ولما قامت الحروب عَلَى قدم وساق بين المسلمين والمشركين، أبلى أبو عبيدة بلاءً حسنًا، ودكَّ معاقل الشرك والوثنية، وساهم بكل ما يقدر في بناء صرح الإسلام العظيم.

ونحن في خطبة اليوم نقتطف شيئًا من حياته الجهادية، سائلين المولى تبارك اسمُهُ أن يوفّقنا لاتباع هديهم، واقتفاء أثرهم:

شهد أبو عبيدةَ أُحُدًا، وثبت مع رسول الله ﷺ حين انهزم النَّاس وولوا، قَالَ أبو بكر الصِّدِّيق: «لَـمَّا كان يو أُحُد، ورُمِيَ رسول الله ﷺ في وجهه حين دخلت في وجنتيه حلقتان من المِغفَر[٢]، فأقبلت أسعى إلى رسول الله ﷺ، وإنسان قَد أقبل من قِبَل المشرق يطير طيرانًا، فقلت: اللهُمَّ اجعله طاعة، حَتَّى توافينا إلى رسول الله ﷺ، فإذا أبو عبيدة بن الجراح قَد بدرني، فقال: أسألك بالله أبا بكر إلا تركتني فأنزعه من وجنة رسول الله ﷺ، فتركته، فأخذ أبو عبيدة بثنيته إحدى حلقتي المِغفَرِ فنزعها، وسقط عَلَى ظهره، وسقطت ثنية أبي عبيدة، ثُمَّ أخذ الحلقة الأخرى بثنيته الأخرى، فسقطت، فكان أبو عبيدة في النَّاس أثرم»[٣].

وثبت أبو عبيدة في ميدان المعركة وأبلى بلاءً حسنًا.

ولما أجمع «بنو محارب» و«ثعلبة» وأغاروا عَلَى مواشي المدينة وهي ترعى بـ«هيفاء»[٤]، بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة في أربعين رجلًا، فساروا حَتَّى وصلوا إلى ذي القصة[٥]،

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) المغفر: زرد يلبس فوق الرأس عند الحرب.
(٣) الثرم - بالتحريك - سقوط الثنيّة.
(٤) هيفاء: موضع على بُعد أربعة أميال من المدينة.
(٥) ذو القصّة: موضع على بُعد أربعة وعشرين ميلًا من المدينة.

فأغاروا عَلَى أولئك القوم، وأخذ أبو عبيدة بعض ما لديهم من النّعم، ولكنَّ المشركين أعجزوهم هربًا في الجبال، وأسَرَ أبو عبيدة رجلًا واحدًا من المشركين، فأسلم[١].

عباد الله...

وفي غزوة الخَبَط أو سيف البحر[٢]، أمَّر النبيُّ ﷺ أبا عبيدة عَلَى جيش وبعثه يتلقون عيرًا لقريش ويقصدون حيًّا من جُهينة، فانطلق الجيش - بزادٍ قليلٍ - وفي هذه الغزوة حدثت كرامة عجيبة، نترك المجال لجابر بن عبد الله - رَضِي اللَّهُ عَنهُمَا - يحدِّثنا عنها:

عَن أَبِي الزُّبَيرِ عَن جَابِرِ بن عبد الله - رَضِي اللَّهُ عَنهُمَا - قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَّرَ عَلَينَا أَبَا عُبَيدَةَ نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِن تَمرٍ لَم يَجِد لَنَا غَيرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيدَةَ يُعطِينَا تَمرَةً تَمرَةً.

قَالَ: فَقُلتُ: كَيفَ كُنتُم تَصنَعُونَ بِهَا؟

قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ نَشرَبُ عَلَيهَا مِن المَاءِ، فَتَكفِينَا يَومَنَا إِلَى اللَّيلِ، وَكُنَّا نَضرِبُ بِعِصِيِّنَا الخَبَطَ ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالمَاءِ فَنَأكُلُهُ.

قَالَ: وَانطَلَقنَا عَلَى سَاحِلِ البَحرِ فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ البَحرِ كَهَيئَةِ الكَثِيبِ الضَّخمِ فَأَتَينَاهُ، فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدعَى العَنبَرَ.

قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيدَةَ: مَيتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لَا بَل نَحنُ رُسُلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَد اضطُرِرتُم فَكُلُوا.

قَالَ: فَأَقَمنَا عَلَيهِ شَهرًا وَنَحنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا.

قَالَ: وَلَقَد رَأَيتُنَا نَغتَرِفُ مِن وَقبِ عَينِهِ بِالقِلَالِ الدُّهنَ وَنَقتَطِعُ مِنهُ الفِدَرَ كَالثَّورِ أَو كَقَدرِ الثَّورِ، فَلَقَد أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَأَقعَدَهُم فِي وَقبِ عَينِهِ وَأَخَذَ ضِلَعًا مِن أَضلَاعِهِ فَأَقَامَهَا، ثُمَّ رَحَلَ أَعظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِن تَحتِهَا وَتَزَوَّدنَا مِن لَحمِهِ

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٨٦).

(٢) اسم أطلق على الغزوة ذاتها.

وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدِمنَا المَدِينَةَ أَتَينَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرنَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «**هُوَ رِزقٌ أَخرَجَهُ اللَّهُ لَكُم فَهَل مَعَكُم مِن لَحمِهِ شَيءٌ فَتُطعِمُونَا**».

قَالَ: فَأَرسَلنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنهُ فَأَكَلَهُ[1].

أيُّها المسلمون...

قَالَ الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث ما مختصره: «قَوله: (بَعَثَنَا رَسُول الله ﷺ وَأَمَّرَ عَلَينَا أَبَا عُبَيدَة) فِيهِ: أَنَّ الجُيُوش لَا بُدّ لَهَا مِن أَمِير يَضبِطهَا وَيَنقَادُونَ لِأَمرِهِ وَنَهيه، وَأَنَّهُ يَنبَغِي أَن يَكُون الأَمِير أَفضَلهم، أَو مِن أَفضَلهم، قَالُوا: وَيُستَحَبّ لِلرُّفقَةِ مِن النَّاس وَإِن قَلُّوا أَن يُؤَمِّرُوا بَعضهم عَلَيهِم وَيَنقَادُوا لَهُ.

قَوله: (نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيشٍ) قَد سَبَقَ أَنَّ العِير هِيَ الإِبِل الَّتِي تَحمِل الطَّعَام وَغَيره.

وَفِي هَذَا الحَدِيث جَوَاز صَدّ أَهل الحَرب وَاغتِيَالهم وَالخُرُوج لِأَخذِ مَالهم وَاغتِنَامه.

قَوله: (وَزَوَّدنَا جِرَابًا مِن تَمر لَم يَجِد لَنَا غَيره فَكَانَ أَبُو عُبَيدَة يُعطِينَا تَمرَة تَمرَة نَمُصّهَا كَمَا يَمُصّ الصَّبِيّ ثُمَّ نَشرَب عَلَيهَا مِن المَاء فَتَكفِينَا يَومنَا إِلَى اللَّيل)

أَمَّا الجِرَاب: فهو وعاء يحفظ فيه الزَّاد ونحوه[2].

وفي هذا بيان ما كان الصَّحابة رضي الله عنهم عليه من الزُّهد في الدنيا، والتقّلل منها، والصبر عَلَى الجوع وخشونة العيش، وإقدامهم عَلَى الغزو مع هذه الحال.

قوله: (وَكُنَّا نَضرِبُ بِعِصِيِّنَا الخَبَطَ ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالمَاءِ فَنَأكُلُهُ) أي: بعد أن فقدوا التمرة.

قَالَ ابن حجر: «والخَبَطَ: ورَق السلم، وهذا يدلّ عَلَى أَنَّهُ كان يابسًا، بخلاف ما جزم به الداودي أَنَّهُ كان أخضر رطبًا». ا.هـ[3].

قَوله: (كَهَيئَةِ الكَثِيب الضَّخم) وَهُوَ الرَّمل المُستَطِيل المُحدَودَب.

قَوله: (فَإِذَا هِيَ دَابَّة تُدعَى العَنبَر[4]، قَالَ أَبُو عُبَيدَة: مَيتَة، ثُمَّ قَالَ: بَل نَحنُ رُسُل

---

(١) رواه البخاري (٤٣٦٠)، ومسلم (١٩٣٥)، وغيرهما.

(٢) «المعجم الوجيز» (٩٨).

(٣) «فتح الباري» (٧/ ٦٨٠).

(٤) قَالَ الأزهريّ: العنبر: سمكة بحرية تكون بالبحر الأعظم يبلغ طولها خمسين ذراعًا.

رَسُول اللَّه ﷺ ، وَفِي سَبِيل الله، وَقَد اُضطُرِرتُم فَكُلُوا، فَأَقَمنَا عَلَيهِ شَهرًا وَنَحنُ ثَلَثِمائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا) وَذَكَرَ فِي آخِرِ الحَدِيث أَنَّهُم تَزَوَّدُوا مِنهُ، وَأَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ لَهُم حِين رَجَعُوا: «هَل مَعَكُم مِن لَحمه شَيء فَتُطعِمُونَا؟» قَالَ: فَأَرسَلنَا إِلَى رَسُول الله ﷺ مِنهُ فَأَكَلَهُ.

مَعنَى الحَدِيث: أَنَّ أَبَا عُبَيدَة - رَضِيَ الله عَنهُ - قَالَ أَوَّلًا بِاجتِهَادِهِ: إِنَّ هَذَا مَيتَة وَالمَيتَة حَرَام، فَلَا يَحِلّ لَكُم أَكلهَا، ثُمَّ تَغَيَّرَ اِجتِهَاده فَقَالَ: بَل هُوَ حَلَال لَكُم وَإِن كَانَ مَيتَة؛ لِأَنَّكُم فِي سَبِيلِ الله، وَقَد اُضطُرِرتُم، وَقَد أَبَاحَ الله تَعَالَى المَيتَة لِمَن كَانَ مُضطَرًّا غَير بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَكُلُوا فَأَكَلُوا مِنهُ.

وَأَمَّا طَلَب النَّبِيّ ﷺ مِن لَحمه وَأَكله ذَلِكَ، فَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ المُبَالَغَة فِي تَطيِيب نُفُوسهم فِي حِلّه، وَأَنَّهُ لَا شَكّ فِي إِبَاحَته، وَأَنَّهُ يَرتَضِيه لِنَفسِهِ، أَو أَنَّهُ قَصَدَ التَّبَرُّك بِهِ لِكَونِهِ طُعمَة مِن الله تَعَالَى، خَارِقَة لِلعَادَةِ أَكرَمهم الله بِهَا.

وَفِي هَذَا دَلِيل عَلَى أَنَّهُ لَا بَأس بِسُؤَالِ الإِنسَان مِن مَال صَاحِبه وَمَتَاعه إِدلَالًا عَلَيهِ، وَلَيسَ هُوَ مِن السُّؤَال المَنهِيّ عَنهُ، إِنَّمَا ذَاكَ فِي حَقّ الأَجَانِب لِلتَّمَوُّلِ وَنَحوه، وَأَمَّا هَذِهِ فَلِلمُؤَانَسَةِ وَالمُلَاطَفَة وَالإِدلَال.

وَفِيهِ: جَوَاز الِاجتِهَاد فِي الأَحكَام فِي زَمَن النَّبِيّ ﷺ ، كَمَا يَجُوز بَعده.

وَفِيهِ: إِبَاحَة مَيتَات البَحر كُلّهَا سَوَاء فِي ذَلِكَ مَا مَاتَ بِنَفسِهِ أَو بِاصطِيَادٍ، وَقَد أَجمَعَ المُسلِمُونَ عَلَى إِبَاحَة السَّمَك، قَالَ أَصحَابنَا: يَحرُم الضُّفدَع لِلحَدِيثِ فِي النَّهي عَن قَتلهَا.

وَمِمَّن قَالَ بِإِبَاحَةِ جَمِيع حَيَوَانَات البَحر إِلَّا الضُّفدَع: أَبُو بَكر الصِّدِّيق، وَعُمَر، وَعُثمَان، وَابن عَبَّاس - رَضِيَ الله عَنهُم -، وَأَبَاحَ مَالِك الضُّفدَع وَالجَمِيع.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَة: لَا يَحِلّ غَير السَّمَك، وَأَمَّا السَّمَك الطَّافِي وَهُوَ الَّذِي يَمُوت فِي البَحر بِلَا سَبَب فَمَذهَبنَا إِبَاحَته، وَبِهِ قَالَ جَمَاهِير العُلَمَاء مِن الصَّحَابَة فَمَن بَعدهم، مِنهُم: أَبُو بَكر الصِّدِّيق، وَأَبُو أَيُّوب، وَعَطَاء، وَمَكحُول، وَالنَّخعِيّ، وَمَالِك، وَأَحمَد، وَأَبُو ثَور، وَدَاوُد، وَغَيرهم.

وَقَالَ جَابِر بن عَبد الله، وَجَابِر بن زَيد، وَطَاوُسٌ وَأَبُو حَنِيفَة: لَا يَحِلّ، دَلِيلنَا قَوله

تَعَالَى: ﴿أُحِلّ لَكُم صَيد البَحر وَطَعَامه﴾ [المائدة: ٩٦]، قَالَ اِبن عَبَّاس وَالجُمهُور: صَيده: مَا صِدتُمُوهُ، وَطَعَامه: مَا قَذَفَهُ.

وَبِحَدِيثِ جَابِر هَذَا وَبِحَدِيثِ: «**هُوَ الطَّهُور مَاؤُهُ الحِلّ مَيتَته**» وَهُوَ حَدِيث صَحِيح وَبِأَشيَاء مَشهُورَة غَير مَا ذَكَرنَا.

فَإِن قِيلَ: لَا حُجَّة فِي حَدِيث العَنبَر؛ لِأَنَّهُم كَانُوا مُضطَرِّينَ، قُلنَا: الِاحتِجَاج بِأَكلِ النَّبِيّ ﷺ مِنهُ فِي المَدِينَة مِن غَير ضَرُورَة. قَوله: (وَلَقَد رَأَيتنَا نَغتَرِف مِن وَقب عَينه بِالقِلَالِ الدُّهن وَنَقتَطِع مِنهُ الفِدَر كَالثَّورِ أَو كَقَدرِ الثَّور).

أَمَّا (الوَقب) وَهُوَ دَاخِل عَينه وَنُقرَتهَا، وَ(القِلَال) بِكَسرِ القَاف جَمع (قُلَّة) وَهِيَ الجَرَّة الكَبِيرَة الَّتِي يُقِلّهَا الرَّجُل بَين يَدَيهِ أَي يَحمِلهَا، وَ (الفِدَر) هِيَ القَطع.

وَقَوله: (كَقَدرِ الثَّور) أَي مِثل الثَّور.

قَوله: (ثُمَّ رَحَلَ أَعظَمَ بَعِير) أَي جَعَلَ عَلَيهِ رَحلًا.

قَوله: (وَتَزَوَّدنَا مِن لَحمه وَشَائِق) قَالَ أَبُو عُبَيد: هُوَ اللَّحم يُؤخَذ فَيُغلَى إِغلَاء وَلَا يَنضَج وَيُحمَل فِي الأَسفَار». ا.هـ[1].

عباد الله...

وفي هذه القصَّة فوائد، نذكر منها فائدتين:

الأولى: بيان بركة الجهاد في سبيل الله، وقد ورد في عدّة أحاديث أَنَّهُ من أسباب الرزق:

عَنِ ابنِ عُمَرَ - رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بُعِثتُ بِالسَّيفِ حَتَّى يُعبَدَ اللَّهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزقِي تَحتَ ظِلِّ رُمحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَن خَالَفَ أَمرِي، وَمَن تَشَبَّهَ بِقَومٍ فَهُوَ مِنهُم**»[2].

عَن أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ - رَضِي الله عَنهُ - عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**ثَلاثَةٌ كُلُّهُم**

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٣/ ٧٤ - ٧٨) باختصار وإضافة يسيرة.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٥٠)، وحسّنه الحافظ في «الفتح»، والأرناؤوط، وصحّحه الألباني.

ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ، إن عَاشَ رُزِقَ وَكُفِيَ، وَإِن مَاتَ أَدخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ: مَن دَخَلَ بَيتَهُ فَسَلَّمَ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ، وَمَن خَرَجَ إِلَى المَسجِدِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ، وَمَن خَرَجَ فِي سَبيلِ اللَّهِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ» (١).

الفائدة الثانية: بيان فضل التوكل عَلَى الله، وهذا واضح في القصَّة، وقد ورد في فضل التوكل آيات وأحاديث، منها:

قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي: كافيه.

عن عُمَرُ بن الخَطَّابِ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**لَو أَنَّكُم تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُم كَمَا يَرزُقُ الطَّيرَ تَغدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَانًا**» (٢).

والتوكل هُوَ: اعتماد القلب عَلَى الوكيل وحده.

وللشافعيّ - رحمه الله:

تـوكلتُ في رِزقِـي عَلـى الله خَالقـي ... وأيقــنتُ أن الله لا شَــكَّ رازقــي
ومـا يـكُ مِـن رزقِـي فَلـيس يَفُـوتَني ... ولـو كـان في قـاع الـبحارِ العَوَامِـقِ
سـيأتي بـه اللَّـهُ العظـيم بفَـضلِهِ ... ولـو لم يكـن منِّـي اللِّـسانُ بـناطقِ
ففـي أيِّ شـيءٍ تَـذهبُ النَّفسُ حَسرةً ... وقـد قَـسَّمَ الـرَّحمنُ رِزقَ الخلائِـقِ

عباد الله...

أرأيتم ثمرة الإخلاص؟

أرأيتم بركة الجهاد في سبيل الله؟

أرأيتم أثر التوكّل عَلَى الله؟

إنها كرامة أجراها الله تعالى عَلَى يدي هؤلاء المجاهدين.

ومن اتَّصل قَلبُهُ بالله وحَسُنَ عَمَلُهُ، رأى العجائب.

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود، وانظر «صحيح الترغيب» (٣١٨).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد، وغيره، وانظر «صحيح الجامع» (٥٢٥٤).

أمَّا مَن انقطع قَلبهُ عن مولاه، تولَّاه الشيطان، وانقطعت عنه موارد التوفيق.

قَالَ الفضيل بن عياض - رحمه الله -: «من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات، انقطعت عنه موارد التوفيق».

نسأل الله تعالى قلبًا خاشعًا، وعملًا صالحًا متقبلًا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وظل أبو عبيدة - رَضِي الله عَنهُ - ملازمًا للنبيِّ ﷺ، مجاهدًا بماله ونفسه في سبيل الله.

ولما انتقل النبيُّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى بقي أبو عبيدة بعده سنوات، حدثت فيها أحداث.

من هذه الأحداث:

أنَّ أبا بكر - رَضِي الله عَنهُ - استعمله عَلَى جيش من جيوش المسلمين، وأمره بحمص، وكان نصّ أمر أبي بكر الذي أصدره لقادة الشام: «إذا اجتمعتم عَلَى قتال، فأميركم أبو عبيدة»، فاستعفاه أبو عبيدة من ذلك، ولكن أبا بكر أصر عَلَى رأيه، فسلك أبا عبيدة طريق «المعرِقة» حَتَّى نز «الجابية»، وكان عدد جيشه سبعة آلاف وخمسمائة رجل.

وما كادت جيوش المسلمين تصل إلى أرض الشام، حَتَّى بعث هرقل قادته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين، ليشغل جيوش المسلمين بعضهم عن بعض، وليحول دون تعاون قادة المسلمين فيما بينهم، ولتضعف كل فرقة من المسلمين عمن بإزائها من الروم، ولكن قادة المسلمين فَوَّتُوا عَلَى الروم هذه الفرصة باجتماعهم في اليرموك، استعدادًا لمواجهة الروم جيشًا واحدًا يقوده قائد واحد.

واستمد أبو عبيدة بعد اجتماع المسلمين في اليرموك أبا بكر، فقال أبو بكر: «خالد

لها»، فبعث إليه وهو بالعراق، وعزم عليه واستحثه في السير.

وطلع خالد عَلَى المسلمين، ففرحوا به فرحًا شديدًا، فكان خالد قائدًا عامًّا في معركة اليرموك الحاسمة، وكان أبو عبيدة في القلب، فهاجم خالد قلب جيش الروم حَتَّى كان بين مشاتهم وفرسانهم، وكان هجوم القلب صاعقًا، فلمَّا وجدت خيول الروم منفذًا لها للهرب، تركت ساحة المعركة هاربة، وبذلك قضى المسلمون عَلَى مشاة الروم، فانتهت معركة اليرموك الحاسمة بانتصار المسلمين.

عباد الله...

وبهذا القدر نكتفي، وفي الجمعة القادمة نواصل الحديث إن شاء الله، فإلى اللقاء.



الخطبة الثامنة عشرة

[ب] مع أبي عبيدة بن الجرَّاح

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن سيرة أبي عبيدة بين الجرَّاح، أمين هذه الأُمَّة رَضِي الله عَنهُ.

عباد الله...

تولى أبو عبيدة بعد اليرموك منصب القيادة العامة في أرض الشام[1]، وذلك لأن عُمَر عهد إليه بمنصب القيادة العامة بعد وفاة أبي بكر، وكان يقول: «لا أمير عَلَى أبي عبيدة»،

---

(١) ابن الأثير (٢/ ١٥٨)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٩٧).

ويصير تحت إمرته أكثر جيوش الإسلام طولًا وعرضًا، عتادًا وعُدَّةً.

استخلف أبو عبيدة عَلَى اليرموك بشير بن كعب الحميريّ، وسار حَتَّى نزل بـ«الصُفَّر» وهناك أتاه الخبر بأن المنهزمين من الروم اجتمعوا بـ«فحل»، وأتاه الخبر بأن المدد قَد أتى أهل دمشق من «حمص»، فكتب إلى عُمَر في ذلك، فأجابه بأن يبدأ بدمشق، لأنها حصن الشام وعاصمتها، وأن يشغل أهل «فِحل» بخيل تكون بإزائهم، وإذا فتح دمشق صار إلى «فِحل»، وكان نَصُّ وصايا عُمَر كما ورد في «الطبري» (٢/ ٦٢٥):

«أما بعد.. فابدءوا بدمشق فَانهَدُوا لها، فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بإزائهم في نحورهم، وأهل فلسطين وأهل حمص، فإن فتحها الله قبل دمشق فذاك الذى نحب، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فلينزل بدمشق من يمسك بها ودعوها، وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تُغِيروا على فحل فإن فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حمص ودع شرحبيل وعمرًا وأجلهما بالأردن وفلسطين، وأمير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من إمارته».

سار أبو عبيدة بالناس من المرج وعلى مقدمته خالد بن الوليد، وعلى المجنبتين عمرو بن العاص وأبو عبيدة نفسه، وعلى الخيل عياض بن غنم، وعلى الرجال شرحبيل ابن حسنة، فقدموا عَلَى دمشق، وحصروا أهلها، وطوقوها، فكان أبو عبيدة عَلَى ناحية وخالد عَلَى ناحية الباب الشرقي، فحاصروا أهل دمشق نحوًا من سبعين ليلة حصارًا شديدًا بالزحوف والترامي والمجانيق وهم معتصمون بالمدينة يرجون وصول الإمدادات، فلمَّا أيقن أهل دمشق أن الإمدادات لا تصل إليهم، فشلوا ووهنوا، وازداد المسلمون طمعًا فيهم.

وانتهز خالد فرصة انشغال أهل المدينة في احتفالهم بمولد طفل للبطريق، فاعتلى هُوَ وأصحابه السور وفتحوا الباب، فلمَّا رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له الصلح؛ فقبل منهم وفتحوا له الباب، وقالوا له:ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب، فدخلها خالد عنوة ودخلها أبو عبيدة صلحًا[١].

---

(١) «الطبري» (٢/ ٦٢٤، ٦٢٧).

حيَّاك الله أبا عُبيدة، وحيًّا الله دينًا أنجبك، ورسولًا علمك.

كان عُمَر - رَضِيَ الله عَنهُ - يقول: «لا أمير عَلَى أبي عبيدة»[(١)]، ولذا عزل خالد بن الوليد وَوُلِّي أبو عبيدة إمرة جيش المسلمين، وذلك في أثناء حصارهم لدمشق، الذي لم يتم فتح دمشق فيه، وكتم أبو عبيدة هذا الخبر في نفسه، ولم يخبر خالدًا بعزله؛ إكرامًا له وإجلالًا[(٢)].

كتم أبو عبيدة هذا الخبر في نفسه، طاويًا عليه صدر زاهدٍ فطنٍ أمينٍ، حَتَّى انتهت المعركة، وعلم خالد بأمر عزله، فأقبل حَتَّى دخل عَلَى أبي عبيدة، فقال: «يغفر الله لك، أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تُعلمني، وأنت تصلي خلفي، والسلطان سلطانك؟» فقال أبو عبيدة: «وأنت يغفر الله لك، ما كنتُ لأُعلِمكَ ذلك حَتَّى تَعلمَهُ من عند غيري، وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله، ثُمَّ قَد كنتُ أُعلِمُكَ إن شاء الله، وما سلطان الدنيا أريد، وما للدنيا أعمل، وإنَّ ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوانٌ وقُوَّامٌ بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ، وما يضرُّ الرجل أن يلي عليه أخوه في دينه ولا دنياه، بل يعلم الوالي أَنَّهُ يكاد أن يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقعهما في الخطيئة، لما يعرض من الهلكة إلا من عصم الله عَزَّ وَجَلَّ وقليلٌ ما هُم».

وقام خالد وقال للناس: بُعث عليكم أمين هذه الأمة.

لقد سار أمين هذه الأُمّة تحت راية الإسلام أنى سارت جنديًّا، كأنه بفضله وإقدامه الأمير، وأميرًا، كأنه بتواضعه وإخلاصه واحدًا من عامة المقاتلين.

سار أبو عبيدة بعد فتح دمشق إلى «فِحل» بعد أن استخلف يزيد بن أبي سفيان عَلَى دمشق، فشهد انتصار المسلمين في هذه المعركة التي كان من نتائجها فتح الأردن عَلَى يد شرحبيل بن حسنة، وبينما كان أبو عبيدة يخوض معركة «فِحل» كان يزيد بن أبي سفيان يخوض معارك فتح ساحل دمشق: صيدا، وعِرقة، وبيروت.

انصرف أبو عبيدة بخالد بن الوليد ومن معه إلى «حمص»، وفي طريقه إليها اصطدم

---

(١) «فتوح الشام» للواقدي (١/ ٨).

(٢) «ابن الأثير» (٢/ ٢٧٨)

بقوات الروم في «مرج الروم»، وأرسل خالدًا ليضرب من الخلف قوات الروم التي قصدت دمشق، فاستطاع خالد كما استطاع أبو عبيدة الانتصار عَلَى الروم.

واستمر أبو عبيدة في مسيره باتجاه هدفه «حمص» فسلك طريق «بعلبك» فطلب أهلها الأمان، فأمنهم وصالحهم، وسار عنهم، فنزل عَلَى «حمص» ومعه خالدًا، ففتحها بعد حصار طويل عَلَى مثل صلح دمشق، ثُمَّ مضى إلى «حَماة» فتلقاه أهلها مذعنين، فصالحهم عَلَى الجزية لرءوسهم والخراج عَلَى أرضهم، ومضى نحو «شَيزر» فخرجوا إليه يسألون الصلح عَلَى ما صالح عليه أهل «حماة»، فسار أبو عبيدة إلى «معرة حمص» وهي «معرة النعمان» فأذعنوا بالصلح عَلَى ما صالح عليه أهل «حمص».

وسار أبو عبيدة إلى «اللاذقية» وكان لها بابٌ عظيم لا يمكن فتحها إلَّا بجماعة كبيرة من النَّاس، فعسكر المسلمون عَلَى بُعدٍ منها، ثُمَّ أمر فحفرت حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكبًا، ثُمَّ أظهر المسلمون أنهم عائدون عنها ورحلوا، فلمَّا أظلم الليل عادوا واستتروا في تلك الحفائر، وأصبح أهل «اللاذقية» وهم يرون أن المسلمين قَد انصرفوا عنهم؛ فأخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد، فلم يرعهم إلا والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة، ففتحوها عنوة.

وأرسل أبو عبيدة خالدًا إلى «قنسرين» وفي «الحاضر» اصطدم خالد بقوات الروم؛ فاقتتلوا قتالًا لم يقتتلوا مثله من قبل، وكانت نتيجة المعركة انتصار المسلمين عَلَى الروم، فسار خالد حَتَّى نزل عَلَى «قنسرين»، فتحصن أهلها منه، ولكنهم صالحوه عَلَى مثل صلح «حمص»، فأتى إلا عَلَى خراب المدينة.

ولما فرغ أبو عبيدة من «قنسرين» سار إلى «حلب»، فبلغه أن أهل «قنسرين» نقضوا وغدروا، فوجه إليها السمط الكندي، فأعاد فتحها.

ووصل أبو عبيدة إلى «حاضر حلب» فصالح أصنافًا من العرب عَلَى الجزية، ثُمَّ أسلموا بعد ذلك، وأتى «حلب» فتحصَّن أهلها، ولكنهم لم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان عَلَى أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم، فأعطوا ذلك.

وسار أبو عبيدة من حلب إلى إنطاكية، وقد تحصَّن بها خلقٌ كثير من «قنسرين» وغيرها، فحصرها من جميع نواحيها، فصالحوه عَلَى الجلاء أو الجزية، فَجَلَا بعضهم

وأقام بعضهم، فأمَّنهم.

وبلغ أبا عبيدة أن جمعًا من الروم بين «معرة مَصرين» و«حلب» فقصدهم وقاتلهم وفتح «معرة مَصرين» عَلَى مثل صلح «حلب»، وجالت خيوله فبلغت «بوقا» وفتحت قوى «الجومة» و«سَرمين»، و«مَرتَحوان» و«تيزين» من نواحي «حلب»، وغلبوا عَلَى جميع أرض «قنسرين» و«أنطاكية»

وسار أبو عبيدة يريد «قُورُس» فصالحها عَلَى صلح «إنطاكية» وبث خيوله فغلب عَلَى جميع أرض «قورس» وفتح «تل عزاز»، ثُمَّ فتح «منبج»، و«دُلُوك»، و«رَعبان» صلحًا، واشترط عَلَى أهلها أن يخبروا المسلمين بخبر الروم، ووجه أبو عبيدة خالدًا وهو بـ «منبج» إلى «مرعش» ففتحها وأجلى أهلها وأخربها، كما أَنَّهُ فتح حصن «الحَدَث»، وبذلك أكمل أبو عبيدة فتح أرض الشام، من هذه الناحية إلى الفرات، فولى عَلَى كل كورة فتحها عاملًا، وضم إليه جماعةً من الإداريين يعاونونه في إدارة منطقته، وجيشًا يدافع عنها، ثُمَّ عاد إلى فلسطين[1].

عباد الله...

هذه لقطاتٌ من حياة أبي عبيدة الجهاديّة، ومواصلة الحديث يحتاج لمجلدٍ ضخم.

إنهم الجبال التي توقف مَدّ السّيل، والأشجار التي لا تنثني مع هبوب العاصفة.

في سيرتهم شرف الحريّة، فما يستريحون حَتَّى تنجو البلاد والعباد من آثار الفساد، وقيود العبوديّة لغير الله. ولله درُّ القائل:

لا يصنع الأبطال إلاّ	**في مساجدنا الفساح**
في روضة القرآن في	**ظل الأحاديث الصحاح**
شعب بغير عقيدة	**ورق يذريه الرياح**
من خان (حي على الصلاة)	**يخون (حي على الكفاح)**

(١) «فرسان النهار» (٢/ ٣٤٣ - ٣٤٧).

عباد الله...

وكان أصحاب النبيّ ﷺ يُجلّون أبا عبيدة، ويشيرون إلى فضله في المواقف الصعبة، وفي بعض مجالسهم:

روى صاحب «الرياض النضرة» (ص٨٠٣): «لَمَّا بَلَغَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ سَرَغَ [(١)]، وحدّث أن بالشام وباءً شديدًا فقال: إن أَدركَنِي أَجَلِي وَأَبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ حَيٌّ استَخلَفتُهُ فَإِن سَأَلَنِي اللَّهُ لِمَ استَخلَفتَهُ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ قُلتُ: إِنِّي سَمِعتُ رَسُولَكَ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَمِينًا وَأَمِينِي أَبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ**».

ثُمَّ قَالَ: فَإِن أَدرَكَنِي أَجَلِي وَقَد تُوُفِّيَ أَبُو عُبَيدَةَ استَخلَفتُ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ فَإِن سَأَلَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ لِمَ استَخلَفتَهُ؟ قُلتُ: سَمِعتُ رَسُولَكَ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ يُحشَرُ يَومَ القِيَامَةِ بَينَ يَدَي العُلَمَاءِ نَبذَةً** [(٢)]».

عباد الله...

وهذه رواية أخرى تدلّ عَلَى مكانة أبي عبيدة - رَضِيَ الله عَنهُ -.

وعن عمر أنه قال لأصحابه يومًا: تمنوا، فقال رجل: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا أنفقه في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، فقال: تمنوا، فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤًا وزبرجدًا وجوهرًا أنفقه في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ وأتصدق به، ثم قال: تمنوا. قالوا: ما ندري ما نقول يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: لكني أتمنَّى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح [(٣)].

أيها المسلمون...

وهذه رواية ثالثة تدلّ عَلَى مكانة أبي عبيدة - رَضِيَ الله عَنهُ -:

عن عروة بن الزبير قال: «لَـمَّا قدم عمر بن الخطاب - رَضِيَ الله عَنهُ - من الشام

---

(١) سرغ: قرية بوادي تبوك من طريق الشام.
(٢) نبذة: ناحية.
(٣) «الرياض النضرة» (٨٠٥).

تلّقاهُ أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض.

فقال عمر: أين أخي؟

قالوا: مَن؟

قال: أبو عبيدة.

قالوا: يأتيك الآن.

فلما أتاه نزل فاعتنقه، ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر: ألا اتخذت ما اتخذ صَاحِبك؟

فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل».

وفي رواية: أن عمر قال له: «اذهب بنا إلى منزلك، قال: وما تصنع؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك عليَّ؟ قال: فدخل منزله فلم ير شيئًا، قَالَ: أين متاعك؟ ما أرى إلا لبدًا وصحفة وشنًّا[(١)]، وأنت أمير؟ عِندك طعام؟

فقام أبو عبيدة إلى جونة فأخذ منها كسيرات، فبكى عمر، فقال أبو عبيدة: قد قلت لك ستعصر عينيك عليَّ يا أمير المؤمنين، يكفيك ما يبلغك المقيل.

فقال عمر: غرتنا الدنيا، كلنا غيرك يا أبا عبيدة»[(٢)].

أيُّهَا النَّاس... يا عباد الله...

هكذا كان أصحاب محمد ﷺ أعظم ثلّة ظهرت في دنيا العقيدة والإيمان.

استطالت رءوسهم إلى السماء فَلَامَسَتهَا، واقتربت السماءُ من رءوسهم فَتوَّجَتهَا.

نسأل الله التوفيق لاتباعهم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) الشّن: القِربة.

(٢) «الرياض النضرة» (٨٠٦).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد عُمَر مبارك، وبالتحديد سنة ثمان عشرة في خلافة عُمَر، وأيام طاعون عمواس(١)، استُشهد أبو عبيدة بالطاعون لِيُكتب له به أجر الشهداء، ففي الحديث الصحيح: «**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسلِمٍ**».

قَالَ صاحب «الرياض النضرة»: وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وصلَّى عليه معاذ بن جبل، ونزل في قبره معاذ وعمرو بن العاص، والضحَّاك بن قيس. ا.هـ.

عباد الله...

وقبل وفاة أبي عبيدة، أوصى من حضره من المسلمين بوصية تكتب بماء الذَّهب:

عن سعيد بن المسيب قال: لَـمَّا طُعن أبو عبيدة بالأردن دعا من حضره من المسلمين وقال: «إني موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير: أقيموا الصلاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدقوا وحجوا، واعتمروا وتواصوا، وانصحوا لأمرائكم، ولا تغشوهم، ولا تلهكم الدنيا فإن امرأ لو عمَّر ألف حَول ما كان له بُدّ من أن يصير إلى مصرعي هذا الذي ترون. إن الله تعالى كتب الموت على بني آدم فهم ميتون، فأكيَسَهم أطوعهم لربّه، وأعملهم ليوم معاده، والسلام عليكم ورحمة الله. يا معاذ بن جبل، صلِّ بالناس». ومات رحمه الله(٢).

رضي الله عنك يا أبا عُبيدة وأرضاك.

وإلى اللقاء مع صحابيّ آخر، إن شاء الله تعالى.

اللهُمَّ إنَّا نسألك إيمانًا نَهتَدي به، ونُورًا نَقتَدي به، ورزقًا حلالًا نكتفي به.

آمين... آمين... آمين.

❖❖❖❖❖

---

(١) هو أوّل طاعون كان في الإسلام بالشام.
(٢) «الرياض النضرة» (٨١٢).

الخطبة التاسعة عشرة

[أ] مع سعد بن أبي وقاص

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فنحن على موعدٍ مع شخصية فذَّة، أحنى التاريخُ رأسه لها إجلالًا واحترامًا، نحن على موعد مع الإمام، القدوة، المجاهد، العابد، الغنيّ، التقيّ: **سعد بن أبي وقَّاص رَضِي الله عَنهُ.**

فمن هو؟ وما قي قصَّتهُ؟

هو سعد بن أبي وقاص، واسمه: مالك بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، أبو إسحاق القرشيّ الزهريّ.

وأُمّه هي حَمنة بنت سفيان بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف.

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة، وأحد السِّتة أصحاب الشورى الذين تُوفِّيَ رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ.

أسلم قديمًا، وكان يوم أسلم عمره سبع عشرة سنة.

وثبت عنه في «الصحيح» أَنَّهُ قَالَ: «ما أسلَمَ أحَدٌ في اليوم الذي أسلمتُ فيه، ولقد مكثتُ سبعة أيام وإني لثلث الإسلام سابع سبعة».

ولما علمت أمُّه بإسلامه، امتنعت عن الطّعام والشراب حتى أشرفت على الموت، تريد أن تُرجعه إلى الوثنية، لكنه ثبت، فلما رأت منه ذَلِكَ، أكلت وشربت، وستأتي القصّة بتمامها، إن شاء الله تعالى.

عباد الله...

ونال سعد بن أبي وقاص نصيبه الأوفى من الأذى في مكَّة، وتحمّل مع أصحاب النبي ﷺ الشدائد، حَتَّى أذنَ الله لهم بالهجرة، ويحدثنا سعد بن أبي وقاص عن بعض ما أصابه فيقول:

«كنا قومًا يصيبنا ظلف[1] العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ومرنّا[2] عليه وصبرنا له، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة خرجت من الليل أبول، وإذا أنا أسمع بقعقعة[3] شيء تحت بولي، فإذا قطعة جلد بعير فأخذتها فغسلتُها ثم أحرقتها فوضعتُها بين حَجَرَين ثم أستفها[4] وشربتُ عليها من الماء فقويتُ عليها ثلاثًا»[5].

وعنه رضي الله تعالى عنه، قَالَ: «إِنِّي لَأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَقَد أَتَينَا نَغزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا لَنَا طَعَامٌ نَأكُلُهُ إِلَّا وَرَقَ الحُبلَةِ[6] وَهَذَا السَّمُرَ حَتَّى إِنَّ

---

(١) **ظلف العيش**؛ أي: بؤسه وشدته.
(٢) **ومرنّا**: اعتدنا وداومنا.
(٣) **القعقعة**: حكاية حركة الشيء يسمع له صوت.
(٤) **أستفها**: أي: أخذتُها غير ملتوتة (غير مبلولة بالماء).
(٥) «الحلية» (١/ ٩٣).
(٦) **الحبلة**: ثمر العضاه.

أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ مَا لَهُ خِلطٌ[(١)]»[(٢)].

أيُّهَا المسلمون...

وتعدّدت فضائل سعد - رَضِي الله عَنهُ - وكثرت مناقبه، ومن ذلك:

(١) عَن سَعدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**اللهُمَّ استَجِب لِسَعدٍ إِذَا دَعَاكَ**»[(٣)].

(١) عَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللَّهِ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: أَقبَلَ سَعدٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَذَا خَالِي فَليُرِنِي امرُؤٌ خَالَهُ**»[(٤)].

قَالَ أبو عيسى: وَكَانَ سَعدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ مِن بَنِي زُهرَةَ وَكَانَت أُمُّ النَّبِيِّ ﷺ مِن بَنِي زُهرَةَ فَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَذَا خَالِي**».

(٣) ومن المناقب التي تضاف لرصيد سعد رَضِي الله عَنهُ: ما جاء في الرواية التالية:

عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ عَامِرِ بنِ رَبِيعَةَ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَت: سَهِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقدَمَهُ المَدِينَةَ لَيلَةً قَالَ: «**لَيتَ رَجُلًا صَالِحًا يَحرُسُنِي اللَّيلَةَ**».

قَالَت: فَبَينَمَا نَحنُ كَذَلِكَ إِذ سَمِعنَا خَشخَشَةَ السِّلَاحِ فَقَالَ: «**مَن هَذَا؟**» فَقَالَ: سَعدُ ابنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا جَاءَ بِكَ؟**».

فَقَالَ سَعدٌ: وَقَعَ فِي نَفسِي خَوفٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجِئتُ أَحرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ نَامَ[(٥)].

(٤) عَن مُصعَبِ بنِ سَعدٍ قَالَ: أُنزِلَت فِي أَبِي أَربَعُ آيَاتٍ، قَالَ:

قَالَ أَبِي: أَصَبتُ سَيفًا، قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَفِّلنِيهِ.

قَالَ: «**ضَعهُ**».

---

(١) **ما له خلط**: أي: لا يختلط نجوهم بعضه ببعض لجفافه ويبسه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٤٠١٧)، وصحّحه الألباني في «المشكاة» (٦١١٦).

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٤٠١٨)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٦١١٨).

(٥) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَفِّلنِيهِ أُجعَل كَمَن لَا غَنَاءَ لَهُ.

قَالَ: «ضَعهُ مِن حَيثُ أَخَذتَهُ»، فَنَزَلَت ﴿يَسأَلُونَكَ عن الأَنفَالَ﴾ قَالَ: وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ ابنِ مَسعُودٍ كَذَلِكَ: ﴿قُلِ الأَنفَالُ﴾.

وَقَالَت أُمِّي: أَلَيسَ اللهُ يَأمُرُكَ بِصِلَةِ الرَّحِمِ وَبِرِّ الوَالِدَينِ؟ وَاللهِ لَا آكُلُ طَعَامًا وَلَا أَشرَبُ شَرَابًا حَتَّى تَكفُرَ بِمُحَمَّدٍ، فَكَانَت لَا تَأكُلُ حَتَّى يَشجُرُوا فَمَهَا بِعَصًا فَيَصُبُّوا فِيهِ الشَّرَابَ. قَالَ شُعبَةُ: وَأُرَاهُ قَالَ: وَالطَّعَامَ، فَأُنزِلَت: ﴿وَوَصَّينَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيهِ حَمَلَتهُ أُمُّهُ وَهنًا عَلَى وَهنٍ﴾ وَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا مَرِيضٌ قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ، فَنَهَانِي، قُلتُ: النِّصفُ؟ قَالَ: «لَا». قُلتُ: الثُّلُثُ؟

فَسَكَتَ فَأَخَذَ النَّاسُ بِهِ، وَصَنَعَ رَجُلٌ مِن الأَنصَارِ طَعَامًا فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا وَانتَشَوا مِن الخَمرِ- وَذَاكَ قَبلَ أَن تُحَرَّمَ - فَاجتَمَعنَا عِندَهُ فَتَفَاخَرُوا، وَقَالَت الأَنصَارُ: الأَنصَارُ خَيرٌ، وَقَالَت المُهَاجِرُونَ: المُهَاجِرُونَ خَيرٌ، فَأَهوَى لَهُ رَجُلٌ بِلَحيَي جَزُورٍ[١] فَفَزَرَ[٢] أَنفَهُ، فَكَانَ أَنفُ سَعدٍ مَفزُورًا فَنَزَلَت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمرُ وَالمَيسِرُ﴾ إِلَى قَولِهِ: ﴿فَهَل أَنتُم مُنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١][٣].

عباد الله...

وكان سعد بن أبي وقاص - رَضِيَ الله عَنهُ - طيِّب المطعم، مجاب الدَّعوة:

عن قيس بن أبي حازم، قال: «كنت بالمدينة فبينا أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت، فرأيتُ قومًا مجتمعين على فارسٍ قد ركب دابة، وهو يشتم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، والناس وقوف حواليه، إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فوقف عليهم، فقال: «ما هذا؟» فقالوا: رجل يشتم علي بن أبي طالب.

فتقدم سعد فأفرجوا له حتى وقف عليه فقال: «يا هذا، علام تشتم علي بن أبي طالب؟

---

(١) بِلَحْيَيْ جَزُور: اللّحيان: حائط الفم، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم.

(٢) فزر أنفه؛ أي: شقّه.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» برقم (١٥٦٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله ﷺ؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟» وذكر حتى قال: «ألم يكن ختن رسول الله ﷺ على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله ﷺ في غزواته؟».

ثم استقبل القبلة ورفع يديه، وقال: «اللهم إن هذا يشتم وليًّا من أوليائك، فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك».

قال قيس: فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار، فانفلق دماغه ومات(١).

أيُّهَا المسلمون...

وتاريخ سعد بن أبي وقاص - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - مليء بالجهاد، فلقد خاض معارك كثيرة، وأُمِّر عَلَى سرايا في عهد رسول الله ﷺ وبعد وفاته.

ونذكر في خطبتنا هذه بعضًا من مواقف جهاده الرائعة التي زيَّن بها صحائف أعماله، وعطَّر بها مسيرة حياته:

(١) جهاده في بدر:

أقبل رجل عَلَى الرسول ﷺ وقال: إن أبا سفيان بن حرب مقبل من الشام في عير لقريش عظيمة.

فأطرق رسول الله ﷺ هنيهة، ونظر سعد إليه فتيقَّن من أَنَّهُ قَد عقد العزم عَلَى أمر ذي بال، ثُمَّ رفع النبيُّ وجهه، ودعا المسلمين إليه وقال: «**هذه عير قريش فيها أموالكم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها**».

أضحت يثرب في حركة دائمة، وأخذ النَّاس يتوافدون في عدة القتال، وأقبل سعد ابن أبي وقاص عَلَى بعيره، لابسًا جُبَّة من صوف، وارتسم العزم الصادق عَلَى وجهه، أَنَّهُ يتوق لملاقاة قريش الذين اضطهدوه وآذوه وعذبوه وأخرجوه من دياره، والذين

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٥٠٠)، وقال: هَذَا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبيّ.

فرقوا بينه وبين أهله وخلّانه.

واكتمل عقد المسلمين، فأمرهم الرسولُ ﷺ بالمسير عَلَى بركة الله، فانطلقوا وكانوا يتعقبون بعيرهم، وانطوت الأرض تحت أرجلهم، وأخيرًا نزلوا بالقرب من ماء بدر، وقد بلغ أبو سفيان أن محمدًا قَد استنفر أصحابه له، فأرسل إلى مكَّة يستنفر قريشًا إلى أموالهم، وبلغ النبيّ مسير قريش، فاستشار النَّاس فقالوا له: امض لما أراك الله فنحن معك.

وعسعس الليل، ونشر ألويته السود عَلَى المكان، فبعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، والزُّبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص إلى ماء بدر يلتمسون الخبر، فانطلقوا تحت جنح الليل حَتَّى أمسوا عَلَى قيد خطوات من ماء بدر، فهمس سعد: انظرا هذان ساقيان لأبي سفيان، فتمتم الزُّبير: لنأت بهما رسول الله.

فانسلوا من مكانهم وساروا عَلَى حذر، ثُمَّ قبضوا عَلَى الساقين وعادوا بهما إلى النبي ﷺ فوجدوه يصلي، فسألهما سعد: سقاة من أنتما؟

فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء.

فقال عليٌّ: كذبتما.

فقالا: لا، لم نكذبكم القول.

فقال سعد: أنتما ساقيان لأبي سفيان.

فقال الزُّبير: الصّدق الصدق، وإلا ضربناكما حَتَّى تعترفا.

فقالا: نحن سقاة قريش.

فضربوهما وأوجعوهما، فصاح الساقيان: نحن سقاة أبي سفيان، نحن سقاة أبي سفيان. فتركوهما، وأيقنوا أن عير قريش وتجارتهم باتت في قبضة أيديهم.

وأتم رسول الله ﷺ الصلاة، فالتفت إلى سعد وعلي والزُّبير وقال: «**إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله، إنهما لقريش**»[(١)].

---

(١) «الرحيق المختوم» (١٩٠)، والقصّة بطولها أخرجها أحمد (٩٤٨) في «المسند»، وصححها الشيخ أحمد شاكر.

وأقبل رسول الله ﷺ عَلَى النَّاس وقال: «**هذه مكَّة قَد ألقت إليكم أفلاذ أكبادكم**».

أتى المسلمون أدنى ماء من القوم، وبنوا حوضًا عَلَى الماء، وملأوه ليشربوا ولا يشرب الكافرون، وبنوا عريشًا للنبي ﷺ، واصطف المسلمون، ووقف سعد في الصف يتحفز للقتال، ولمح قريشًا مقبلة فجرى الدّم حارًا في عروقه، ووقف كأسد كاسر يتحفز للانقضاض عَلَى غريمه، وانتظر الإذن بالقتال بصبرٍ نافذ، إنَّهُ يتوقد لقتال أعداء الله وأعدائه، وصك أذن سعد قول النبي ﷺ: «**اللهُمَّ هذه قريش قَد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتُكذب رسولك، اللهُمَّ نصرك الذي وعدتني**»[1].

فاتقد حميّة وحماسة، وهمّت قريش بالزحف، فأمر النبيُّ ﷺ المسلمين أن يمنعوهم بالنّبل من الاقتراب منهم، فأخذ سعد يُسدّد سهامه الفتاكة، ودخل النبيُّ ﷺ وأبو بكر العريش، وراح المتحاربون يتراشقون بالسهام، ثُمَّ خرج النبي ﷺ يحرّض القوم، قَالَ: «**والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا مُقبلًا غير مدبر إلَّا أدخله الله الجَنَّة**».

فاستل سعد سيفه، وصاح المسلمون: أحد.... أحد.

وهجموا عَلَى الكافرين كالليوث الكواسر، وتصافت السيوف، وتبودلت الضربات، وفغرت المنايا أفواهها، وهجم سعد عَلَى قريش كالأسد عاديًا، وأطل الموت من سفيه، وراح يهزه ويضرب الكفار، صائلًا جائلًا، ووقع بصره عَلَى النبي ﷺ وسط المعمعة شاهرًا سيفه ضاربًا به المشركين، فازدادت حماسته، وكر عَلَى الأعداء وهو يهتف: «أحد... أحد».

وثار النقع، واختلط المسلمون بالكافرين، وحمّي وطيس القتال، وراح صناديد قريش يسقطون صرعى تحت ضربات أبطال المسلمين، وحاول الباقون النجاة من تلك السيوف البتارة، فولوا الأدبار، فكانت الهزيمة، وتعقبهم المسلمون، وأسروا ناسًا كثيرين، وأسر سعد أسيرين، وانجلت أول معركة في الإسلام عن انتصار باهر عظيم، ثُمَّ راح المسلمون يجمعون الغنائم فرحين مستبشرين، وعاد سعد بأسيريه إلى حيث كان

---

(١) ذكره ابن كثير في «البداية» (٣/ ٢٦٨)، وأصله في «الصحيحين».

الرسول الأمين.

عاد المسلمون إلى يثرب[١] ظافرين منتصرين، وكانت أنباء الانتصار المبين قَد بلغت مَن في المدينة، فخرجوا فرحين مهللين مكبرين يهنئون إخوانهم بنصر الله، ثُمَّ انصرف سعد إلى داره وخلع جُبته الصوف، وطواها برفق ووضعها في مكان أمين، تخليدًا لذكرى يوم عظيم[٢].

(٢) جهاده يوم أُحُد:

انطلق سعد إلى المسجد، وفي الطريق بلغه خروج قريش لقتال المسلمين، ونزولهم بالقرب من أُحُد، فأسرع ليرى ما يفعل الرسول ﷺ، وما دلف من باب المسجد حَتَّى رأى النبي ﷺ والناس حوله، فاتجه نحوهم فسمع النبيَّ ﷺ يقول: **«إنِّي رأيتُ والله خَيرًا، رأيتُ بقرًا لي يذبح، ورأيتُ في ذباب سيفي ثَلمًا، فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقتلون، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجلٌ من أهل بيتي يُقتل»** [٣].

فطأطأ الحاضرون الرءوس، وسيطر السكون برهة إلى أن قَالَ سعد: نزلت قريش بالقرب منَّا، فماذا نحن فاعلون؟

فقال النبي ﷺ: **«إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بِشَرّ مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها»**.

فصاح صائح: يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يَرَون جُبنًا عنهم وضعفنا.

فقال عبد الله بن أُبيّ[٤]: يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ لنا قطّ إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بِشَرّ محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم، ورماهم النساء

---

(١) الأوْلى أن يقال: المدينة.

(٢) «سعد بن أبي وقاص» للأستاذ عبد الحميد جودة السحار (٢٨ - ٣٢) مع تمحيص الروايات الواردة.

(٣) **إسناده مقطوع**: وصحّ بلفظ: **«إني قد رأيت والله خيرًا، رأيت بقرًا تذبح، ورأيتُ في ذباب سيفي ثلمًا، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، فأولتها بالمدينة»**.

(٤) ابن سلول زعيم المنافقين.

والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا.

فصاح آخر: لنخرج إليهم، ولنقاتلهم ولا نقعد عن الجهاد.

وصاح ثالث: لو دخلوا علينا وأصابوا منا، لم تقم لنا بعدها قائمة أبدًا.

وارتفعت الأصوات من كل جانب تحبذ الخروج للقتال، فدخل النبيُّ داره، والتفت سعد إلى القوم وقال: استكرهتم رسول الله ولم يكن لكم ذلك.

فندم النَّاس، ولما خرج النبيُّ لابسًا لأمَتَه، انجفلوا إليه وقالوا: يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك، فإن شئت فاقعد.

فقال النبيُّ ﷺ: «**ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمَتَهُ أن يضعها حَتَّى يقاتل**»[1].

تجهّز سعد للقتال، فتدجّج بالسلاح، وخرج مع المسلمين للقاء قريش، وانطلقوا حَتَّى نزلوا الشعب من أحد، فجعل النبيّ ظهره وعسكره إلى أُحُد، وأجلس جيشًا من الرّماة، وأمَّر عليهم عبيد الله بن جبير، وقال له: «**لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا**».

وبدأت المعركة حامية الوطيس، وأبلى المسلمون فيها بلاءً حسنًا، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يشدوا، فهتفوا: «أمت.. أمت» واندفعوا كالبحر الهائج، والتقى الجمعان، وانقض سعد عَلَى ابن أبي طلحة وكان يحمل لواء المشركين انقضاض الصاعقة وعاجله بضربة من سيفه فبترت يده، فحمل ابن أبي طلحة اللواء بيده الأخرى، فضربه سعد ضربةً ثانية أطاحت بها، فضم ابن أبي طلحة اللواء بذراعيه إلى صدره، فسدد سعد إليه ضربة هائلة سقط بعدها ابن أبي طلحة يخبط في دمه، وسقط لواء المشركين عَلَى الأرض، وراح سعد يحسو الكفار بسيفه ويهتف: «أمت... أمت»، وسمع أنينًا خلفه، فالتفت فرأى حمزة قَد أصيب بحربة خرجت من بين وركيه، فثارت ثائرته، وكرّ عَلَى قريش عازمًا عَلَى أن يستأصلهم قتلًا، وراح المسلمون يعملون سيوفهم فيهم حَتَّى انهزم الكفار، وابتدأ نساؤهم يشددن في الجبل، رافعات عن سوقهن، قَد بدت خلاخلهن، وأسرع المسلمون يجمعون الغنائم، فلمّا لمح الرماة ذلك تصايحوا: الغنيمة الغنيمة.

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٠٦).

فقال عبد الله بن جبير: عهد إليّ رسول الله ﷺ ألا تبرحوا.

فقال الرماة: لقد انهزم القوم، وابتدأ إخواننا في جمع الغنائم، فقال لهم: لا تبرحوا.

فأبوا وانصرفوا ليجمعوا الغنيمة، وخلوا ظهور المسلمين، فظهرت خيل الكافرين عَلَى الجبل خلف المسلمين، فالتفت المسلمون نحن الصوت مذعورين فرأوا خيل قريش تنقض عليهم كصقور كواسر، فوقع بينهم هرج شديد، وراحوا يدافعون عن أنفسهم دفاع المستميت، وسقط المسلمون صرعى، وراح سعد يقاتل وهو يخترق الصوف باحثًا عن النبي ليذب عنه حَتَّى النفس الأخير، فوجده قَد شج وجهه، وكسرت رباعيته، فوقف بجواره، وراح يسدد سهامه إلى الكافرين، فالتفت إليه النبي ﷺ وقال: «**ارم أيُّها الفتى الحزور فداك أبي وأمي**»[(١)].

فجعل سعد يرمي سهامه، حَتَّى كسرت القوس في يده، فناوله النبي ﷺ قوسًا أخرى وقال: «**اللهُمَّ سدد رميته، وأجب دعوته**».

وأقبل طلحة بن عبيد الله وانضمّ إلى سعد في الذودِ عن الرسول ﷺ، فوقف بين يديه مجوبًا - مترسًا - عليه بحجفة له، وكان طلحة راميًا شديد النزع، ومر رجل بجعبة من النبل فقال له النبي: «**انثرها لطلحة**»، وراح سعد وطلحة يدافعان عن النبي دفاع الأبطال الصناديد، وأشرف النبي ينظر إلى القوم، فقال له طلحة: بأبي وأمي، لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك[(٢)].

عباد الله...

إنها همٌ تَرمِي إلى جَنَّات عَدن.

فما أحوجنا إليها في هذه الأيام.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) تقدم تخريجه قبل قليل بنحوه.

(٢) «سعد بن أبي وقاص» لعبد الحميد جودة السحار (٣٣ - ٣٦) باختصار. وتحقيق الروايات الواردة.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وفي غزوة الخندق أبلى سعد بن أبي وقاص - رَضِي الله عَنهُ - بلاءً حسنًا:

عَن عَامِرِ بنِ سَعدٍ عَن أَبِيهِ قَالَ:

لَمَّا كَانَ يَومُ الخَندَقِ وَرَجُلٌ يَتَتَرَّسُ[1] جَعَلَ يَقُولُ بِالتُّرسِ هَكَذَا فَوَضَعَهُ فَوقَ أَنفِهِ ثُمَّ يَقُولُ هَكَذَا يُسَفِّلُهُ بَعدُ.

قَالَ: فَأَهوَيتُ إِلَى كِنَانَتِي فَأَخرَجتُ مِنهَا سَهمًا مُدَمًّا[2] فَوَضَعتُهُ فِي كَبِدِ القَوسِ، فَلَمَّا قَالَ هَكَذَا يُسَفِّلُ التُّرسَ رَمَيتُ، فَمَا نَسِيتُ وَقعَ القِدحِ عَلَى كَذَا وَكَذَا مِن التُّرسِ قَالَ وَسَقَطَ فَقَالَ بِرِجلِهِ فَضَحِكَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ - أَحسِبُهُ قَالَ: حَتَّى بَدَت نَوَاجِذُهُ -.

قَالَ: قُلتُ: لِمَ؟ قَالَ: لِفِعلِ الرَّجُلِ[3].

عباد الله...

ولما لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، كان سعد بن أبي وقاص في أيام أبي بكر الصِّدِّيق - رَضِي الله عَنهُ - معظّمًا جليل القدر، وكذلك في أيام عُمَر بن الخطاب، وقد استنابه - رَضِي الله عَنهُ - عَلَى الكوفة.

وواصل سعد - رَضِي الله عَنهُ - جهاده في سبيل الله في حياة الشيخين، كما سيأتي في الجُمعة القادمة إن شاء الله تعالى.

فإلى اللقاء.

---

(١) **يترس**؛ أي: يتترس.

(٢) **المدمي من السهام**: الذي أصابه الدم فحصل في لونه سواد وحمرة مما رمى به العدوّ.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» برقم (١٦٢٠).
وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

الخطبة العشرون

[ب] مع سعد بن أبي وقاص

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن سيرة سعد بن أبي وقاص رَضِي الله عَنهُ.

عباد الله...

كان من أكبر أعمال سعد الجهاديّة معركة القادسيّة، فلقد أبلى فيها بلاءً حسنًا، وسطّر فيها أروع المواقف القياديّة والبطوليّة، وأخمد فيها - بفضل الله ثُمَّ بحسن الإعداد والحرص عَلَى الاستشهاد - نار فارس، فنكّس أعلامهم، وأرغم أنوفهم.

وإليكم أيُّها المسلمون القصّة من بدايتها:

لَـمَّا تجهز الفُرسُ لقتال العرب، قَالَ عُمَر بن الخطاب: «والله لأضربنَّ ملوك العجم

بملوك العرب»، وكتب عُمَر إلى عماله: «لا تَدَعُوا أحدًا له سلاحٌ أو فرسٌ أو نجدة أو رأيٌ إلا انتخبتموه، ثم وجهتموه إليَّ والعَجلَ العَجلَ»[١].

وأراد عُمَر أن يتولى قيادة هذا الجيش، فصرفه عن ذلك أهل مشورته، فجمع عُمَر النَّاس وقال لهم: «إني كنت عزمتُ عَلَى المسير حَتَّى صرفني ذوو الرأي منكم، وقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلًا، فأشيروا عليَّ برجل»، وكان سعد يومذاك عَلَى صدقات هوازن، فلمَّا وصل كتاب منه - حين كان عُمَر يستشير النَّاس فيمن يبعثه - قَالَ عُمَر: وجدته، قالوا: مَن؟ قَالَ: الأسدُ عاديًا، سعد بن مالك[٢]، وقال: إنَّهُ شجاعٌ رامٍ.

وقال عبد الرحمن بن عوف: الأسد في براثنه، سعد بن مالك الزهري.

لقد كانت إمارة سعد عَلَى جيش العراق نتيجة لمشاورات طويلة أجراها عُمَر بن الخطاب - رَضِيَ الله عَنهُ - خاصةً الرجال وعامتهم، لَـمَّا قرر نهائيًّا أن يكون سعد قائدًا عامًّا عَلَى أخطر جيش يتجه إلى أخطر منطقة، استدعاه عُمَر فقدم عليه وأوصاه:

«يا سعد، سعد بنو وهيب لا يغرنك من الله إن قيل: خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله فإن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يمحو السيئ بالسيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ عليه منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه، فإنه الأمر. هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها[٣] حبط عملك وكنت من الخاسرين».

ولما أراد أن يسرحه دعاه فقال: «إني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتي، فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق، فعوّد نفسك ومن معك الخير واستفتح به، واعلم أن لكل عادة عتادًا، فعتاد[٤] الخير الصبر، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك[٥] يجتمع لك خشية الله، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين: في

(١) «الطبري» (٢/ ٦٦٠).
(٢) «الطبري» (٣/ ٤).
(٣) **رغبت عنها**: زهدت فيها.
(٤) **العتاد**: العدة.
(٥) **نابك**: انتابك ونزل بك.

طاعته، واجتناب معصيته، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة، وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء منها السر ومنها العلانية.

فأما العلانية فأن يكون حامده وذامُّه في الحق سواء، وأما السرّ فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة النَّاس، فلا تزهد في التحبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم(١)، وإن الله إذا أحب عبدًا حبَّبه، وإذا أبغض عبدًا بغّضه، فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك في أمرك» ا.هـ.

وتحرك الجيش المبارك تجاه العراق، وكانت وقعة القادسية التي دارت بين المسلمين والفرس في آخر سنة (١٥هـ) وكان عَلَى المسلمين سعد بن أبي وقاص، وعلى الفرس رستم، ومعه الجالينوس، وذو الحاجب، قَالَ أبو وائل: كان المسلمون ما بين السبعة إلى الثمانية آلاف، ورستم في ستين ألفًا، وقيل: كانوا أربعين ألفًا، وكان معهم سبعون فيلًا.

وذكر المدائني أنهم اقتتلوا قتالًا شديدًا ثلاثة أيام في آخر شوال، وقيل: في رمضان.

ووقف سعد بن أبي وقاص عَلَى أرض المعركة خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إن الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف، قال الله جل ثناؤه: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، إن هذا ميراثكم وموعود ربّكم وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج، فأنتم تطعمون منها وتأكلون منها وتقتلون أهلها وتَجْبُونَهُم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم(٢)، وقد جاءكم منهم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وأعيانهم، وخيار كل قبيلة، وعِز من وراءكم، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة، ولا يقرب ذلك(٣) أحدًا إلى أجله، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا(٤) آخرتكم».

---

(١) أي: طلبوا أن يحببهم الله للناس.
(٢) المراد: الأيام التي سبقت وقعت القادسية والتي فتح فيها قسم كبير من سواد العراق على يد خالد بن الوليد.
(٣) أي: القتال.
(٤) توبقوا: تهلكوا.

عباد الله...

وحول سير المعركة يحدّثنا صاحب كتاب «فرسان النهار» فيقول:

«لك الله من يومٌ وضيء نيّر، تغسل عنا بعد مرور القرون وخز عار نحسه في قلوبنا، تشعرنا أن لنا أمجادًا تمضي بها الركبان وتعنوا لها الأزمان.

فالقادسية ما يزال حديثها عِبرٌ تضيء بأروع الأمثال

تحكي مفاخرنا وتذكر مجدنا فتجيبها اليرموك بالمنوال

صفحات مجد في الخلود سطورها عزَّ الرجال بها عَلَى الأنذال

وفي القادسيَّة نظَّم سعدٌ الجيش، وعبَّأهُ للحرب، وجعل عَلَى كلِّ عشرة رجال عريفًا، وأمر عَلَى الرايات رجالًا من أهل السابقة، وولَّى الحروب رجالًا، فولَّى عَلَى مقدِّماتها ومجنَّباتها، وساقاتها، وطلائعها، ومشاتها، وفرسانها، ولم يتقدم بعد ذلك إلا عَلَى تعبيةٍ، حَتَّى يحول دون مباغتة العدوِّ لقواته.

ولم ينس سعد القضايا الإدارية في جيشه، فعيَّن مسئولًا عن القضاء، وجعله مسئولًا عن قِسمة الفيء أيضًا، وعيَّن مسئولًا عن الوعظ والإرشاد، وعيَّن مترجمًا يجيد اللغة الفارسية، كما عيَّن كاتبًا تنتهي إليه الأمور الكتابية.

ووصل جيش المسلمين القادسية، فبعث عيونه، ليعلموا له خبر أهل فارس، ثُمَّ أرسل بعض المفارز، للإغارة عَلَى المناطق المجاورة، فعادت كلُّها بالفتح والغنائم والسلامة، وأرسل وفودًا من رجالات المسلمين إلى كسرى وإلى رستم، يفاوضونهما ويعرضون عليهما مطالب المسلمين، الإسلام، أو الجزية، أو السَّيف، فكان لهذه الوفود تأثير معنوي حاسم عَلَى كسرى وقائده رستم.

وتهيَّأ الفريقان للقتال، وقبل أن يأذن سعد بالقتال، بعث ذوي الرأي والعقل والنجدة إلى النَّاس ليحرِّضوهم عَلَى القتال، وأمر سعد بقراءة سورة الجهاد وهي سورة الأنفال، فلمَّا قرئت هشَّت قلوبُ النَّاس وعيونهُم وعرفوا السكينة مع قراءتها[1].

(١) «الطبري» (٣/ ٤٧)، وابن الأثير (٢/ ١٨١، ١٨٢).

ونادى منادي سعد في جيشه: ألا إنَّ الحسد لا يحلُّ إلا عَلَى الجهاد في أمر الله، يا أيُّهَا النَّاس، فتحاسدوا وتغايروا عَلَى الجهاد.

وتحالفت الأمراض عَلَى البطل القائد العام سعد، فأصابته بِعِرق النَّسَا، وبحبوب ودماميل منعته من الركوب، بل حَتَّى من الجلوس، لم يستطع أن يركب، ولا أن يجلس، فاعتلى القصر وأكبَّ من فوقه عَلَى وسادةٍ في صدره يُشرف عَلَى النَّاس، وأسفل منه في الميدان خليفته خالد بن عرفطة، يرمي إليه من أعلى بالرِّقاع فيها أمره ونهيه، وكان آخر صفوف المسلمين إلى جانب القصر[١].

قَالَ سعد رَضِي الله عَنهُ لجنوده: إني قَد استخلفتُ عليكم خالد بن عرفطة، وليس يمنعني أن أكون مكانه إلا وجعي الذي يعودني وما بي من الحبون، فإني مكبٌّ عَلَى وجهي، وشخصي لكم بادٍ، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه إنما يأمركم بأمري، ويعمل برأيي.

قَالَ الطبري: فقُرِئ عَلَى النَّاس فزادهم خيرًا، وانتهوا إلى رأيه، وقبلوا منه، وتحادثوا عَلَى السمع والطاعة، وأجمعوا عَلَى عذر سعد والرضا بما صنع[٢].

لك الله يا أيُّهَا الليث في براثنه، تدير أشرس المعارك - المعركة الفاصلة - وأنت منبطحٌ عَلَى وجهك في شرفتك، وباب دارك مفتوح، وأقل هجوم من الفرس عَلَى الدار يسقطك في أيديهم حيًّا أو ميتًا.

دماملك تنبح وتنزف، وأنت عنها في شغلٍ، فأنت من الشرفة تكبِّر، وتصيح أوامرك لجنودك: «الزموا مواقفكم، لا تحرِّكوا شيئًا حَتَّى تُصلُّوا الظهر، فإذا صليتم الظهر فإني مكبرٌ تكبيرةً، فكبِّروا وشدُّوا شِسعَ نعالكم واستعدوا، واعلموا أن التكبير لم يُعطَهُ أحدٌ قبلكم، واعلموا أنما أعطيتموه تأييدًا لكم، فإذا كبرتُ الثانية فكبروا وتهيئوا، ولتستتم عدتكم، فإذا كبرت الثالثة فكبروا، ولينشِّط فرسانُكم النَّاس ليبرزوا ويطاردوا، فإذا كبرت الرابعة فشدوا النواجذ عَلَى الأضراس، واحملوا وازحفوا جميعًا

---

(١) «الطبري» (٣/ ٥٣٠، ٥٣١، ٥٧٣).

(٢) «الطبري» (٣/ ٤٧).

حَتَّى تخالطوا عدوَّكم، وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وكبَّر سعد، فكبَّر الذين يلونه، وكبَّر بعض النَّاس بتكبير بعض، فاستعد النَّاس للقتال، ثُمَّ ثنّى سعد، فأكمل النَّاس استعداداتهم، ثُمَّ ثلث فبرز أهل النجدة وأنشبوا القتال، ثُمَّ كبَّر سعد التكبيرة الرابعة إشارة لبدء الزحف العام.

وحمل أصحاب الفيلة من الفرس ففرقوا كتائب المسلمين وفرت خيولهم، ولكن مشاة المسلمين صمدوا متكبدين خسائر فادحة، وكان زخم هجوم الفرس عَلَى «بجيلة»، فأرسل سعد إلى بني أسد أن ذبوا عن بني بجيلة ومَن حولها من النَّاس، فاستطاعوا تقطيع أحزمة الفيلة، فسقط عن ظهورها الذين يركبونها ويوجهونها، مما أدى إلى تراجع الفيلة.

ورأت سلمى زوجُ سعد - والتي كانت من قبل زوجًا للمثنى بن حارثة - ما حلَّ بالمسلمين في يوم «أرماث» وهو اليوم الأول من أيام القادسية، فصاحت: «وامثناه، ولا مثنى للخيل اليوم» [(١)]، وكان سعد مريضًا بالدمامل في جسمه[(٢)]، فكان خليفته خالد ابن عرفطة يستلم من سعد الأوامر ويشرف عَلَى تنفيذها[(٣)]، فلطم سعد زوجته وقال لها: أين المثنى من هذه الكتيبة التي تدور عَلَى الرحى[(٤)] وبجيلة؟ فقالت سلمى: «أغيرةً وجبنًا؟» قَالَ: والله لا يعذرني اليوم أحد إذا أنت لم تعذريني، وأنت ترين ما بي، والناس أحق ألا يعذروني[(٥)]، وقد عذرته سلمى وعذره النَّاس، لأَنَّهُ كان غير جبان ولا ملوم[(٦)].

ولم تشرق شمس اليوم الثاني من أيام القادسية وهو يوم «أغواث» إلا وكان المسئولون عن الشهداء والجرحى قَد نقلوهم ليلًا إلى «العُذيب» [(٧)]، حيث دفنوا

---

(١) «الطبري» (٣/ ٥١)، وابن الأثير (٢/ ١٨٣).
(٢) «الطبري» (٣/ ٧٩).
(٣) «الطبري» (٣/ ٧٣).
(٤) يعني أسدًا وعاصم بن عمرو التميمي ومن معه.
(٥) «الطبري» (٣/ ٥١).
(٦) انظر السابق.
(٧) العذيب: ماء بينه وبين القادسية أربعة أميال.

الشهداء هناك، وأسلموا الجرحى للنساء يقمن عليهم[(١)].

ومضى اليوم الأول، واليوم الثاني والحرب سجال.

وفي اليوم الثالث وهو يوم «عِماس» عادت الفيلة الفارسية إلى ساحة المعركة، فأرسل سعد إلى جماعة ممن أسلموا من فارس، فلمَّا دخلوا عليه سألهم عن مقاتل الفيلة، فقالوا: المشافر والعيون، فأرسل إلى القعقاع وعاصم ابني عُمَر، وقال: «اكفياني الفيل الأبيض»، وكان بإزائهما، كما أرسل إلى جماعة من بني أسد، وقال: «اكفياني الفيل الأجرب»، وكانت الفيلة كلها تتبع هذين الفيلين، فحمل القعقاع وأخوه عَلَى الفيل الأبيض ففقئا عينيه وقطعا مشفره، فبقي هائمًا بين الصفين، كما جرح بنو الأسد الفيل الأجرب فوثب إلى النهر ومن خلفه الفيلة، هاربةً لا تلوي عَلَى شيء[(٢)].

وزحف القتال ليلًا، وتُسمى هذه الليلة ليلة «الهرير»، وسُمِّيت بذلك؛ لأن النَّاس تركوا الكلام، وإنما يهرون هريرًا[(٣)].

وزحف القعقاع عَلَى الفُرس، فأطل سعدٌ فرأى القعقاع يزاحفهم، مما أثار نخوة غيره من الرجال[(٤)].

وبعث سعد طليحة الأسديّ، وعمرو بن معديكرب إلى مخاضة أسفل المعسكر، ليقوموا عليه خشية أن يأتيه الفُرس منها، فعبرها طليحة، وضرب مؤخرة الفُرس، فارتاع أهل فارس وطلبوه فلم يدركوه، أما عمرو فأغار أسفل المخاضة، ثُمَّ رجع[(٥)].

وقدَّم الفُرس صفوفَهم، فزاحفهم النَّاس بغير إذن من سعد، وكان أول من زاحفهم القعقاع، قَالَ سعد: اللهُمَّ اغفرها له، وانصره، فقد أذنت له.

---

(١) قَالَ اللواء محمود شيت خطابي: وهذا أروع ما يمكن أن يتخذه قائد من تدابير إدارية لدفن القتلى وتمريض الجرحى حتى بالنسبة للحروب الحديثة، فكيف وقد طبق ذَلِكَ سعد قبل حوالي أربعة عشر قرنًا.

(٢) «الطبري» (٣/ ٦٣).

(٣) «ابن الأثير» (٢/ ١٨٥)، والهرير: صوت الكلب دون النباح، وصوت القوس وغيرها.

(٤) «الطبري» (٣/ ٦٨).

(٥) «ابن الأثير» (٢/ ١٨٥).

ذلك لأن سعدًا قدر أن الموقف الراهن يتطلب هجوم المسلمين عَلَى الفرس، فقال: إذا كبرت ثلاثًا فاحملوا.

وهكذا ابتدأ الهجوم العام، إذ لحق النَّاس بعضهم بعضًا، واستقبلوا الليل استقبالًا بعدما صلوا العشاء، وكان صليل الحديد هُوَ الصوت السائد في ذلك الليل البهيم.

عباد الله...

وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها، ورأى العرب والعجم أمرًا لم يروا مثله قطُّ، وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم، وأقبل سعد على الدعاء، فلما كان عند الصبح انتمى الناس فاستدل بذلك على أنهم الأعلون(١).

واستمر القتال في اليوم الرابع حَتَّى الظهيرة، عند ذاك بدأ الخلل في صفوف الفرس واضحًا للعيان، خاصة بعد مقتل رستم قائد الفرس العام، فانهزم قلب الفرس، وتتابعت الهزيمة بغير نظام، ووقعت خسائر عظيمة في الفرس قتلًا وغرقًا.

ولما انكشف أمر فارس، أمر سعد بعض قادته بمطاردتهم، وأمر خالد بن عرفطة بسلب القتلى، ودفن الشهداء(٢)، وانهارت معنويات الفرس انهيارًا تامًّا، إذ أصاب أهل فارس يومئذ ما أصاب النَّاس قبلهم، قُتلوا حَتَّى إن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل منهم، فيأتيه حَتَّى يقوم بين يديه، فيضرب عنقه، وحتى إِنَّهُ ليأخذ سلاحه فيقتله به، وحتى إِنَّهُ ليأمر الرجلين أحدهما بقتل صاحبه(٣).

إنَّ المسلمين لم يلقوا في جميع حروبهم - باستثناء بلاط الشهداء في فرنسا - مقاومةً أعنف مما لقوا من الفرس في معركة القادسية، فلقد صبر الفرس في هذه المعركة صبرًا عجيبًا وغير معهود منهم، وأظهروا قدرة قتالية فائقة، وأجبروا العرب عَلَى أن يقاتلوا في هذه المعركة أربعة أيام، وخسر المسلمون في القادسية أكثر من خمسة وعشرين في المائة من قواتهم.

---

(١) «ابن الأثير» (٢/ ١٨٦).
(٢) «الطبري» (٣/ ٦٩).
(٣) «الطبري» (٣/ ٧٢).

والقادسية أعظم أثرًا في تاريخ الإنسانية من غزوات تيمورلنك ونابليون، بل من كل الغزوات التي وقعت إلى عصرنا الحاضر، لقد كشفت معركة القادسيّة عن معدن سعد النفيس وفرط شجاعته، وما إقامته بالقصر - مع ما به من علَّة تمنعه من مباشرة القتال - إلا إفراطًا في الشجاعة.

وكتب سعد إلى عُمَر بخبر النَّصر عَلَى المجوس، فقال: «أما بعد، فإنَّ الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل وزلزال شديد، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهائها، فلم ينفعهم الله بذلك، بل سُلُبوه، ونقله عنهم إلى المسلمين، واتَّبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفي الفجاج، وأُصيب من المسلمين سعد بن عُبيد القارئ، وفلان وفلان، ورجالٌ من المسلمين لا نعلمهم، الله بهم عالم، كانوا يدوُّون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دويّ النَّحل وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود، ولم يفضّل مَن مضى منهم مَن بقى إلا بفضل الشهادة إذ لم يكتب لهم». ا.هـ[1].

عباد الله...

ويعقّب الشيخ الغزالي - رحمه الله - عَلَى ما تقدّم من انتصارات فيقول تحت عنوان: «سعد القائد»:

«من العسير أن نرجع انتصارات المسلمين في صدر تاريخهم الرائع إلى جهد فرد وكفايته وتدبيره، فنصيب الجندي المغمور في إحراز هذا الفوز لا يقل عن نصيب القائد المشهور، إذ كان اليقين المحض هُوَ الروح الثائرة الدافعة لهذه الموجات المترادفة من جند الإسلام، تجرف أمامها كل ما حشد أعداء الله وأعدوا.

ولكن هذا لا ينتقص وظيفة القيادة التي إذا نجحت في مهمتها استطاعت استغلال هذه الحماسة المتأججة، وتنظيمها وتركيز ضرباتها، وبلوغ هدفها.

ولقد بلغ سعد من ذلك شأوًا بعيدًا، فلمّا أدار دفة الحرب في القادسية والمدائن كانت أعصاب الرجل العظيم لا تخور في مأزق ولا تلين لنكبة، ولقد احمرت مياه

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٥٨٣)، وانظر «فرسان النهار» (٢/ ٤٠٥ - ٤١١) باختصار.

الأنهار لكثرة ما امتزج بها من دماء القتلى، كما احمرت لذلك أحداق سعد، وأكرهه المرض ألا يقف عَلَى قدميه، فكان يصدر أوامره السريعة في رقاع من الورق، ويشرف عَلَى فصائل البدو وهي تشتبك في أقسى قتال مع جيوش مدربة معبأة، ليالي عددًا يتصل ظلامها بنهارها، ويستميت الفريقان فيها، كل في موقفه لا يزحزحه عنه إلا الموت.

ويتابع الشيخ الغزالي رحمه الله الحديث تحت عنوان: «دعاية سعد» فيقول:

وليست دعاية سعد كذبًا مما استمرأه تجار السياسة في هذه الأيام، إنما هي دعاية الإسلام، فيها أثر السماء وطهر الوحي، فهو يرسل إلى كسرى مندوبيه ليفاوضوه ويعرضوا عليه ما عندهم، وليعرفوا ما عنده فيقول قائلهم لوجهاء فارس: إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولًا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر، ووعدنا عَلَى إجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يدع قبيلة إلا صدقته منها فرقة وتباعدت فرقة، ثُمَّ أمرنا أن نبتدئ إلى من خالفه من العرب، فبدأنا بهم فدخلوا معه عَلَى وجهين، مكره عليه لم يلبث أن اغتبط، وطائعٌ فازداد من عند الله، ولقد علمنا جميعًا ما جاء به عَلَى الذي كنا فيه من العداوة والضيق، ثُمَّ أمرنا أن نتوجه إلى من يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى دين حسّن الحُسن كله وقبّح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هُوَ أهون من آخر شر منه، الجزية، فإن أبيتم فالحرب، أما إذا اخترتم ديننا، خلفنا فيكم كتاب الله عَلَى أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم.

يتركون لهم بلادهم ماداموا فيها يعبدون الله وحده.

هذه نظرية الاستعمار الإسلامي - لو صح التعبير - التي لا تعرف استغلالًا ولا استعبادًا، والتي يحاول بعض السفهاء أن يقرنوها بالاستعمال الأوروبي، كأن بينهما شبهًا»[1]. ا.هـ.

أيُّها المسلمون...

لَـمَّا فتح سعد - رَضِي الله عَنهُ - المدائن (عاصمة فارس) وغيرها، استنابه عُمَر

---

(١) «تأملات في الدين والحياة» (٢٣٤، ٢٣٥).

عَلَى الكوفة، ثُمَّ عزله عن غير عجزٍ ولا خيانة، ولكن لمصلحة ظهرت لعمر رَضِي الله عَنهُ.

ثُمَّ ولاه عثمان - رَضِي الله عَنهُ - ثُمَّ عزله عنها، ولما ذَرَّ قرن الفتنة، اعتزل سعد - رَضِي الله عَنهُ - وعاش مع غنمه في الجبال يرعاها.

عن عامر بن سعد: أن أخاه عُمَر انطلق إلى سعد في غنم له خارجًا من المدينة فلمَّا رآه سعد قَالَ: أعوذ بالله من شرّ هذا الراكب، فلمَّا أتاه قَالَ: يا أبت، أرضيت أن تكن أعرابيًّا في غنمك والناس يتنازعون في المُلك بالمدينة؟

فضرب سعد صدر عُمَر وقال: اسكت، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يحب العبد التقيّ الغنيّ الخفيّ**»[1].

عن عبد الله بن بديل قَالَ: «دخل سعد على معاوية فقال له: ما لك لم تقاتل معنا؟ فقال: إنى مرَّت بى ريح مظلمة فقلت: أخ أخ، فأنختُ راحلتى حتى انجلت عنى ثُمَّ عرفت الطريق فسرتُ.

فقال معاوية: ليس فى كتاب الله أخ أخ ولكن قال الله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الحجرات: ٩]، فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة، ولا مع العادلة على الباغية.

فقال سعد: ما كنت لأقاتل رجلا قال له رسول الله ﷺ: «**أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى غير أنَّهُ لا نبيّ بعدي**».

فقال معاوية: من سمع هذا معك؟

فقال: فلان وفلان وأُمّ سلمة.

فقال معاوية: أما إنِّى لو سمعته منه ﷺ لما قاتلت عليًّا»[2].

وذكر بعض أهل العلم: أن ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص جاءه فقال له: يا عمّ هَهُنَا مائة ألف سيف يرونك أحقّ بهذا الأمر - أي الخلافة - فقال: أريد من مائة

(١) أخرجه أحمد ومسلم.
(٢) «البداية» (٥/ ٥٧٣).

ألف سيف سيفًا واحدًا إذا ضربتُ به المؤمن لم يصنع شيئًا، وإذا ضربتُ به الكافر قطع. أو قَالَ: أريد سيفًا يعرف المؤمن من غيره حَتَّى لا أؤذيه.

عباد الله...

وظل سعد - رَضِي الله عَنهُ - معتزلًا الفتنة، حَتَّى وافته المنيّة، ولحق بربّه تبارك وتعالى.

فما هي قصة وفاته؟

هذا ما سوف نذكره بعد قليل إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

انسلخت ثمانون سنة من عمر سعد، شهد خلالها مولد الإسلام ثم نموه، حتى إذا ما همّ ليقف غلى قدميه أحاط به أعداؤه من كل جانب فاضطهدوا المسلمين، اضطهد سعد وعذب وطرد وشرد، ولكنه احتمل صابرًا، واثقًا من أن النصر الأخير للإسلام والمسلمين، واشتد ساعدُ الإسلام على الرغم من السيوف المتأرجحة فوق الرقاب، فراح المسلمون يذبّون عن دينهم، ويدافعون عن كيانهم، فخاض سعد في سبيله معارك هائلة يشيب من هولها الوليد، حتى توطدت دعائمه، ورفعت أعلامه، ورفرفت على العالمين، فقرت عين سعد، واطمأنت نفسه، وأخذ الإسلام في الإشراق، وأخذ سعد في الغروب، فسقط أخيرًا فريسة للضعف والمرض، فلزم داره، وأخذت صور الماضي الحبيب تتماثل أمام عينيه، وراحت ذاكرته تمده بها دون ترتيب أو نظام، وكثيرًا ما كانت تلك الصور يتداخل بعضها في بعض حتى لتمتزج وليختلط عليه الأمر، وكثيرًا ما كان خياله يقفز به من مكة إلى المدينة إلى العراق، رأى نفسه على راحلته يخرج مع النبي للحج، فيسقط مريضًا عقب إتمامه مناسكه، حتى يشرف على الهلاك، فيدخل محمد

الحبيب عليه في مرضه، ويدعو له: «**اللهُمَّ أَمضِ لِأَصحَابِي هِجرَتَهُم، وَلَا تَرُدَّهُم عَلَى أَعقَابِهِم، لَكِنِ البَائِسُ سَعدُ بنُ خَولَةَ يَرثِي لَهُ رَسُولُ اللَّهِ أَن مَاتَ بِمَكَّةَ**»[١].

ثُمَّ يقفز به خياله إلى المدينة فيرى نفسه يحفر مع النَّاس الخندق، ويحمل التراب عَلَى عاتقه فتعترضهم كَديّة فيخبرون النبي ﷺ خبرها فيضربها بمعولِهِ فتتفتت، وتبرق منها شرارة، فيقول النبي: «**ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها**»[٢].

أَنَّهُ ليعي هذا الكلام الآن أكثر من أي وقت مضى، لقد كان القدر آنئذٍ يشير إليه، إن هذا هُوَ قاهر الفرس ومحقق نبوّة نبيِّه.

وكر به خياله راجعًا إلى أول يوم سمع فيه بالإسلام فرأى نفسه حدثًا يبري النبل في مكَّة وأبا بكر يفد إليه ليبلغه نبأ ظهور دين جديد يدعو إلى الإخاء وعبادة إله واحد لا شريك له، وما أن تذكّر النبل حَتَّى قفز به خياله إلى يوم أُحُد، يوم وقف مع بضع نفر من المسلمين يذب عن النبي ﷺ، فتطايرت سهامه حَتَّى بلغ ما رماه ألف سهم، وكان النبيُّ ﷺ يقول: «**ارمِ أَيُّهَا الغُلَامُ الحَزَوَّرُ، فداك أبي وأمي**».

وتزاحمت الصور في رأسه وبلغ منه الجهد فأغفى إغفاءة خفيفة، وما لبث أن فتح عينيه، فوجد رأسه في حِجر ابنه مصعب، فحاول أن يبتسم ولكن الابتسامة ماتت عَلَى شفتيه قبل أن تولد، فقد اشتد به الوجع، ورأى مصعب ذبول أبيه، وما يقاسيه من ألم، فلم يملك نفسه، فغامت عيناه بالدمع، ثُمَّ أخذت الدموع تتساقط عَلَى خديه، فلمَّا رأى سعد ذلك قَالَ بصوت ضعيف: ما يبكيك يا بنيّ؟ والله إن الله لا يعذبني أبدًا، وإنِّي من أهل الجَنَّة[٣]، وأقفل عينيه قليلًا، ثُمَّ فتحها وقال لمن حوله: ايتوني بتلك الجُبّة الصّوف

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) **ضعيف جدًا بهذا السياق**: وقصّة الصخرة ثبتت في صحيح البخاري (٧/ ٣١٧)، ومسند أحمد (٤/ ٣٠٣)، وغيرهما بسياق آخر، وفيه: أَنَّهُ أبصر قصر المدائن وأبواب صنعاء وأعطى مفاتيح اليمن والشام.

(٣) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١/ ١٠٤)، وقال الذهبيّ - رحمه الله - في «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٢٢) - معلّقًا على قول سعد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «قلت: صدق والله، فهنيئًا له» ا.هـ.

التي قابلتُ بها المشركين يوم بَدر، فما خبأتها إلَّا لهذا اليوم.

فجيء بالجبة وتناوله فضمّها إلى صدره، وأسبل عينيه، وأخذت مشاهد بدر تمرّ بمخيلته، فارتسم عَلَى وجهه هدوء واطمئنان، ومرت مدة ثُمَّ فتح عينيه وقال لمن حوله: كفّنوني فيها[1].

وانبهرت أنفاسه، وخرج نفس ما عاد غيره، قضى سعد نحبه في قصره بالعقيق، عَلَى مسيرة عشرة أميال من المدينة، ولما بلغ أهل المدينة خبر موته، انطلق الرجال إلى داره وجهزوه، وكفنوه في جبته التي خبأها يوم بَدر لهذا اليوم، ثُمَّ حملوه عَلَى الرقاب حَتَّى بلغوا المدينة، فلمَّا دخلوا به المسجد، طلب أزواج النبيّ أن يدخل به إلى حُجرهن، وأن يترك بها ليصلّين عليه، وتمت الصلاة، فخرج به النَّاس من باب الجنائز، وانطلقوا إلى البقيع ليقبروا آخر أهل الشورى ودمعهم جارٍ، وحزنهم عميق[2].

وفي رواية: صلّى عليه مروان، وصلّى بصلاته عليه أمهات المؤمنين.

عباد الله...

وبهذا نأتي إلى ختام حديثنا عن حياة بطل القادسيّة، وإلى اللقاء مع صحابيّ آخر في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى.

✡✡✡✡✡

---

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٥)، وقال: رجاله ثقات، إلا أن الزهري لم يدرك سعدًا.

(٢) «سعد بن أبي وقاص» للسحار (٢٣٤ - ٢٣٦) مع تحقيق الروايات الواردة.

الخطبة الحادية والعشرون

مع سعيد بن زيد

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فنحن عَلَى موعد مع الفارس السبَّاق، الذي تَقطُر منه الفضائل، وتفوح من شَذى سيرته المكارم: سعيد بن زيد رَضِي الله عَنهُ.

فمن هُوَ؟ وما هي قصَّتهُ؟

هُوَ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزَّى بن رِيَاح بن عبد الله بن قُرط بن رزاح بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَي، القُرشيّ العدويّ.

وهو ابن عمّ عُمَر بن الخطاب - رَضِي الله عَنهُ - يجتمعان في نفيل.

أُمّه فاطمة بنت بَعجة بن مليح الخُزاعية، وكان صهر عُمَر زوج أخته فاطمة بنت الخطَّاب، وكانت أخته عاتكة بنت زيد تحت عُمَر بن الخطاب، تزوّجها بعد أن قُتل عنها عبد الله بن أبي بكر الصِّدِّيق - رَضِي الله عَنهُ -.

وكان سعيد يُكنَى أبا الأعور، وقيل: أبا ثور، والأول أكثر[1].

أسلم سعيد - رَضِي الله عَنهُ - قديمًا قبل عُمَر بن الخطاب هُوَ وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وهي كانت سبب إسلام عُمَر عَلَى ما ذكرناه في ترجمة عُمَر بن الخطاب - رَضِي الله عَنهُ -.

وكان سعيد - رَضِي الله عَنهُ - من المهاجرين الأولين، وآخى الرسول ﷺ بينه وبين أُبَيّ بن كعب - رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا -.

عباد الله...

وسعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة.

فَعَن عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَوفٍ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَبُو بَكرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»[2].

عَن سَعِيدَ بنَ زَيدٍ قال فِي نَفَرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ أَبُو بَكرٍ فِي الجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ وَعُثمَانُ وَعَلِيٌّ وَالزُّبَيرُ وَطَلحَةُ وَعَبدُ الرَّحمَنِ وَأَبُو عُبَيدَةَ وَسَعدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ**».

قَالَ: فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التِّسعَةَ وَسَكَتَ عَن العَاشِرِ، فَقَالَ القَومُ: نَنشُدُكَ اللَّهَ يَا أَبَا الأَعوَرِ مَن العَاشِرُ؟ قَالَ: نَشَدتُمُونِي باللَّهِ: «**أَبُو الأَعوَرِ فِي الجَنَّةِ**».

قَالَ أَبُو عِيسَى: أَبُو الأَعوَرِ هُوَ سَعِيدُ بنُ زَيدِ بنِ عَمرِو بنِ نُفَيلٍ[3].

---

(١) «أسد الغابة» (٢/ ٤٣٣).

(٢) صحيح: انظر «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٤٦).

(٣) صحيح: انظر «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٤٧).

عباد الله...

وكان سعيد بن زيد رَضِي الله عَنهُ من المجاهدين الكبار، يجابه الأخطار، ويتقدم الصّفوف.

قَالَ سعيد بن جبير - رحمه الله -: كان مقام أبي بكر وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزُّبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد، كانوا أمام رسول الله ﷺ في القتال، ووراءه في الصّلاة[١].

وهذه لقطاتٌ من تاريخ جهاده:

جهاده مع رسول الله ﷺ:

كان سعيد بن زيد من كبار الفرسان الذين أبلوا أعظم البلاء في ساحات الجلاد والجهاد والطعن والطعان.

وقبل بدر كان له مهمة استخبارية: «لَـمَّا تحين رسول الله ﷺ وصول عير قريش من الشام، بعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد - رَضِي اللّـهُ عَنهُمَا - قبل خروجه من المدينة بعشر ليالٍ يتحسسان خَبَرَ العِير، فلمّا بلغا الحوراء، أقاما هناك حَتَّى مرت بهما العير، وبلغ رسول الله ﷺ الخبر قبل رجوع طلحة وسعد إليه، فندب أصحابه، وخرج يريد العير، فتساحلت العير وأسرعت، وساروا الليل والنهار فرقًا من الطلب، وخرج طلحة وسعيد - رَضِي اللّـهُ عَنهُمَا - يريدان المدينة، ليخبرا رسول الله ﷺ خبر العِير، ولما يعلما بخروجه، فقدما المدينة في اليوم الذي لاقى رسول الله ﷺ النفير من قريش ببدر، فخرجا من المدينة يعترضان رسول الله ﷺ فلقياه منصرفًا من بدر، فلم يشهد سعيد وطلحة الوقعة، فضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجورهما في بدر، فكانا كمن شهدها، وعُدَّا في أهل بدر.

جهاده بعد رسول الله ﷺ:

سعيد بن زيد قائد الفرسان يوم أجنادين:

قائد الفرسان يوم أجنادِين، وكان من أشدّ النَّاس، وهو الذي أشار عَلَى خالد بِبَدءِ

---

(١) «أسد الغابة» (٢/ ٤٤٥).

القتال يوم أجنادين لَـمَّا رمَى الروم المسلمين بالنُّشَّاب، فصاح سعيد بن زيد بخالد قائلًا: عَلَام نستهدف لهؤلاء الأعلاج، وقد رشقونا بالنشاب حَتَّى شَمَسَت الخيل؟ فأقبل خالد إلى خيل المسلمين، وقال لهم: «احملوا - رحمكم الله - عَلَى اسم الله»، وحمل خالدٌ عَلَى الروم، وحمل المسلمون معه بأجمعهم، وصبروا مختارين لهجوم الروم عليهم مرتين، عَلَى ميمنتهم مرة، ثُمَّ عَلَى ميسرتهم، ثُمَّ صبروا لرَشق نبالهم، وانطلق جيش المسلمين إلى الروم، فما صبر الروم لهم فَوَاقًا[1]، وانهزموا هزيمةً شديدة، وقتلهم المسلمون كيف شاءوا، وأصابوا معسكرهم وما حَوَى.

وعند الطبري، عن ابن إسحاق: «فلمَّا رأى القبقلار[2] ما رأى من قتال المسلمين، قَالَ للروم: لفوا رأسي بثوب، قالوا: لم؟ قَالَ: يوم البئيس، لا أحب أن أراه، ما رأيت في الدنيا يومًا أشدَّ من هذا، فاحتَزَّ المسلمون رأسه، وإنه لَمُلَفَّفٌ».

ولعل أروع بطولاته تلك التي سجلها يوم اليرموك.

كان سعيد - رَضِيَ الله عَنهُ - من أمراء الجيش في اليرموك، حيث كان عَلَى قلب جيش المسلمين، فقد قَالَ خالد بن الوليد لأبي عبيدة - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا - أثناء التنظيم لمعركة اليرموك: رأيتُ أن يجلس سعيد بن زيد مجلسك هذا، ويقف من ورائه وبحذائه مائتان أو ثلاثمائة يكونون للناس ردءًا[3].

قَالَ سعيد بن عمرو بن نُفيل: لَـمَّا كان يوم اليرموك كنا أربعًا وعشرين ألفًا أو نحوًا من ذلك، فخرجت لنا الروم بعشرين ومائة ألفٍ، وأقبلوا علينا بخطى ثقيلة، كأنهم الجبال تُحركها أيدٍ خفيَّةٌ، وسار أمامهم الأساقفةُ والبطارقةُ والقسِّيسُون يحملون الصُّلبان وهم يجهرون بالصلوات، فيردِّدُها الجيش من ورائهم، ولهم هَزِيمٌ كهزيم الرَّعد، فلمَّا رأى المسلمون عَلَى حالهم هذه هالتهم كثرتُهم، وخالط قلوبهم شيءٌ من الخوف، عند ذلك قام أبو عبيدة بن الجراح يحضّ المسلمين عَلَى القتال، فقال: عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبِّت أقدامك، يا معشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاةٌ من الكفر،

---

(١) **الفواق**: ما بين الحلبتين من الوقت، والمراد: الزمن القصير.
(٢) قائد جيش الروم.
(٣) «تهذيب ابن عساكر» (١/ ١٦٤).

مرضاةٌ للرب، ومُدحضَةٌ للعار، ولا تبرحوا مصافكم ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدأوهم بالقتال، وأشرُعوا الرماح، واستتِرُوا بالتروس، والزموا الصمت إلا من ذِكر الله عَزَّ وَجَلَّ في أنفسكم، حتى آمركم إن شاء الله تعالى[١].

قَالَ سعيد: عند ذلك دخل رجلٌ من صفوف المسلمين وقال لأبي عُبيدة: إني أزمعتُ[٢] عَلَى أن أقضي أمري الساعة[٣]، فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول الله ﷺ؟ فقال أبو عُبيدة: نعم، تُقرئه مني ومن المسلمين السلام، وتقول له: يا رسول الله إنا وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقًّا.

قَالَ سعيد: فما إن سمعتُ كلامه، ورأيتُه يمتشقُ حُسَامَه ويمضي إلى لقاء أعداء الله، حَتَّى اقتحمتُ إلى الأرض[٤] وجثوتُ عَلَى ركبتيَّ، وأشرعتُ رمحي، وطعنت أوَّل فارس أقبل علينا، ثُمَّ وَثَبتُ عَلَى العدوِّ، وقد انتزع الله كلَّ ما في قلبي من الخوف، فثار النَّاس في وجوه الروم، وما زالوا يقاتلونهم حَتَّى كتب الله للمؤمنين النصر[٥].

قَالَ حبيب بن سلمة: «اضطررنا يوم اليرموك إلى سعيد بن زيد، فلله دَرُّ سعيد، ما سعيد يومئذٍ إلا مثلُ الأسد، لَـمَّا نظر إلى الروم وخافها، اقتحم إلى الأرض وجثا عَلَى ركبتيه، حَتَّى إذا دَنَوا منه وثب في وجوههم مثل الليث، فطعن برايته أوَّل رجل من القوم فقتله، وأخذ والله يقاتل راجلًا - قتال الرجل الشجاع البَأس - فارسًا ويعطفُ الناسُ إليه»[٦]. وانتصر المسلمون في هذا المشهد العظيم.

وشهد سعيد بعد ذلك حصار دمشق وفَتحها وكان بصحبته أبو عبيدة عليها، فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأُمَّة.

ذكر صلاح الدين الصفدي - رحمه الله - في كتابه «تحفة ذوي الألباب»: أن سعيد

---

(١) «البداية» (٧/ ٨).
(٢) **أزمعتُ**: عزمت.
(٣) **أقضي أمري الساعة**، أي: أموت في هذه الساعة.
(٤) أي: رميت بنفسي بشدّة على الأرض.
(٥) «صور من حياة الصحابة» د. عبد الرحمن رأفت باشا (١/ ١٥٥ - ١٥٨) ط. مؤسسة الرسالة.
(٦) «تاريخ ابن عساكر» (١/ ٥٤١).

ابن زيد قَد ولاه أبو عبيدة دمشق، وذكر ذلك في بيت من الشعر من قصيدة، فقال:

وقـد تـولاها سـعيد العـدوي وهـو عَلَى الفضل المبين محتوى[١]

وبعد أن ولاه أبو عبيدة دمشق، نهض أبو عبيدة بمن معه للجهاد، فكتب إليه سعيد بن زيد - رَضِي الله عَنهُ -: «أما بعد:

فإني ما كنتُ لأوثرك وأصحابك بالجهاد عَلَى نفسي وعلى ما يدنيني من مرضاة الله، فإذا جاءك كتابي فابعث إلى عملك من هُوَ أرغبُ إليه مني، فإنِّي قادمٌ عليك وشيكًا إن شاء الله، والسلام».

أحب سعيد بن زيد الفارسُ العدويّ أن يكون في عداد المجاهدين بين الأسنّة والرماح، وأقسم بالله قائلًا: «والله لمشهد شهده رجل مع رسول الله ﷺ يُغبرُّ فيه وجهه مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل أحدكم، ولو عُمِّر عمر نوح»[٢].

رَضِي اللّـهُ عن سعيد بن زيد، فقد كان بالحق قوَّالًا، ولماله بذَّالًا، ولهواه قامعًا، وقتَّالًا رغب عن الولاية، وتشمر في الرعاية، عازمًا عَلَى السَّبق والعبور، المفضي إلى الرِفعة والحبور، كان عن نفسه فانيًا، وفي العبودية غانيًا[٣].

عباد الله...

وكان سعيد بن زيد - رَضِي الله عَنهُ - مُجاب الدَّعوة، ومما يدل عَلَى ذلك:

عَن سَعِيدِ بنِ زَيدِ بنِ عَمرِو بنِ نُفَيلٍ: أَنَّ أَروَى خَاصَمَتهُ فِي بَعضِ دَارِهِ، فَقَالَ: دَعُوهَا وَإِيَّاهَا فَإِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَن أَخَذَ شِبرًا مِن الأَرضِ بِغَيرِ حَقِّهِ طُوِّقَهُ فِي سَبعِ أَرَضِينَ يَومَ القِيَامَةِ**»؟ اللهُمَّ إِن كَانَت كَاذِبَةً فَأَعمِ بَصَرَهَا وَاجعَل قَبرَهَا فِي دَارِهَا. قَالَ: فَرَأَيتُهَا عَميَاءَ تَلتَمِسُ الجُدُرَ تَقُولُ: أَصَابَتنِي دَعوَةُ سَعِيدِ بنِ زَيدٍ، فَبَينَمَا هِيَ تَمشِي فِي الدَّارِ مَرَّت عَلَى بِئرٍ فِي الدَّارِ فَوَقَعَت فِيهَا فَكَانَت قَبرَهَا[٤].

---

(١) «تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب» لصلاح الدين الصفدي (١/ ٧٧).

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٩٥).

(٣) «فرسان النهار» د. سيد العفّاني (٢/ ٤٥٣ - ٤٥٦) باختصار.

(٤) أخرجه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠).

عباد الله...

وبهذا القدر نكتفي.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد عمر مبارك، وبالتحديد في أرضه - رَضِيَ الله عَنهُ - بالعقيق، وذلك سنة خمسين، أو إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، انتهى أجلهُ، فلبَّى نِدَاء ربّه، وخرجت الرُّوحُ الطيّبة إلى رَبِّها راضية مرضيّة، فحُمل إلى المدينة، وخرج إليه عبد الله ابن عُمَر، فغسّله وحنّطه، وصلّى عليه، ونزل في قبره سعد بن أبي وقاص، وابن عُمَر رضي الله عنهم. رضي الله عن سعيد بن زيد وأرضاه.

وإلى اللقاء في الجُمعة القادمة، مع صحابيّ آخر إن شاء الله تعالى.

اللهُمَّ اغفر لنا جميع ما مَضَى من ذنوبنا، وخُذ إلى الخير بِنَواصينا،واجعل الإسلام مُنتهى رَجَاءَنا.

آمين... آمين... آمين

۞۞۞۞۞

الخطبة الثانية والعشرون

مع عبد الله بن جحش

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن أعظم ثُلّة ظهرت في دُنيا العقيدة والإيمان، بعد الأنبياء والمرسلين، مع أصحاب محمد ﷺ.

ولقاؤنا اليوم مع رجلٍ مجاهدٍ ومُجاب الدُّعوة.

مع الأمير الشهيد **عبد الله بن جحش** رَضِي الله عَنهُ.

فَمَن هُوَ؟

هُوَ عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر - رَضِي الله عَنهُ -.

أخته: زينب أم المؤمنين، زوج رسول الله ﷺ.

وأمّه: أميمة بنت عبد المطلب عمّة النبيّ ﷺ

أسلم عبد الله مبكرًا، قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، فهو أحد السابقين الأولين من المهاجرين.

هاجر - رَضِي الله عَنهُ - إلى الحبشة الهجرة الثانية، ثُمَّ هاجر بعد ذلك إلى المدينة المنورة فكان مِمَّن قَالَ الله تعالى فيهم: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** [الأنفال: ٧٤].

عباد الله...

وكان عبد الله بن جحش - رَضِي الله عَنهُ - صاحب أول لواءٍ عُقد في الإسلام.

وهذا شرفٌ عظيم، ومقامٌ رفيع.

قَالَ ابن الجوزي: بعثه رسول الله ﷺ على سريَّة إلى نخلة وفيها تَسَمَّى بأمير المؤمنين، وهو أوّل مَن دُعيّ بذلك، وأول لواء عُقد في الإسلام لواؤه، وأوّل مغنم قسّم في الإسلام ما جاء به.

في رجب سنة ٢هـ الموافق يناير سنة ٦٢٤م [١]، بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة في اثني عشر رجلًا من المهاجرين، كل اثنين يعتقبان على بعير.

وكان الرسول ﷺ كتب له كتابًا، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه.

فسار عبد الله ثم قرأ الكتاب بعد يومين، فإذا فيه: «**إذا نظرت في كتابي هَذَا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها عير قريش، وتعلم لنا من أخبارهم**».

فقال: سمعًا وطاعة، وأخبر أصحابه بذلك، وأنه لا يستكرههم، فمن أحبّ الشهادة فلينهض، ومن كره الموت فليرجع، وأمَّا أنا فناهض، فنهضوا كلّهم، غير أَنَّهُ

---

(١) «الرحيق المختوم» لصفي الرحمن المباركفوري (١٨٠، ١٨١).

لَـمَّا كان في أثناء الطريق أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما كانا يتعقبانه، فتخلّفا في طلبه.

وسار عبد الله بن جحش حَتَّى نزل بنخلة، فمرت عيرٌ لقريش تحمل زبيبًا وأدمًا وتجارة، وفيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن نوفل، ابنا عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان مولى بن المغيرة، فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم رجب، الشهر الحرام، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم.

ثُمَّ اجتمعوا عَلَى اللقاء، فرمى أحدُهم عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان والحكم، وأفلت نوفل، ثُمَّ قدموا بالعير والأسيرين إلى المدينة، وقد عزلوا من ذلك الخُمس، وهو أول خُمس في الإسلام، وأول قتيل في الإسلام، وأول أسيرين في الإسلام، وأنكر رسول الله ﷺ ما فعلوه، وقال: «**ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام**».

ووقف التصرف في العير والأسيرين، ووجد المشركون فيها حدث فرصة لاتهام المسلمين بأنهم قَد أحلوا ما حرَّم الله، وكثر في ذلك القيل والقال، حَتَّى نزل الوحي حاسمًا هذه الأقاويل، وأن ما عليه المشركون أكبر وأعظم مما ارتكبه المسلمون: ﴿**يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الـحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُل قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفرٌ بِهِ وَالـمَسجِدِ الـحَرَامِ وَإِخرَاجُ أَهلِهِ مِنهُ أَكبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالفِتنَةُ أَكبَرُ مِنَ القَتلِ**﴾ [البقرة: ٢١٧].

فلما نزل القرآن بهذا من الأمر، وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفقة، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعثت إليه قريشٌ فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تُفديكموهما حتى يقدم صاحبانا** - يعني سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان - **فإنا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم**» فقدم سعدٌ وعتبة، فأفداهما رسولُ الله ﷺ منهم.

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فَحَسُن إسلامُه، وأقام عند رسول الله ﷺ حَتَّى قُتل يوم بئر معونة شهيدًا.

وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكّة، فمات بها كافرًا.

فلمَّا تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن، طمعوا في الأجر، فقالوا: أنطمع أن تكون لنا غزوة تُعطى فيها أجر المجاهدين؟

فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

فوضعهم الله عَزَّ وَجَلَّ من ذَلِكَ على أعظم الرجاء[١].

أيها المسلمون...

ولما قُتل عمرو بن الحضرمي، انطلقت الدعاية المضللة بشتى الأساليب الماكرة، لتظهر محمدًا ﷺ وأصحابه بمظهر المعتدي الذي يدوس مقدسات العرب، حَتَّى نزلت الآيات: ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُل قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فقطعت كل قول، نزلت تقرر حُرمة الشهر الحرام، وتقرر أن القتال فيه كبيرة، نعم، ولكن: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفرٌ بِهِ وَالمَسجِدِ الحَرَامِ وَإِخرَاجُ أَهلِهِ مِنهُ أَكبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالفِتنَةُ أَكبَرُ مِنَ القَتلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

إن المسلمين لم يبدأوا القتال، ولم يبدأوا العدوان، إنما المشركون هم الذين وقع منهم الصد عن سبيل الله، والكفر به وبالمسجد الحرام، لقد صنعوا كل كبير لصد النَّاس عن سبيل الله، ولقد كفروا بالله وجعلوا النَّاس يكفرون.

ولقد كفروا بالمسجد الحرام، انتهكوا حُرمته، فآذوا المسلمين فيه، وفتنوهم عن دينهم طوال ثلاثة عشر عامًا قبل الهجرة، وأخرجوا أهله منه، وهو الحرم الذي جعله الله آمنًا، فلم يأخذوا بحرمته ولم يحترموا قدسيته، وإخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام، وفتنة النَّاس عن دينهم أكبر عند الله من القتل.

وقد ارتكب المشركون هاتين الكبيرتين فسقطت حُجَّتهم في التحرز بحرمة البيت الحرام وحرمة الشهر الحرام.

ووضح موقف المسلمين في دفع هؤلاء المعتدين عَلَى الحرمات!! الذين يتخذون منها ستارًا حين يريدون لا يرقبون حُرمة، ولا يتحرجون أمام قداسته.

وكان عَلَى المسلمين ألا يدعوهم يحتمون بستار زائف من الحرمات التي لا احترام

---

(١) صحيح: قَالَ الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٩٨): رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

لها في نفوسهم ولا قداسة.

لقد كانت كلمة حقٍّ يُراد بها باطل.

كان التلويح بحرمة الشهر الحرام مجرد ستار يحتمون خلفه، لتشويه موقف المسلمين، وإظهارهم بمظهر المعتدي، وهم المعتدون ابتداءً، وهم الذين انتكهوا حُرمة البيت ابتداءً.

عباد الله...

فكيف يواجههم الإسلام؟

يواجههم بحلول مثالية نظرية طائرة؟

إنَّهُ إن يفعل يجرد المسلمين الأخيار من السلاح، بينما خصومهم الأشرار يستخدمون كل سلاح.

كلا إن الإسلام لا يصنع هذا، لأنَّهُ يريد مواجهة الواقع، لدفعه ورفعه، يريد أن يزيل البغي والشرّ، وأن يقلّم أظافر الباطل والضلال، ويريد أن يسلم الأرض للقوة الخيرة والأمة الطيبة، ومن ثَم لا يجعل حُرمات متاريس يقف خلفها المفسدون البغاة ليرموا الطيبين الصالحين البناة، وهم في مأمن من رد الهجمات ومن نبل الرماة.

أيُّهَا المسلمون...

وهكذا ردّ الله تعالى سهام الكفَّار إلى نحورهم، وعلى الباغي تدور الدوائر.

ومن سلّ سيف البغي قُتل به ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فالإنسان في هذه الدنيا يُعطى عَلَى حسب نيته وقصده، إن صدق الله تعالى يصدقه الله، والأعمال بالنيات، ومقاصد الإنسان شتى كما قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤]، وكما قَالَ تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

فإذا أخلص الإنسان لربه، ورسخت قدمهُ في مقام العبوديّة، ترقى إلى أن يصل إلى مقام الولاية، فإذا وصل إلى هذا المقام الكريم، كان الله تعالى سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ويقول الله تعالى: «ولئن سألني لأُعطينّه، ولئن استعاذني لأُعيذنّه».

وكان بعض السلف يقول: «نعم الرّبُّ رَبُّنا لو أطعناه ما عصانا».

وضيفنا المبارك عبد الله بن جحش كان من هذا الطراز العالي، نيته مرضاة ربه، وقصده الوصول لرحمته، وهدفه الشهادة في سبيله سبحانه، بعد أن يقاتل أعداء الله فَيَقتل ثُمَّ يُقتل، ثُمَّ يمثّل به بعد ذلك، ليَلقى الله تعالى وجرحه يدمي، قَد جُدعت أطرافه، فيسأله الله تعالى: يا عبد لِمَ فعل بك هذا؟ فيقول: فيك يا رب.

هذه كانت غايته، وهذه كانت نيته، لا يبغي الحياة لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار.

والإمداد يأتي عَلَى قدر الاستعداد.

فماذا حدث؟

اسمعوا...

لَـمَّا عبأ النبي ﷺ الجيش لخوض معركة أُحُد مع المشركين أعدَّ عبد الله سلاحه، وتجهّز، يقول سعيد بن المسيّب: «أن رجلًا سمع عبد الله بن جحش يقول قبل أحد بيوم: «اللهم إنَّا لاقو هؤلاء غدًا فإني أقسم عليك لما يقتلوني ويبقرون بطني ويجدعون

أنفي، فإذا قلت لي: لم فعل بك هذا؟ فأقول: اللهم فيك.

فلما التقوا فُعل ذلك به، فقال الرجل الذي سمعه: أما هذا فقد استجيب له وأعطاه الله ما سأل في جسده في الدنيا، وأنا أرجو أن يُعطى ما سأل في الآخرة».

ويروي لنا سعد بن أبي وقاص رَضِي الله عَنهُ - كشاهد عيان - قصّة عبد الله بن جحش وما حدث له يوم أُحُد أنَّهُ قَالَ له يوم المعركة: ألا ندعو الله؟ فخلوا في ناحية فدعا الله عبد الله بن جحش فقال: «يا ربّ إذا لقيتُ العدوّ غدًا فلقني رجلًا شديدًا بأسُه شديدًا حرده أقاتله فيك ويقاتلني، ثُمَّ يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا قلت: يا عبد الله مَن جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت.

قَالَ سعد: فلقد رأيتهُ آخر النهار وإن أُذنه وأنفه لمعلّقتان في خيط».

لقد صدق الله فصدقه الله، ونال المشتاق ما تمنّى، وتلك عاجل بشرى المؤمن.

قَالَ الواقدي: «قُتل عبد الله بن جحش يوم أُحُد، قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق، ودُفن عبد الله - رَضِي الله عَنهُ - وحمزة بن عبد المطلب - رَضِي الله عَنهُ - وهو خاله، في قبر واحد، وكان لعبد الله يوم قُتل بضع وأربعون سنة».

عباد الله...

وتحت تراب أُحُد ينام الجسد الطاهر، يغشاه النور، أما روحه فأين هي؟

اسمعوا...

عَن مَسرُوقٍ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: سَأَلنَا عَبدَ اللَّهِ عَن هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلَا تَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَموَاتًا بَل أَحيَاءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ﴾، قَالَ: أَمَا إِنَّا قَد سَأَلنَا عَن ذَلِكَ رسول الله ﷺ فَقَالَ: «أَروَاحُهُم فِي جَوفِ طَيرٍ خُضرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرشِ، تَسرَحُ مِن الجَنَّةِ حَيثُ شَاءَت، ثُمَّ تَأوِي إِلَى تِلكَ القَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيهِم رَبُّهُم اطِّلَاعَةً فَقَالَ: هَل تَشتَهُونَ شَيئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيءٍ نَشتَهِي وَنَحنُ نَسرَحُ مِن الجَنَّةِ حَيثُ شِئنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِم ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوا أَنَّهُم لَن يُترَكُوا مِن أَن يُسأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَن تَرُدَّ أَروَاحَنَا فِي أَجسَادِنَا حَتَّى نُقتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخرَى، فَلَمَّا رَأَى أَن لَيسَ لَهُم حَاجَةٌ تُرِكُوا» [١].

---

(١) رواه مسلم.

فهنيًا لك يا صاحب أوّل لواء عُقد في الإسلام.

وفي الجمعة القادمة نلتقي مع صحابيّ آخر إن شاء الله تعالى، فإلى اللقاء.

اللهُمَّ اجعلنا من أحبِّ خَلقِك إليك، ومن المقرّبين لَدَيك.

آمين... آمين... آمين.



الخطبة الثالثة والعشرون

مع مصعب بن عُمير

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فيقول إبراهيم الحربيّ - رحمه الله - «مَن آثر الراحة، فاتته الراحة».

كلمات يسيرات، ولكنها مباركات.

عباد الله...

ونحن اليوم أمام رجل مبادئ من الطراز الذي يظهر في آفاق الحياة ثُمَّ يختفي كما يظهر الشهاب في ظلمات الليل البهيم، ويبرق وميضه لحظات ثُمَّ يتوارى سريعًا، ونشأة مصعب بن عمير ومحياه ومماته فصولٌ فريدة في تاريخ الدعوات الكبرى، الدعوات التي تقوم عَلَى الجهاد المضني، والكفاح الرهيب، والتي تتطلب لها وقودًا من شهداء لا

يعرفون إلا التضحية والفداء، ولا ينتظرون من هذه الحياة الدنيا راحةً أو نفعًا.

وقد يقرأ المرء سيرًا شتى لأبطال كثيرين، ولكنه ما إن ينتهي من قِصّة مصعب ويتتبع مراحلها الأولى والأخيرة إلّا ويشعر بأنه أمام بطولة خاصة، حشو أديمها اليقين الغالي والثبات الرائع، فكأنما عاش الرجل ما عاش لينفخ من روحه ودمه وأعصابه في مثل من هذه المثل العليا التي يتخليها البشر، ثُمَّ يولى وقد ترك للدعاة إلى الله أُسوة تهتاج لها المشاعر، وترمقها إلى الأبد نظرات الإعجاب والتكريم[١].

أيُّهَا المسلمون...

من هُوَ مصعب؟ وما هي قصّته؟

هُوَ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصيّ بن كلاب بن مرّة، القرشيّ، العبدريّ.

السَّيِّد، الشهيد، أعطر أهل مكّة.

أسلم - رَضِي الله عَنهُ - ورسول الله ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكتم إسلامه خوفًا من أُمه وقومه، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سرًّا، يتعلّم منه الإسلام، ويتتلمذ عَلَى يديه.

وبينما هُوَ عَلَى هذا الحال، إذ بَصُر به عثمانُ بنُ طلحة العبدريّ يصلّي، فأعلم أهله وأُمّه، فأخذوه فحبسوه، فلم يزل محبوسًا إلى أن هاجر إلى أرض الحبشة.

وكان من أنعم النَّاس عيشًا قبل إسلامه، فلمَّا أسلم زهد في الدنيا فتحشَّف جلدُه تحشُّف الحيَّة.

ويصف سعد بن مالك - رَضِي الله عَنهُ - مصعب بن عمير من الأذى والفقر فيقول: «كنا قبل الهجرة يصيبنا الجوع والشدَّة، فاسضلعنا بها، وقوينا عليها، فأمَّا مصعبُ بن عمير فإنه كان أترف غلام بمكّة بين أبويه فيما بيننا، فلمَّا أصابه ما أصابنا، لم يقوَ عَلَى ذلك، فلقد رأيته وإن جلده ليتاطير عنه تطاير جلد الحيّة،ولقد رأيته ينقطع به،

---

(١) «تأملات في الدِّين والحياة» للشيخ الغزالي (٢٤٤).

فما يستطيع أن يمشي، فنعرض له القسيَّ ثُمَّ نحمله عَلَى عواتقنا، ولقد رأيتني مرَّة، قمتُ أبول من الليل، فسمعتُ تحت بولي شيئًا يجافيه، فلمستُ بيدي فإذا قطعة من جلد بعير، فأخذتها فغلستها حَتَّى أنعمتُها، ثُمَّ أحرقتها بالنار، ثُمَّ رضضتها فشققتُ منها ثلاث شقات، فاقتويت بها ثلاثًا»[1].

عباد الله...

وهكذا انتقل مصعب من أيام كان يَرفُلُ لها في النعيم، ويتقلّب فيه ظهرًا لبطن إلى حياة لم يستطيع خلالها أن يلبس ثوبًا سليمًا، ولكن لا بأس..

فَلْتُعسِري ما شئتِ يا دُنيانا فالخير ما أخفت لنا أُخرانا

فهناك تَنسَى العينُ ما أبكاها كالشمس تُنسي اللَّيلَ بضُحَاها

لقد رقّ النبيُّ ﷺ لحاله، وذرفت عيناه الشريفتان:

عن محمد بن كعب القرظي، عمَّن سمع عليَّ بن أبي طالب يقول: «إنَّهُ استقى لحائط يهودي بمل كفّه تمرًا، قَالَ: فجئتُ المسجد فطلع علينا مُصعب بن عمير في بُردة له مرقوعة بفروة، وكان أنعم غلام بمكة وأرفه، فلمّا رآه رسول الله ﷺ ذكر ما كان فيه من النعيم، ورأى حاله التي هُوَ عليها، فذرفت عيناه عليه، ثُمَّ قَالَ: «**أنتم اليوم خيرٌ أم إذا غُدي عَلَى أحدكم بجفنة من خبزٍ ولحم؟**». فقلنا: نحن يومئذٍ خير، نُكفى المؤنة، ونتفرَّغُ للعبادة، فقال: «**بل أنتم اليوم خيرٌ منكم يومئذٍ**»[2].

وتحمَّل مصعب - رَضِيَ الله عَنهُ - سنوات الاضطهاد الأولى في مكَّة وهو راضٍ عن ربّه وعن دينه، يقيم معالم الإسلام، ويؤدّي شعائره، ويسارع إلى حفظ ما يتنزل من آيات الله.

وتتابعت السنون وأهل مكَّة لا يتحولون عن موقفهم العنيد، وتبيّن أنهم يكذبون صاحب الرسالة العظمى تجاهلًا لا جَهلًا، ولم يبقى بدٌّ من توسيع نطاق الدَّعوة

---

(١) «أسد الغابة» لابن الأثير (٥/ ١٨٢).

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

وعرضها عَلَى الأبعاد الغرباء، بعد أن كذَّب بها المواطنون وصدّ عنها العشيرة الأقربون، فأخذ الرسول ﷺ يبرز في المواسم والأسواق ويعرض نفسه عَلَى الوفود القاصدة إلى البلد الحرام، وكان أن شرح الله صدور نفر من يثرب فاستجابوا للإسلام ودعوته، وأظهروا استعدادهم لنصرته، وأنس الرسول ﷺ الخير فيهم، وأمل لدينه عَلَى أيديهم التمكين والاستعلاء، فقرر أن يبعث معهم رجلًا أمينًا عَلَى الدَّعوة ليتعهدها في مستقرها النائي، ونظر الرسول ﷺ إلى أصحابه ثُمَّ وقع اختياره عَلَى مصعب بن عمير، فأرسله إلى المدينة ليبشّر بالدِّين الجديد، وليقرئ الأنصار القرآن، ويعلمهم الإسلام.

وهناك بين منازل أهل الكتاب وقف مصعب يرتل آيات الله ويترك أصداءها تري مع الريح، لتداعب مضارب الخيام، وتحرك نفوس الأعراب، وتترك أفئدة اليهود مليئة بالدهش لهذا النوع الذي قرع عليهم أبواب مدينتهم بأنباء الوحي الجديد.

وبدأ مصعب بن عمير يؤدي رسالة الإسلام، ويمهد الطريق للقائد العظيم الذي لم يكن أحد يعلم أَنَّهُ سيأتي بعد حين، وكأن مصعبًا بعمله هذا يفتتح الدَّعوة إلى الإسلام، في غير أوطان الإسلام، ويُعلم الدعاة كيف تكون الجرأة والمغامرة والثقة بالنفس والتوكل عَلَى الله.

جاء أسيد بن حضير فوجد مصعبًا - رَضِي الله عَنهُ - في أحد مجالسه يدعو النَّاس إلى الله، فغاظه ذلك المنظر، وقال لمصعب في غلظة: ما جاء بك ههنا؟ ألِتُسِّفهُ الضعفاء وتفتن النساء؟ اعتزل عنا ولا أرينّك.

فابتسم مصعب وقال في كياسة: بل تجلس إلينا فتسمع ما نقول، فإن رضيت بالأمر قبلته، وإن كرهته كففتُ عنك ما تكره، فحار أسيد في الجواب، ونظر إلى ما يصبغ وجه مصعب من يقين ورجاء، ثُمَّ لم يستطع إلا أن يقول: لقد أنصفت، هات ما عندك.

وتكلم مصعب وقرأ وفاض إيمانه بيانًا دافقًا يشرح ويحاج ويصل إلى مواضع الإقناع من السامعين، فلمّا انتهى من حديثه، قَالَ أُسيد في عجب ودهشة: ما أعظم هذا وأجلّه، وترك الداعية وذهب إلى حال سبيله وفي نفسه حوافز تكاد تحيله شخصًا آخر، نعم فقد وقد الإسلام بمكان من قلبه.

وتقابل أُسيد هذا مع سعد بن معاذ، وكلاهما من سادة يثرب وذوي الرأي فيها،

ودار بينهما حديث انطلق عقيبه سعد إلى مصعب ليكتشف حقيقته وحقيقة ما عنده، لقد كان قبلًا يتوعد هذا الرجل الطارئ ويعين عليه، وهو الآن مبلبل الفكر بعد ما أدرك من دخيلة نفس أسيد صديقه الحميم أَنَّهُ اطمأن إلى الدين الجديد ودخل فيه، والتقى سعد بمصعب وحاول أول الأمر أن يستفزه بالكلم القاصي والنقاش الحاد، ولكن مصعبًا لم يخرج عن طوره الجميل وسَمته النبيل وحواره اللّبق وعرضه الهادئ، وأبصر سعد الحق فلم يتردد في اعتناقه ولم يأت المساء إلَّا وهو بين قومه يهدد بينهم بصوت ثائر: إن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حَرَام حَتَّى تؤمنوا بالله ورسوله.

واستمر مصعب يدعو وينتقل في دعايته من نجاح إلى نجاح، فلم يبق بالمدينة عَلَى سعتها بيت إلا سمع بالإسلام إن لم يكن دخل فيه، استمر مصعب يدعو وبينه وبين صاحب الرسالة المجاهد في مكَّة مئات الأميال، وماذا يصنعه بعد الشقة في صدق الإيمان، وصدق الوفاء، وصدق العمل؟ ها قَد قارب العام النهاية، وها قَد ذهب وفد يربي عَلَى السبعين إلى مكَّة يبايعوا الرسول ﷺ عَلَى أن يحيطوا دعوته بأسوار من الدم والحديد، حقًّا لقد كان مصعب داعية موفقًا، إِنَّهُ بلا ريب فاتح المدينة قبل الهجرة الكبرى إليها[1].

ويجمل ابن إسحاق أكثر فضائل مصعب رضي الله عنه فيقول:

حدثني عبيد الله بن أبي بكر بن حزم، وعبيد الله بن المغيرة بن معيقيب قالا: بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير مع النفر الاثنى عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى، يفقّه أهلها، ويقرئهم القرآن، فكان منزله على أسعد بن زرارة، وكان إنما يُسمّى بالمدينة (المقرئ) يقال: إنه أوّل مَن جمع الجمعة بالمدينة، وأسلم على يده أسيد بن حُضير وسعد ابن معاذ وكفى بذلك فخرًا وأثرًا في الإسلام.

ويزيد ابن شهاب الأمر وضوحًا فيقول: «لَـمَّا بايع أهلُ العقبة رسول الله ﷺ ورجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام سرًّا وتلوا عليهم القرآن، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك، أن ابعث إلينا رجلًا من قِبَلكِ فليدع النَّاس

(١) «تأملات في الدِّين والحياة» للشيخ الغزالي (٢٤٦، ٢٤٧).

بكتاب الله، فإنه قمن أن يُتبع.

فبعث إليهم رسولُ الله ﷺ مصعب بن عمير، فلم يزل يدعو آمنًا، ويهدي الله تعالى عَلَى يده، حَتَّى قلّ دار من دور الأنصار إلَّا وقد أسلم أشرافهم».

فأسلم عمرو بن الجموح(١) وكسرت أصنامهم، وكان المسلمون أعزّ أهل المدينة، فرجع مصعب إلى رسول الله ﷺ وكان يُدعى المقرئ.

عباد الله...

ولما هاجر النبيُّ ﷺ من مكَّة إلى المدينة وآخى بين المهاجرين والأنصار، وَأَذِنَ اللَّـهُ تعالى لنبيّه بالقتال، انضم مصعب إلى صفوف المجاهدين، وشهد - رَضِي الله عَنهُ - غزوة بدر وأبلى فيها بلاء حسنًا.

وانتهت الغزوة بانتصار ساحق للمسلمين، ولقي كثير من أئمة الكفر مصرعهم، ورَجَع فَلُّهم(٢) إلى مكَّة، ورجع أبو سفيان بن حرب ببعيره، فمشي عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، في رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلَّموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريشٍ، إن محمدًا وتركم، وقتل خياركم، فأعينوا بهذا المال عَلَى حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا.

فاجتمعت قريشٌ لحرب رسول الله ﷺ وخرجت بِحَدِّها وجَدِّها وحديدها وأحابيشها، ومن تابعها من بني كِنانة، وأهل تُهامة، وخرجوا معهم بالظُّعُن(٣) التماس الحفيظة، وألَّا يفرّوا.

فلمَّا سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قَد نزلوا حيثُ نزلوا، خرج رسول الله ﷺ في ألفٍ من أصحابه، واستعمل ابن أُم مكتوم عَلَى الصلاة بالناس.

وعند أُحُد التقى الجمعان، وكان النبي ﷺ قَد أمَّر عبد الله بن جبير عَلَى خمسين

---

(١) ستأتي ترجمته إن شاء الله ضمن هذه السلسلة المباركة.

(٢) أي: المنهزمون منهم.

(٣) الظعن: النساء.

رجلًا من رماة المسلمين عَلَى الجبل، وقال له: «**انضح الخَيلِ عنَّا بالنَّبل، لا يأتونا مِن خَلفِنا، إن كانت لنا أو علينا، فأثْبت مكانك لا نُؤتَيَنَّ من قِبَلك**»[(١)].

وبدأ القتال، وحميّ الوطيس، وكان النبي ﷺ قَد دفع اللواء إلى مصعب بن عمير، وترنَّحت جثث المشركين عَلَى أرض المعركة، ولاحت بشائر النصر، ورأى الرماةُ هزيمة المشركين وفرارهم، فتركوا أماكنهم، ونزلوا إلى أرض المعركة ليشاركوا المسلمين في جمع الغنائم، ورأى خالد بن الوليد ظهر الجبل خاليًا، فقاد فرقة من المشركين وصعد بهم عَلَى الجبل فقتل ما تبقى من الرماة، وهاجم المسلمين، فارتبك المسلمون فمنهم من فَرّ، ومنهم من ثبت وكان مِمَّن ثبت مصعب بن عمير - رَضِي الله عَنهُ -.

يقول محمد بن شرحبيل: «حمل مصعب اللواء يوم أُحُد، فلمَّا جال المسلمون ثبت به مصعب، فأقبل ابن قميئة فضرب يده اليمنى فقطعها، ومصعب يقول: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ**﴾ [آل عمران: ١٤٤].

أخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه فضربها فقطعها، فحنا على اللواء وضمَّهُ بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ**﴾ ثُمَّ حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه فسقط الجسد الطاهر وطارت الروح لربّها.

قَالَ ابن إسحاق: «وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حَتَّى قُتل، قتله ابن قميئة الليثي وهو يظنه رسول الله، فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمدًا، فلمَّا قتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء لعليّ بن أبي طالب ورجالًا من المسلمين» ا.هـ.

عباد الله...

ولما وضعت الحربُ أوزارها، وانجلى غبارُها، يقول عبيد بن عمير: لَـمَّا فرغ رسول الله ﷺ من أُحُد مرَّ على مصعب بن عمير مقتولًا على طريقه فقرأ: ﴿**مِنَ المُؤمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيهِ**﴾ [الأحزاب: ٢٣].

عَن خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: «هَاجَرنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَبتَغِي وَجهَ

---

(١) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٢٧)، وله شاهد عند البخاريّ وغيره.

اللَّهِ، فَوَجَبَ أَجرُنَا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنَّا مَن مَضَى أَو ذَهَبَ لَم يَأكُل مِن أَجرِهِ شَيئًا، كَانَ مِنهُم مُصعَبُ بنُ عُمَيرٍ قُتِلَ يومَ أُحُدٍ لَم يَترُك إِلَّا نَمِرَةً كُنَّا إِذَا غَطَّينَا بِهَا رَأسَهُ خَرَجَت رِجلاهُ، وَإِذَا غُطِّيَ بِهَا رِجلاهُ خَرَجَ رَأسُهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «**غَطُّوا بِهَا رَأسَهُ وَاجعَلُوا عَلَى رِجلِهِ الإِذخِرَ**[١]»، وَمِنَّا مَن قَد أَينَعَت لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهدِبُهَا[٢]»[٣].

وروى البخاري في «صحيحه» عن عَبدَ الرَّحمَنِ بنَ عَوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: «أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا فَقَالَ: قُتِلَ مُصعَبُ بنُ عُمَيرٍ وَهُوَ خَيرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُردَةٍ إِن غُطِّيَ رَأسُهُ بَدَت[٤] رِجلَاهُ، وَإِن غُطِّيَ رِجلَاهُ بَدَا رَأسُهُ، وَقُتِلَ حَمزَةُ وَهُوَ خَيرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِن الدُّنيَا مَا بُسِطَ، وَقَد خَشِينَا أَن تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَت لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ».

رضي الله عن الصَّحابة الكرم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وكذلك مات الداعية البطل، القارئ، إذا عد القرَّاء، والفارس إذا عد الفرسان، مات لم يشهد فتح مكَّة التي ضاقت بإيمانه، فخرج منها ليصنع بيديه الرجال الذين يفتحونها بإيمانهم، مات في مراحل الجهاد، فلم يحضر قسمة الغنائم ولم يستمتع بقليل منها، مات وهو الذي ذاق أول حياته معيشة القصور، ثُمَّ لم يلبس إلا الخرق أول ما آمن، ولم يكفّن إلا في الخرق يوم مات شهيدًا، نعم مات بعد أن أسلم عَلَى يديه أسيد

---

(١) **الإذخر**: نبات معروف طيّب الريح يبيَضّ إذا يبس.

(٢) **يهدبها**: أي: يجتنيها.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ١١٢)، والبخاريّ (١٢٨٦).

(٤) **بدت**: ظهرت.

الذي تنزلت الملائكة لقراءته القرآن، وسعد الذي احتفى بمقدمه - يوم وفاته - عرش الرحمن.

ذلك هُوَ الداعي الذي يجب أن يفقه سيرته الدُّعاة[١].

وفي الجمعة القادمة نلتقي مع صحابيّ آخر إن شاء الله تعالى فإلى اللقاء.

اللهُمَّ إنا نسألك صِحَّة في إيمان، وإيمانًا في حُسن خُلق، ونجاحًا يتبعه فلاحٌ، ورحمةً منك وعافية، ومغفرة منك ورضوانًا.

آمين... آمين... آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

---

(١) «تأملات في الدين والحياة» (٢٤٨).

الخطبة الرابعة والعشرون

مع حمزة بن عبد المطلب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فضيفنا في هذه الخطبة: الإمام، السَّيِّد، الكبير، سيِّد الشهداء «**حمزة بن عبد المطلب**».

عمّ رسول الله ﷺ وأخوه في الرِّضاعة.

صاحب المناقب الكبيرة، والفضائل الجليلة.

ذلكم الرجل والبطل الذي قَالَ عنه النبيُّ ﷺ: «**سيِّد الشُّهداء حَمزةُ بنُ عبد المطلب، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فأمَره ونَهاه، فقَتَله**»[1].

وذلكم العملاق الذي تلألأ نجمه في أرض المعارك، يهدّ الكفّار بسيفه هدًّا،

---

(١) حسن: أخرجه الحاكم وغيره من حديث جابر، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٧٥).

وينادي بأعلى صوته: «أنا أسَدُ الله وأسَدُ رسُوله»[(١)].

خُذ من ثناي عليك ما أستطيعُهُ | لا تُلزمنّي في الثَّناءِ الواجِبَا
فلَقَد دَهشتُ لما فعلتَ ودُونَهُ | ما يُدهِشُ المَلَكَ الحفيظ الكاتِبَا
قَد عسكرت مَعَكَ الأُسُودُ عساكرا | وتَكتَّبَت معك الرِّجالُ كتائِبَا
أسدٌ فرائِسُهَا الأسود يقودُها | أسَدٌ تصير له الأُسُودُ ثعالبَا[(٢)]

عباد الله...

ما هي قصة إسلام هذا البطل؟ وكيف استشهد؟

أما عن قصّة إسلامه:

فيحدثنا يَعقُوبَ بن عُتبَةَ بن المُغِيرَةِ فيقول:

«أَنَّ أَبَا جَهلٍ اعتَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بالصَّفَا فآذَاهُ، وَكَانَ حَمزَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنهُ صَاحِبَ قَنصٍ وَصَيدٍ، وَكَانَ يَومَئِذٍ فِي قَنصِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ ، قَالَت لَهُ امرَأَتُهُ، وَكَانَت قَد رَأَت مَا صَنَعَ أَبُو جَهلٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا أَبَا عُمَارَةَ، لَو رَأَيتَ مَا صَنَعَ - تَعنِي أَبَا جَهلٍ - بِابنِ أَخِيكَ؟

فَغَضِبَ حَمزَةُ، وَمَضَى كَمَا هُوَ قَبل أَن يَدخُلَ بَيتَهُ، وَهُوَ مُعَلِّقٌ قَوسَهُ فِي عُنُقِهِ حَتَّى دَخَلَ المَسجِدَ، فَوَجَدَ أَبَا جَهلٍ فِي مَجلِسٍ مِن مَجَالِسِ قُرَيشٍ، فَلَم يُكَلِّمهُ حَتَّى عَلا رَأسَهُ بِقَوسِهِ فَشَجَّهُ، فَقَامَ رِجَالٌ مِن قُرَيشٍ إِلَى حَمزَةَ يُمسِكُونَهُ عَنهُ، فَقَالَ حَمزَةُ: «دِينِي دِينُ مُحَمَّدٍ، أَشهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، فَوَاللهِ لا أَنثَنِي عَن ذَلِكَ، فَامنَعُونِي عَن ذَلِكَ إِن كُنتُم صَادِقِينَ».

فَلَمَّا أَسلَمَ حَمزَةُ عَزَّ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالمُسلِمُونَ، وَثَبَتَ لَهُم بَعضُ أَمرِهِم وهابَتهُ قُرَيشٌ، وَعَلِمُوا أَنَّ حَمزَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنهُ سَيَمنَعُهُ»[(٣)].

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٩٩) وصححه.

(٢) من ديوان «المتنبي» بتصرّف.

(٣) رواه الطبراني مرسلًا، ورجاله ثقات. «المجمع» برقم (١٥٤٦١).

وهكذا، إذا أراد الله تعالى بعبدًا خيرًا، يسّر له أسبابه.

لقد قَالَ حمزة - رَضِي الله عَنهُ -: «دِينِي دِينُ مُحَمَّدٍ، أَشهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ» حميّة وانتصارًا لابن أخيه، وأخيه في الرضاعة، ولكن تزامن مع قوله هذا نزولُ رحمة الله تعالى عليه، فشرح الله صدره للإسلام، فبدد نورُ الإسلام ظلمات الشرك في قلبه، وأزاح غشاوة الجاهلية عن فؤاده.

فأشرق قلبه بنور الإسلام، وانضوى حمزة تحت لواء الموحِّدين.

يا رب...

قطـرة مِـن فَـيض جُـودِك تمـلأ الأرضَ ريًّـا

ونظـــرة بعَـــين رِضـــاك تَجعَـــلُ الكافِـــرَ وَلـــيًّا

عباد الله...

وظل حمزة - رَضِي الله عَنهُ - بجوار الرسول ﷺ بمكة، ولما أذِنَ الله تعالى لنبيِّه بالهجرة هاجر حمزة مع المهاجرين، ولما أذن الله بالقتال ودارت رحى الحروب، كان حمزة - رَضِي الله عَنهُ - صاحب المواقف، فلقد مسح بسيفه أئمة من أئمة الكفر، وأطاح برقاب الكثير منهم، فدق المسمار في نعش الضلال إلى يوم القيامة.

لقد تزلزل الباطل تحت ضربات سيفه البتار، وأزاح الغشاوة عن أعين كثير من النَّاس، فدخلوا في دين الله أفواجًا، إن التاريخ ليحني جبهته أمام هذا الأسد الهصور، الذي يقف في أرض المعركة مميزًا عن بقيّة الأصحاب، رفع عَلَى صدره ريشة نعامة، تدل عَلَى وجوده، فمن أراد أن ييتم ولده، أو ترمل زوجته، أو يصبح وقودًا لجهنم فليتعرض لضربات سيفه، بل قل لضربة واحدة من سيفه، فهي كفيلة لإزالته من الدنيا، ليكون هناك في الآخرة وقودًا للنار.

وإليكم أيُّها المسلمون لقطاتٌ حيّة من حياته الجهاديّة:

اللقطة الأولى: سرية حمزة - رَضِي الله عَنهُ - إلى العيص:

دخل الإسلام المدينة وأحزاب الكفر تطارده من كل ناحية، فأوى المسلمون إلى مهجرهم كما يأوى الجندي إلى قلعته الشامخة، وأخذوا يستعدون حَتَّى لا تُقتحم عليهم

من أقطارها، وهم تعلّموا من السنين الغبر التي مرت عليهم في مكَّة أن الضعف مدرجة إلى الهوان، مزلقةً إلى الفتنة، والمرء لا يُقدّر العافية حق قدرها إلا بعد الإبلال من المرض، ولا يعرف قيمة الغنى إلا عند التخلص من ذلّ الحاجة.

فما بدُّ إذًا من التأهّب لكل طارئ، والترّبص بكلّ هاجم، وتجهيز القوّة التي تؤدّب المجرمين يوم يتطاولون.

والقتال الذي شرعه الإسلام وخاض معاركه الرسولُ ﷺ وصحابته هُوَ أشرف أنواع الجهاد؛ لأَنَّهُ فُرض لحماية الحق، وردّ المظالم، وقمع العدوان، وكسر الجبابرة.

أما تخرّص المستشرقين والحَقدة عَلَى الإسلام من أهل الأديان الأخرى والادّعاء بأن المسلمين جنحوا إلى القوّة حيث لا مبرّر لها، فذلك كلّه لغو طائش، وهو جزء من الحملة المدبِّرة لمحو الإسلام من الأرض، واستبقاء أهله عبيدًا للصليبية والصهيونية وما إليهما.

وما من أيام القتال فيهن أوجب عَلَى المسلمين من أيّام يهدّد فيها الإسلام وآله بالفناء، وتتألّب عليه شتى القوى، بل يصطلح ضده الخصوم الألداء، محاولين سحقه إلى الأبد.

وقد وقع ذلك في صدر الإسلام، قبل الهجرة وبعدها، وووقع في هذه الأيام فسقطت أوطان الإسلام في أيدي لصوص الأرض، ثُمَّ رسمت أخبث السياسات للذهاب به رويدًا رويدًا.

وكيف تستغرب الدَّعوة إلى التسلّح، والإهابة بأهل النّجدة أن يوطنوا أنفسهم عَلَى التضحية في سبيل الله؟ وكيف تستنكر صناعة الموت في أُمّة يتواثب حولها الجزارون من كل فجّ؟ كلا... كلا.

﴿وَلاَ يَحسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُم لاَ يُعجِزُونَ * وَأَعِدُّوا لَـهُم مَّا استَطَعتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخَيلِ تُرهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُم وَآخَرِينَ مِن دُونِهِم لاَ تَعلَمُونَهُمُ اللَّـهُ يَعلَمُهُم وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيكُم وَأَنتُم لاَ تُظلَمُونَ * وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلمِ فَاجنَح لَهَا وَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ * وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخدَعُوكَ فَإِنَّ حَسبَكَ اللَّـهُ﴾ [الأنفال: ٥٩- ٦٢]

وتمشيًا مع توجيه الوحي وسياسة الواقع، وحفاظًا عَلَى حق الله وحق الحياة درّب النبيُّ ﷺ رجاله عَلَى فنون الحرب، واشترك معهم في التمارين والمناورات والمعارك، وعدّ السّعي في هذه الميادين خطوات من أجلّ القُرب وأقدس العبادات، لعلّه بذلك يفلّ شوكة الكفر، ويكسر عَلَى المسلمين أذاه[١].

والمقصود: أنَّ النبيّ ﷺ بعد الهجرة بدأ في إعداد الجيش، وتجهيزه، وإرسال السرايا المسلحة لتأمين الجبهة الداخلية، ولحماية الإسلام وأهله.

وكان أوّل لواء عقده رسولُ الله ﷺ لحمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان عَلَى رأس سبعة أشهر من الهجرة[٢].

وبعثه رسولُ الله ﷺ في ثلاثين رجلًا من المهاجرين، وخرج حمزة - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - يعترض لعير قريش، قَد جاءت من الشام تريد مكَّة، وفيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل، فبلغوا سيف البحر - يعني ساحله - من ناحية «العيص» والتقى الجانبات حَتَّى اصطفوا للقتال، فمشى مجدي بن عمرو الجهني، وكان حليفًا للفريقين جميعًا، إلى هؤلاء مرة، وإلى هؤلاء مرة، حَتَّى حجز بينهم ولم يقتتلوا.

وتوجّه أبو جهل في أصحابه وعيره إلى مكَّة، وانصرف حمزة في أصحابه إلى المدينة. وبهذه السّريّة بدأ فرض الحصار الاقتصادي عَلَى قريش، بتهديد طريق مكة - الشام.

اللّقطة الثانية: جهاد حمزة يوم بدر:

في بدر وقبل بداية القتال، يخرج الأسود بن عبد الأسد، من صفوف المشركين، شاهرًا سيفه كأنه شعلة من النار، فينادي بأعلى صوته: «والله لأشربنّ من حوض المسلمين[٣] أو لأهدمنّه».

إنَّهُ التحدي السافر، بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ، ها هُوَ الباطل، يعلن عن وجوده، وينفخ نفسه أمام النبيِّ وأصحابه.

---

(١) «فقه السيرة» للغزالي (٢٢٥، ٢٢٦) باختصار.

(٢) وكان الذي حمله أبو مرثد الغنويّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

(٣) كان المسلمون قد بنوا حوضًا خلف الجيش ليشربوا منه.

وانطلق الأسود تجاه الحوض متحدّيًا ومستخفًّا بمكان المسلمين، فيا ترى من الذي سيتصدى لهذا الفارس المغرور.

احتبست الأنفاس في الصدور، وإذا بحمزة ينطلق تجاهه كالقذيفة وفي لمح البصر، يضربه ضربة أطاحت بنصف ساقه، فيجالد الأسود لاقتحام الحوض ليبرّ بقسمه، فيعاجله حمزة بضربة أخرى، فقضى عليه، ومرّغ الكبرياء المزيف والغرور المزوّر في الوحل والطين، وأسلمه بيده المباركة إلى النَّار وبئس القرار[١].

قَالَ الأمويّ: فحَميَ عند ذلك عُتبة بنُ رَبيعة، وأراد أن يُظهر شجاعتَهُ، فبَرز بين أخيه شَيبة وابنِهِ الوليد، فلمّا تَوسَّطُوا بين الصَّفين دَعَوا إلى البِرازِ، فَخَرج إليهم فتيةٌ من الأنصار ثلاثةٌ وهم: عَوفٌ ومُعَوِّذٌ ابنا الحارث، وأمُّهما عَفراءُ، والثالثُ عبدُ الله بن رَواحة فيما قيل، فقالوا: مَن أنتم؟ قالوا: رَهطٌ مِن الأنصار، فقالوا: ما لنا بكم مِن حاجةٍ، وفي رواية: فقالوا: أكفاءٌ كِرامٌ، ولكن أخرِجُوا إلينا من بني عَمِّنا، ونادى مناديهم: يا مُحمدُ أخرج إلينا أكفاءَنَا مِن قَومِنا، فقال النبي ﷺ: «قُم يَا عُبَيدَةُ بنَ الحَارِثِ، وَقُم يَا حَمزَةُ، وَقُم يَا عَلِيُّ»[٢].

وعند الأُمَويّ: أنَّ النَّفر من الأنصار لـمَّا خَرجُوا، كَرِه ذلك رسول الله ﷺ لأنه أول موقف واجه فيه رسول الله ﷺ أعداءَه، فأحبَّ أن يكونَ أولئك من عشيرته، فأمرَهم بالرُّجوع، وأمر أولئك الثلاثة بالخروج.

قال ابن إسحاق: فَلَمَّا دَنَوا منهم قالوا: مَن أنتم؟ وفي هذا دليلٌ أنَّهم كانوا مُلبَّسين لا يُعرفُون من السلاح، فقال عُبيدة: عُبيدةُ، وقال حمزةُ: حمزةُ، وقال عليٌّ: عليٌّ. قالوا: نعم، أكفاءٌ كِرامٌ، فبارَزَ عُبيدةُ - وكان أسَنَّ القوم - عُتبةَ، وبَارز حَمزة شَيبة، وبارَزَ عليٌّ الوليدَ بن عُتبةَ.

فأمَّا حمزةُ فلم يُمهِل شَيبة أن قَتَلهُ، وأمَّا عليٌّ فلم يُمهِلِ الوليدَ أن قَتَلهُ، واختَلف عُبيدةُ وعُتبةُ بينَهما بِضَربَتين كِلاهما أثبَتَ صاحبَهُ، وكَرَّ حمزةُ وعليٌّ بأسيافِهما على عُتبة

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (٣/ ٢٨٩)، وكان الأسود كما قَالَ ابن إسحاق: رجلاً شرسًا سيئ الخُلق.
(٢) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٣٥٦)، وأبو داود (٢٢٦٥)، وغيرهما.

فَذَفَّفا عليه، واحتَمَلا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما، رَضِي الله عَنهُ.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي مجلز عَن قَيسُ بنُ عُبَادٍ، عن أبي ذَرٍّ أَنَّهُ كان يُقسمُ قَسَمًا أنَّ هذه الآية ﴿هَذَانِ خَصمَانِ اختَصَمُوا فِي رَبِّهِم﴾ [الحج: ١٩]، نَزلَت في حمزةَ وصاحبيهِ، وعُتبة وصاحِبيه، يَوم بَرَزُوا في بدرٍ، هذا لفظ البخاريِّ في تفسيرها.

وقال البخاريُّ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بنُ مِنهَالٍ، حَدَّثَنَا مُعتَمِرُ بنُ سُلَيمَانَ، قَالَ: سَمِعتُ أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مِجلَزٍ، عَن قَيسِ بنِ عُبَادٍ، عَن عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: أَنَا أَوَّلُ مَن يَجثُو بَينَ يَدَي الرَّحمَنِ لِلخُصُومَةِ يَومَ القِيَامَةِ.

قَالَ قَيسٌ وَفِيهِم نَزَلَت: ﴿هَذَانِ خَصمَانِ اختَصَمُوا فِي رَبِّهِم﴾: قَالَ هُم الَّذِينَ بَارَزُوا يَومَ بَدرٍ عَلِيٌّ وَحَمزَةُ وَعُبَيدَةُ وَشَيبَةُ بنُ رَبِيعَةَ وَعُتبَةُ بنُ رَبِيعَةَ وَالوَلِيدُ بنُ عُتبَةَ. تفردَّ به البخاريُّ[1].

اللقطة الثالثة: جهاده يوم أُحُد، واستشهاده:

ولما التقط المشركون أنفاسهم، أجمعوا أمرهم عَلَى ملاقاة المسلمين في غزوة أخرى لمحو عار الهزيمة وإطفاء نار الحقد التي اشتعلت في أفئدتهم حنقًا عَلَى الإسلام وأهله، فأعدوا عدتهم، وخرجوا لملاقاة المسلمين، والتقى الجمعان في أُحُد، وجندوا وحشيّ بن حرب لمهمة واحدة، هي قتل حمزة، فإن قتله فهو حُرّ طليق، فأخذ وحشيٌّ حربته، وخرج وها هُوَ يختفي خلف شجرة، يراقب سير القتال عن كَثَب، ويراقب تحركات حمزة في أرض المعركة.

ونترك ابن إسحاق رحمه الله يكمل لنا المسيرة فيقول: «وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطأة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء، وكذلك قتل عثمان بن أبي طلحة وهو حامل اللواء، فحمل عليه حمزة فقتله، ثم مرّ به سباع بن عبد العزى الغُبشاني وكان يكنى بأبي نيار فقال حمزة: هلم إليَّ يا ابن مقطّعة البظور، وكانت أُمّه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكانت خَتَّانة بمكة، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله.

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٢٩٠).

فقال وحشيّ غلام جبير بن مطعم: والله إني لأنظر لحمزة يهدّ[١] الناس بسيفه ما يليق[٢] شيئًا يمر به مثل الجمل الأورق إذ قد تقدمني إليه سِباع، فقال حمزة: هلم يا ابن مقطعة البظور فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه، وهززت حربتي حتى إذا رضيتُ منها دفعتها عليه فوقعت في ثُنَّته[٣] حَتَّى خرجت من بين رجليه، فأقبل نحوي فغُلب فوقع، وأمهلتُه حتى إذا مات جئتُ فأخذتُ حَربتي ثم تنحّيتُ إلى العسكر، ولم يكن لي بشيء حاجة غيره، إنما قتلته لأُعتق.

فلمّا قدمت مكّة عُتقت، ثم أقمتُ حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف فمكثت بها، فلمّا خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيَّت عليّ المذاهب، فقلتُ: ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد، فوالله إني لفي ذلك من همّي إذ قال لي رجل: ويحك إنه والله لا يقتل أحدًا من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحق.

قَالَ: فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة فلم يرعه إلا بي قائما على رأسه أشهد شهادة الحق، فلما رآني قَالَ لي: «أَوَحشيّ أنت؟» قلت: نعم يا رسول الله، قَالَ: «**اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟**».

فلمّا حدثته قَالَ له ﷺ: «**ويحك غيِّب عنِّي وجهك فلا أرينّك**».

يقول وحشيّ: فكنت أتنكب برسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله عَزَّ وَجَلَّ فلمّا خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجتُ معهم وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة، فلمّا التقى الناس ورأيت مسيلمة قائمًا وبيده السيف، وما أعرفه فتهيأت له وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كلانا يريده فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه وشد عليه الأنصاري بالسيف، فربّك أعلم أيّنا قتله، فإن كنتُ قتلته فقد قتلتُ خير الناس بعد

---

(١) يهدّ: يسرع في قطع لحوم النَّاس بسيفه.

(٢) ما يليق: ما يبقى.

(٣) ثنته: ما بين أسفل البطن إلى العانة.

رسول الله ﷺ وقتلتُ شرّ النَّاس»[١].

قَالَ ابن إسحاق: «ووقعت هند بنت عُتبة - كما حَدَّثني صالح بن كيسان - والنّسوة اللائي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدّعن[٢] الآذان والأنوف، حَتَّى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدَمًا[٣] وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وَحشيًّا، وبقرت[٤] عن كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها[٥] فلفظتها».

عباد الله...

وخرج رسول الله ﷺ بعد انتهاء المعركة يلتمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده ببطن الوادي قَد بقر بطنه عن كبده، ومثّل به، فجدع أنفه وأذناه، فقال رسول الله ﷺ: **«لولا أن تحزن صفيّة[٦] وتكون سُنَّة من بعدي لتركته حَتَّى يكون في بطون السِّباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله عَلَى قريش في موطن من المواطن لأمثلنّ بثلاثين رجلًا منهم»**.

فلما رأى المسلمون حُزن رسول الله ﷺ وغيظه عَلَى مَن فعل بِعمّه مَا فَعل قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يومًا من الدهر لنمثلنَّ بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب.

قال ابن إسحاق: فحدثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب، وحدثني من لا أتهم عن ابن عباس: أن الله أنزل في ذلك: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُم فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُم لَـهُوَ خَيرٌ لِّلصَّابِرِينَ**﴾ [النحل: ١٢٦]. قال فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المُثلة.

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٣/ ٢٧ - ٢٩)، ورجاله ثقات، وصرح ابن إسحاق بالتحديث، والحديث في البخاريّ من حديث جعفر بن عمرو بن أميّة الضمري.

(٢) **يجدعن**: يقطعنّ.

(٣) **خدمًا**: جمع خدم، وهي الخلخال.

(٤) **بقرت**: شقت.

(٥) **تسيغها**: تبتلعها.

(٦) أُخت حمزة - رَضِي الله عَنْهما -.

وفي رواية: ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَهُيِّءَ إِلَى القِبلَةِ، ثُمَّ كَبَّرَ عَلَيهِ تِسعًا، ثُمَّ جَمَعَ عَلَيهِ الشُّهَدَاءَ كُلَّمَا أُتِيَ بِشَهِيدٍ وُضِعَ إِلَى حَمزَةَ فَصَلَّى عَلَيهِ، وَعَلَى الشُّهَدَاءِ مَعَهُ، حَتَّى صَلَّى عَلَيهِ وَعَلَى الشُّهَدَاءِ اثنَتَينِ وَسَبعِينَ صَلاةً، ثُمَّ قَامَ عَلَى أَصحَابِهِ حَتَّى وَارَاهُم، وَلَمَّا نَزَلَ القُرآنُ عَفَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَجَاوَزَ وَتَرَكَ المُثلَ[1].

حَدَّثَنِي أَبُو العَالِيَةِ عَن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ قال: أَنَّهُ أُصِيبَ يَومَ أُحُدٍ مِن الأَنصَارِ أَربَعَةٌ وَسِتُّونَ وَأُصِيبَ مِن المُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ وَحَمزَةُ، فَمَثَّلُوا بِقَتلَاهُم، فَقَالَت الأَنصَارُ: لَئِن أَصَبنَا مِنهُم يَومًا مِن الدَّهرِ لَنُربِيَنَّ عَلَيهِم، فَلَمَّا كَانَ يَومُ فَتحِ مَكَّةَ نَادَى رَجُلٌ مِن القَومِ لَا يُعرَفُ: لَا قُرَيشَ بَعدَ اليَومِ، فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿**وَإِن عَاقَبتُم فَعَاقِبُوا بِمِثلِ مَا عُوقِبتُم بِهِ**﴾ [النحل: ١٢٦] الآيَةَ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «**كُفُّوا عَن القَومِ**»[2].

وقال الإمام القرطبيّ: أطبق جمهور أهل التفسير أن هذه مدنيّة، نزلت في شأن التمثيل بحمزة في يوم أُحُد[3].

عباد الله...

وقد يسأل سائل: هل الصلاة عَلَى الشَّهيد واجبة؟

والجواب عن هذا السؤال سيأتي بعد قليل إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه الطبراني في «الكبير» برقم (١١٠٥١)، وانظر «المقبول من أسباب النزول» د. أبو عمر نادي الأزهري (٤٣٥).

(٢) **حسن صحيح الإسناد**: أخرجه الترمذي (٣٣٤٩)، وقال الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٥٠١): حسن صحيح الإسناد.

(٣) «تفسير القرطبي» (١٠/ ١٨٢).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فقد ورد في الحديث السابق: أنَّ النبيّ ﷺ صلَّى عَلَى شهداء أُحُد، وعلى حمزة رضي الله عنهم، اثنين وسبعين صلاة.

فَعَنِ ابنِ مَسعُودٍ - رَضِي الله عَنهُ -: «أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَومَ أُحُدٍ خَلفَ المُسلِمِينَ يُجهزنَ عَلَى جَرحَى المُشرِكِينَ، فَلَو حَلَفتُ يَومَئِذٍ رَجَوتُ أَن أَبَرَّ إِنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ مِنَّا يُرِيدُ الدُّنيَا حَتَّى أَنزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**مِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنيَا وَمِنكُم مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنهُم لِيَبتَلِيَكُم**﴾ [آل عمران: ١٥٢]، فَلَمَّا خَالَفَ أَصحَابُ النَّبِيِّ ﷺ وَعَصَوا مَا أُمِرُوا بِهِ أُفرِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي تِسعَةٍ سَبعَةٍ مِنَ الأَنصَارِ وَرَجُلَينِ مِن قُرَيشٍ وَهُوَ عَاشِرُهُم فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: «**رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً رَدَّهُم عَنَّا**».

قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنصَارِ فَقَاتَلَ سَاعَةً حَتَّى قُتِلَ فَلَمَّا رَهِقُوهُ أَيضًا قَالَ: «**يَرحَمُ اللَّهُ رَجُلاً رَدَّهُم عَنَّا**». فَلَم يَزَل يَقُولُ ذَا حَتَّى قُتِلَ السَّبعَةُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِصَاحِبَيهِ: «**مَا أَنصَفنَا أَصحَابَنَا**».

فَجَاءَ أَبُو سُفيَانَ فَقَالَ: اعلُ هُبَلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قُولُوا اللَّهُ أَعلَى وَأَجَلُّ**». فَقَالُوا: اللَّهُ أَعلَى وَأَجَلُّ.

فَقَالَ أَبُو سُفيَانَ: لَنَا عُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُم. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قُولُوا اللَّهُ مَولاَنَا وَالكَافِرُونَ لاَ مَولَى لَهُم**».

ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفيَانَ: يَومٌ بِيَومِ بَدرٍ، يَومٌ لَنَا وَيَومٌ عَلَينَا، وَيَومٌ نُسَاءُ وَيَومٌ نُسَرُّ، حَنظَلَةُ بِحَنظَلَةَ، وَفُلاَنٌ بِفُلاَنٍ، وَفُلاَنٌ بِفُلاَنٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ سَوَاءَ أَمَّا قَتلاَنَا فَأَحيَاءٌ يُرزَقُونَ وَقَتلاَكُم فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ**».

قَالَ أَبُو سُفيَانَ: قَد كَانَت فِي القَومِ مُثلَةٌ، وَإِن كَانَت لَعَن غَيرِ مَلإٍ مِنَّا مَا أَمَرتُ وَلاَ نَهَيتُ وَلاَ أَحبَبتُ وَلاَ كَرِهتُ وَلاَ سَاءَنِي وَلاَ سَرَّنِي.

قَالَ: فَنَظَرُوا فَإِذَا حَمزَةُ قَد بُقِرَ بَطنُهُ وَأَخَذَت هِندُ كَبِدَهُ فَلاَكَتهَا فَلَم تَستَطِع أَن تَأكُلَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَأَكَلَت مِنهُ شَيئاً؟». قَالُوا: لاَ. قَالَ: «**مَا كَانَ اللَّهُ لِيُدخِلَ شَيئاً مِن حَمزَةَ النَّارَ**».

فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَمزَةَ فَصَلَّى عَلَيهِ وَجِيءَ بِرَجُلٍ مِنَ الأَنصَارِ فَوُضِعَ إِلَى جَنبِهِ فَصَلَّى عَلَيهِ، فَرُفِعَ الأَنصَارِيُّ وَتُرِكَ حَمزَةُ، ثُمَّ جِيءَ بِآخَرَ فَوَضَعَهُ إِلَى جَنبِ حَمزَةَ فَصَلَّى عَلَيهِ، ثُمَّ رُفِعَ وَتُرِكَ حَمزَةُ، حَتَّى صَلَّى عَلَيهِ يَومَئِذٍ سَبعِينَ صَلاَةً»[1]. تفرَّد به أحمدُ.

وقد ورد ما يفيد أن الشهيد لا يُصلَّى عليه:

فَعَن جَابِرٍ - رَضِيَ الله عَنهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ادفِنُوهُم فِي دِمَائِهِم**» يَعنِي يَومَ أُحُدٍ، وَلَم يُغَسِّلهُم.

وفي رواية:

قَالَ ﷺ: «... **أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ، لُفُّوهُم فِي دِمَائِهِم، فَإِنَّهُ لَيسَ جَرِيحٌ يُجرَحُ إِلاَّ جَاءَ جُرحَهُ يَومَ القِيَامَةِ يَدمِي لَونُهُ لَونُ الدَّمِ وَرِيحُهُ رِيحُ المِسكِ**»[2].

وعن أنس - رَضِيَ الله عَنهُ -: «أَنَّ شُهَدَاءَ أُحُدٍ لَم يُغَسَّلُوا وَدُفِنُوا بِدِمَائِهِم وَلَم يُصَلِّ عَلَيهِم غير حمزة»[3].

وظاهر هذه الأحاديث التعارض، ولا تعارض.

قَالَ الألبانيّ - رحمه الله - بعد أن ذكر حديثين فيها دليل عَلَى مشروعية الصلاة عَلَى الشهيد: «ولا يعارض هذان الحديثان بحديث جابر المتقدّم أَنَّهُ ﷺ لم يصلِّ عَلَى شهداء أُحُد، لأَنَّهُ ناف، والمثبت مقدّم عَلَى النافي» ا.هـ[4].

وخلاصة الكلام: أن الصلاة عَلَى الشهيد جائزة بلا وجوب، لأن النبيّ ﷺ لم يصلِّ

---

(١) لهذا الحديث شواهد تحسنه، وأخرجه أحمد (١/ ٤٦٣)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٤٢)، وعبد الرزاق (٦٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٦٥)، وأبو داود (٢/ ٦٠)، والبيهقي (٤/ ١٠)، وغيرهم.

(٣) أخرجه أبو داود (٨٢).

(٤) «أحكام الجنائز» (٢/ ٩٥)، وإسناده حسن أو صحيح.

عَلَى كثير من شهداء الصَّحابة في بدر وغيرها.

وقال ابن القيّم: «والصواب في المسألة أَنَّهُ مخيّر بين الصلاة عليهم وتركها لمجيء الآثار بكل واحد من الأمرين» ا.هـ[١].

عباد الله...

وفي حضن جبل أُحُد ينام جَسَدُ حَمزَة، تغشاه الرحمةُ، ويغمره النور.

وفي الجمعة القادمة نلتقي مع صحابيّ آخر إن شاء الله، فإلى اللقاء.

❁❁❁❁❁

(١) «تهذيب السُّنن» (٤/ ٢٩٥).

الخطبة الخامسة والعشرون

مع النُّعمان بن مُقَرِّن

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فمازال الحديث موصولًا عن الثّلة المباركة من أصحاب رسول الله ﷺ، هذه الثُّلة التي محا اللَّـهُ بها الكُفرَ والعار، وأنقذ بها خلقًا كثيرًا من النار دارِ البوار.

ونحن اليوم عَلَى موعدٍ مع قائدٌ مباركٌ من قادة الفتح الإسلامي.

مع الشهيد البطل «النعمان بن مُقرِّن» رَضِي الله عَنهُ.

فمن هُوَ النُّعمان؟ وما هي قصة حياته واستشهاده؟

هُوَ النُّعمان بن مُقَرِّن، وقيل: النعمان بن عمرو بن مُقَرِّن بن عائذ بن ميجا بن هُجير ابن نصر بن حُبَشِيَّة بن كعب بن عبد بن ثور بن هُدمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن

أُدّ بن طابخة المزنيّ.

وولدُ عثمان هم: مُزَينة، نسبةً إلى أُمّهم.

يُكنَى أبا عمرو، وقيل: أبو حكيم، وكان معه لواء مُزينة يوم الفتح[1].

قَالَ عنه الإمام الذهبيّ - رحمه الله -: «وكان مُجاب الدَّعوة» ا.هـ[2].

عباد الله...

وفي رجب سنة خمس، كان أوّل مَن وفد عَلَى رسول الله ﷺ من مضر أربعمائة فارس من مزينة، وعلى رأسهم النُّعمان، ومعه إخوته: نعيم، وعبد الله، وسنان، وسويد، وعبد الرحمن، وعقيل، ومعقل، ومرضي، وضرار، وكلّهم أسلم.

وانضوى الجميع تحت راية التوحيد، يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله تعالى.

وترك النُّعمان بصمته الواضحة في تاريخ المجاهدين، فلا يكاد الإنسان يفتح كتابًا في المغازي إلَّا ويرى اسم هذا المجاهد يتلألأ ويشع منه النور والإخلاص.

وكان أول مشاهد النُّعمان وإخوته غزوة الخندق، وشهد بقيّة المشاهد، ورافق النبيَّ ﷺ إلى بيت الله الحرام معتمرًا عمرة القضاء، وكحّل عينيه بأنوار البيت الحرام، وتشبّعت روحه المتوثّبة بالإيمان والإسلام إلى الجهاد في سبيل الله، ولما كان يوم الفتح - فتح مكَّة - وقد وقف العباس بن عبد المطلب - رَضِيَ الله عَنهُ - بأبي سفيان - صخر ابن حرب بن أميّة - عند مرّ الظهران، حسبما أمره رسول الله ﷺ ليرى قوة جيوش الإسلام المتدفقة كالسيل فيكون ذلك أنكى في نفسه وأشدّ تأثيرًا، لعلّه يرجع إلى قومه في مكَّة ينذرهم ويحذّرهم ويدعوهم إلى السّلم.

في تلك اللحظات، كان أبو سفيان[3] كلّما مرّت به طائفة من جند المسلمين، في راياتها وسلاحها يسأل عنها العباس فيجيبه، حَتَّى مرّت «مزينة» يتقدّمها النُّعمان، فقال

(١) «أسد الغابة» (٥/ ٣٠٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٥٧).

(٣) قبل إسلامه.

أبو سفيان: ومَن هؤلاء يا أبا الفضل؟ فأجاب العباس: هذه «مزينة»، فقال أبو سفيان وهو يتجرّع الغصص: ما لي ولمزينة، ما لي ولمزينة؟!

وتم الفتح العظيم[١].

وكان النُّعمان معه لواء مزينة يوم فتح مكّة[٢]، وقد شهد الفتح من «مزينة» ألف وثلاثة نفر[٣] أي: عُشر قوات المسلمين يوم الفتح.

وقد لازم النُّعمان وإخوته ومن معه من قبيلته المدينة المنوّرة وأقاموا بها، لا يَرون بديلًا عن قربهم من رسول الله ﷺ.

لم يكونوا عالة عَلَى النَّاس، بل كانوا طليعة من طلائع الجيش الإسلامي إلى جانب الأنصار والمهاجرين، وعدّة يُحسب لها ألف حساب، فإذا ما دعا الداعي كانوا في المقدّمة[٤].

عباد الله...

وظل النُّعمان وإخوته بجوار النبيّ ﷺ لا يتخلفون عن غزوة، ولا يقعدون عن قتال، وفي نفس الوقت يشاهدون آيات التنزيل، يحملون عن النبيّ الأمين ﷺ علمًا مباركًا.

ولما انتقل الرسولُ ﷺ إلى الرفيق الأعلى، واشرأبت أعناقُ الفتن، وارتدت قبائلُ عَلَى دين الله، وظهر أدعياءُ النبوّة كمسيلمة الكذاب - ادعى النبوة في عهد رسول الله ﷺ واشتد أمره بعد وفاة الرسول ﷺ - والأسود العنسيّ، وسجاح، وجيشوا الجيوش، وأعدوا العدّة للقضاء عَلَى الإسلام، واستئصال شأفته.

ثبت أبناءُ مُقرن وعلى رأسهم النُّعمان، وسطروا أروع آيات الجهاد والاستشهاد، فأخمد الله بهم أنفاسَ الباطل، وخَضَّد بسيوفهم شوكة المرتدين، وأزهق بإخلاصهم

---

(١) «النعمان بن مقرن» للأستاذ محمد علي قطب (٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٥٦).

(٣) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٤٢).

(٤) «النعمان بن مقرن» للأستاذ محمد علي قطب (٩).

وجهادهم أرواح المعاندين.

وهذه لقطاتٌ حيّة من حياة النُّعمان الجهاديّة:

اللقطة الأولى: اشتراكه في محاربة المرتدين:

حين ظن المرتدون من عبس وذبيان ومن انضم إليهم من بني كنانة وغطفان وفزارة، الوهن بالمسلمين بالمدينة، بات الصِّدِّيق ليلة يتهيأ، فعَبّأ النَّاس ثُمَّ خرج في الثلث الأخير من الليل، وعلى ميمنته النعمان وعلى ميسرته أخوه عبد الله، وعلى الساقة أخوه سويد بن مقرن، فما طلع الفجر إلَّا وهُم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين همسًا ولا حسًّا حَتَّى وضعوا فيهم السيوف قبل شروق الشمس، ولم تشرق الشمس حَتَّى هزم المشركون وذلوا، وطاردهم أبو بكر حَتَّى نزل بذي القصّة ووضع فيها حامية من المسلمين بقيادة النعمان وعاد إلى المدينة[١].

اللقطة الثانية: جهاده في القادسيّة:

أرسل سعد بن أبي وقاص وفدًا إلى يزدجر ملك الفرس عملًا بوصية عُمَر رَضِيَ الله عَنهُ: «لا يكربنك ما يأتيك عنهم، واستعن بالله، وتوكل عليه، وابعث إليه رجالًا من أهل المناظرة والرأي والجلد، يدعونه فإن الله جاعل دعاءهم توهينًا لهم».

أرسل سعد نفرًا منهم: النعمان بن مقرن، وبُسر بن أبي رُهم، وحملة بن جُوية، وحنظلة بن الربيع، وفرات بن حيّان، وعديّ بن سهيل، وعطارد بن حاجب، والمغيرة ابن زرارة بن النبّاش الأسديّ، والأشعث بن قيس، والحارث بن حسان، وعاصم بن عمرو، وعمرو بن معديكرب، والمغيرة بن شعبة، والمعني بن حارثة، إلى يزدجر دعاةً.

فخرجوا من العسكر فقدموا عَلَى يزدجرد، وطووارشيم، واستأذنوا عَلَى يزدجرد فحُبسوا وأحضر وزراءه ورستم معهم، واستشارهم فيما يصنع بهم وبقوله لهم، واجتمع النَّاس ينظرون إليهم وتحتهم خيول كلها صهال، وعليهم البرود وبأيديهم السياط فأذن لهم وأحضر الترجمان، وقال لهم: سَلهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوغ ببلادنا؟ أمِن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟

---

(١) «الطبري» (٢/ ٤٧٨).

فقال النعمان بن مقرن لأصحابه: إن شئتم تكلمتُ عنكم ومن شاء آثرته.

فقالوا: بل تكلم.

فقال: «إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولًا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر، ووعدنا عَلَى إجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يدع قبيلة إلا وقاربه منها فرقة، وتباعد عنه بها فرقة، ثُمَّ أمر أن نبتدئ إلى مَن خالفه من العرب فبدأنا بهم فدخلوا معه عَلَى وجهين، مكره عليه فاغتبط، وطائع فازداد، فعرفنا جميعًا فضل ما جاء به عَلَى الذي كنا عليه من العداوة والضيق، ثُمَّ أمرنا أن نبتدئ مَن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حَسّن الحسن، وقبّح القبح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هُوَ أهو من آخر شرٌّ منه: الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه عَلَى أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن بذلتم الجزاء قبلنا، ومنعناكم وإلا قاتلناكم».

فتكلم يزدجرد فقال: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددًا ولا أسوأ ذات بين منكم، قَد كنا نوكل بكم قوى الضواحي فيكفونا أمركم لا تغزوكم فارس، ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس فإذا كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتًا إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم، وكسوناكم وملّكنا عليكم ملكًا يرفق بكم.

وبعد أن تكلم رجال الوفد قَالَ يزدجرد: لولا أن الرُّسُل لا تقتل لقتلتكم لا شيء لكم عندي، ثُمَّ استدعى بوقر[1] من تراب فقال: احملوه عَلَى أشرف هؤلاء ثُمَّ سوقوه حَتَّى يخرج من باب المدائن، فقام عاصم بن عُمَر وأخذ التراب وحمله عَلَى عنقه، وركب راحلته حَتَّى أتى هُوَ والوفد سعد، فقال عاصم لسعد: «أبشر، فوالله لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم».

ولقد أثر هذا اللقاء في يزدجرد أشد تأثير فقال لرستم ومن حضر عنده من ساباط: «ما كنت أرى أن في العرب مثل هؤلاء، ما أنتم بأحسن جوابًا منهم، ولقد

---

(١) **الوقر**: الحمل الثقيل.

صدقني القوم لقد وُعِدُوا أمرًا ليدركنّه أو ليموتنّ عليه»[١].

اللقطة الثالثة: فتحه لِرَام هُرمُز:

كان فتح رامهرمز، وتُستَر، والسوس في سنة سبع عشرة.

وكان سبب فتحها أنّ يزدجرد لم يزل وهو بمرو يثير أهل فارس أسفًا على ما خرج من ملكهم فتحركوا وتكاتبوا هم وأهل الأهواز وتعاقدوا على النُّصرَة فجاءت الأخبار إلى عمر بالخبر، فكتب عمر إلى سعد: «أن ابعث إلى الأهواز جندًا كثيفًا مع النعمان بن مُقَرن وعَجَل. فلينزلوا بإزاء الهرمزان ويتحققوا أمره»، وكتب إلى أبي موسى: «أن ابعث إلى الأهواز جُندًا كثيفًا وأمّر عليهم سهل بن عدي أخا سهيل، وابعث معه البَرَاء بن مالك؛ ومجزأة بن ثور، وعرفجة بن هرثمة. وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعًا أبو سبرة ابن أبي رُهم.

فخرج النعمان بن مقرّن في أهل الكوفة فسار إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل فخلف حرقوصًا، وسلمى؛ وحرملة وسار نحو الهرمزان وهو برامهُرمز، فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره بالشدّة ورجا أن يقتطعه ومعه أهل فارس، فالتقى النعمان والهرمزان فاقتتلوا قتالاً شديدًا، ثم إنَ الله عَزَّ وَجَلَّ هزم الهرمزان فترك رامهرمز ولحق بتُستَر، وسار النعمان إلى رامهرمز ونزلها وصعد إلى إيذج[٢] فصالحه تيرويه على «إيذج» ورجع إلى رامهرمز فأقام بها، ووصل أهل البصرة فنزلوا سوق الأهواز وهم يريدون رامهرمز فأتاهم خبر الوقعة وهم بسوق الأهواز، وأتاهم الخبر أنّ الهرمزان قد لحق بتستر فساروا نحوه، وسار النعمان أيضاً، وسار حرقوص، وسلمى، وحرملة؛ وجزء فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس، والجبال، والأهواز في الخنادق، وأمدهم عمر بأبي موسى وجعله على أهل البصرة، وعلى الجميع أبو سبرة فحاصروهم أشهرًا وأكثروا فيهم القتل حَتَّى كان النصر، وسلّم الهرمزان نفسه للمسلمين عَلَى أن يقرِّر مصيره عُمَر بن الخطاب بنفسه[٣].

---

(١) «الكامل» (١/ ٣٠٥، ٣٠٦).
(٢) كورة وبلد بين خوزستان وأصفهان.
(٣) «الكامل» (١/ ٣٨٩، ٣٩٠).

وخرج أبو سبرة لمطاردة المنهزمين إلى مدينة «السوس» [١] وبها شهريار أخو الهرمزان وكان مع أبي سبرة النعمان بن مقرن عَلَى أهل الكوفة، وأبو موسى الأشعري، وبقي النعمان محاصر «السوس» حَتَّى جاء أمر عُمَرَ إلى النعمان بالمُضي إلى «نهاوند»، فناوشهم القتال قبل مسيره، فصاح أهلها بالمسلمين وناوشوهم وغاظوهم، وكان صاف بن صياد مع المسلمين في خيل النعمان فأتى صاف باب السوس فدقّه بزجله فقال: انفتح بظار وهو غضبان، فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق، وتفتحت الأبواب ودخل المسلمون، وألقى المشركون بأيديهم، ونادوا الصلح الصلح، فأجابهم إلى ذلك المسلمون بعد ما دخلوها عنوة، واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح، ثم افترقوا، فسار النعمان إلى نهاوند، وسار المقترب حتى نزل على «جنديسابور» مع زر [٢].

اللقطة الرابعة: جهاده في «نهاوند» واستشهاده:

كان هروب ملك الفرس يَزدجرد من مكان إلى مكان، وإثارته للناس، مدعاة لإطالة أمد الحرب بين المسلمين وأهل فارس، واستنزاف طاقتهم وقدراتهم، لكن أمير المؤمنين عُمَر - رَضِيَ الله عَنهُ - بما أُوتيه من إيمان وفهم وعلم وبُعد نظر، كان يأمر بعدم الانسياح في بلاد فارس والتوسّع فيها، خشية عَلَى دماء المسلمين وأرواحهم، وهو يرى في الوقت نفسه تتابع المعارك والحروب.

وقد خطر في باله - وهو المؤمن الصادق - أن هناك خللًا في تطبيقات الفتح وقواعد أصوله من قِبَل المسلمين، فقال ذات يوم لوفد من البصرة: لعلّ المسلمين يُفضون إلى أهل الذمّة بأذى؟ فقالوا: ما نعلم إلَّا وفاء وحسن ملكه.

فقال عُمَر: فما بالهم ينتقضون؟

فسكتوا جميعًا، إلَّا الأحنف بن قيس قَالَ: يا أمير المؤمنين أخبرك، أنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد، وأمرتنا بالاقتصار عَلَى ما في أيدينا، وأن ملك فارس يزدجرد حيّ بين أظهرهم، وأنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم، وإن ملكهم هُوَ الذي

---

(١) بلدة بخوزستان.

(٢) «الكامل» (٢/ ٣٩٢، ٣٩٣).

يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حَتَّى تأذن لنا فنسيح في بلادهم ونبحث عن ملكهم، ونخرجه من مملكته وعِزّ أمته، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس.

فقال عُمَر - رَضِيَ اللهُ عَنهُ -: صدقتني والله، وشرحت لي الأمر عَلَى حقّه. وتباحث وتشاور عُمَر مع كبار الصَّحابة فيمن يوليه هذا الأمر الجلل، وأبدى كلّ رأيه.

ثُمَّ قالوا: أنت أفضلنا رأيًا وأحسن تقديرًا، فقال: أما والله لأوَلِّينّ أمرهم رجلًا ليكوننّ أوّل الأسنّة إذا لقيها غدًا.

فقيل: مَن يا أمير المؤمنين؟

فقال: النُّعمان بن مقرن.

فقالوا: هُوَ لها» ا.هـ[١].

عباد الله...

وكتب عُمَر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - إلى النُّعمان: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله (عُمَر) أمير المؤمنين إلى (النُّعمان بن مقرّن) سلام عليكم، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هُوَ، أما بعد.. فإنه بلغني أن جموعًا من الأعاجم كثيرة وقد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فاذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين، ولا توطئنهم وَعَرًا فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلهم غيضة[٢] فإن رجلا من المسلمين أحب إليَّ من مائة ألف دينار، والسلام عليك».

ثُمَّ كتب لأهل الكوفة أن يوافوا النُّعمان وعليهم حُذيفة بن اليمان، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن يسير بأهل البصرة، وأرسل إليه جموعًا من أهل المدينة فيهم ابنه عبد الله بن عُمَر.

ثُمَّ كتب للنُّعمان: «إن حدث بك حدثٌ فعلى النَّاس حُذيفة بن اليمان، فإن حدث لحذيفة حدث فعلى النَّاس نُعيم بن مقرن».

---

(١) «النعمان بن مقرّن» للأستاذ محمد علي قطب (٣٠، ٣١).

(٢) الغيطة: مجتمع الشجر في مغيض الماء.

وتحرك الجيش الإسلامي تجاه نهاوند، وتحصّن الفرس في حصون منيعة، وبدأ التناوش من بعيد، فرأى المسلمون أن طول مدة الحصار له خسارته، فاجتمعوا في خيمة النُّعمان، فقال طليحة بن خويلد[١]: أرى أن تبعث خيلًا لينشبوا القتال، فإذا اختلطوا بهم رجعوا إلينا استطرادًا[٢]، فإنا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم، فإذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حَتَّى يقضي الله فينا ما أحب.

فاستحسن النعمان وباقي القادة رأي طليحة، واتفقوا عَلَى تفاصيل الخطة وأبعادها، وكان الوقت قَد قارب الفجر، وأرسل النعمان أحد قادته الفرسان «القعقاع ابن عُمَر التميمي»[٣] عَلَى رأس الخيل، حَتَّى دقوا أبواب الحصون، فخرج إليهم خيالة الفرس، ونشب القتال بين الطرفين.

ثُمَّ تراجع القعقاع أمامهم بمن معه، فظن الأعاجم أن انسحاب العرب كان نتيجة ضعفهم، فقاموا بمطاردتهم واللحاق بهم، وأغرى هذا التصرف آخرين من الفرس لا يزالون في خنادقهم وحصونهم، فخرجوا يتبعون القعقاع وخيله.

وكان المسلمون عَلَى تعبئتهم الكاملة، وقد أمرهم النعمان أن يثبتوا في أماكنهم، ولا يلتحموا بقتال حَتَّى يأذن لهم.

وأقبل الفرس عليهم يرمونهم بالسهام، وانتظر النعمان حَتَّى تَمَّ خروج الفرس من الحصون، ثُمَّ ركب فرسه، وسار بين صفوف جنده، يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال، ويحرضهم عَلَى الصبر والجهاد ثُمَّ أعلن: «إني مكبر ثلاثًا، فإذا كبَّرتُ الأولى فليتهيأ مَن لم يكن قَد تهيأ، فإذا كبرتُ الثانية، فليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض، فإذا كبرتُ الثالثة فإني حامل إن شاء الله، فاحملوا معي...».

ورفع النعمان يديه إلى السماء ودعا: «اللهُمَّ ارزق النعمان الشهادة بنصر المسلمين، وافتح عليهم» فأمَّنوا.

---

(١) كان - رَضِي الله عَنْهُ - قد عاد للإسلام بعد ارتداده، وحَسُن إسلامه، وقتل شهيدًا.
(٢) أي المهزمين من الفارّين، وهذه خطة قتال العرب.
(٣) قَالَ عنه عمر: لا يغلبن جيش فيه القعقاع.

وهَزَّ لواءه ثلاثًا، ثُمَّ حمل عليهم بجيشه، وهكذا استدرج النعمان أعداءه إلى قرب من العراء خارج حصونهم وخنادقهم، واقتتلوا قتالًا شديدًا، استجاب الله تعالى دعاء ونداء النعمان فكان أول شهيد.

إذ زلقت فرس النعمان في الدِّماء فسقط صريعًا، فبادره أخوه نعيم فسجّاه بثوبه، وأخذ اللواء من يده، ودفعه إلى حُذيفة بن اليمان.

وأخفى نعيم خبر استشهاد أخيه عن الجند حَتَّى لا يؤثر ذلك في معنوياتهم، واستمر المسلمون في القتال حسب الخطة.

وحين أقبل الليل كانت قوات الفرس قَد أصيبت بالهزيمة، وطاردهم المسلمون في كل ناحية»[١].

قَالَ معقل بن يسار: «رأيت النعمان وبه رمق، فأتيته بماء، فصببت عَلَى وجهه أغسل التراب، فقال: من ذا؟ قلت: معقل، قَالَ: ما فعل النَّاس؟ قلت: فتح الله. فقال: الحمد لله، اكتبوا إلى عُمَر بذلك، وفاضت نفسُهُ رَضِي الله عَنهُ»[٢].

عباد الله...

وهكذا بلغ المسافرُ داره، ونال المشتاق ما تمنّى.

فنم أيُّها الأمير قريرَ العين، فعند الصَّباح يَحمَدُ القومُ السُّرى، وعند الممات يحمد القوم التُّقى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

❊❊❊❊

(١) اقتبستُ معظم هذه الترجمة من كتاب «النعمان بن مقرّن» للأستاذ محمد علي قطب.
(٢) إسناده صحيح: رواه الحاكم (٣/ ٢٩٣).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ولما قدم أحد المسلمين المدينة ليبشّر أمير المؤمنين عُمَر بالنَّصر، وباستشهاد النعمان، قَالَ عُمَر: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، ثُمَّ بكى فنشج حَتَّى بانت فروعُ كتفيه[١]، وخرج إلى النَّاس فنعاه عَلَى المنبر إلى المسلمين وبكى[٢].

عباد الله...

ونختم خطبة اليوم بهذه الكلمات التي كتبها الحافظ ابن كثير - رحمه الله - عن النُّعمان بن مقرّن - رَضِي الله عَنهُ -: «أمير وقعة نهاوند صحابي جليل القدر، فتح الله على يديه فتحا عظيما، ومكّنه من رقاب أولئك العباد، ومكّن به للمسلمين هنالك إلى يوم التناد، ومنحه النصر في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأتاح له بعد ما أراه ما أحبّ شهادة عظيمة، وذلك غاية المراد، فكان ممن قال الله تعالى في حقه في كتابه المبين وهو صراطه المستقيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُم وَأَموَالَـهُم بِأَنَّ لَـهُمُ الـجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقتَلُونَ وَعدًا عَلَيهِ حَقًّا فِي التَّورَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالـقُرآنِ وَمَن أَوفَى بِعَهدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاستَبْشِرُوا بِبَيعِكُمُ الَّذِي بَايَعتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]»[٣].

ولله دَرُّ ابن مسعود - رَضِي الله عَنهُ - حين قَالَ: «إن للإيمان بيوتًا، وللنفاق بيوتًا، وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مُقرِّن»[٤].

رضي الله عن النعمان وأرضاه.

وإلى اللقاء في الجمعة القادمة مع صحابيّ آخر، إن شاء الله.

❁❁❁❁❁

---

(١) «الكامل» (٢/ ٤١٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٥٧).

(٣) «البداية والنهاية» (١٠/ ١٤٩).

(٤) «أسد الغابة» (٥/ ٣٠٥).

الخطبة السادسة والعشرون

مع سلمان الفارسيّ

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فنحن اليوم عَلَى موعدٍ مع رجل اشتاقت الجَنَّةُ إليه.

نحن عَلَى موعد مع «**سلمان الفارسيّ**».

عباد الله...

من هُوَ سلمان؟ وما هي قصّته؟

قَالَ الحافظ ابن عساكر – رحمه الله –: «هو سلمان ابن الإسلام، أبو عبد الله الفارسي سابق الفرس إلى الإسلام، صحب النبيّ ﷺ وخدمه وحدَّث عنه».ا.هـ.

وكان – رَضِيَ الله عَنهُ – يُعرف بسلمان الخير.

وسُئل عن نسبه فقال: «أنا سلمان ابن الإسلام».

أصله من فارس، من رَامُهرمُز[١]، وقيل: إنَّهُ من جَيّ، وهي مدينة بأصفهان، وكان اسمه قبل الإسلام: مابه بن بوذخشان بن مورسلان بن بهبوذان بن فيروز بن سهرك، من ولد آب الملك.

وكان ببلاد فارس مجوسيًّا سادن النار[٢].

وردت في فضائله أحاديث، منها:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِندَ النَّبِيِّ ﷺ فَأُنزِلَت عَلَيهِ سُورَةُ الجُمُعَةِ: ﴿وَآخَرِينَ مِنهُم لَمَّا يَلحَقُوا بِهِم﴾ [الجمعة: ٣].

قَالَ: قُلتُ: مَن هُم يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَلَم يُرَاجِعهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا، وَفِينَا سَلمَانُ الفَارِسِيُّ، وَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلمَانَ ثُمَّ قَالَ: «**لَو كَانَ الإِيمَانُ عِندَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَو رَجُلٌ مِن هَؤُلَاءِ**»[٣].

وسيأتي المزيد بعد قليل إن شاء الله تعالى.

عباد الله...

وكان لإسلام سلمان قصّة عجيبة، يحكيها لنا بنفسه، فيقول:

«كُنتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِن أَهلِ أَصبَهَانَ مِن أَهلِ قَريَةٍ مِنهَا يُقَالُ لَهَا «جَيٌّ»، وَكَانَ أَبِي دِهقَانَ[٤] قَريَتِهِ وَكُنتُ أَحَبَّ خَلقِ اللهِ إِلَيهِ، فَلَم يَزَل بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيتِهِ أَي مُلَازِمَ النَّارِ كَمَا تُحبَسُ الجَارِيَةُ، وَأَجهَدتُ فِي المَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنتُ قَطَنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا لَا يَترُكُهَا تَخبُو سَاعَةً.

قَالَ: وَكَانَت لِأَبِي ضَيعَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشُغِلَ فِي بُنيَانٍ لَهُ يَومًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ إِنِّي قَد شُغِلتُ فِي بُنيَانٍ هَذَا اليَومَ عَن ضَيعَتِي فَاذهَب فَاطَّلِعهَا وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعضِ مَا يُرِيدُ.

---

(١) مدينة قرب خوزستان.

(٢) «أسد الغابة» (٢/ ٤٧٤).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) **الدهقان**: زعيم الفلاحين عند العجم.

فَخَرَجتُ أُرِيدُ ضَيعَتَهُ، فَمَرَرتُ بِكَنِيسَةٍ مِن كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعتُ أَصوَاتَهُم فِيهَا وَهُم يُصَلُّونَ، وَكُنتُ لَا أَدرِي مَا أَمرُ النَّاسِ لِحَبسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيتِهِ، فَلَمَّا مَرَرتُ بِهِم وَسَمِعتُ أَصوَاتَهُم دَخَلتُ عَلَيهِم أَنظُرُ مَا يَصنَعُونَ.

قَالَ: فَلَمَّا رَأَيتُهُم أَعجَبَنِي صَلَاتُهُم وَرَغِبتُ فِي أَمرِهِم، وَقُلتُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيرٌ مِن الدِّينِ الَّذِي نَحنُ عَلَيهِ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكتُهُم حَتَّى غَرَبَت الشَّمسُ، وَتَرَكتُ ضَيعَةَ أَبِي وَلَم آتِهَا. فَقُلتُ لَهُم: أَينَ أَصلُ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: بِالشَّامِ.

قَالَ: ثُمَّ رَجَعتُ إِلَى أَبِي وَقَد بَعَثَ فِي طَلَبِي وَشَغَلتُهُ عَن عَمَلِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَلَمَّا جِئتُهُ قَالَ: أَي بُنَيَّ أَينَ كُنتَ؟ أَلَم أَكُن عَهِدتُ إِلَيكَ مَا عَهِدتُ؟

قَالَ: قُلتُ: يَا أَبَتِ مَرَرتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُم فَأَعجَبَنِي مَا رَأَيتُ مِن دِينِهِم، فَوَاللَّهِ مَازِلتُ عِندَهُم حَتَّى غَرَبَت الشَّمسُ.

قَالَ: أَي بُنَيَّ لَيسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيرٌ مِنهُ.

قَالَ: قُلتُ: كَلَّا وَاللَّهِ، إِنَّهُ خَيرٌ مِن دِينِنَا.

قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجلَيَّ قَيدًا ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيتِهِ. قَالَ: وَبَعَثَت إِلَيَّ النَّصَارَى فَقُلتُ لَهُم: إِذَا قَدِمَ عَلَيكُم رَكبٌ مِن الشَّامِ تُجَّارٌ مِن النَّصَارَى فَأَخبِرُونِي بِهِم.

قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيهِم رَكبٌ مِن الشَّامِ تُجَّارٌ مِن النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخبَرُونِي بِهِم، قَالَ: فَقُلتُ لَهُم: إِذَا قَضَوا حَوَائِجَهُم وَأَرَادُوا الرَّجعَةَ إِلَى بِلَادِهِم فَآذِنُونِي بِهِم.

قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجعَةَ إِلَى بِلَادِهِم أَخبَرُونِي بِهِم، فَأَلقَيتُ الحَدِيدَ مِن رِجلَيَّ ثُمَّ خَرَجتُ مَعَهُم حَتَّى قَدِمتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمتُهَا قُلتُ: مَن أَفضَلُ أَهلِ هَذَا الدِّينِ؟

قَالُوا: الأَسقُفُّ فِي الكَنِيسَةِ.

قَالَ: فَجِئتُهُ فَقُلتُ: إِنِّي قَد رَغِبتُ فِي هَذَا الدِّينِ وَأَحبَبتُ أَن أَكُونَ مَعَكَ أَخدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ وَأَتَعَلَّمُ مِنكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ.

قَالَ: فَادخُل فَدَخَلتُ مَعَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَجُلَ سَوءٍ يَأمُرُهُم بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُم فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيهِ مِنهَا أَشيَاءَ اكتَنَزَهُ لِنَفسِهِ وَلَم يُعطِهِ المَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبعَ قِلَالٍ[١] مِن

---

(١) مفردها: قُلّة.

ذَهَبٍ وَوَرِقٍ.

قَالَ: وَأَبغَضتُهُ بُغضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيتُهُ يَصنَعُ، ثُمَّ مَاتَ فَاجتَمَعَت إِلَيهِ النَّصَارَى لِيَدفِنُوهُ، فَقُلتُ لَهُم: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوءٍ يَأمُرُكُم بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُم فِيهَا فَإِذَا جِئتُمُوهُ بِهَا اكتَنَزَهَا لِنَفسِهِ وَلَم يُعطِ المَسَاكِينَ مِنهَا شَيئًا.

قَالُوا: وَمَا عِلمُكَ بِذَلِكَ؟

قَالَ: قُلتُ: أَنَا أَدُلُّكُم عَلَى كَنزِهِ. قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيهِ.

قَالَ: فَأَرَيتُهُم مَوضِعَهُ، قَالَ: فَاستَخرَجُوا مِنهُ سَبعَ قِلَالٍ مَملُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوهَا قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَدفِنُهُ أَبَدًا، فَصَلَبُوهُ ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ.

قَالَ: يَقُولُ سَلمَانُ: فَمَا رَأَيتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الخَمسَ أَرَى أَنَّهُ أَفضَلُ مِنهُ أَزهَدُ فِي الدُّنيَا وَلَا أَرغَبُ فِي الآخِرَةِ وَلَا أَدأَبُ لَيلًا وَنَهَارًا مِنهُ، قَالَ: فَأَحبَبتُهُ حُبًّا لَم أُحِبَّهُ مَن قَبلَهُ، وَأَقَمتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتهُ الوَفَاةُ فَقُلتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنتُ مَعَكَ وَأَحبَبتُكَ حُبًّا لَم أُحِبَّهُ مَن قَبلَكَ، وَقَد حَضَرَكَ مَا تَرَى مِن أَمرِ اللَّهِ، فَإِلَى مَن تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأمُرُنِي؟

قَالَ: أَي بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعلَمُ أَحَدًا اليَومَ عَلَى مَا كُنتُ عَلَيهِ، لَقَد هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكثَرَ مَا كَانُوا عَلَيهِ إِلَّا رَجُلًا بِالمَوصِلِ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنتُ عَلَيهِ، فَالحَق بِهِ.

قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقتُ بِصَاحِبِ المَوصِلِ فَقُلتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا أَوصَانِي عِندَ مَوتِهِ أَن أَلحَقَ بِكَ، وَأَخبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمرِهِ.

قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِم عِندِي، فَأَقَمتُ عِندَهُ فَوَجَدتُهُ خَيرَ رَجُلٍ عَلَى أَمرِ صَاحِبِهِ، فَلَم يَلبَث أَن مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتهُ الوَفَاةُ قُلتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا أَوصَى بِي إِلَيكَ وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ وَقَد حَضَرَكَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَرَى، فَإِلَى مَن تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأمُرُنِي؟

قَالَ: أَي بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثلِ مَا كُنَّا عَلَيهِ إِلَّا بِنَصِيبِينَ، وَهُوَ فُلَانٌ فَالحَق بِهِ.

وَقَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ فَجِئتُهُ فَأَخبَرتُهُ بِخَبَرِي، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي.

قَالَ: فَأَقِم عِندِي فَأَقَمتُ عِندَهُ فَوَجَدتُهُ عَلَى أَمرِ صَاحِبَيهِ، فَأَقَمتُ مَعَ خَيرِ رَجُلٍ، فَوَاللهِ مَا لَبِثَ أَن نَزَلَ بِهِ المَوتُ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوصَى بِي إِلَى فُلَانٍ ثُمَّ أَوصَى بِي فُلَانٌ إِلَيكَ فَإِلَى مَن تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأمُرُنِي؟

قَالَ: أَي بُنَيَّ وَاللهِ مَا نَعلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمرِنَا آمُرُكَ أَن تَأتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بِعَمُّورِيَّةَ، فَإِنَّهُ بِمِثلِ مَا نَحنُ عَلَيهِ فَإِن أَحبَبتَ فَأتِهِ، فَإِنَّهُ عَلَى أَمرِنَا.

قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ وَأَخبَرتُهُ خَبَرِي، فَقَالَ: أَقِم عِندِي، فَأَقَمتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَديِ أَصحَابِهِ وَأَمرِهِم.

قَالَ وَاكتَسَبتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيمَةٌ، قَالَ ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمرُ اللَّهِ فَلَمَّا حَضَرَ قُلتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنتُ مَعَ فُلَانٍ فَأَوصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ وَأَوصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ ثُمَّ أَوصَى بِي فُلَانٌ إِلَيكَ فَإِلَى مَن تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأمُرُنِي؟

قَالَ: أَي بُنَيَّ وَاللهِ مَا أَعلَمُهُ أَصبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيهِ أَحَدٌ مِن النَّاسِ آمُرُكَ أَن تَأتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَد أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبعُوثٌ بِدِينِ إِبرَاهِيمَ يَخرُجُ بِأَرضِ العَرَبِ مُهَاجِرًا إِلَى أَرضٍ بَينَ حَرَّتَينِ بَينَهُمَا نَخلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخفَى، يَأكُلُ الهَدِيَّةَ وَلَا يَأكُلُ الصَّدَقَةَ، بَينَ كَتِفَيهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِن استَطَعتَ أَن تَلحَقَ بِتِلكَ البِلَادِ فَافعَل.

قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغَيَّبَ، فَمَكَثتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَن أَمكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِن كَلبٍ تُجَّارًا، فَقُلتُ لَهُم: تَحمِلُونِي إِلَى أَرضِ العَرَبِ وَأُعطِيكُم بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيمَتِي هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَم.

فَأَعطَيتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي القُرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِن رَجُلٍ مِن يَهُودَ عَبدًا، فَكُنتُ عِندَهُ وَرَأَيتُ النَّخلَ وَرَجَوتُ أَن تَكُونَ البَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي وَلَم يَحِق لِي فِي نَفسِي، فَبَينَمَا أَنَا عِندَهُ قَدِمَ عَلَيهِ ابنُ عَمٍّ لَهُ مِن المَدِينَةِ مِن بَنِي قُرَيظَةَ فَابتَاعَنِي مِنهُ فَاحتَمَلَنِي إِلَى المَدِينَةِ، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَن رَأَيتُهَا فَعَرَفتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمتُ بِهَا وَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لَا أَسمَعُ لَهُ بِذِكرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِن شُغلِ الرِّقِّ.

ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي رَأسِ عَذقٍ لِسَيِّدِي أَعمَلُ فِيهِ بَعضَ العَمَلِ وَسَيِّدِي جَالِسٌ إِذ أَقبَلَ ابنُ عَمٍّ لَهُ، حَتَّى وَقَفَ عَلَيهِ فَقَالَ فُلَانُ: قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيلَةَ(١) وَاللهِ إِنَّهُم الآنَ لَمُجتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيهِم مِن مَكَّةَ اليَومَ يَزعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

قَالَ: فَلَمَّا سَمِعتُهَا أَخَذَتنِي العُرَوَاءُ(٢) حَتَّى ظَنَنتُ سَأَسقُطُ عَلَى سَيِّدِي.

قَالَ: وَنَزَلتُ عَن النَّخلَةِ فَجَعَلتُ أَقُولُ لِابنِ عَمِّهِ ذَلِكَ مَاذَا تَقُولُ؟ مَاذَا تَقُولُ؟

قَالَ: فَغَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لَكمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا؟ أَقبِل عَلَى عَمَلِكَ.

قَالَ: قُلتُ: لَا شَيءَ، إِنَّمَا أَرَدتُ أَن أَستَثبِتَ عَمَّا قَالَ، وَقَد كَانَ عِندِي شَيءٌ قَد جَمَعتُهُ، فَلَمَّا أَمسَيتُ أَخَذتُهُ ثُمَّ ذَهَبتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ فَدَخَلتُ عَلَيهِ فَقُلتُ لَهُ: إِنَّهُ قَد بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ وَمَعَكَ أَصحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ وَهَذَا شَيءٌ كَانَ عِندِي لِلصَّدَقَةِ فَرَأَيتُكُم أَحَقَّ بِهِ مِن غَيرِكُم.

قَالَ: فَقَرَّبتُهُ إِلَيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصحَابِهِ: «كُلُوا»، وَأَمسَكَ يَدَهُ فَلَم يَأكُل.

قَالَ: فَقُلتُ فِي نَفسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

ثُمَّ انصَرَفتُ عَنهُ فَجَمَعتُ شَيئًا وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ، ثُمَّ جِئتُ بِهِ فَقُلتُ: إِنِّي رَأَيتُكَ لَا تَأكُلُ الصَّدَقَةَ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكرَمتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنهَا وَأَمَرَ أَصحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ.

قَالَ: فَقُلتُ فِي نَفسِي: هَاتَانِ اثنَتَانِ.

ثُمَّ جِئتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الغَرقَدِ، قَالَ: وَقَد تَبِعَ جَنَازَةً مِن أَصحَابِهِ عَلَيهِ شَملَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصحَابِهِ فَسَلَّمتُ عَلَيهِ ثُمَّ استَدَرتُ أَنظُرُ إِلَى ظَهرِهِ هَل أَرَى الخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ استَدَرتُهُ عَرَفَ أَنِّي أَستَثبِتُ فِي شَيءٍ وُصِفَ لِي.

---

(١) بنو قيلة: هما قبيلتا الأوس والخزرج، لقبوا بهذا الاسم نسبة إلى أُمّ لهم تدعى قيلة بنت كاهل.
(٢) أي: القشعريرة.

قَالَ: فَأَلقَى رِدَاءَهُ عَن ظَهرِهِ فَنظَرتُ إِلَى الخَاتَمِ فَعَرَفتُهُ، فَانكَبَبتُ عَلَيهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبكِي.

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَحَوَّل»، فَتَحَوَّلتُ فَقَصَصتُ عَلَيهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثتُكَ يَا ابنَ عَبَّاسٍ.

قَالَ: فَأَعجَبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَن يَسمَعَ ذَلِكَ أَصحَابُهُ.

ثُمَّ شَغَلَ سَلمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدرٌ وَأُحُدٌ.

قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَاتِب يَا سَلمَانُ». فَكَاتَبتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ نَخلَةٍ أُحيِيهَا لَهُ بِالفَقِيرِ وَبِأَربَعِينَ أُوقِيَّةً.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصحَابِهِ: «أَعِينُوا أَخَاكُم»، فَأَعَانُونِي بِالنَّخلِ، الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً[1]، وَالرَّجُلُ بِعِشرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمسَ عَشرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشرٍ - يَعنِي الرَّجُلُ بِقَدرِ مَا عِندَهُ - حَتَّى اجتَمَعَت لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ.

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اذهَب يَا سَلمَانُ فَفَقِّر لَهَا فَإِذَا فَرَغتَ فَأتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ».

فَفَقَّرتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَغتُ مِنهَا جِئتُهُ، فَأَخبَرتُهُ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعِي إِلَيهَا فَجَعَلنَا نُقَرِّبُ لَهُ الوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِه، فَوَالَّذِي نَفسُ سَلمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَت مِنهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ.

فَأَدَّيتُ النَّخلَ وَبَقِيَ عَلَيَّ المَالُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِثلِ بَيضَةِ الدَّجَاجَةِ مِن ذَهَبٍ مِن بَعضِ المَغَازِي فَقَالَ: «مَا فَعَلَ الفَارِسِيُّ المُكَاتَبُ؟».

قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ، فَقَالَ: «خُذ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيكَ يَا سَلمَانُ».

فَقُلتُ: وَأَينَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللهِ مِمَّا عَلَيَّ؟

قَالَ: «خُذهَا فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنكَ».

قَالَ: فَأَخَذتُهَا فَوَزَنتُ لَهُم مِنهَا، وَالَّذِي نَفسُ سَلمَانَ بِيَدِهِ؛ أَربَعِينَ أُوقِيَّةً فَأَوفَيتُهُم حَقَّهُم، وَعُتِقتُ فَشَهِدتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الخَندَقَ، ثُمَّ لَم يَفُتنِي مَعَهُ مَشهَدٌ»[2].

---

(١) الودية: غصن يخرج من النخل فيقطع ثم يغرس.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» برقم (٢٣٦٢٧).

عباد الله...

هذه قصّة إسلام سلمان - رَضِي الله عَنهُ - كما حكاها بنفسه، وفيها فوائد وعظات، منها:

- علوّ همتّه رَضِي الله عَنهُ.
- حرصه عَلَى طلب الحقّ، وهذا شأن أصحاب النفوس الخيّرة.
- سعة علمه.
- فطنته وذكاؤه.
- وفيها: أن الله يهدي بفضله من أراد الهدى.

وانضوى سلمان - رَضِي الله عَنهُ - تحت راية الإسلام، مجاهدًا، وعابدًا، وواعظًا، وزاهدًا.

وبلغ سلمان في الإسلام مكانًا عليًّا، يدلّ عَلَى ذلك:

ما رواه أنس بن مالك - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الجَنَّةَ لَتَشتَاقُ إِلَى ثَلاثَةٍ عَلِيٍّ وَعَمَّارٍ وَسَلمَانَ**»[(١)].

وسُئل عليّ عن سلمان فقال: «عَلِمَ العلم الأوّل، والعلم الآخر، وهو بحر لا ينزف، وهو منَّا أهل البيت»[(٢)].

أيُّهَا المسلمون...

ولا ينسى التاريخُ لسلمان رَضِي الله عَنهُ إشارته بحفر الخندق حول المدينة يوم غزوة الخندق.

لَـمَّا أيقنت الكفار أنها لن تستطيع مغالبة الإسلام إذا حاربته كل طائفة منفردة وأنها ربما تبلغ أملها إذا رمت الإسلام كتلة واحدة، وكان زعماء يهود في جزيرة العرب أبصر من غيرهم بهذه الحقيقة، فأجمعوا أمرهم عَلَى تأليب العرب ضد الإسلام وحشدهم في

---

(١) حسن: حسنه الألباني في«صحيح الجامع» برقم (١٥٩٨).
(٢) «أسد الغابة» (٢/ ٤٧٧).

جيش كثيف ينازل محمدًا ﷺ وصحبه في معركة حاسمة.

وذهب نفر من قادة اليهود إلى قريش يستنفرونهم لحرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حَتَّى نستأصله، وكانت قريش قَد أخلفت عدتها مع النبي عامًا.

وهي لابد خارجة لقتال المسلمين إنقاذًا لسمعتها وبرًا بكلمتها.

وها هم أُولاء رجالات يهود يحالفونهم عَلَى ما يبغون لا مكان لتوجس أو إخلاف.

والغريب أن أحبار التوراة أكدوا لعبدة الأوثان في مكَّة أن قتال محمد ﷺ حقّ، واستئصاله أرضى لله، لأن دين قريش أفضل من دينه، وتقاليد الجاهلية أفضل من تعاليم الإسلام، وسُرت قريش بما سمعت، وزادها إصرارًا عَلَى العدوان، فواعدت اليهود أن تكون معها في الزحف عَلَى المدينة.

وترك زعماء اليهود قريشًا إلى أعراب غطفان فعقدوا معهم حلفًا مشابهًا لَـمَّا تَمَّ مع أهل مكَّة ودخل في هذا الحلف عدد من القبائل الناقمة عَلَى الدِّين الجديد.

وبذلك نجح ساسة اليهود وقادتهم في تأليب أحزاب الكفر عَلَى النبيّ ﷺ ودعوته، وعرف المسلمون مبلغ الخطر المحدق بهم، فرسموا عَلَى عَجل الخطة التي يدفعون بها عن دعوتهم ودولتهم، وكانت خطة فريدة لم تسمع العرب قبلًا بمثلها، وهم الذين لا يعرفون إلا قتال الميادين المكشوفة.

أما هذه المرة فإن المسلمين حفروا خندقًا عميقًا يحيط بالمدينة من ناحية السهل، ويفصل بين المغيرين والمدافعين.

وأقبلت الأحزاب في جمع غفير لا قِبَلَ للمسلمين برده.

قريش في عشرة آلاف من رجالها ومن تبعهم من «كنانة» و«تُهامة» و«غطفان»، في طليعة قبائل «نجد».

وبرز المسلمون بعد ما جعلوا نساءهم وذراريهم فوق الآطام الحصينة من يثرب، ثُمَّ انتشروا عَلَى حدود مدينتهم مسندين ظهورهم إلى جبل «سلع»، ومرابطين عَلَى شاطئ الخندق الذي احتفروه بعد جهود مضنية، وبلغت عدتهم في هذه المعركة نحو ثلاثة آلاف مقاتل.

علم رسول الله ﷺ أن الالتحام مع هذه الجيوش الضخمة في ساحة ممهدة ليس طريق النصر، فما عسى أن تصنع قلة مؤمنة مكافحة مع هذا السيل الدافق؟ لذلك لجأ إلى هذه المكيدة، ويُروى أن الذي أشار بها سلمان الفارسيّ، وتقدم النبي ﷺ رجاله لإحكامها وإنجازها، فأخذ يحفر بيده ويحمل الأتربة والأحجار عَلَى عاتقه وتأسّى به الرجال الكبار ممن لم يألفوا هذا العمل قط، فشهدت يثرب منظرًا عجبًا، وجوهًا ناصعة تتألف منها فرق شتى تضرب بالفئوس وتحمل المكاتل، وتتعرى من لباسها وزينتها لتلبس حللا من نسج الغبار المتراكم والعرق واللغوب.

إن الدفاع عن الإسلام، ومخافة الفتنة لو انتصر المشركون، جعلت الرسول ﷺ وصحابته يعالجون هذا العمل الثقيل، ونفوسهم راضية مغتبطة مع ما يلقون فيه من عناء وصعوبة.

ولا تحسبنّ عمل رسول الله ﷺ في تعميق الخندق وقذف أتربته من قبيل التمثيل الذي يحسنه بعض الزعماء في عصرنا، كلا.. كلا..

إن الرجولة الكادحة الجادة في أنبل صورها، كانت تُقتبس من مسلك الرسول ﷺ في هذه المعركة، يقول البراء: لقد وارى عني التراب جلدة بطنه، وكان كثير الشعر[(١)].

قَالَ عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة، والنعمان بن مقرّن، وستة من الأنصار في أربعين ذراعًا من الأرض التي كُلِّفوا بحفرها - فحفرنا حَتَّى وصلنا إلى صخرة بيضاء كسرت حديدنا وشقت علينا، فذهب سلمان إلى رسول الله ﷺ يخبره عن هذه الصخرة التي اعترضت عملهم وأعجزت معاولهم.

فجاء النبي ﷺ وأخذ من سلمان المعول، ثُمَّ ضرب الصخرة ضربة صدعتها، وتطاير منها شرر أضاء خلل هذا الجو الداكن، وكبَّر رسول الله ﷺ تكبير فتح، وكبَّر المسلمون، ثُمَّ ضربها الثانية فكذلك ثُمَّ الثالثة فكذلك.

تفتت الصخرة تحت ضربات الرجل الأيِّد الجَلد، الموصول بالسماء، الراسخ عَلَى الأرض.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٣١١).

فلمّا انسابت الأحزاب حول المدينة وضيّقوا عليها الخناق لم تطر نفوس المسلمين شعاعًا بل جابهوا الحاضر المر وهم موطدوا الأمل في غد كريم.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُم إِلَّا إِيمَانًا وَتَسلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

أما الواهنون والمرتابون ومرضى القلوب، فقد تندّروا بأحاديث الفتح، وظنوها أماني المغرورين، وقالوا عن رسول الله ﷺ يخبركم أنَّهُ يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا.

وفيهم قَالَ الله تعالى: ﴿وَإِذ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّـهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

إن معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر بل معركة أعصاب.

فقتلى الفريقين من المؤمنين والكفار يُعَدون عَلَى الأصابع، ومع تلك الحقيقة فهيَ من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام، إذ إن مصير هذه الرسالة العظمى كان فيها أشبه بمصير رجل يمشي عَلَى حافة قمة سامقة، أو حبل ممدود، فلو اختل توازنه لحظة وفقد السيطرة عَلَى موقفه، لهوى من مرتفعه إلى وادٍ سحيق ممزق الأعضاء ممزق الأشلاء» ا.هـ[١].

عباد الله...

وبعد أن أحكم الأحزابُ الحصارَ حَول المدينة، وخانت بنو قريظة العهدَ مع النبيّ ﷺ واشتد الخَطبُ، وبلغت القلوبُ الحناجر، أرسل الله تعالى عَلَى المؤمنين جنودًا لم يَروها.

وجاءت المشركين ريحٌ عاصفٌ، قلعت خِيَامَهم، وكفأت قدورهم، وضربت وجوههم، فأوهن اللَّـهُ تعالى كيدهم، وردهم عَلَى أعقابهم لم ينالوا خيرًا.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَينَا نَصرُ الْمُؤمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

---

(١) «فقه السيرة» للغزالي (٣١٥ - ٣١٨) باختصار.

فالحمد لله، ناصر المستضعفين، وكاسر الظالمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فالحديث عن سلمان - رَضِي الله عَنهُ - لم ينته بعد، فهناك جوانب مهمّة لم نتحدّث عنها، منها:

فقهه رَضِي الله عَنهُ:

عَن أَبِي جُحَيفَةَ قَالَ: «آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَينَ سَلمَانَ وَأَبِي الدَّردَاءِ، فَزَارَ سَلمَانُ أَبَا الدَّردَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّردَاءِ مُتَبَذِّلَةً[1] فَقَالَ لَهَا: مَا شَأنُكِ؟

قَالَت: أَخُوكَ أَبُو الدَّردَاءِ لَيسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنيَا.

فَجَاءَ أَبُو الدَّردَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُل، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ[2].

قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأكُلَ.

قَالَ: فَأَكَلَ.

فَلَمَّا كَانَ اللَّيلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّردَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَم، فَنَامَ.

ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَم.

فَلَمَّا كَانَ مِن آخِرِ اللَّيلِ قَالَ سَلمَانُ: قُم الآنَ، فَصَلَّيَا.

فَقَالَ لَهُ سَلمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيكَ حَقًّا وَلِنَفسِكَ عَلَيكَ حَقًّا وَلِأَهلِكَ عَلَيكَ حَقًّا فَأَعطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلمَانُ»[3].

---

(١) لا تهتم بنفسها.
(٢) أي: صوم تطوع.
(٣) رواه البخاري (١٩٦٨)، والترمذي (٢٤١٥).

عباد الله...

هذا هُوَ الفقه، إن الإسلام دين الوسطية والاعتدال.

قَالَ ابن القيّم - رحمه الله -: «دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، كالوادي بين جَبَلين».

فلا إفراط ولا تفريط.

ومنها: زهده رَضِيَ الله عَنهُ:

والزهد ثمرة تعلّق القلب بالآخرة، ونتاج الرغبة فيها عند الله تعالى.

وسلمان الفارسيّ - رَضِيَ الله عَنهُ - كبقية الصَّحابة، عرف الدنيا فزهد فيها، وعرف الآخرة فرغب فيها.

إنَّهُ عَلم أن الدنيا متاعٌ زائل، وظلٌّ حائل.

﴿وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥].

والآثار الدالّة عَلَى زهد سلمان - رَضِيَ الله عَنهُ - كثيرة.

من هذه الآثار:

عن الحسن، قَالَ: كان عطاء سلمان الفارسي خمسة آلاف، وكان أميرًا عَلَى زُهَاء ثلاثين ألفًا من المسلمين، وكان يخطب النَّاس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها، فإذا خرج عطاؤه أمضاه، ويأكل من سفيف[١] يديه[٢].

عباد الله...

وإضافة لما سبق، قَد كان سلمان - رَضِيَ الله عَنهُ - واعظًا مؤثّرًا، ومن دقيق إشارته، ووثيق عبارته:

كان رسول الله ﷺ قَد آخى بين سلمان وأبي الدرداء، وسكن أبو الدرداء الشام، وسكن سلمان العراق، فكتب أبو الدرداء إلى سلمان: «سلام عليك، أما بعد: فإن الله

(١) سفيف: ما ينسج من الخوص كالزنبيل ونحوه.

(٢) وكان - رَضِيَ الله عَنْهُ - عاملًا لعمر بن الخطاب على المدائن.

رزقني بعدك مالًا وولدًا، ونزلتُ الأرض المقدّسة».

فكتب إليه سلمان: «سلام عليك، أما بعد: فإنّك كتبت إليَّ أن الله رزقك مالًا وولدًا، فاعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد، ولكن الخير أن يكثُر حِلمُك، وأن ينفعك عِلمُك، وكتبتَ إليَّ: أنّك نزلت الأرض المقدّسة، وإن الأرض لا تعمل لأحدٍ، اعمل كأنك ترى[1]، واعدد نفسك في الموتى»[2].

وهذه موعظة أخرى تكتب بماء الذهب:

عن أبي الأحوص: قَالَ: «افتخرت قريش عند سلمان، فقال سلمان: لكني خلقتُ من نطفة قذرة، ثُمَّ أعود جيفة منتنة، ثُمَّ يؤدّى بي إلى الميزان، فإن ثَقُلت، فأنا كريم، وإن خَفَّت فأنا لئيم»[3].

وعن سالم مولى زيد بن صوحان، قَالَ: «كنتُ مَولاى زيد بن صوحان في السوق فمرّ علينا سلمان الفارسيّ وقد اشترى وَسقًا من طعام، فقال له زيد: يا أبا عبد الله، تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟

قَالَ: إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت وتفرّغت للعبادة ويئس منها الوسواس».

وعن سعيد بن وهب، قَالَ: «دخلت مع سلمان عَلَى صديق له من كندة نعوده، فقال له سلمان: إن الله عَزَّ وَجَلَّ يبتلي عبده المؤمن بالبلاء، ثُمَّ يعافيه فيكون كفارةً لما مضى، فيستعتب فيما بقى، وإن الله عَزَّ وَجَلَّ يبتلي عبده الفاجر بالبلاء ثُمَّ يعافيه فيكون كالبعير عقله أهله ثُمَّ أطلقوه، فلا يدري فيم عقلوه ولا فيم أطلقوه حين أطلقوه».

وعن أبي قلابة: «أن رجلًا دخل عَلَى سلمان وهو يَعجن، فقال: ما هذا؟

قَالَ: بعثنا الخادم في عمل فكرهنا أن نجمع عليه عملين.

ثُمَّ قَالَ: فلان يقرئك السلام، قَالَ: متى قدمت؟

---

(١) هكذا بالأصل، ولعلّها: اعبد الله كأنك تراه.

(٢) «أسد الغابة» (٢/ ٤٧٧).

(٣) «صفة الصفوة» (١/ ٢٧٣).

قَالَ: منذ كذا وكذا، فقال: أما إنك لو لم تؤدها كانت أمانة لم تؤدها» رواه أحمد.

وكان - رَضِي الله عَنهُ - وهو أميرٌ يأكل من عمل يده.

ويقول النعمان بن حُميد: «دخلتُ مع خالي عَلَى سلمان الفارسيّ بالمدائن وهو يعمل الخوص، فسمعتُه يقول: أشتري خوصًا بدرهم فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم، فأعيد درهمًا فيه، وأنفق دِرهمًا عَلَى عيالي، وأتصدق بدرهم، ولو أن عُمَر بن الخطاب نهاني عنه ما انتهيت».

أرأيتم يا رجال أميرًا يعمل خوَّاصًا، ويأكل من عمل يده، ويعفّ نفسه عن أموال المسلمين.

عباد الله...

وبعد حياة حافلة بالعطاء والذكر والزهد والوعظ والجهاد، آن للضيف أن يرحل من هذه الدنيا الفانيّة إلى حياة أخرى هي الحيوان، لينعم هناك فلا يبأس، ويخلد فلا يموت.

بعد هذه الحياة المباركة، وفي خلافة عثمان - رَضِي الله عَنهُ - نزلت عليه ملائكة الرحمة، لتحمل الروح المباركة، إلى رَوح وريحان، وربٍّ غير غضبان، وعلى فراش الموت ماذا حدث؟

«دخل عليه سعد بن أبي وقاص يعوده، فبكى سلمان.

فقال له سعد: ما يبكيك يا أبا عبد الله تُوفِّي رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ وترد عليه الحَوض.

فقال سلمان: أما إني ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا عَلَى الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال: «**لتكن بُلغة أحدكم مثل زاد الراكب**» وحولي هذه الأساود[١]. وإنما حوله إجّانة أو جَفنة أو مِطهرة.

---

(١) **الأسود**: العظيم من الحيّات وفيه سواد، والجمع: أساود، فخاف من الأشياء التي حوله كخوفه من الحيّات.

فقال له سعد: يا أبا عبد الله، اعهد إلينا بعهدٍ فنأخذ به بعدك.

فقال: يا سعد اذكر الله عند همّك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت».

وعن الشَّعبيِّ قَالَ: «أصاب سلمان صرّة مسك يوم فتح جلولاء، فاستودعها امرأته فلمَّا حضرته الوفاة قَالَ: هاتي المسك، فمرسها في ماء ثُمَّ قَالَ: انضحيها حولي فإنه يأتيني زوّار الآن ليسوا بإنس ولا جان، ففعلت، فلم يمكث بعد ذلك إلا قليلًا حَتَّى قُبض».

وكان - رَضِيَ الله عَنهُ - قَد أوصى عبد الله بن سلَّام بوصية:

عن عبد الله بن سلَّام أن سلمان - رَضِيَ الله عَنهُ - قال له: «يا أخي أينا مات قبل صاحبه فَليترايا له.

قال عبد الله بن سلَّام: أَوَيَكون ذلك؟

قال نعم، إن نسمة المؤمن مخلَّاة تذهب في الأرض حيث شاءت، ونسمة الكافر في سجّين، فمات سلمان.

قال عبد الله: فبينا أنا ذات يوم قائل[1] بنصف النهار على سرير لي فاغفَيتُ إغفاءة إذ جاء سلمان فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقلت: السلام عليك ورحمة الله يا أبا عبد الله، كيف وجدت منزلك؟

قَالَ: خيرًا، وعليك بالتوكل فنعم الشيء التوكل، ردده ثلاث مرات - رحمه الله»[2].

عباد الله...

وفي الجمعة القادمة نواصل المشوار مع الصَّحابة الأبرار، فإلى اللقاء إن شاء الله تعالى.

اللهُمَّ لا تَسلُب عَنَّا سِتر إحسَانِك، وقِنا مَصَارِعَ السُّوء، واكِفنا كَيد الحاسدين.

آمين... آمين... آمين.

---

(١) **القيولة**: النوم بالظهيرة.

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٢٨٤).

الخطبة السابعة والعشرون

مع عاصم بن ثابت وخُبيب بن عَدِيَ

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فلقاؤنا اليوم إن شاء الله تعالى مع صحابيين جليلين، وشهيدين فقيهين.

الصّحابي الأوّل: عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري، أحد الأنصار الذين رفضوا الركوع للباطل، وأحد الشباب المؤمن الذين صدقوا الله فصدقهم، ووفى لله تعالى في حياته، فحماه الله تعالى من المشركين بعد وفاته، وكان - رَضِيَ الله عَنهُ - قَد شهد بدرًا.

والصّحابيّ الثاني: خُبيب بن عديّ بن مالك بن عامر بن مَجدعة بن جحجبى بن عوف بن كُلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاريّ الأوسيّ،

شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ.

عباد الله...

ما هي قصتها؟

في غزوة أُحُد قاتل عاصم بن ثابت - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - بجوار الرسول ﷺ وكان راميًا لا تكاد تخطئ رميته، فقتل مُسافع بن طلحة وأخاه الجُلاس بن طلحة، كلاهما يُشعره سهمًا[١]، فيأتي أُمَّه سلافة[٢]، فيضع رأسه في حِجرها فتقول: يا بنيَّ من أصابك؟ فيقول: سمعتُ رجلًا حين رماني وهو يقول: خُذها وأنا ابن الأقلح.

فنذرت سلافة إن مكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر.

وكان عاصم - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - قَد عاهد الله أن لا يمسَّ مُشركًا أبدًا، ولا يمسَّه مشرك.

وفي سنة ٣هـ قدم وفدٌ من قبائل «عضل والقارة» عَلَى رسول الله ﷺ يذكر أن أنباء الإسلام وصلت إليهم، وأنهم يحتاجون إلى رجال يعلمونهم الدِّين ويقرئونهم القرآن.

فأرسل النبي ﷺ معهم رهطًا من الدعاة يرأسهم عاصم بن ثابت، فاطلق الجميع حَتَّى إذا كانوا بين عسفان ومكة قريبًا من مياه هذيل،شعر الدعاة بأن أصحابهم غدروا بهم واستصرخوا هُذَيلاً عليهم، وفزع الدعاة إلى أسلحتهم يقاتلون الغادرين ومن أعانهم من قبيلة هذيلي، ولكن ماذا يجدي قتالُ نفر يعدّون عَلَى الأصابع لنحو مائة من الرماة، وراءهم قومهم يشدُّون أزرهم؟

ولكن الشوق إلى الشهادة جعلهم يغامرون بالقتال.

فلمّا انتضوا أسيافهم، قَالَ لهم القوم: إنا والله ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكَّة ولكم عهدُ الله وميثاقه أن لا نقتلكم.

وقال عاصم: لا أقبل اليوم عهدًا من مشرك، ودعا عند ذلك فقال: «اللهُمَّ إني

---

(١) يشعره سهمًا؛ أي: يصيبه به في جسده فيصير مثل الشعار، والشعار ما ولي الجسد من الثياب.
(٢) هي سلافة بنت سعد بن شُهيد.

أحمي لك اليوم دينك فاحم لحمي».

فجعل يقاتل القوم ويقول:

ما عِلَّتِي وأنا جَلْدٌ نابلُ[١] والقوس فيها وترٌ عُنابل

تزلُّ عن صَفحتها المَعابلُ[٢] الموتُ حقٌّ والحياةُ باطلُ

وكلُّ ما حَمَّ الإلهُ[٣] نازل بالمرء والمرءُ إليه آئل

إن لم أُقاتلكم فأُمِّي هابلُ[٤]

ولم يلبث عاصم وصحبه أن قتلوا.

واستسلم للأسر منهم ثلاثة نفر: خُبيبُ بن عَديّ، وزيد بن الدّثنة، وعبد الله بن طارق رضي الله عنهم.

فاسترقّهم الهذليون وخرجوا بهم إلى مكّة ليبيعوهم بها.

ومعنى بيعهم بمكة تسليمهم للقتلة المتربصين، فإن أولئك النفر، من الرجال الذين قاتلوا مع رسول الله ﷺ في بدر وأُحُد ولأهل مكّة لديهم ثأرات يودُّون الاشتفاء منها.

ويحكي لنا أبو هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - قصتهم كما في «صحيح البخاري» فيقول:

«بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشَرَةً عَينًا[٥]، وَأَمَّرَ عَلَيهِم عَاصِمَ بنَ ثَابِتٍ الأَنصَارِيَّ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالهَدَةِ بَينَ عُسفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِن هُذَيلٍ يُقَالُ لَهُم بَنُو لِحيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُم بِقَرِيبٍ مِن مِائَةِ رَجُلٍ رَامٍ، فَاقتَصُّوا آثَارَهُم حَتَّى وَجَدُوا مَأكَلَهُمُ التَّمرَ فِي مَنزِلٍ نَزَلُوهُ فَقَالُوا: تَمرُ يَثرِبَ.

فَاتَّبَعُوا آثَارَهُم، فَلَمَّا حَسَّ بِهِم عَاصِمٌ وَأَصحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى مَوضِعٍ، فَأَحَاطَ بِهِمُ

(١) النابل: صاحب النبل، ويروى: بازل، وهو القوي، وعَنُابل: غليظ شديد.
(٢) المعابل: جمع معبلة، وهو نصل عريض طويل.
(٣) حَمَّ الإله: قَدَّره، وآئل: صائر.
(٤) هابل: ثاكل.
(٥) العيون التي تثبت بالأخبار، وتكون كذلك بين صفوف الأعداء.

القَومُ، فَقَالُوا لَهُم: انزِلُوا فَأَعطُوا بِأَيدِيكُم وَلَكُمُ العَهدُ وَالمِيثَاقُ أَن لاَ نَقتُلَ مِنكُم أَحَدًا.

فَقَالَ عَاصِمُ بنُ ثَابِتٍ: أَيُّهَا القَومُ، أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ.

ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ أَخبِر عَنَّا نَبِيَّكَ ﷺ.

فَرَمَوهُم بِالنَّبلِ، فَقَتَلُوا عَاصِمًا، وَنَزَلَ إِلَيهِم ثَلاَثَةُ نَفَرٍ عَلَى العَهدِ وَالمِيثَاقِ، مِنهُم خُبَيبٌ وَزَيدُ بنُ الدَّثِنَةِ، وَرَجُلٌ آخَرُ[١].

فَلَمَّا استَمكَنُوا مِنهُم أَطلَقُوا أَوتَارَ قِسِيِّهِم فَرَبَطُوهُم بِهَا.

قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الغَدرِ، وَاللهِ لاَ أَصحَبُكُم، إِنَّ لِي بِهَؤُلاَءِ أُسوَةً - يُرِيدُ القَتلَى - فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ، فَأَبَى أَن يَصحَبَهُم.

فَانطُلِقَ بِخُبَيبٍ وَزَيدِ بنِ الدَّثِنَةِ حَتَّى بَاعُوهُمَا بَعدَ وَقعَةِ بَدرٍ.

فَابتَاعَ[٢] بَنُو الحَارِثِ بنِ عَامِرِ بنِ نَوفَلٍ خُبَيبًا، وَكَانَ خُبَيبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ بنَ عَامِرٍ يَومَ بَدرٍ، فَلَبِثَ خُبَيبٌ عِندَهُم أَسِيرًا حَتَّى أَجمَعُوا قَتلَهُ[٣]، فَاستَعَارَ مِن بَعضِ بَنَاتِ الحَارِثِ مُوسَى يَستَحِدُّ بِهَا[٤] فَأَعَارَتهُ، فَدَرَجَ بُنَيٌّ لَهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّى أَتَاهُ، فَوَجَدَتهُ مُجلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالمُوسَى بِيَدِهِ قَالَت: فَفَزِعتُ فَزعَةً عَرَفَهَا خُبَيبٌ.

فَقَالَ: أَتَخشَينَ أَن أَقتُلَهُ مَا كُنتُ لأَفعَلَ ذَلِكَ.

قَالَت: وَاللهِ مَا رَأَيتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيرًا مِن خُبَيبٍ، وَاللهِ لَقَد وَجَدتُهُ يَومًا يَأكُلُ قِطفًا مِن عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِن ثَمَرَةٍ.

وَكَانَت تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبَيبًا.

فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقتُلُوهُ فِي الحِلِّ[٥] قَالَ لَهُم خُبَيبٌ: دَعُونِي أُصَلِّ رَكعَتَينِ.

---

(١) هو عبد الله بن طارق.

(٢) ابتاع: بمعنى اشترى.

(٣) قَالَ موهب (مولى الحارث بن عامر): قَالَ لِي خُبيب، وكانوا جعلوه عندي: اطلبُ إليك ثلاثًا: أن تسقيني العذب، وأن تُجنبني ما ذُبح على النُّصُب، وأن تؤذنّي إذا أرادوا قتلي.

(٤) يستحد بها: يزيل الشعر المأمور شرعًا بإزالته.

(٥) قُتل خبيب في «التنعيم» وهو موضع بمكة في الحِل، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة.

فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكعَتَينِ.

فَقَالَ: وَاللَّهِ لَولاَ أَن تَحسِبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدتُ.

ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ أَحصِهِم عَدَدًا، وَاقتُلهُم بَدَدًا، وَلاَ تُبقِ مِنهُم أَحَدًا.

ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ:

فَلَستُ أُبَالِي حِينَ أُقتَلُ مُسلِمًا ... عَلَى أَيِّ جَنبٍ كَانَ لِلَّهِ مَصرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِن يَشَأ ... يُبَارِك عَلَى أَوصَالِ شِلوٍ مُمَزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إِلَيهِ أَبُو سِروَعَةَ عُقبَةُ بنُ الحَارِثِ[١]، فَقَتَلَهُ.

وَكَانَ خُبَيبٌ هُوَ سَنَّ لِكُلِّ مُسلِمٍ قُتِلَ صَبرًا الصَّلاَةَ.

وَأَخبَرَ - يعني النبي ﷺ - أَصحَابَهُ يَومَ أُصِيبُوا خَبَرَهُم، وَبَعَثَ نَاسٌ مِن قُرَيشٍ إِلَى عَاصِمِ بنِ ثَابِتٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ أَن يُؤتَوا بِشَيءٍ مِنهُ يُعرَفُ، وَكَانَ قَتَلَ رَجُلاً عَظِيمًا مِن عُظَمَائِهِم، فَبَعَثَ اللَّهُ لِعَاصِمٍ مِثلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبرِ[٢]، فَحَمَتهُ مِن رُسُلِهِم، فَلَم يَقدِرُوا أَن يَقطَعُوا مِنهُ شَيئًا.

وفي رواية:

لَـمَّا قُتل عاصم أرادت هُذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن شُهيد، وكانت قَد نذرت حين أصاب ابنيها[٣] يوم أُحُد: لئن قَدَرت عَلَى رأس عاصم لتشربنّ في قِحفه الخمر، فمنعته الدَّبرُ، فلمَّا حالت بَينه وبينهم الدَّبر قالوا: دعوه حَتَّى يُمسي فتذهب عنه، فنأخذه، فبعث الله الوادي[٤]، فاحتمل عاصمًا، فذهب به.

---

(١) أسلم أبو سروعة بعد ذَلِكَ وكان يقول: ما أنا والله قتلتُ خُبيبًا، لأني كنتُ أصغر من ذَلِكَ، ولكنَّ أبا ميسرة، أخا بني عبد الدار، أخذ الحربة فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله. أخرجه ابن إسحاق بسندٍ صحيح.

(٢) **الدَّبر**: الذنابير والنحل.

(٣) في «الحلية» (١/ ١١١): وكان عاصم قتل لها يوم أُحُد ثلاثة نفر من بني عبد الدار كلهم صاحب لواء قريش.

(٤) **الوادي**: السيل الجارف.

وقد كان عاصمٌ قَد أعطى الله عهدًا أن لا يمسّه مشرك، ولا يمسّ مشركًا أبدًا، تَنَجُّسًا، فكان عُمَر بن الخطاب - رَضِيَ الله عَنهُ - يقول حين بلغه أن الدَّبر منعته: «يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نَذَر أن لا يمسَّه مشركٌ، ولا يمسّ مُشركًا أبدًا في حياته، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه في حياته»[(١)].

أما جسد خُبيب - رَضِيَ الله عَنهُ - فيقول عمرو بن أميّة: إن رسول الله ﷺ بعثه وحده عَينًا إلى قريش، قَالَ: فجئتُ إلى خشبة خُبيب وأنا أتخوف العيون فَرَقَيتُ فيها، فحللتُ خُبيبًا فوقع إلى الأرض فانتبذتُ عنه غير بعيد ثُمَّ التفتُ فلم أرَ خُبيبًا ولكأنما ابتلعته الأرض، فلم يُرَ لخُبيب أثر حَتَّى الساعة.

يا عباد الله...

من تاريخكم خذوا المثل، إن لنا رجالًا تتضائل عند أقدامهم عمالقة التاريخ الأوروبي كلّه.

إنَّ مَن اتصل قلبه بمولاه، وأخلص له في سرّه ونجواه، وصح عقد توحيده، وأحسن سياسة نفسه، وكان عمله موافقًا لشرع ربّه، رأى العجائب.

فالحمد لله أن جعلنا مسلمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فهذه قِصّةُ رَهطٍ من الدُّعاة خرجوا في سبيل الله تعالى هدفهم تعليم النَّاس الدِّين، وقراءة القرآن.

ولم يَدْر بخَلدِهم أبدًا، أن هناك مؤامرة دُبِّرت لهم قَبل وَفدِ «عَضَل»، و«القَارة»

(١) القصة أخرجها الطبراني في «الكبير»، وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٩٩): رجاله ثقات.

الذين جاءوا النبيّ ﷺ طالبين منه إرسال وفد من أصحابه يُعلم قومهم الدِّين وتلاوة القرآن.

واستجاب النبيُّ ﷺ لطلبهم، وأرسل معهم رَهطًا من قُرَّاء الصَّحابة، وجعل أميرهم عاصم بن ثابت، ثُمَّ كان من خبرهم ما تقدّم.

عباد الله...

ومن الدروس المستفادة من قصتهم:

الدرس الأول: بيان أن النبيَّ ﷺ لا يعلم الغيب، ولو كان يعلمه لما أرسل أصحابه إلى مصارعهم.

قَالَ تعالى: ﴿قُل لَّا أَملِكُ لِنَفسِي نَفعًا وَلاَ ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّـهُ وَلَو كُنتُ أَعلَمُ الغَيبَ لاستَكثَرتُ مِنَ الخَيرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال بعض السلف: مَن زعم أن محمد ﷺ يعلم الغيب فقط أعظم الفريّة عَلَى الله.

وخلاصة القول: أن النبيّ ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله تعالى به، أما الغيب المطلق فهو مما استأثر الله تعالى به.

الدرس الثاني: اعتزاز المسلم بدينه وكراهيه للكفر وأهله، فها هُوَ عاصم بن ثابت - رَضِي الله عَنهُ - أعطى لله عهدًا أن لا يمسّه مُشركٌ، ولا يمسّ مُشركًا، فحفِظ اللّـهُ تعالى بَدَنه بعد وفاته بالدَّبر. ولما بلغ عُمَر بن الخطاب رَضِي الله عَنهُ ذلك قال: «يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نَذَر أن لا يمسَّه مشركٌ، ولا يمسّ مُشركًا أبدًا في حياته، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه في حياته».

وها هُوَ عبد الله بن طارق - رَضِي الله عَنهُ - لَـمَّا وقع أسيرًا، ورأى بوادر غدر المشركين، انتفض قائلًا: هذا أوّل الغدر، والله لا أصاحبكم، إن لي بهؤلاء أسوة - يقصد القتلى - فجرروه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم، فقتلوه.

الدرس الثالث: استحباب صلاة ركعتين قبل لقاء الله، يدل عَلَى ذلك فعل خُبيب - رَضِي الله عَنهُ - وإقرار النبيّ ﷺ له.

وكان - رَضِي الله عَنهُ - أوّل مَن سَنّ لِكلّ مُسلمٍ قُتلَ صَبرًا، الصَّلاة.

الدرس الرابع: بيان مَنقبة لخُبيب - رَضِيَ الله عَنهُ - وهي قول إحدى بنات الحارث: والله ما رأيتُ أسيرًا قطُّ خيرًا من خُبَيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل قِطفًا من عنب في يده وإنَّهُ لموثق بالحديد وما بمكّة من ثمرة، وكانت تقول: إنَّهُ لرزقٌ رَزَقَه اللَّـهُ خُبَيبًا.

قَالَ عمرو بن أُميّة - رَضِيَ الله عَنهُ - لَـمَّا بعثه رسول الله ﷺ لينزل جسد خُبيبَ: «جئتُ إلى خشبة خُبيب وأنا أتخوّف العيون، فَرَقَيتُ فيها، فحللتُ خُبيبًا فوقع إلى الأرض فانتبذتُ عنه غير بعيد، ثُمَّ التفتُ فلم أرَ خُبيبًا ولكأنما ابتلعته الأرض».

الدرس الخامس: بيان شجاعة أصحاب النبي ﷺ، يدل عَلَى ذلك: قتالهم للمشركين مع قلّة عددهم، وكثرة عدوّهم.

عباد الله...

والحديث عن الصَّحابة رضي الله عنهم لم ينته بعد، فما زال عطاء ربّنا مستمرًا، فإلى اللقاء، إن شاء الله تعالى في الجُمعة القادمة مع صحابيّ آخر.



الخطبة الثامنة والعشرون

[أ] مع خالد بن الوليد

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فنلتقي اليوم إن شاء الله تعالى مع سيف الله، وفارس الإسلام، وليث المَشاهِد.

مع الإمام الكبير، والأمير، قائد المجاهدين، أبي سُليمان خالد بن الوليد رَضِي الله عَنهُ.

عباد الله...

من هُوَ خالد؟

وكيف أسلم؟

ولماذا سُمّي بسيف الله؟

وكيف مات؟

هذا ما سوف نبيّنه - إن شاء الله - سائلاً المولى جلّت قدرته أن يحشرنا في زمرته، وأن يجعلنا من أهل الاستماع والانتفاع والاتباع، آمين.

أما عن التعريف به:

فهو أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

أمّه لبابة الصغرى، وهي بنت الحارث بن حزن الهلالية، وهي أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، وأخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، هو ابن خالة أولاد العباس الذين من لبابة[1].

وأبوه الوليد بن المغيرة الذي نزل فيه قول الله تعالى: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾ [المدثر: ١١- ٣٠].

فسبحان الذي يُخرج الحيّ من الميّت.

عباد الله...

«وكان - خالد - أحد أشراف قريش في الجاهلية، وكان إليه القبة وأعنّة الخيل في الجاهلية، أما القبّة فكانوا يضربونها يجمعون فيها ما يجهزون به الجيش، وأما الأعنّة فإنه كان يكون المقدم على خيول قريش في الحرب» ا.هـ[2].

وكان خالد سببًا في هزيمة المسلمين في أُحُد قبل إسلامه، كما سيأتي في السيرة النبوّية إن شاء الله تعالى.

أسلم خالد بن الوليد - رَضِي الله عَنهُ - أول يوم صفر سنة ثمان.

---

(١) «أسد الغابة» (٢/ ١٣٢).

(٢) المرجع السابق.

وعن بداية إسلامه - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - يحدِّثنا فيقول:

«لما أراد الله بي ما أراد من الخير، قذف في قلبي حبّ الإسلام وحضرني رشدي، فقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ﷺ، ليس في مواطن أشهده إلا انصرفت وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيء، وأن محمدًا سيظهر.

فلما صالح قريشًا بالحديبية ودافعته قريش بالرواح قلت في نفسي: أي شيء بقى؟ أين أذهب؟ إلى النجاشي؟ فقد اتبع محمدًا وأصحابه عنده آمنون، فأخرج إلى هرقل فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية؟ فأقيم في عجم، فأقيم في داري بمن بقى؟ فأنا في ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضية، فتغيّبتُ ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي ﷺ في عمرة القضية فطلبني فلم يجدني فكتب إلي كتابا فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد.. فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقُلك عقُلك! ومثل الإسلام جهله أحد؟ وقد سألني رسول الله ﷺ عنك وقال: «**أين خالد؟**» فقلت: يأتي الله به، فقال: «**مثله جهل الإسلام؟!**». فاستدرك يا أخي ما قد فاتك».

قال: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام، وسرني سؤال رسول الله ﷺ عني، وأرى في النوم كأني في بلاد ضيقة مجدبة فخرجت في بلاد خضراء واسعة، فقلت: إن هذه لرؤيا.

فلما أن قدمت المدينة قلت: لأذكرنها لأبي بكر، فقال: هو مخرجك الذي هداك الله للإسلام، والضيق الذي كنت فيه من الشِرك.

قال: فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ قلت: مَن أصاحب إلى رسول الله ﷺ؟ فلقيت صفوان بن أمية فقلت: يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه؟ إنما نحن كأضراس، وقد ظهر محمد على العرب والعجم، فلو قدمنا على محمد واتبعناه فإن شرف محمد لنا شرف؟ فأبى أشد الإباء فقال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدًا. فلفترقنا وقلت: هذا رجل قُتل أخوه وأبوه ببدر. فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية، فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية. قلت: فاكتم علي. قال: لا أذكره.

فخرجت لي منزلي فأمرت براحلتي فخرجت بها، إلى أن لقيت عثمان بن طلحة

فقلت: إن هذا لي صديق، فذكرت له ما صار الأمر إليه، فأسرع الإجابة، وخرجنا جميعًا فأدلجنا سحرًا.

فلمّا كنا بالهدة إذا عمرو بن العاص بها، قال: مرحبا بالقوم. فقلنا: وبك.

فقال: إلى أين مسيركم؟

فقلنا: وما أخرجك؟

فقال: وما أخرجكم؟ قلنا: الدخول في الإسلام واتباع محمد ﷺ. قال: وذاك الذي أقدمني.

فاصطحبنا جميعًا حتى دخلنا المدينة، فأنخنا بظهر الحرة ركابنا، فأخبرنا رسول الله ﷺ فسر بنا، فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ فلقيني أخي: فقال أسرع، فإن رسول الله ﷺ قد أُخبربك فسر بقدومك وهو ينتظركم.

فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال يتبسم إليَّ حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوّة فرد عليَّ السلام بوجه طلق، فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال: «**تعال**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير**».

قلت: يارسول الله إني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك، معاندًا للحق، فادع الله أن يغفرها لي.

فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام يَجُبّ ماكان قبله**»، ثُمَّ استغفر الله لي.

قال خالد: وتقدم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ﷺ. قال: وكان قدومنا في صفر سنة ثمان، قال: والله ما كان رسول الله ﷺ يعدل بي أحدًا من أصحابه فيما يُحزِبه[1].

عباد الله...

وانضوى خالد تحت لواء الإسلام، وبدأ منذ اللحظة الأولى بعد إسلامه يسابق الزمن، لا يقعد عن قتال، ولا يتخلف عن غزوٍ، حَتَّى شهد في الإسلام مائة زحف أو

(١) يُحزبه: يحزنه ويهمه.

يزيد، كما أخبر هُوَ عن نفسه.

والحديث عن جهاده - رَضِي الله عَنهُ - يحتاج إلى خُطب، ويكفي أن نشير هنا إلى صفحات من تاريخ جهاده رَضِي الله عَنهُ.

الصفحة الأولى: جهاده يوم مؤتة:

لَـمَّا كان يوم مؤتة[١] وقُتل الأمراء الثلاثة: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم، أخذ اللواء ثابت بن أقرم وجعل يصيح: يا للأنصار، فجعل النَّاس يثوبون إليه، فنظر إلى خالد بن الوليد فقال: خذ اللواء يا أبا سليمان.

فقال: لا آخذه، أنت أحقّ به، لك سنّ وقد شهدت بدرًا.

قَالَ ثابت: خذه أيُّها الرجل فوالله ما أخذتهُ إلَّا لك.

وقال ثابت للناس: اصطلحتم عَلَى خالد؟

قالوا: نعم.

فحمل اللواء وحمل بأصحابه ففضّ جمعًا من جَمع المشركين.

وقاتل يومئذ قتالًا شديدًا لم يُر مثله، اندقت في يده تسعة أسياف، ولم تثبت في يده إلَّا صفيحة يمانية.

وقد قَالَ رسول الله ﷺ: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جعفرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَإِنَّ عَينَيهِ لَتَذرِفَانِ - ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدٌ مِن غَيرِ إِمرَةٍ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيهِ**». رواه البخاري.

وعن أنس بن مالك - رَضِي الله عَنهُ -: نعى النبي ﷺ أمراء يوم مؤتة فقال: «...**ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيفٌ مِن سُيُوفِ اللَّهِ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيهِ**». وجعل يُحدِّث النَّاس وعيناه تذرفان. رواه البخاري.

---

(١) كان عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف، في انتظارهم مائة ألف من الروم، ومائة ألف من نصارى العرب.

ودخل الليل عَلَى المتحاربين، فكان هدنة مؤقتة، فلمّا طلع الصبح كان خالد قَد أعاد تنظيم قواته القليلة، فجعل المقدمة ساقه والميمنة ميسرة.

وجعل خالد هدفه مناوشة الرومان بحيث يلحق بهم أفدح الخسائر دون أن يعرض كتلة الجيش لالتحام عام، وقد أفلحت الخطة في إنقاذ الآلاف القليلة التي معه، وإنقاذ سمعة المسلمين في أول معركة لهم مع الدولة الكبرى.

والعجيب أن الرومان - عَلَى كثرة عتادهم وعددهم - أعياهم هذا القتال وأصيبوا فيه بخسائر كبيرة، بل إن بعض فرقهم انكشف، وولى مهزومًا، واكتفى خالد بهذه النتيجة، وآثر الانصراف بمن معه والدلالة التي تعلو عَلَى الريب في هذه المعركة أن شجاعة المسلمين وبسالتهم بلغتا حَدًّا لم تعرفه أُمّة معاصرة، وقد أكسبهم هذا الروح العالي إقدامًا حَقَّر أمامهم كبرياء الأمم التي عاشت مع التاريخ دهرًا، تصول وتجول لا يقفها شيء.

إن الاستهتار بالخطر والطيران إلى الموت ليس فروسية احتكرها الرجال المقاتلون وحدهم، بل هي قوة غامرة قاهرة تعدت الرجال إلى الأطفال فأصبحت الأمة كله أمة كفاح غال عزيز.

وحسبك أن جيش مؤتة لَـمَّا عاد إلى المدينة قابله الصبيّة بصيحات الاستنكار يقولون: يا فُرّار، فررتم في سبيل الله؟

إن أولئك الصغار يَرَون انسحاب خالد ومن معه فرارًا يقابَل بحثو التراب، أيّ جيل نابه هذا الجيل الذي صنعه الإيمان الحقّ؟ أيُّ نجاح بلغته رسالة الإسلام في صياغة أولئك الأطفال العظام؟ مَن آباؤهم؟ مَن أُمهاتهم؟ كيف كان الآباء يربون؟ كيف كانت الأمهات يدللن؟

إن مسلمة اليوم بحاجة ماسة إلى أن تعرف هذه الدروس[(١)].

الصفحة الثانية: جهاده يوم فتح مكَّة:

لقد جاهد خالد لأول مرة تحت لواء الرسول ﷺ في فتح مكَّة، ولا يصح له مشهد

---

(١) «فقه السيرة» للغزالي (٣٩٠، ٣٩١).

مع رسول الله ﷺ قبل الفتح.

كان خالد في غزوة فتح مكَّة عَلَى ميمنة قوات المسلمين، وكانت الميمنة مؤلفة من: أسلم، وغفار، ومُزينة، وجهينة، وكان واجبه دخول مكَّة من أسفلها من الليط[١]، وهو أول يوم أمَّر فيه رسول الله ﷺ خالدًا.

كانت نوايا الرسول القائد ﷺ السلميّة صريحة جدًّا، فقد قَالَ للزبير بن العوام وخالد: «**لا تقاتلا إلا مَن قاتلكما**» [٢]، إلَّا أنَّ بعض رجالات قريش[٣]، جمعوا ناسًا بالخندمة[٤] أسفل مكَّة، ليقاتلوا المسلمين ويصدُّوهم عن فتح مكَّة، فقاتلهم خالد، وقتل منهم ثمانية وعشرين رجلًا، ثُمَّ انهزموا[٥] واستشهد من المسلمين رجلان، فقال رسول الله ﷺ: «**ألم أنهَ عن القتال؟!**» فقيل له: خالد قُوتِل فَقَاتَل[٦].

قَالَ خالد - رَضِي الله عَنهُ -: «بدأونا بالقتال، ورمونا بالنبل، ووضعوا فينا السلاح، وقد كففتُ ما استطعتُ، ودعوتُهم إلى الإسلام فأبوا، حَتَّى إذا لم أجد بُدًّا من أن أقاتلهم، فَظَفَّرنا الله بهم، فهربوا من كل وجه» [٧]، وقُتِلَ من المشركين ثمانية وعشرين رجلًا ثُمَّ انهزموا.

الصفحة الثالثة: خالد يَهدم العُزَّى:

أرسل النبيُّ ﷺ خالد بن الوليد بعد فتح مكَّة لهدم اللَّات والعُزّى[٨] فأتى خالد عليها فقال:

يـا عُـزُّ كُفـرانكِ لا سُـبحانكِ إنِّـي رأيـتُ الله قَـد أهانـكِ

---

(١) **الليط**: موضع بأسفل مكة.
(٢) «الطبري» (٢/ ٣٣٢).
(٣) هم: عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أميّة، وسهيل بن عمرو - قبل إسلامهم.
(٤) **الخندمة**: جبل بأسفل مكة.
(٥) في «طبقات ابن سعد» (٢/ ١٣٦): أن قتلى المشركين أربعة وعشرين رجلًا من قريش وأربعة نفر من هذيل.
(٦) «طبقات ابن سعد» (٢/ ١٣٦).
(٧) «السيرة الحلبية» (٢/ ٢٠٩).
(٨) وكان ذَلِكَ بعد خمسة أيام من فتح مكة في ثلاثين فارسًا من أصحابه ﷺ.

وعن قتادة: أن النبي ﷺ بعث خالدًا إلى العُزَّى، وكانت بهوازن، وسدنتها بنو سليم، فقال: «**انطلق فإنه يخرج عليك امرأة شديدةُ السواد، طويلة الشعر، عظيمة الثديين، قصيرة**». فقالوا يحرّضونها:

يـا عُـزُّ شُـدّي شـدةً لا سـواكها عَلَـى خالـدٍ ألقـى الخمـار وشمِّـري

فإنـك إن لا تقتلـي المـرءَ خالـدًا تُبوئـي بـذنبٍ عاجـلٍ وتُقَـصِّري

فشدّ عليها خالد، فقتلها، وقال: ذَهَبت العُزَّى فلا عُزَّى بعد اليوم[1].

الصفحة الرابعة: جهاده يوم حُنين[2]:

كان خالد عَلَى مقدمة المسلمين في مائة فرس هي خيل بني سُليم عند التقدُّم من مكَّة إلى الطائف لقتال بني هوازن وثقيف الذين أجمعوا عَلَى حرب المسلمين.

وكان مالك بن عوف[3] قَد عَبَّأ رجاله في وادي حنين ليلًا، وأمرهم أن يحملوا عَلَى المسلمين حملة واحدة، وعَبَّأ رسول الله ﷺ رجاله وصفهم صفوفًا ووضع الألوية والرايات في أهلها.

وانحدر المسلمون في عماية الصبح في وادي حنين عَلَى تعبية، وهو وادٍ من أودية تُهامة[4] أجوف[5] حَطوط[6]، ينحدر انحدارًا، فيهاجمهم المشركون من كل جانب، فانكشف خيل بني سُليم مولِّيةً وتبعهم أهل مكَّة وتبعهم النَّاس منهزمين، ولكن الرسول ﷺ ثَبَت، وثَبَت معه نَفَرٌ قليل من أصحابه وأهل بيته؛ فتجمع المسلمون حوله وشنوا هجومًا مقابلًا عَلَى المشركين انهزموا عَلَى إثره، لا يلوي أحد منهم عَلَى أحد، وكان خالد أحد الذين تجمعوا حول النبي ﷺ وقاتلوا معه قتالًا شديدًا، فَجُرِحَ وعاده

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٣٦).

(٢) حُنين: وادٍ قبل الطائف، بينه وبين مكة ثلاث ليالٍ.

(٣) قائد المشركين يوم حُنين.

(٤) **تهامة**: ما انخفض من أرض الحجاز.

(٥) **أجوف**: مُتسع.

(٦) **حطوط**: منحدر.

الرسول ﷺ[١].

الصفحة الخامسة: جهاده يوم الطائف:

لم تمنع خالدًا جراحاتُهُ من أن يعود لقيادة المقدمة، إذ لم يزل عَلَى مقدمة المسلمين حَتَّى وردوا الجعرانة في طريق عودتهم إلى المدينة.

وفي طريقه إلى الطائف قاتل فلول المشركين، وكان بين قتلى المشركين امرأة، فقد مرَّ النبي ﷺ في طريقه بامرأة قتيل، فقال: «**مَن قتلها؟**» فقالوا: خالد بن الوليد، فقال لبعض مَن معه: «**أدرك خالدًا، وقل له: إن رسول الله ينهاك أن تقتل امرأة، أو وليدًا، أو عسيفًا**» ولما حاصر المسلمون الطائف، كان خالد ينادي: هل من مبارز؟ فلا يجيبه أحد[٢].

ولما وصل المسلمون إلى الجعرانة حيث قسّم الرسول ﷺ الغنائم، قَالَ رجل من المنافقين: ما أُرِيد بهذه القسمة وجه الله، فقال عُمَر: «ألا نقتله؟» وقال خالد: «ألا أضرب عنقه؟» فقال النبي ﷺ: «**لا، لعله يُصلي**»[٣].

الصفحة السادسة: هَدمُه رَضِي الله عَنهُ لِوُدّ:

ويعود خالد - رَضِي الله عَنهُ - مرة ثانية إلى الأصنام، فقد بعث النبي ﷺ خالدًا، لهدم ودّ[٤] في دومة الجندل، وقد بعثه من غزوة تبوك، فحالت بنو عبد ودٍّ غيرهم بينه وبين هدمه، فقاتلهم خالد، وبعد دحرهم هدمه وكسَّره جذاذًا[٥].

عباد الله...

هذه صفحات من تاريخ جهاد خالد بن الوليد - رَضِي الله عَنهُ - وهي غيض من فيض، وقطرة في بحر، ونكتفي بهذا القدر اليوم، وللحديث بقيّة إن شاء الله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) «أسد الغابة» (٢/ ٩٥)، و«الاستيعاب» (٢/ ٤٢٨).
(٢) «السيرة الحلبية» (٣/ ١٦٣).
(٣) نفس المرجع (٣/ ١٧١).
(٤) صنم عَبَدَهُ بنو كلب وبره من قضاعة بدومة الجندل.
(٥) «قادة فتح العراق والجزيرة» للواء الركن/ محمود شيت خطاب (٩٠).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فقد مَلك حُبّ الجهاد، والرغبة في الاستشهاد قلب خالد - رَضِي الله عَنهُ - فكان لا يستريح إلّا على ظهر جواده، والسيف بيده.

وكان كل يوم تقريبًا يكسب أرضًا جديدة للإسلام، ويهدم صرحًا للشرك.

وها هو - رَضِي الله عَنهُ - يحدّثنا عن هَذَا الحبّ فيقول:

«ما من ليلة يهدى إليّ فيها عروسٌ أنا لها مُحِبّ، أحبّ إليّ من ليلة شديدة البرد، كثيرة الجليد في سريّة أُصبّح فيها العدوّ»[(١)].

إنها عزائم لا تعرف الخمود ولا الهمود.

عباد الله...

وظل خالد - رَضِي الله عَنهُ - بجوار النبيّ الكريم ﷺ يتقدم صفوف المجاهدين، لا يقعد عن سريّة، ولا يتخلف من غزوة.

ولما انتقل النبيُّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ظلّ خالد وفيًّا لرسوله ﷺ مخلصًا لدينه، باذلًا كل جهد في سبيل الله تعالى.

وكانت له مواقفه الرائعة، في حروب المرتدين، وغيرهم.

وفي الجمعة القادمة نذكر شيئًا من هذه المواقف التي بهرت العقول، وشدّت إليها الأنظار. فإلى اللقاء إن شاء الله تعالى.

اللهمَّ إنَّا نسألك قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة، وعندك جَنَّة ونعيمًا وملكًا كبيرًا.

آمين... آمين... آمين.

---

(١) قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٥٠): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.

الخطبة التاسعة والعشرون

[ب] مع خالد بن الوليد

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن سيرة أبي سُليمان خالد بن الوليد رَضِيَ الله عَنهُ، ونلتقي اليوم إن شاء الله مع صفحات أخرى من تاريخه الجهادي.

عباد الله...

لَـمَّا انتقل الحبيب المصطفى ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ذرّ قرنُ الفتنة، وظهرت الردّةُ في بعض القبائل التي دخلت الإسلام، وجيّش أدعياءُ النبوّة الجيوش في محاولة لهدم هذا الدِّين المبارك والقضاء عليه، ولكن هيهات هيهات.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ *

هُوَ الَّذِي أَرسَلَ رَسُولَـهُ بِالـهُدَى وَدِينِ الـحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

لقد قيّض الله تعالى - برحمته - لهذا الدِّين رجالًا أمثال أبي بكر وخالد وغيرهم، فدكّوا معاقل المرتدين، وهدموا حصون أعداء الدِّين، وتحقق في أصحاب النبيّ الأمين قول ربِّ العالمين: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَينَا نَصرُ المُؤمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

أيُّها المسلمون...

لَـمَّا انتقل النبيُّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ارتدت بعض القبائل عن الإسلام - كما تقدم - ومن القبائل التي ارتدت «طيئ»، و«بنو أسد»، و«غطفان»، وكانت أكبر الفتن تلك التي قادها «طليحة بن خويلد الأسدي».

فأمر أبو بكر الصِّدِّيق خالدًا أن يبدأ بـ «طيئ» ومنهم يسير إلى «بزاخة» [١]، ثم يثلث بـ «البُطاح» ولا يبرح إذا فرغ من قوم حتى يأذن له، وأظهر أبو بكر الصِّدِّيق أَنَّهُ خارج إلى «خيبر» بجيش حتى يلاقي خالدًا - يرهب العدو بذلك- فَقَعَّد ذَلِكَ «طيئًا» وبَطَّأَ عن طليحة بن خوليد الأسدي[٢].

وكان أبو بكر قَد بعث عدي بن حاتم الطائي إلى «طيئ» قبل مسير خالد إليهم، فدعاهم عدي وخوّفهم، فقالوا له: استقبل خالدًا فَنَهنِههُ عنا ثلاثًا حَتَّى تستخرج مَن لَحِقَ بالبزاخة منَّا، فإنَّا إن خالفنا طليحة وهم في يده قتلهم أو ارتهنهم، فاستقبل عدي خالدًا وهو بـ «السُنح» [٣]، وقال له: «أمسك عني ثلاثًا يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك»، ففعل خالد، وأرسلت «طيئ» إلى إخوانهم، فعادوا من بزاخة كالمدد لهم، ولولا ذلك لم يُتركوا، وبذلك عادت «طيئ» إلى الإسلام.

وتوجه خالد ومَنِ انضم إليه من «طيئ» وعددهم ألف راكب تلقاء «بزاخة»،

---

(١) بزاخة: ماء لـ«طيئ» بأرض نجد، وقيل: ماء لـ«بني أسد».
(٢) تقدم أن طليحة بن خويلد أسلم ثم ارتد، ثم أسلم وحَسُن إسلامه، وكان يعدّ بألف فارس، وقتل شهيدًا - رَضِيَ الله عَنْهُ -.
(٣) السنح: موضع بنجد قرب جبل طيئ.

وأرسل عُكّاشة بن محصن[١] وثابت بن أقرب طليعة لقواته، فَقَتَلا أحد إخوة طليحة، فلمَّا بلغه مصرع أخيه خرج ومعه أخوه سلمة، فَقَتَلا عُكاشة وثابتًا ثُمَّ رجعا، ومَرَّ خالد في طريقه إلى «بزاخة» بعكاشة وثابت قتيلين.

وعَبَّأَ خالد جيشه للقتال، فقالت له «طيئ»: نحن نكفيك «قيسًا»، فإن بني أسد حلفاؤنا، فقال: «قاتلوا أي الطائفتين شئتم»، فقال عدي: «لو نزل هذا عَلَى الذين هم أسرتي الأدنى فالأدنى لجاهدتهم عليه، لا أمتنع عن جهاد بني أسد لحلفهم»، فقال له خالد: «إن جهاد الفريقين جهاد، لا تخالف رأي أصحابك، وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط»، ثُمَّ سار خالد بجيشه، والتقى بطليحة ورجاله عَلَى بزاخة، فتقاتل الطرفان قتالًا شديدًا، ولما رأى طليحة أن كفة المسلمين رجحت عَلَى كفة أتباعه، ركب فرسه، وحمل امرأته، ثُمَّ نجا بها، وقال: «يا معشر فزارة، من استطاع أن يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل»، وبذلك قضى خالد عَلَى فتنة طليحة، وأعاد الإسلام إلى منطقة بزاخة والمناطق المجاورة.

لقد حطّم انتصارُ خالد معنويات أسد وغطفان وأحلافهما الأقوياء، ومعنويات القبائل الأخرى التي تعيش في تلك المناطق من نجد، فأقبل بنو عامر، وسُليم، وهوازن، وهم يقولون: ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله، ونُسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا.

ذلك لأن القبائل البدوية تكون دائمًا مع القوي، فبايعت خالدًا، وكانت بيعته: عليكم عهد الله وميثاقه؛ لتؤمننّ بالله ورسوله، ولتقيمنّ الصلاة، ولتؤتنّ الزكاة، وتبايعون عَلَى ذلك أبناءكم ونساءكم.

ولم يقبل من أحد من أسد وغطفان، وعامر، وطيئ، وسليم إلَّا أن يأتوه بالذين حرَّقوا ومثّلوا وعدوا عَلَى الإسلام في حال ردتهم، فأتوه بهم، فمثّل بهم، وحرقهم، ورضخهم بالحجارة، ورمى بهم من الجبال، ونكسهم في الآبار[٢].

---

(١) من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجَنَّة بغير حساب، ولا سابقة عذاب، فهنيئًا له.

(٢) ابن الأثير (٢/ ١٣٣)، وانظر «فرسان النهار» (٢/ ٥٤٦، ٥٤٧).

عباد الله...

ومن صفحات حياة خالد الجهاديّة:

قضاؤه عَلَى مسيلمة الكذاب:

وفَدَ بنو حنيفة عَلَى النبي ﷺ وفيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب، لَـمَّا أرادوا الرجوع أمر لهم الرسول ﷺ بجوائزهم، فقالوا: يا رسول الله إنَّا قَد خلفنا صاحبًا منا في رحالنا يُبصرُهَا لنا، وفي ركابنا يحفظها علينا، فأمر له الرسول ﷺ بمثل ما أمر به لأصحابه، وقال: «**ليس بِشَرِّكُم مكانًا، لحفظه ركابكم ورحالكم**» فقيل ذلك لمسيلمة فقال: عرف أن الأمر إليَّ من بعده!! وادعى مسيلمة النبوّة، فافتتن النَّاس به.

سار خالد من البُطاح للقضاء عَلَى مُسيلمة في اليمامة[١]، بعد أن فشل عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة بالتعاقب في القضاء عليه، وفي طريقه اتفق مع بعض القبائل ليقوموا بحماية قواته من الخلف، كما أمده أبو بكر الصِّدِّيق بسليط بن قيس الأنصاري[٢] ليكون ردءًا له من أن يأتيه أحد من خلفه، فلمَّا دنا سليط من خالد وجد خيول الأعراب التي اتفق معها خالد قَد تركت مواضعها هاربة، فأخذ سليط بن قيس عَلَى عاتقه واجب حماية مؤخرة قوات خالد، حَتَّى يحول بين العدو وبين تطويق جيش خالد من الخلف، وحتى يُؤمِّن خطوط انسحاب خالد إلى قواعده عند الحاجة.

وفي مسير الاقتراب كان خالد عَلَى المقدمة ومعه شرحبيل بن حسنة، وعلى المجنبتين زيد بن الخطاب وأبو حذيفة، فلمَّا كان عَلَى بُعد ليلةٍ من معسكر مسيلمة، هجم عَلَى مفرزة من بني حنيفة بإمرة مجاعة بن مرارة الحنفي، قُوَّتُهَا بين ثلاثين أو أربعين فارسًا، فأسرهم وقتل أصحاب مجاعة، واستحياه رهينة لديه، لشرفه في بني حنيفة.

والتَقَى الجمعان بـ «عقرباء» [٣] وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حُذيفة،

---

(١) معدودة من نجد.

(٢) صحابيّ جليل.

(٣) منزل من أرض اليمامة.

وكانت راية الأنصار مع ثابت بن شماس، وكانت العرب عَلَى رايتها، واشتد القتال بشكل لم يسبق له مثيل من قبل عند المسلمين، فانهزم المسلمون حَتَّى دخل بنو حنيفة فسطاط خالد، ولكن المسلمين عادوا فاستقتلوا، فكانت الحرب يومئذ سجالًا، تكون مرة عَلَى المسلمين، ومرة عَلَى المشركين، فقال خالد: «أيُّهَا النَّاس، امتازوا، لنعلم بلاء كل حي، ولنعلم من أين نُؤتى».

فامتاز أهل القرى والبوادي، وامتازت القبائل من أهل البادية وأهل الحضر، فوقف بنو كلِّ أبٍ عَلَى رايتهم، ولكن مسيلمة ثَبَت، فعرف خالد أن الحرب لا تركد إلا بقتل مسيلمة، فحمل عليه قائلًا لحماته: «لا أوتينّ من خلفي» حَتَّى كان بحيال مسيلمة يطلب الفرصة ويرقب مسيلمة، فلمَّا دنا منه ودعاه وعرض عليه أشياء مما يشتهي، وجد فرصته مناسبة فهاجمه هجومًا شديدًا، فأدبر مسيلمة وأدبر رجاله معه، فصاح خالد في النَّاس، فركبوا المشركين، وكانوا بتماسٍّ شديد معهم، حَتَّى اضطروهم عَلَى الفرار، والتجأ بنو حنيفة إلى حديقة الموت، فدخلوها وأغلقوا عليهم، فصرخ البراء بن مالك: احملوني عَلَى الجدار حَتَّى تطرحوني عليه، فلمَّا وضعوه عَلَى الحائط اقتحم عليهم، فقاتلهم عَلَى الباب حَتَّى فتحه للمسلمين، فدخلوه واقتتلوا قتالًا مريرًا داخل الحديقة لم يروا مثله، فَأَبَادُوا مَن بالحديقة من المشركين، وكان من بين القتلى مسيلمة الكذاب.

وبَثَّ خالد بعد المعركة مباشرة خيوله تطارد فلول المشركين، وتلتقط مَن ليس في الحصون، ثُمَّ نادى بالرحيل، لينزل عَلَى الحصون، فقال له مجاعة: إنَّهُ والله ما جاءك إلا سرعان الخيل، وإن الحصون لمملوءة رجالًا، فَهَلُمَّ إلى الصلح عَلَى ما ورائي، فصالحه خالد عَلَى كل شيء دون النفوس، ثُمَّ قَالَ مجاعة: أنطلقُ إليهم وننظر في هذا الأمر، ثُمَّ أرجع إليك، فدخل مجاعة الحصون، وليس فيها إلا النساء والصبيان ومشيخة فانية ورجال ضَعفَى، فألبسهم الحديد، وأمر النساء أن ينشرن شعورهن ويشرفن عَلَى الحصول، ثُمَّ رجع إلى خالد فقال: قَد أبوا أن يجيزوا ما صنعت، فرأى خالد الحصون مملوءة، وقد نهكت المسلمين الحربُ، وطال اللقاء، وأحبوا أن يرجعوا عَلَى الظفر، ولم يدروا ماذا يحدث لو كان فيها رجال وقتال، لذلك صالح خالد مجاعة عَلَى الفِضة والذهب والسلاح ونصف السبي، وقيل: ربعه.

فلمَّا فتحت الحصون لم يكن فيها إلا النساء والصبيان والضعفاء، فقال خالد لمجاعة: ويحك خدعتني؟! فقال: هم قومي، ولم أستطع إلا ما صنعت.

ثُمَّ وصل بعد إبرام الصلح كتابُ أبي بكر الصِّدِّيق إلى خالد، أن يَقتل كل محتلم، ولكن خالدًا وَفَّى لهم ولم يغدر.

لقد كان عدد قوات المسلمين حوالي ثلاثة عشر ألف مقاتل، وكان عدد رجال مسيلمة حوالي أربعين ألف مقاتل أو أكثر، أي أن المشركين كان لهم الفواق الساحق عَلَى المسلمين، ومع ذلك فقد استشهد من المسلمين ثلاثمائة وستون من المهاجرين الأنصار من سكان المدينة وحدها، وثلاثمائة من المهاجرين من غير أهل المدينة، وثلاثمائة من التابعين، مع شهداء آخرين، فكان جملة مَن قُتل من المسلمين ألفًا ومائتي شهيد، ومنهم خمسمائة من القراء، ولهذا أشار عُمَر بن الخطاب عَلَى أبي بكر الصِّدِّيق أن يجمع القرآن، لئلا يذهب منه؛ بسبب موت مَن يحفظه.

أما بنو حنيفة فقد قتل منهم في معركة اليمامة أربعة عشر ألفًا، وقتل منهم في الطلب سبعة آلاف، أي أن نسبة شهداء المسلمين إلى قتلى المشركين تعادل ستة بالمائة ٦٪ فقط، وهذا يعدُّ من أروع الانتصارات[1].

عباد الله...

ومن صفحات حياة خالد الجهاديّة:

انتصاره عَلَى الروم في معركة اليرموك:

قاد خالد بن الوليد جيش المسلمين في هذه المعركة التي نشبت بين المسلمين وبين الروم الذين خرجوا في تعبية لم يُر الراءون مثلها.

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان، ذكر الوليد بن مسلم أن ماهان قائد الروم طلب خالدًا ليبرز إليه بين الصَّفّين فيجتمعا في مصلحة لهم، فخرج إليه خالد فقال ماهان: إنا قَد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم إلَّا الجهد والجوع، فهلمُّوا إلى أن أُعطي

---

(١) «فرسان النهار» (٢/ ٥٥٥ – ٥٥٩) باختصار.

كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعامًا ترجعون إلى بلادكم، فإذا كان من العام المقبل بعثا لكم بمثلها.

فقال خالد: إِنَّهُ لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أَنَّا قومٌ نشرب الدماء، وأنه بلغنا أَنَّهُ لا دم أطيّب من دم الروم، فجئنا لذلك.

فقال أصحاب ماهان: هذا والله ما كنا نتحدث به عن العرب.

ثُمَّ تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو وهما عَلَى مجنبتي القلب، أن يُنشئا القتال، فبدوا يرتجزان ودعوا إلى البراز، وتنازل الأبطال، وتجاولوا وحمى الحرب وقامت عَلَى ساق، هذا وخالد مع كردوس من الحماة الشجعات الأبطال بين يدي الصفوف، والأبطال يتصاولون من الفريقين بين يديه، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل، ويدبر أم الحرب أتمّ تدبير.

وأشار خالد أن يقف في القلب سعيد بن زيد وأن يكون أبو عبيدة من وراء النَّاس ليرد المنهزم، وقسّم خالد الخيل قسمين فجعل فرقة وراء الميمنة، وفرقة وراء الميسرة، لئلا يفرّ النَّاس وليكونوا رداءً لهم من ورائهم.

فقال له أصحابه: افعل ما أراك الله، وامتثلوا ما أشار به خالد - رَضِي الله عَنهُ -.

وأقبلت الروم رافعة صلبانها ولهم أصوات مزعجة كالرعد، والقساوسة والبطارقة تحرضهم عَلَى القتال وهم في عدد وعُددٍ لم يُر مثله، فالله المستعان وعليه التكلان.

وجعل معاذ بن جبل - رَضِي الله عَنهُ - كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يقول: اللهُمَّ زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وأنزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى، وحبب إلينا اللقاء، وأرضنا بالقضاء.

وخرج ماهان فأمر صاحب الميسرة وهو الدبريجان، وكان عدوّ الله متنسكًا فيهم، فحمل عَلَى الميمنة وفيه الأزد ومذجح وحضرموت وخولان، فثبتوا حَتَّى صدُّوا أعداء الله، ثُمَّ ركبهم من الروم أمثال الجبال فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب، وانكشف طائفة من النَّاس إلى العسكر، وثبت صور من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم، ثُمَّ تنادوا فتراجعوا وحملوا حَتَّى أزالوا مَن أمامهم من الروم وثبت كل قوم عَلَى رايتهم حَتَّى صارت الروم تدور كأنها الرَّحى فلم تَرَ يوم اليرموك إِلَّا مُخًّا ساقطًا،

ومِعصمًا نادرًا[١]، وكفًّا طائرة من ذلك الموطن.

ثُمَّ حمل خالد بمن معه من الخيالة عَلَى الميسرة التي حملت عَلَى ميمنة المسلمين فأزالهم إلى القلب فقُتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف منهم.

ثُمَّ قَالَ: والذي نفسي بيده لم يبق عندهم من الصبر والجَلد غير ما رأيتم، وإني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم.

ثُمَّ اعترضهم فحمل بمائة فارس معه عَلَى نحو مائة ألف فما وصل إليه حَتَّى انفض جمعهم، وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم.

وبينما هم في جولة الحرب وحومة الوغى الأبطال يتصاولون من كل جانب، إذ قدم البريد من نحو الحجاز فدفع إلى خالد بن الوليد فقال له: ما الخبر؟ فقال له - فيما بينه وبينه -: إن الصِّدِّيق - رَضِي الله عَنهُ - قَد تُوفِّي واستخلف عُمَر، واستناب عَلَى الجيوش أبا عبيدة عامر بن الجراح فأسرّها خالد ولم يُبد ذلك للناس لئلا يحصل ضعف ووهن في تلك الحال، وقال له: أحسنت، والناس يسمعون، وأخذ منه الكتاب فوضعه في كنانته[٢]، واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة، وأوقف الرسول الذي جاء بالكتاب - وهو منجمة بن زنيم - إلى جانبه.

قَالَ علماء السّير: وخرج جَرَجة أحد أمراء الروم الكبار من الصَّف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حَتَّى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جَرَجة: يا خالد أخبرني فأصدقنى ولا تكذبني، فإن الحرّ لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع، هل أنزل الله على نبيّكم سيفًا من السماء فأعطاكه فلا تسلّه على أحد إلَّا هزمتهم؟

قَالَ خالد: لا.

قَالَ: فبم سُميتَ سيف الله؟

قَالَ: إن الله بعث فينا نبيّه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعًا، ثم إن بعضنا صدقهُ

---

(١) نادرًا: مقطوعًا ساقطًا.

(٢) الكنانة: جعبة السهام.

وتابعه وبعضنا كذبه وباعده، فكنتُ فيمن كذّبه وباعده، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه. فقال لي: «**أنت سيف من سيوف الله سلّه على المشركين**» ودعا لي بالنصر فسميتُ سيف الله بذلك.

فقال جَرَجة: يا خالد إلى ما تدعون؟

قَالَ: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، والإقرار بها جاء به من عند الله عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ: فمن لم يجبكم.

قَالَ: فالجزية ونمنعهم.

قَالَ: فإن لم يعطها؟

قَالَ: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله.

قَالَ: فما منزلة مَن يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟

قَالَ: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا.

قال جَرَجة: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟

قَالَ: نعم وأفضل.

قَالَ: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟

فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبيّنا وهو حيّ بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويُرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يُسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تَروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونيّة كان أفضل منا.

فقال جَرَجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟

قَالَ: تالله لقد صدقتك وإن الله ولي ما سألت عنه.

فعند ذلك قلب جَرَجة الترس ومال مع خالد، وقال: علمنى الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه فسنَّ[١] عليه قربة من ماء ثم صلّى به ركعتين.

---

(١) سنّ: صبَّ.

وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد فركب خالد وجَرجة معه يقال مع المسلمين، وأُصيب رحمه الله ولم يُصلِّ إلا تلك الركعتين مع خالد رَضِي الله عَنهُ.

ثُمَّ انتهت المعركة بانتصار المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

وانضوى خالد تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح بعد أن عزله عُمَر بن الخطاب رَضِي الله عَنهُ.

ولما عزل عُمَر بن الخطاب خالد بن الوليد عن إمرة الجيوش، اعتذر للناس.

ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ١٩٣): «أن عُمَر قال حين عزل خالدًا عن الشام، والمثنى بن حارثة عن العراق: إنما عزلتهما ليعلم الناس أن الله نصر الدين لا بنصرهما وأن القوة لله جميعًا».

قلت: والمقصود أَنَّهُ فعل ذلك - رَضِي الله عَنهُ - صيانة لعقائد النَّاس، وحماية لجناب التوحيد، حَتَّى لا تتعلق القلوبُ إلا بالله تعالى.

وذكر أيضًا أن عُمَر قَالَ حين عزل خالدًا: «إنك عليّ لكريم، وإنك عندي لعزيز، ولن يصل إليك مني أمر تكرهه بعد ذلك».

عباد الله...

ومن صفحات حياة خالد الجهاديّة:

قتله هرمز ملك الفرس:

كان قائد الفرس «هرمز» أرسل إليه خالد رسالةً مع رجل اسمه «ازاذبة» وكان نصّ رسالة خالد:

«أما بعد، فأسلِم تَسلم، أو اعتقد لنفسك ولقومك الذّمّة وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومنّ إلا نفسك، فقد جئتك بقومٍ يحبون الموت كما تحبون الحياة...».

ورفض «هرمز» الإسلام، واستعد للحرب.

وكان خالد في قمة سياسته العسكرية، وقدرته عَلَى المناورة وخداع العدو لإنزال الهزيمة به بأقل خسارة ممكنة في جيش الإسلام، فتوقع هرمز أن خالدًا سيتجه بجيشه إلى كاظمة في أول الأمر، فوجّه كافة قواته إلى كاظمة، واستعدَّ جُندهُ وحفروا الخنادق،

ولكن خالد الذي قسّم جيشه وفرّقه إلى ثلاث فرق لم يحملهم عَلَى طريق ليُعَمّي وجهته عن عدوه، فيظل في حيرة من أمره حَتَّى آخر لحظة، وأربك خالد القائد الفارسي وفَتَّت أعصابه، فتخطّى كاظمة واتجه نحو الحفير الواقعة شمال كاظمة وغربي الأُبلَّة.

وعندما لم يجد هرمز أي أثر لخالد في كاظمة وأنه تخطّاها نحو الحفير، اغتاظ وأصدر أمره إلى الكتاب في جيشه بأن يعودوا جميعًا إلى الحفير لمصادمة جيش خالد، وأمر هرمز قواته بأن تُجهد نفسها في التَّحرك ليسبق خالدًا إلى الحفير، وهذا هُوَ الذي هدف إليه خالد - رَضِيَ الله عَنهُ -، أن يُرهق عدوه نفسيًّا وجسديًّا قبل نشوب المعركة، وعن عمد تباطأ خالد بجيشه في السير نحو الحفير ليسبق إليها القائد هرمز، وفعلًا وصل هرمز الحفير عَلَى عجل ليسبق إليها خالدًا، ثُمَّ أمر جنده بحفر الخنادق في الحفير استعدادًا لمواجهة خالد، ولما تلقّى خالد من استخباراته أن هرمز قَد أهرق جنده بحفر الخنادق والتعبئة للقتال، عطف بجيشه راجعًا إلى كاظمة وكان المغاوير من مقاتلي الفرس بعد حفر الخنادق في الحفير قَد ربطوا بعضهم ببعض بالسلاسل، توطينًا لأنفسهم عَلَى الموت، أو إحراز النصر، ولما أبلغت هرمز استخباراتهُ أن خالدًا وجيشه قَد عطف نحو الكاظمة راجعًا استشاط غضبًا وتوترت أعصابه، فأصدر أمره إلى جيشه بالعودة نحو كاظمة، وهناك وجد خالدًا في انتظاره قَد عبأ جيشه للقتال، وكانت قوات الفرس أضعاف أضعاف المسلمين، وحال هرمز وقواته بين المسلمين وبين نهر الفرات، ومنعوهم الماء، فقال خالد كلمته الخالدة:

«ألا انزلوا وحطّوا رحالكم، فلعمري ليصيرنَّ الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجُندَين»[١].

ودعا هرمز خالدًا للبراز، وسرعان ما أجابه خالد، ولكن هرمز الخبيث الذي ضرب به المثل فيه فقيل: أخبث من هرمز قَد عهد إلى فرسانه عهدًا للغدر بخالد، فلمَّا نزل خالد نزل هرمز، ومشى إليه خالد، فالتقيا، فاختلفا ضربتين، واحتضنه خالد وحملت حاميةُ هرمز وغدرت، فاستحملوا[٢] خالدًا، فما شغله ذلك عن الهرمزان،

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٣٤٩).
(٢) أي: اتبعوه.

وحمل القعقاع بن عمرو عَلَى حامية هرمز، فأبادها جميعًا، أما خالد فقد تمكنّ في الحال من ذبح هرمز ذبح النِّعَاج، وركن الفرس إلى الفِرار بعد قتل قائدهم، فركب المسلمون أكتافهم يقتلون ويأسرون إلى الليل، ولم ينج من الفرس إلا مَن استطاع ركوب السُّفن، وجمع خالد الرثاث[1] وفيها السلاسل، فكانت وقر بعير، ألف رطل، فَسُمِّيت «ذات السلاسل» ونَفَّل أبو بكر - رَضِي الله عَنهُ - خالدًا قلنسوة هرمز، وكانت قيمتها مائة ألف[2].

عباد الله...

هذه صفحات مشرقة من حياة خالد الجهاديّة، وهي كما تقدّم غيض من فيض، وجمع أطراف السرايا والمعارك والغزوات التي قادها، شيء يُصعب حصره.

وفي هذا القدر الكفاية لمن أراد الهداية.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد حياة حافلة بالجهاد، كما تقدم بعض ذَلِكَ، استقر خالد بن الوليد بِحِمص، ولم يتخلف عن غزوة، يجابه الأخطار، ويقتحم المنايا باحثًا عن الشهادة، ولكن شاءت الإرادة الإلهيّة أن يموت على فراشه، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦].

وها هُوَ فارس الإسلام وقائد المجاهدين عَلَى فراشه يعالج سكرات الموت ويقول: «لقد طلبت القتل في مظانّه فلم يُقدَّر لي إلَّا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلةٍ بتّها وأنا متترس والسَّماء تهلني تمطر إلى الصبح حتى نغير على الكفار»، ثم قَالَ: «إذا أنا متُّ فانظروا إلى سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة

---

(١) الرثاث: المتاع.

(٢) «صلاح الأمة» (٣/ ٥٥٢، ٥٥٣).

في سبيل الله».

وعن أبي الزناد قَالَ: «لَـمَّا حضرت خالدًا الوفاة بكى ثم قَالَ: لقد حضرتُ كذا وكذا زحفًا وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء»[(١)].

ولما وصل نبأُ وفاته إلى عُمَر بن الخطاب قَالَ: «رحم الله أبا سليمان ما عند الله خير له مما كان فيه»، ثُمَّ قَالَ: «كان والله سدّادًا لنحور العدو، ميمون النقيبة».

وبهذا القول لعمر - رَضِيَ الله عَنهُ - نأتي إلى ختام حديثنا عن أبي سُليمان، ونأتي إلى ختام الخطبة اليوم.

۞۞۞۞۞

(١) «أسد الغابة» (٢/ ١٣٥).

الخطبة الثلاثون

مع العلاء بن الحضرميِّ

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فإن كرامات الأولياء ثابتة بالكتاب والسُّنة.

قَالَ تعالى عن مريم: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيهَا زَكَرِيَّا المِحرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزقًا قَالَ يَا مَريَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَت هُوَ مِن عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة.

قَالَ ابن تيميّة - رحمه الله تعالى -: «وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع

الرسول ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ» ا.هـ[١].

فعندما نُحسن العبوديّة لله تعالى، ونخلص العمل له وحده، فإن كلّ قوى الأرض والسماء توضع في خدمتنا.

وهذا ليس أمرًا مستغربًا، ألم يقل الله تعالى في الحديث القدسي الصحيح: «مَن عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَد آذَنتُهُ بِالحَربِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افتَرَضتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزَالُ عَبدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحبَبتُهُ كُنتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبطِشُ بِهَا، وَرِجلَهُ الَّتِي يَمشِي بِهَا، وَإِن سَأَلَنِي لَأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِن استَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ».

حقًّا، ما أجمل الحياة مع الله.

عباد الله...

وضيفنا اليوم من هؤلاء المذكورين في هذا الحديث القدسيّ:

فمن هُوَ؟ وما هي قصّته؟

هُوَ العلاء بن الحضرمي - واسم الحضرمي عبد الله - بن عبَّاد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عويف بن مالك بن الخزرج بن أُبيّ بن الصَّدِف.

ولا يختلفون أَنَّهُ من حضرموت، حليف حرب بن أُميّة، ولّاه النبيُّ ﷺ البحرين، وتُوفّي النبيُّ ﷺ وهو عليها، فأقرّه أبو بكر خلافته كلّها، ثُمَّ أقرّه عُمَر، وتُوفّي في خلافة عُمَر سنة أربعة عشرة، وقيل: تُوفي سنة إحدى وعشرين وهو واليًا عَلَى البحرين، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

والعلاء هُوَ أخو عامر بن الحضرميّ الذي قُتل يوم بدر كافرًا، وأخوهما عمرو بن الحضرمي أوّل قتيل من المشركين قتله مسلم، وكان ماله أوّل مال خُمِّس في الإسلام، قُتل يوم نَخلة.

وأختهم: الصّعبة بنت الحضرميّ، وتزوّجها أبو سفيان وطلّقها، فخلف عليها عبيد الله

---

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص١٥١).

ابن عثمان التيمي، فولدت له طلحة بين عبيد الله التيمي.

وكان له أخٌ يقال له: ميمون بن الحضرميّ، وهو صاحب البئر التي بأعلى مكَّة المعروفة ببئر ميمون، حفرها في الجاهلية.

يقال إن العلاء كان مُجاب الدَّعوة، وإنه خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها[١]، ولما قاتل أهل الردّة بالبحرين كان له في قتالهم أثرٌ كبير[٢].

أسلم العلاء - رَضِي الله عَنهُ - قبل فتح مكَّة، فكان بذلك مِمَّن قَالَ الله تعالى عنهم: ﴿لا يَستَوِي مِنكُم مَّن أَنفَقَ مِن قَبلِ الفَتحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعظَمُ مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّـهُ الحُسنَى وَاللَّـهُ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

عباد الله...

وجاهد العلاء في حياة النبيّ ﷺ وأبلى بلاءً حسنًا، فقد شهد العلاء - رَضِي الله عَنهُ - مع النبيّ ﷺ فتح مكَّة، ويوم حُنين، وقد بعثه النبيُّ ﷺ إلى المنذر بن ساوي العبدي - ملك البحرين - منصرفه من الجِعِرَّانة[٣]، فذهب العلاءُ إليه فأسلم المنذر عَلَى يديه، فكان هذا خير من حُمر النّعم.

وقد تقدم - قبل قليل - أن النبي ﷺ استعمل العلاء عَلَى البحرين، فحمل إلى رسول الله ﷺ مائة وثمانين ألف درهم من مال البحرين.

لَـمَّا مات النبي ﷺ مات بعده بقليل المنذر بن ساوي ملك البحرين، وارتدت البحرين، وثبت الجارود بن المُعَلَّى العبدي، ومعه عبد القيس، ثبتوا عَلَى إسلامهم.

وحاصر المرتدون المسلمين بـ«جُواثا»[٤]، فاشتد الحصار عَلَى مَن بها، فقال عبد الله ابن حذف، وقد قَتَلَهُم الجُوعُ:

ألا أبلِـــغ أبـــا بَكــــر رَسُـــولاً وفِتـــيَانَ المديـــــنة أجمَعِيــــنَا

---

(١) ستأتي هذه الكلمات بعد قليل إن شاء الله.

(٢) «أسد الغابة» (٤/ ٦٦).

(٣) ماء بين الطائف ومكة.

(٤) حصن لعبد القيس بالبحرين، وهو أوّل موضع جُمعت فيه الجمعة بعد المدينة.

فَهَــل لَكُــمُ إلى قَــومٍ كــرامٍ قُعُــودٍ في جــواثا محــصرينا
كــأن دمــاءهم في كــل مــج شـعاع الــشَّمس تَغـشَى النَّاظِـرِينَا
تَوَكَّلــنا عَلَــى الــرَّحمن إنَّــا وَجَــدنَا النَّــصر لِلمُتَوَكِّلِــنَا

فدعا الصِّدِّيق أبو بكر - رَضِيَ الله عَنهُ - العلاء بن الحضرمي فقال: إني وجدتك من عُمَّال رسول الله ﷺ الذين وَلَّى، فرأيتُ أُوَلِّيَكَ ما كان رسول الله ﷺ وَلَّاكَ، فعليك بتقوى الله، فخرج العلاء بن الحضرمي من المدينة في ستة عشر راكبًا، معه فرات ابن حيَّان العجلي دَليلًا، وكتب أبو بكر كتابًا للعلاء بن الحضرمي أن ينفر معه كل مَن مَرَّ به من المسلمين إلى عدوِّهم، فسار العلاء فيمن تبعه منهم حَتَّى نزل حصن جواثا، فقاتلهم، فلم يفلت منهم أحد، ثُمَّ أتى القطيف وبها جَمعٌ من العجم فقاتلهم، فأصاب منهم طرفًا، وانهزموا، فانضمت الأعاجم إلى الزرارة فأتاهم العلاء فنزل الخط عَلَى ساحل البحر، فقاتلهم وحاصرهم إلى أن توفي أبو بكر - رَضِيَ الله عَنهُ - وولى عُمَر بن الخطاب، فطلب أهل الزرارة الصلح، فصالحهم العلاء.

ثُمَّ عَبَرَ العلاء إلى أهل دارين فقاتلهم، فقتل المقاتلة، وحوى الذراري.

وبعث العلاء عرفجة بن هرثمة إلى أسياف[1] فارس فقطع في السفن، فكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس، واتخذ فيها مسجدًا، وأغار عَلَى باريخان والأسياف، وذلك في سنة ١٤هـ[2].

وبعث أبو بكر الصِّدِّيق - رَضِيَ الله عَنهُ - العلاء بن الحضرمي عَلَى قتال أهل الردة بالبحرين، فلمَّا كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفي في مُسلِمَة بني حنيفة، ولحق به أيضًا قيس بن عاصم المنقري، وأعطاه بدل ما كان قسم من الصدقة بعد موت النبي ﷺ، وانضم إليه عمرو والأبناء، وسعد بن تميم، والرباب أيضًا لحقته في مثل عُدَّتِهِ، فسلك بهم الدهناء - وهي صحراء مخوفة خالية من الماء والمرعى، فلاقى العلاء ورجاله مشقات كثيرة عند قطعها، حَتَّى أصبحت حياتهم في خطر عظيم[3].

---

(١) **أسياف**: جمع سيف، وهو ساحل البحر.
(٢) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٦٧).
(٣) «الطبري» (٢/ ٥١٩)، ولكن العلاء وصحبه تحمّلوا تلك المشقة بإيمان وصبر عجيبين.

لَـمَّا سلك ا لعلاء بأصحابه الدهناء حَتَّى كانوا في بحبوحتها، نزل وأمر النَّاس بالنزول في الليل، فنفرت إبلهم بأحمالها، فما بقي عندهم بعير ولا زاد ولا ماء، فلحقهم من الغم ما لا يعلمه إلا الله، ووصى بعضهم بعضًا، فدعاهم العلاء فاجتمعوا إليه فقال: ما هذا الذي غلب عليكم من الغم؟

فقالوا: كيف نُلَامُ؟ ونحن إن بلغنا غدًا لم تحم الشمس حتى نهلك.

فقال: لن تُرَاعُوا، أنتم المسلمون، وفي سبيل الله، وأنصار الله فأبشروا، فوالله لن تُخذَلُوا.

فلما صلوا الصبح دعا العلاء ودعوا معه، فلمع لهم الماء فمشوا إليه وشربوا واغتسلوا، فما تَعَالَى النَّهارُ حتى أقبلت الإبل تجمع من كل وجه فأناخت إليهم فسقوها، وكان أبو هريرة فيهم، فلما ساروا عن ذلك المكان قال لمنجاب بن راشد: كيف عِلمك بموضع الماء؟

قال: عارفٌ به.

فقال له: كن معي حتى تقيمني عليه.

قال: فرجعتُ به إلى ذلك المكان فلم نجد إلا غدير الماء.

فقلت له: والله لولا الغدير لأخبرتك أنّ هذا هو المكان، وما رأيت بهذا المكان ماءً قبل اليوم، وإذا إداوة مملوءة ماءً فقال أبو هريرة: هذا والله المكان: وما رأيت، ولهذا رجعت بك، وملأت إدواتي ثم وضعتها على شفير الغدير، وقلت: إن كان منا من المنّ عرفته وإن كان عينًا عرفته، فإذا مَنٌّ مِن المُنِّ، فحمد الله.

ثم ساروا فنزلوا بهَجَر، وأرسل العلاء إلى الجارود يأمره أن ينزل بعبد القيس على الحطم مما يليه، وسار هو فيمن معه حتى نزل عليه مما يلي هجر فاجتمع المشركون كلهم إلى الحطم إلا أهل دارين، واجتمع المسلمون إلى العلاء، وخندق المسلمون على أنفسهم والمشركون، وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خندقهم فكانوا كذلك شهرًا، فبينا هم كذلك إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء هزيمة أو قتال، فقال العلاء: من يأتينا بخبر القوم؟

فقال عبد الله بنَ حذف: أنا.

فخرج حتى دنا من خندقهم فأخذوه، وكانت أمه عجلية فجعل ينادي يا أبجراه. فجاء أبجر بن بجير فعرفه فقال: ما شأنك؟ فقال: علام أقتل وحولي عساكر من عِجل وتَيّم اللات وغيرها؟ فخلَّصَهُ، فقال له: والله إني لأظنك بئس ابن أخت أتيتَ الليلة أخوالك.

فقال: دعني من هذا وأطعمني فقد مِتُّ جوعًا فقرب له طعامًا فأكل، ثم قال: زودني واحملني يقول هذا لرجل قد غلب عليه السكر فحمله على بعير وزوده وجوزه فدخل عسكر المسلمين فأخبرهم أنّ القوم سكارى، فخرج المسلمون عليهم فوضعوا فيهم السيف كيف شاؤوا، وهرب الكفار فمن بين مترد، وناج ومقتول، ومأسور، واستولى المسلمون على العسكر ولم يفلت رجل إلا بما عليه فأما أبجر فأفلت.

وأما الحطم فقتل قيس بن عاصم بعد أن قطع عفيف بن المنذر التميمي رجله، وطلبهم المسلمون، فأسر عفيف المنذر بن النعمان بن المنذر الغرور فأسلم، وأصبح العلاء فقسم الأنفال، ونقل رجالًا من أهل البلاء ثيابًا فأعطى ثمامة بن أثال الحنفي خميصة ذات أعلام كانت للحطم يباهي بها، فلما رجع ثمامة بعد فتح دارين رآها بنو قيس بن ثعلبة فقالوا له: أنت قتلت الحطم. فقال: لم أقتله ولكني اشتريتها من المغنم فوثبوا عليه فقتلوه.

وقصد عظم الفلال إلى دارين[1] فركبوا إليها السفن، ولحق الباقون ببلاد قومهم، فكتب العلاء إلى من ثبت على إسلامه من بكر بن وائل منهم عتيبة بن النهاس، والمثنى ابن حارثة، وغيرهما يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدين بكل طريق، ففعلوا وجاءت رسلهم إلى العلاء بذلك فأمر أن يؤتى من وراء ظهره فندب حينئذ الناس إلى دارين، وقال لهم: قد أراكم الله من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر فانهضوا إلى عدوكم، واستعرِضوا البحر.

وارتحل وارتحلوا حتى اقتحم البحر على الخيل والإبل والحمير وغير ذلك، وفيهم

---

(١) هي بالبحرين، وكان يُجلب إليها المسك من الهند.

الراجل ودعا ودعوا وكان من دعائهم: «يا أرحم الراحمين، يا كريم، يا حليم، يا أحد، يا صمد، يا حيّ، يا محيي الموتى، يا حي، يا قيوم، لا إله إلا أنت، يا ربنا». فاجتازوا ذلك الخليج بإذن الله يمشون على مثل رملة فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل،وبين الساحل ودارين يوم وليلة بسفن البحر فالتقوا واقتتلوا قتالًا شديدًا فظفر المسلمون؛ وانهزم المشركون؛ وأكثر المسلمون القتل فيهم فما تركوا بها مخبرًا وغنموا وسبوا، فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا وضرب الإسلام فيها بجرانه، وكتب العلاء إلى أبي بكر يعرّفه هزيمة المرتدين، وقتل الحطم، وكان مع المسلمين راهب من أهل هجر فأسلم فقيل له: ما حملك على الاسلام؟

قال: ثلاثة أشياء: خشيتُ أن يمسخني الله بعدها فيض في الرمال، وتمهيد أثباج[(١)] البحر، ودعاء سمعتُه في عسكرهم في الهواء سحرًا: «اللهم أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرك، والبديع فليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، الحي الذي لا يموت، وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم أنت في شأن، علمت كل شيء بغير تعلم».

فعلمتُ أنّ القوم لم يعانوا بالملائكة إلا وهم على حق، فكان أصحاب النبي ﷺ يسمعون هذا منه بعد[(٢)(٣)].

عباد الله...

وهذه الولاية، وهذا التأييد، وهذا المدد، لا يأتي اعتباطًا، ولكنه ثمرة اجتهاد وجهاد.

قَالَ مسلم: «تركتموه، وأقبل بعضكم عَلَى بعض، لو أقبلتم عليه لرأيتم العجائب».

نعم يا سيّدي.

اللهُمَّ إنا نشكو إليك ضعفنا وعجزنا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) ثبج: وسطه ومعظمه.
(٢) «الكامل» (٢/ ٢٢٥ - ٢٢٨).
(٣) «فرسان النهار» (٥/ ١٢١ - ١٢٤).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

عن سهم بن منجاب قَالَ: «غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين[١] فدعا بثلاث دعوات فاستجيبت له فيهن:

- نزلنا منزلًا فطلب الماء ليتوضأ فلم يجده فقام فصلى ركعتين وقال: «اللهُمَّ إنَّا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك اللهُمَّ اسقنا غيثًا نتوضأ منه ونشرب إذا توضأنا لم يكن لأحد فيه نصيب غيرنا».

فسرنا قليلا فإذا نحن بماء حين أقلعت عنه السماء فتوضأنا منه وتزودنا وملأت إدواتي وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا؟

فسرنا قليلا ثم قلت لأصحابي نسيت إدواتي فجئت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط.

- ثم سرنا حتى أتينا «دارين» والبحر بيننا وبينهم، فقال: «يا عليم يا حليم يا عليّ يا عظيم إنَّا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهُمَّ فاجعل لنا إليهم سبيلا».

فتقحّم البحر فخضنا ما بلغ لبودنا فخرجنا إليهم، فلما رجع أخذه وجع البطن فمات، فطلبنا ماء نغسله فلم نجده فلففناه في ثيابه ودفناه.

فسرنا غير بعيد فإذا نحن بماء كثير، فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فاستخرجناه فغسلناه، فرجعنا فطلبناه فلم نجده.

- فقال رجل من القوم إني سمعته يقول: «يا عليّ يا عظيم يا حليم اخف عليهم موتي - أو كلمة نحوها - ولا تطلع على عورتي أحدًا». فرجعنا وتركناه[٢].

---

(١) دارين: في بلاد فارس.

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٣٥٣).

وأورد الإمام الذهبيّ هذه القصّة في «سير أعلام النبلاء» عن أبي هريرة - رَضِيَ الله عَنهُ - مختصرة وذكر فيها أنهم غسلوه، وهذا أقرب للصواب.

فعن أبي هريرة - رَضِيَ الله عَنهُ -: «رأيت من العلاء ثلاثة أشياء لا أزال أحبّه أبدًا: قطع البحر على فرسه يوم دارين، وقدم يريد البحرين، فدعا الله بالدهناء، فنبع لهم ماء فارتووا، ونسي رجل منهم بعض متاعه، فرد، فلقيه، ولم يجد الماء، ومات ونحن على غير ماء، فأبدى الله لنا سحابة، فمطرنا، فغسلناه، وحفرنا له بسيوفنا، ودفناه، ولم نُلحِد له»[1].

عباد الله...

وهكذا غاب بدنُ العلاء بعد أن كان:

كالبدرِ من حيثُ التَفَتَّ رأيتَهُ ... يُهدي إلى عَينَيكَ نُورًا ثاقبًا

كالبحر يقذفُ للقريب جَوَاهرًا ... جُوادًا ويبعث للبعيد سَحائِبًا

كالشمس في كَبدِ السَّماء وَضَوءُهَا ... يَغشَى البلادَ مشارقًا ومغربًا

لكن أعماله سيظل نُورُها يُضيء للسالكين الطريق.

۞۞۞۞۞

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٦٥، ٢٦٦)، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (١٥٨، ١٥٩).

الخطبة الحادية والثلاثون

[أ] مع عبد الله بن مسعود

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فلقاؤنا اليوم - بإذن الله تعالى - مع الإمام، المقرئ، المعلِّم، فقيه الأُمَّة: أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رَضِيَ الله عَنهُ.

عباد الله...

من هُوَ ابن مسعود؟

وما هي قصّته؟

هُوَ عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح بن فار بن مخزوم بن صاهلة ابن كاهل بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر الهذليّ،

المهاجريّ، البدريّ، حليفُ بني زهرة.

ويُكنَى: أبا عبد الرحمن.

وكان - رَضِي الله عَنهُ - من السابقين الأوّلين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم «اليرموك» عَلَى النفل، ومناقبه غزيرة، وروى علمًا كثيرًا.

أسلم - رَضِي الله عَنهُ - قبل دخول النبيّ ﷺ دار الأرقم، وشهد المشاهد كلّها.

كان - رَضِي الله عَنهُ - خفيف اللّحم، قصيرًا، شديد الأدمة، طيِّب الريح.

وكان يشبه النبيّ ﷺ في هَديِهِ وَدَلّه وسَمتِهِ.

ولي قضاء الكوفة وبيت المال لعمر، وصدرًا من خلافة عثمان، ثُمَّ صار إلى المدينة فمات بها سنة اثنين وثلاثين، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وأُمّه هي أُمّ عبد.

ويَقصُّ علينا ابنِ مَسعُودٍ قصّة إسلامه فَيقُول: «كُنتُ غُلَامًا يَافِعًا أرعَى غَنَمًا لِعُقبَة ابنِ أَبِي مُعَيطٍ[1] فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنهُ وَقَد فَرَّا مِن المُشرِكِينَ فَقَالَا: يَا غُلَامُ هَل عِندَكَ مِن لَبَنٍ تَسقِينَا؟

قُلتُ: إِنِّي مُؤتَمَنٌ وَلَستُ سَاقِيَكُمَا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَل عِندَكَ مِن جَذَعَةٍ[2] لَم يَنزُ عَلَيهَا الفَحلُ[3]؟**».

قُلتُ: نَعَم، فَأَتَيتُهُمَا بِهَا فَاعتَقَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ الضَّرعَ وَدَعَا فَحَفَلَ الضَّرعُ، ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكرٍ بِصَخرَةٍ مُنقَعِرَةٍ فَاحتَلَبَ فِيهَا، فَشَرِبَ وَشَرِبَ أَبُو بَكرٍ ثُمَّ شَرِبتُ.

ثُمَّ قَالَ لِلضَّرعِ: «**اقلِص**»[4] فَقَلَصَ.

قَالَ: فَأَتَيتُهُ بَعدَ ذَلِكَ فَقُلتُ: عَلِّمنِي مِن هَذَا القَولِ.

قَالَ: «**إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ**».

---

(١) وقع أسيرًا في بدر، وقتل صبرًا عليه لعنة الله.

(٢) **جذعة**: أنثى الماعز.

(٣) **لم ينز عليها الفحل**: لم يثب عليها الفحل.

(٤) **قلص الضرع**: ارتفع، وتقلّص.

قَالَ: فَأَخَذتُ مِن فِيهِ[١] سَبعِينَ سُورَةً لَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ»[٢].

فكان سبب إسلامه - أيُّها المسلمون - أمانتهُ ثُمَّ رؤيتهُ لمعجزة ظاهرة حسّيَّة لرسول الله ﷺ.

ولما رأى ابن مسعود ذلك، أشرق نور الإيمان في قلبه، وحدث ما حدث كما قصّ علينا بنفسه.

عباد الله...

أسلم ابن مسعود قديمًا كما تقدّم، وكان أول من جهر بالقُرآن بمكّة بعد النبيّ ﷺ عند البيت، وقريش في أنديتها قرأ سورة ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ القُرآن﴾ [الرحمن: ١، ٢]. فقاموا إليه فضربوه.

وبلغ ابن مسعود عند النبي ﷺ وعند الصَّحابة مكانًا عليًّا وشأنًا عظيمًا.

بل وبلغ عند ربّه سُبحَانَهُ وتَعَالَى مكانًا عليًّا، ومقامًا كبيرًا، يدلّ عَلَى ذلك ما يلي:

عَن زِرِّ بنِ حُبَيشٍ عَنِ ابنِ مَسعُودٍ: أَنَّهُ كَانَ يَجتَنِي سِوَاكًا مِن الأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَينِ، فَجَعَلَت الرِّيحُ تَكفَؤُهُ فَضَحِكَ القَومُ مِنهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مِمَّ تَضحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِن دِقَّةِ سَاقَيهِ. فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثقَلُ فِي المِيزَانِ مِن أُحُدٍ**»[٣].

وفي رواية: فَضَحِكُوا مِن حُمُوشَةِ سَاقَيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا تَضحَكُونَ؟ لَرِجلُ عَبدِ اللَّهِ أَثقَلُ فِي المِيزَانِ يَومَ القِيَامَةِ مِن أُحُدٍ**»[٤].

ولزم ابن مسعود - رَضِيَ الله عَنهُ - رسول الله ﷺ حين أسلم، وكان يحمل نعليه وسواكه، وقال له الرسولُ ﷺ: «**إِذنُكَ عَلَيَّ أَن يُرفَعَ الحِجَابُ وَأَن تَستَمِعَ سِوَادِي حَتَّى أَنهَاكَ**»[٥].

---

(١) فيه: فمه الشريف ﷺ.

(٢) **إسناده حسن**: رواه أبو داود.

(٣) رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح، «المجمع» برقم (١٥٥٦٣).

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه مسلم (٢١٦٩).

ولهذا كان يقالُ له: صاحب السواك والسواد[(١)].

وكان هُوَ الذي يُلبس رسول الله ﷺ نعليه ويمشي أمامه بالعصا حَتَّى يدخل أمامه الحجرة، فإذا أتى رسول الله ﷺ مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعيه وأعطاه العصا.

عَن عَلقَمَةَ، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنهُ، فَقَالَ: إِنِّي جِئتُكَ مِن عِندِ رَجُلٍ يُملِي المَصَاحِفَ عَن ظَهرِ قَلبٍ.

قَالَ: فَفَزِعَ عُمَرُ، فَقَالَ: وَيحَكَ انظُر مَا تَقُولُ، وَغَضِبَ.

فَقَالَ: مَا جِئتُكَ إِلا بِالحَقِّ.

قَالَ: مَن هُوَ؟

قَالَ: عَبدُ اللَّهِ بن مَسعُودٍ.

قَالَ: مَا أَعلَم أَحَدًا أَحَقَّ بِذَلِكَ مِنهُ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَن عَبدِ اللَّهِ: إِنَّا سَمَرنَا لَيلَةً فِي بَيتٍ عِندَ أَبِي بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنهُ فِي بَعضِ مَا يَكُونُ مِن حَاجَةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ خَرَجنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمشِي بَينِي وَبَينَ أَبِي بَكرٍ، فَلَمَّا انتَهَيتُ إِلَى المَسجِدِ إِذَا رَجُلٌ يَقرَأُ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَستَمِعُ إِلَيهِ، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَعتَمتَ، فَغَمَزَنِي بِيَدِهِ اسكُت.

قَالَ: فَقَرَأَ وَرَكَعَ وَسَجَدَ وَجَلَسَ يَدعُو وَيَستَغفِرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سَل تُعطَه**»، ثُمَّ قَالَ: «**مَن سَرَّهُ أَن يَقرَأَ القُرآنَ رَطبًا كَمَا أُنزِلَ فَليَقرَأ قِرَاءَةَ ابنِ أُمِّ عَبدٍ**»[(٢)].

فَعَلِمتُ أَنَا وَصَاحِبِي أَنَّهُ عَبدُ اللَّهِ، فَلَمَّا أَصبَحتُ غَدَوتُ إِلَيهِ لأُبَشِّرَهُ، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا أَبُو بَكرٍ، وَمَا سَابَقتُهُ إِلَى خَيرٍ إِلا سَبَقَنِي إِلَيهِ»[(٣)].

وروى مسلم في «صحيحه» عَن عَبدِ اللَّهِ بن مسعود - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: «قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اقرَأ عَلَيَّ القُرآنَ**».

قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيفَ أَقرَأُ عَلَيكَ وَإِنَّمَا أُنزِلَ عَلَيكَ؟

---

(١) «البداية» (٥/ ٢٤٥).

(٢) رواه البزار والطبراني، ورجالها رجال الصحيح. «المجمع» برقم (١٥٥٦٣).

(٣) إسناده صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٢٤).

قَالَ: «إِنِّي أَشتَهِي أَن أَسمَعَهُ مِن غَيرِي».

قَالَ: فَافتَتَحتُ سُورَةَ النِّسَاءِ فَقَرَأتُ عَلَيهِ فَلَمَّا بَلَغتُ: ﴿فَكَيفَ إِذَا جِئنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قَالَ: نَظَرتُ إِلَيهِ وَعَينَاهُ تَذرِفَانِ».

وفي رواية: قَالَ: «حَسبُكَ الآنَ»، فَالتَفَتُّ إِلَيهِ فَإِذَا عَينَاهُ تَذرِفَانِ.

عَن ابنِ مَسعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقتَدُوا بِاللَّذَينِ مِن بَعدِي مِن أَصحَابِي أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ وَاهتَدُوا بِهَديِ عَمَّارٍ وَتَمَسَّكُوا بِعَهدِ ابنِ مَسعُودٍ»[١].

وعن الشّعبيّ قَالَ: «ذكروا أن عُمَر بن الخطاب - رَضِي الله عَنهُ - لقي رَكبًا في سفر له فيهم عبد الله بن مسعود[٢] فأمر عمر رجلًا يناديهم: من أين القوم؟

فأجابه عبد الله: أقبلنا من الفجِّ العميق.

فقال عُمَر: أين تريدون؟

فقال عبد الله: البَيتُ العتيق.

فقال عُمَر: إن فيهم عالمًا، وأمر رجلًا فناداهم: أيُّ القُرآن أعظم؟

فأجابه عبد الله: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ...﴾ [البقرة: ٢٥٥] حَتَّى ختم الآية.

قَالَ عُمَر: نادِهم أيُّ القُرآن أحكم؟

فقال ابن مسعود: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُربَى وَيَنهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغيِ﴾ [النحل: ٩٠].

فقال عُمَر: نادِهم أيُّ القُرآن أجمع؟

فقال ابن مسعود: ﴿فَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيرًا يَرَهُ * وَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

فقال عُمَر: نادِهم أيُّ القُرآن أخوف؟

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٧٥)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) ولم يكن عمر - رَضِي الله عَنهُ - قد علم أنَّهُ فيهم.

فقال ابن مسعود: ﴿لَيسَ بِأَمَانِيِّكُم وَلاَ أَمَانِيِّ أَهلِ الكِتَابِ مَن يَعمَل سُوءًا يُجزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

فقال عُمَر: نادِهم أيُّ القُرآن أرجَى؟

فقال ابن مسعود: ﴿قُل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِم لاَ تَقنَطُوا مِن رَّحمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

فقال عُمَر: نادِهم: أفيكم ابن مسعود؟

قالوا: اللهُمَّ نعم» ا.هـ.

عَن شَقِيقٍ قَالَ: «كُنتُ قَاعِدًا مَعَ حُذَيفَةَ، فَأَقبَلَ عَبدُ اللَّهِ بنُ مَسعُودٍ فَقَالَ حُذَيفَةُ: إِنَّ أَشبَهَ النَّاسِ هَديًا وَدَلًّا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِن حِينِ يَخرُجُ مِن بَيتِهِ حَتَّى يَرجِعَ فَلَا أَدرِي مَا يَصنَعُ فِي أَهلِهِ كَعَبدِ اللَّهِ بنِ مَسعُودٍ، وَاللَّهِ لَقَد عَلِمَ المَحفُوظُونَ مِن أَصحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّ عَبدَ اللَّهِ مِن أَقرَبِهِم عِندَ اللَّهِ وَسِيلَةً يَومَ القِيَامَةِ» أخرجه البخاري بنحوه.

عباد الله...

ومن اللحظة الأولى التي دخل ابن مسعود - رَضِي الله عَنهُ - فيها الإسلام بدأ رحلة جهاد طويلة مع نفسه أولًا، فأصلح من شأنها، يقول رَضِي الله عَنهُ: «كان الرجل منَّا إذا ما تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حَتَّى يعرف معانيهنَّ، والعمل بهنَّ»[1].

وهذه نقطة الانطلاق الأولى نحو المعالي.

ثُمَّ بدأ يجهر بعقيدته أمام الملأ من قريش، لا يخشى إلَّا الله، يقول الزُّبير بن العوام - رَضِي الله عَنهُ -: أوّل من جهر بالقُرآن بمكَّة بعد رسول الله ﷺ عبدُ الله بن مسعود[2].

واشترك ابن مسعود - رَضِي الله عَنهُ - في غزوة بدر، وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وأطاح برأس أبي جهل، وحملها إلى رسول الله ﷺ، وكان أبو جهل لعنه الله قد سقط صريعًا

---

(١) إسناده حسن: أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٥).

(٢) رجاله ثقات: أخرجه ابن حجر في «الإصابة» (٦/ ٢١٥).

في أرض المعركة إثر ضربات موجعة، نفذها غلامان من الأنصار.

يقول عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَوفٍ رَضِي الله عَنهُ: «إِنِّي لَوَاقِفٌ يومَ بَدرٍ فِي الصَّفِّ نَظَرتُ عَن يَمِينِي وَعَن شِمَالِي فَإِذَا أَنَا بَينَ غُلَامَينِ مِن الأَنصَارِ حَدِيثَةٍ أَسنَانُهمَا، تَمَنَّيتُ لَو كُنتُ بَينَ أَضلَعَ مِنهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَل تَعرِفُ أَبَا جَهلٍ؟

قُلتُ: نَعَم، وَمَا حَاجَتُكَ يَا ابنَ أَخِي؟

قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ سَبَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَو رَأَيتُهُ لَم يُفَارِق سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعجَلُ مِنَّا.

قَالَ: فَغَمَزَنِي الآخَرُ فَقَالَ لِي مِثلَهَا، فَتَعَجَّبتُ لِذَلِكَ.

فَلَم أَنشَب أَن نَظَرتُ إِلَى أَبِي جَهلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ فَقُلتُ لَهُمَا: أَلَا تَرَيَانِ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسأَلَانِ عَنهُ، فَابتَدَرَاهُ فَاستَقبَلَهُمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ ثُمَّ انصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخبَرَاهُ فَقَالَ: «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟**».

فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُمَا: أَنَا قَتَلتُهُ.

قَالَ ﷺ: «**هَل مَسَحتُمَا سَيفَيكُمَا؟**».

قَالَا: لَا.

فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي السَّيفَينِ فَقَالَ: «**كِلَاكُمَا قَتَلَهُ**».

وفي رواية البخاريّ: «فَأَشَرتُ لَهُمَا إِلَيهِ فَشَدَّا عَلَيهِ مِثلَ الصَّقرَينِ حَتَّى ضَرَبَاهُ وَهُمَا ابنَا عَفرَاءَ».

وفي الصحيحين عن أنس قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يومَ بَدرٍ: «**مَن يَنظُرُ مَا صَنَعَ أَبو جَهلٍ؟**»، فَانطَلَقَ ابنُ مَسعُودٍ فَوَجَدَهُ قَد ضَرَبَهُ ابنَا عَفرَاءَ حَتَّى بَرَدَ، قال: فأخذت بلحيته قال: قلت: أنتَ أَبَا جَهلٍ؟ قَالَ: وَهَل فَوقَ رَجُلٍ قَتَلتُمُوهُ؟ أَو قَالَ: قَتَلَهُ قَومُهُ».

وفي رواية للإمام أحمد عن ابن مسعود قَالَ: «انتَهَيتُ إِلَى أَبِي جَهلٍ يَومَ بَدرٍ وَقَد ضُرِبَت رِجلُهُ وَهُوَ صَرِيعٌ وَهُوَ يَذُبُّ النَّاسَ عَنهُ بِسَيفٍ لَهُ، فَقُلتُ: الحَمدُ للهِ الَّذِي أَخزَاكَ يَا عَدُوَّ اللهِ.

فَقَالَ: هَل هُوَ إِلَّا رَجُلٌ قَتَلَهُ قَومُهُ، فَجَعَلتُ أَتَنَاوَلُهُ بِسَيفٍ لِي غَيرِ طَائِلٍ فَأَصَبتُ يَدَهُ

فَنَدَرَ[١] سَيفُهُ، فَأَخَذتُهُ فَضَرَبتُهُ بِهِ حَتَّى قَتَلتُهُ.

وفي رواية: أَنَّهُ - رَضِيَ الله عَنهُ - قَالَ: «فوجدته بآخر رمق فعرفته، فوضعتُ رجلي عَلَى عنقه، وقد كان ضبث بي[٢] مرَّة بمكة فآذاني ولكزني ثُمَّ قُلت له: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قَالَ: وبماذا أخزاني؟ أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قَالَ: قلت لله ولرسوله»[٣].

وفي رواية: أَنَّهُ قَالَ لابن مسعود: لقد ارتقيت مرتقًى صعبًا يا رويعي الغنم، قَالَ ابن مسعود: ثُمَّ احتززت رأسه، ثُمَّ جئتُ به رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله هذا رأس عدوّ الله، فقال: «آللَّـهُ الذي لا إله غيره؟» وكان يمين رسول الله ﷺ، فقلت: نعم، والله الذي لا إله غيره. ثُمَّ ألقيت رأسهُ بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله[٤].

وهكذا شاءت إرادة الله تعالى أن يُقتل أبا جهل تحت حذاء ابن مسعود، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].

يا خِسَّةَ الإنسانِ يا كُفرَ نَفسِهِ ... يُراعيه مولاه رَضِيعًا وناميًا

ولما استوى رُشدًا تولاه كِبرُه ... وجاء لباريه خصيمًا مُعَاديًا

ولو شاء رَبُّ الكون ما دَبَّ هازِلٌ ... عَلَى الأرض مخمور الأحاسِيسَ باغِيا

عباد الله...

ماذا يتمنَّى ابن مسعود؟

كل إنسان في هذه الدنيا يتمنَّى، فمنهم مَن يتمنَّى دنيا يُصيبها، أو امرأة ينكحها، أو منصب يصل إليه، أو مال يجمعه.

فماذا كان يتمنَّى ابن مسعود؟

أخرج البخاريُّ في «صحيحه» عَن طَارِقِ بنِ شِهَابٍ قَالَ: سَمِعتُ ابنَ مَسعُودٍ

---

(١) ندر: سقط.

(٢) ضبث به: قبض عليه ولزمه.

(٣) إسناده حسن: فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

(٤) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٣٦).

يَقُولُ: شَهِدتُ مِن المِقدَادِ بنِ الأَسوَدِ مَشهَدًا لَأَن أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ:

أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدعُو عَلَى المُشرِكِينَ فَقَالَ: «لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَومُ مُوسَى: ﴿**اذهَب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا**﴾ [المائدة: ٢٤]، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَن يَمِينِكَ وَعَن شِمَالِكَ وَبَينَ يَدَيكَ وَخَلفَكَ، فَرَأَيتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشرَقَ وَجهُهُ وَسَرَّهُ - يَعنِي قَولَهُ».

قلت: كان موقف المقداد رَضِي الله عَنهُ يوم بدر قبل بداية المعركة.

عباد الله...

وهل كان ابن مسعود - رَضِي الله عَنهُ - يتمنَّى شيئًا آخر؟

الجواب: نعم.

فما هُوَ؟

الجواب: سيأتي بعد قليل إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فقد كان ابن مسعود - رَضِي الله عَنهُ - يتمنَّى شيئًا غير ما تقدّم، ما هُوَ؟

تُوفِّي عبد الله ذو البجادَين - رَضِي الله عَنهُ - ليلًا، وكان قد خرج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك فمات هناك.

يقول ابن مسعود - رَضِي الله عَنهُ -: قمتُ في جوف الليل في غزوة تبوك، فرأيت شُعلة من نار في ناحية العسكر فاتبعتُها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنيّ قد مات، فإذا هم قد حفروا له ورسول الله ﷺ في حفرته، وأبو بكر وعمر يُدلّيانه إليه، وهو يقول: «**أدنيا إليَّ أخاكما**»، فَدَلَّياه إليه، فلمَّا هيأه لشقِّه قَالَ: «**اللهمَّ إنِّي أمسيتُ عنه راضيًا فأرض عنه**».

يقول عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنهُ -: يا ليتني كُنت صاحب الحُفرة[١].

هذه هي أمنيته في هذه الحياة الدنيا الفانية، أن يظفر برضا الله ورضا رسوله ﷺ.

يا ربّ...

رضاك عَني خَيرٌ من الدُّنيا وما فيها	يا مالِكَ النَّفس قاصيها ودانيها
فليس للنفس آمالٌ تحققّها	سوى رِضَاك فَذا أقصَى أمانيها
فنظرةٌ مِنك يا سُؤلِي ويا أملي	خيرٌ إليَّ من الدُّنيا وما فيها

عباد الله...

والحديث عن أبي عبد الرَّحمن لم ينته بعد، فإلى اللقاء في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى.

۞۞۞۞۞

---

(١) «الإصابة» (٤/ ٩٩).

الخطبة الثانية والثلاثون

[ب] مع عبد الله بن مسعود

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن أبي عبد الرَّحمن **عبد الله بن مسعود** رَضِي الله عَنهُ.

ونتكلم اليوم بإذن الله تعالى عن:

- جهاده بعد رسول الله ﷺ.
- وتعبّدهُ وخوفه.
- وإعلانه الحرب عَلَى الخرافات.
- ولآلئ من مواعظه ووصاياه.
- ثُمَّ نتكلم عن وفاته - رَضِي الله عَنهُ -.

عباد الله...

أما عن جهاده بعد وفاة رسول الله ﷺ:

فقد شارك ابن مسعود في المعارك التي قامت بعد وفاة النبيّ ﷺ، ومن المعارك التي شارك فيها: معركة اليرموك، وأبلى فيها بلاءً حسنًا.

أما عن تعبّدهُ وخوفه:

فيصف الواصفون ابن مسعود - رَضِي الله عَنهُ - بأنه كان «لطيف الجسم، ضعيف اللحم، قصير القامة»، والإنسان لا يُوزن عند الله يوم القيامة بشحمه ولحمه، فكم من رجلٌ سمين لا يزن عند الله يوم القيامة جناح بعوضة، لقد كان ابن مسعود ضعيف اللحم، ولكنه مُلِئَ علمًا، ففي هذا الجسد الناحل كانت تسكن العَظَمة، وتستوطن الخشية.

فعن زيد بن وهب قَالَ: «رأيتُ بِعَيني عبد الله أثرين أسودين من البكاء».

ويقول أخوه عبيد الله بن مسعود: «كان عبد الله إذا هدأت العيونُ، قام فسمعتُ له دويًّا كدويِّ النَّحل».

ويقول بعضُ أصحابه: «مررت بابن مسعود بِسَحَر[1] وهو يقول: «اللهُمَّ دعوتني فأجبتك، وأمرتني فأطعتك، وهذا سَحَر فاغفر لي»، فلمَّا أصبحتُ غدوتُ عليه فقلت له، فقال: إن يعقوب عليه السلام لَـمَّا قَالَ لبنيه: ﴿سَوفَ أَستَغفِرُ لَكُم رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨]، أخَّرهم إلى السَّحر».

ومع هذا الفضل العظيم، والمقام العالي، الذي بلغه ابن مسعود ووصل إليه، إلا أنَّهُ كان يقول: «والله الذي لا إله غيره لو تعلمون عِلمي - أي علمه من نَفسِه - لحثيتُم التُّراب عَلَى رأسي».

وفي رواية للحاكم: «لو تعلمون ذنوبي، ما وطئ عقبي اثنان، ولحثيتم التراب عَلَى رأسي، ولوددتُ أن الله غفر لي ذنبًا من ذنوبي، وأن دُعيت عبد الله ابن رَوثة».

---

(١) **السَّحر**: قُبيل الفجر.

وخرج - رَضِي الله عَنهُ - ذات يوم فاتَّبعه ناس، فقال لهم: ألكم حاجةٌ؟ قالوا: لا، ولكن أردنا أن نمشي معك. قَالَ: ارجعوا فإنه ذلَّة للتابع وفتنة للمتبوع.

وأما عن إعلانه الحرب عَلَى الخرفات:

فعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: «كَانَ عَبدُ اللَّهِ إِذَا جَاءَ مِن حَاجَةٍ فَانتَهَى إِلَى البَابِ تَنَحنَحَ وَبَزَق، كَرَاهِيَةَ أَن يَهجُمَ مِنَّا عَلَى شَيءٍ يَكرَهُهُ.

قَالَت: وَإِنَّهُ جَاءَ ذَاتَ يَوم فَتَنَحنَحَ، وَعِندِي عَجُوزٌ تَرقِينِي مِن الحُمرَةِ[١] فَأَدخَلتُهَا تَحتَ السَّرِيرِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ إِلَى جَنبِي فَرَأَى فِي عُنُقِي خَيطًا، قَالَ: مَا هَذَا الخَيطُ؟

قُلتُ: خَيطٌ أُرقِيَ لِي فِيهِ.

قَالَت: فَأَخَذَهُ فَقَطَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ آلَ عَبدِ اللَّهِ لَأَغنِيَاءُ عَن الشِّركِ، سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِركٌ**».

فَقُلتُ لَهُ: لِمَ تَقُولُ هَذَا، وَقَد كَانَت عَينِي تَقذِفُ فَكُنتُ أَختَلِفُ إِلَى فُلَانٍ اليَهُودِيِّ يَرقِيهَا وَكَانَ إِذَا رَقَاهَا سَكَنَت؟

قَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ عَمَلُ الشَّيطَانِ، كَانَ يَنخُسُهَا بِيَدِهِ فَإِذَا رَقَيتِهَا كَفَّ عَنهَا، إِنَّمَا كَانَ يَكفِيكِ أَن تَقُولِي كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَذهِب البَاسَ رَبَّ النَّاسِ اشفِ أَنتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»[٢].

عباد الله...

إن تطهير البيت من الخرافات، والاعتقادات الفاسدة، وقيادته إلى العقيدة الصحيحة والعمل الصالح، مُهمّة ربّ الأسرة، فهو المسئول بين يدي الله تعالى.

والتقصير في هذا يعرِّض أهل البيت لمخالفات عقائدية، تضرّ التوحيد، ويعرضه

---

(١) **الحمرة**: مرضٌ جلدي مُعْدٍ، يحمرّ فيه موضع الإصابة، تصحبه حُمّى عالية. انظر «المعجم الوجيز» (١٧٠).

(٢) **حسن**: رواه أحمد في «المسند» برقم (٣٦١٥)، وغيره.

والرُّقى نَوعان: رُقى شركيّة، وهي التي ورد فيها النّهي، ورُقى شرعيّة، وقد ثبت أن النبيَّ ﷺ رَقَى الحسن والحسين. وللمزيد راجع كتاب «الكبائر» للذهبيّ، وكتاب «الطب النبوي» لابن القيّم.

كذلك لانحرافات أخلاقية، تضرّ بالسُّمعة.

فاحذروا - عباد الله - من الدّجل وأهله، وحذِّروا أهليكم من الانسياق وراء المشعوذين والنصَّابين.

فكم من عقائد دُمّرت.

وبيوتٍ خُرِّبت.

وأموالٌ أُنفقت.

وأعراضٌ انتهكت.

بسبب إتيان العرَّافين وتصديقهم.

أيُّهَا المسلمون...

وأما عن مواعظ ابن مسعود ووصياه:

فإن مواعظه - رَضِيَ الله عَنهُ - ووصاياه كثيرة، نشير هنا إلى بعضها:

عن عبد الرحمن بن عابس، قَالَ: قَالَ عبد الله بن مسعود:

«إن أصدق الحديث كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وأحسن السُّنن سنَّة محمد ﷺ، وخير الهَدى هَديُ الأنبياء، وأشرف الحديث ذكر الله، وخير القصص القرآن، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور محدثاتها، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ونفس تُنجيها من أمارة لاتحصيها، وشرّ العذيلة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة القيامة، وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وخير ما ألقي في القلب اليقين، والريب من الكفر، وشر العمى عمى القلب، والخمر جماع كل أثم، والنساء حبالة الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، والنوح من عمل الجاهلية، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبرًا[1]، ولا يذكر الله إلا هجرًا.

وأعظم الخطايا الكذب، وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يَعفُ يَعفُ الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يغفر يغفر الله له،

---

(١) أي: في آخر وقتها.

ومن يصبر على الرزية يعقبه الله، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المأكل مال اليتيم، والسعيد من وُعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع، والأمر إلى آخره، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب، وأشرف الموت قتل الشهداء، ومن يعرف البلاء يصبر عليه، ومن لا يعرف ينكر، ومن يستكبر يضعه، ومن يتولى الدنيا تعجز عنه، ومن يطع الشيطان يعص الله، ومن يعص الله يعذبه»[١].

وعن عبد الرحمن بن حجيرة، عن ابن مسعود أَنَّهُ كان يقول إذا قعد:

«إنكم في مَمَّر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموتُ يأتي بغتة. فمن يزرع خيرًا يُوشكُ أن يحصد رغبة، ومن يزرع شرًّا يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطيءٌ بحظه، ولا يُدرك حريص ما لم يُقَدَّر له، فمن أعطى خيراً فالله، تعالى أعطاه، ومَن وُقي شرًّا فالله تعالى وقاه، المتقون سادة، والفقهاءُ قادة، ومجالستهم زيادة»[٢].

وعن المسيّب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود قَالَ: «ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليلِهِ إذ النَّاس نائمون، وبنهارِهِ إذ النَّاس مفرطون، وبحزنِهِ إذ النَّاس فرحون، وببكائه إذ النَّاس يضحكون،وبصمتِهِ إذ النَّاس يخلُطون، وبخشوعِهِ إذ النَّاس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا حليمًا حكيمًا سكِّيتًا[٣]، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا ولا غافلًا ولا سخّابًا ولا صَيَّاحًا ولا حِدِّيدًا». رواه أحمد.

ومن أقواله - رَضِيَ اللهُ عَنهُ -: «ما منكم إلَّا ضيفٌ ومالهُ عارِيَّةٌ، فالضيف مرتحل، والعاريَّة مؤدَّاة إلى أهلها».

وكان يقول: «كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس[٤] البيوت، سُرُج الليل،

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ١٣٣، ١٣٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) أي: دائم السكوت.

(٤) حلس البيت: كساء يبسط تحت حرّ الثياب، والمعنى: لا تبرح بيتك.

جُدد القلوب خُلقان الثياب[١]، تُعرفون في أهل السماء، وتُخفون في أهل الأرض».

وعن منذر، قَالَ: جاء ناس من الدهاقين[٢] إلى عبد الله بن مسعود، فتعجب النَّاس من غلظ رقابهم وصحتهم، فقال عبد الله: «إنكم ترون الكافر من أصحّ النَّاس جسمًا وأمرضه قلبًا، وتلقون المؤمن من أصحّ النَّاس قلبًا وأمرضه جسمًا، وايم الله لو مَرِضت قلوبكم وصحَّت أجسامكم لكنتم أهون عَلَى الله من الجُعلان[٣]».

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن علمني كلمات جوامع نوافع. فقال: «اعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وزل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيدًا بغيضًا، ومن جاءك بالباطل فاردد عليه وإن كان حبيبًا قريبًا».

عن أبي الأحوص، عن عبد الله، قال: «لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً، فإن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإن كنتم لا بد مقتدين فاقتدوا بالميِّت فإن الحيّ لا يؤمن عليه الفتنة».

ومن أقواله: «الحق ثقيل مرئ، والباطل خفيف وبئ، ورُبَّ شهوة تورث حزناً طويلاً».

ومن أقواله أيضًا: «لا يكونن أحدكم إمَّعة، قالوا: وما الإمعة؟ يا أبا عبد الرحمن؟ قال: يقول أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلوا ضللت. ألا ليوطنن أحدكم نفسه على إن كفر الناس أن لا يكفر».

وكان يقول: «إن الرجل ليدخل عَلَى السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين معه لأَنَّهُ تعرّض أن يعصي الله تعالى إمَّا بفعله وإمَّا بسكوته وإمَّا باعتقاده».

وكان - رَضِي الله عَنهُ - يقول: «لو أن رجلًا قام بين الركن والمقام يعبد الله تعالى سبعين سنة وهو يحبُّ ظالمًا، لبعثه الله تعالى يوم القيامة مع مَن يُحِبّ».

وكان يقول لأصحابه: «أنتم أكثر صلاة وأكثر اجتهادًا من أصحاب رسول الله ﷺ

(١) يقال: ثوب خلق، أي: بال.
(٢) يقال: أدهق الكأس: ملأها.
(٣) الجُعل: الدّويبة.

وهم كانوا أزهد منكم في الدنيا وأرغب منكم في الآخرة»[١].

وكان يقول: «مَن سَرَّهُ أَن يَلقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ غَدًا مُسلِمًا فَليُحَافِظ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ المَكتُوبَاتِ حَيثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّهُنَّ مِن سُنَنِ الهُدَى، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ شَرَعَ لِنَبِيِّكُم سُنَنَ الهُدَى، وَمَا مِنكُم إِلَّا وَلَهُ مَسجِدٌ فِي بَيتِهِ، وَلَو صَلَّيتُم فِي بُيُوتِكُم كَمَا يُصَلِّي هَذَا المُتَخَلِّفُ فِي بَيتِهِ لَتَرَكتُم سُنَّةَ نَبِيِّكُم، وَلَو تَرَكتُم سُنَّةَ نَبِيِّكُم لَضَلَلتُم، وَلَقَد رَأَيتُنِي وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعلُومٌ نِفَاقُهُ، وَلَقَد رَأَيتُ الرَّجُلَ يُهَادَى بَينَ الرَّجُلَينِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِن رَجُلٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحسِنُ الوُضُوءَ ثُمَّ يَأتِي مَسجِدًا مِنَ المَسَاجِدِ فَيَخطُو خُطوَةً إِلَّا رُفِعَ بِهَا دَرَجَةً أَو حُطَّ عَنهُ بِهَا خَطِيئَةٌ أَو كُتِبَت لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ حَتَّى إِن كُنَّا لَنُقَارِبُ بَينَ الخُطَى وَإِنَّ فَضلَ صَلَاةِ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ عَلَى صَلَاتِهِ وَحدَهُ بِخَمسٍ وَعِشرِينَ دَرَجَةً**»[٢].

أيُّهَا المسلمون...

هذه بعض مواعظ ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - ووصاياه، وهي كما سمعتم:

- تهذّب الأخلاق.
- وتقوّم السّلوك.
- وترشد الضَّال.
- وتبني الشخصية.
- وتزهّد في الدُّنيا.
- وتُرغّب في الآخرة.
- وتصفي الاعتقاد والأعمال من أدران الشِّرك والإلحاد.

فلتكن هذه المواعظ والوصايا منَّا ببالٍ.

---

(١) «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» برقم (٣٦٢٣) واللفظ له، والحديث له أصل في «صحيح مسلم» (١/ ١٨١).

والله الموفق لما يُحبّ ويرضى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد رحلة من الجهاد طويلة، آن للجسد الناحل أن يستريح من تعب الدنيا ووصبها إلى دار المتقين ونعيمها.

كان عبد الله قَد قَدِمَ من العراق حاجًّا فَمَرَّ بالربذة فشهد وفاة أبي ذرٍّ ودفنه، ثُمَّ قدم المدينة فمرض مرضًا هزم بقيّة العافية في بدنه، وألزمه الفراش ليعالج سكرات الموت، وينتظر رسل الله تعالى، لتقبض الروح الطيبة، لتخرج من سجن الدنيا إلى حيث الحياة الحقيقيّة، والنَّعيم الذي لا يزول.

وأولى عبد الله إلى الزُّبير بن العوام أن يُصلِّي عليه.

فيقال: إنَّهُ صلَّى عليه ليلًا، ثُمَّ عاتب عثمان بن عفان الزُّبير عَلَى ذلك، وقيل: بل صلى عليه عثمان، وقيل: عمَّار، فالله أعلم.

ودُفن - رَضِي الله عَنهُ - بالبقيع عن بضع وستين سنة، عام اثنتين وثلاثين هجرية. وجاء نَعيُ عبد الله إلى أبي الدرداء فقال: ما ترك بعده مِثله.

عباد الله...

وفي الجمعة القادمة، نلتقي مع صحابيّ آخر إن شاء الله، فإلى اللقاء.

۞۞۞۞۞

الخطبة الثالثة والثلاثون

مع أنس بن مالك

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فضيفنا اليوم إن شاء الله تعالى خادم النبيّ ﷺ أنس بن مالك رَضِي الله عَنهُ.

فمن هُوَ أنس؟

وما هي قصّته؟

هُوَ الإمام المُحدِّث، المفتي، راوية الإسلام: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم، أبو حمزة الأنصاريّ الخزرجيّ، آخر الصَّحابة موتًا.

وأُمّه: أُمّ سُلَيم بنت ملحان «الرُّميصاء» الصحابيّة الجليلة.

أسلمت ورسول الله ﷺ بمكة، وبايعته حين مقدمه المدينة، وكان إسلامها

مراغمة لزوجها «مالك بن النضر» والد أنس، الذي كان غائبًا وقتذاك فقال لها: أصبوتِ؟ فقالت: ما صبوتُ ولكنِّي آمنتُ.

وجعلت تُلقِّن أنسًا - وكان صغيرًا - وتقول له: قُل لا إله إلا الله، قُل أشهد أن محمدًا رسولُ الله، فجعل أنس ينطقُ بذلك، فكان هذا التصرف السَّليم من أُمّ سليم يثير الغضبُ في نفس مالك فيقول لها: لا تفسدي عليَّ ابني، فتقول: إنِّي لا أُفسده، ولما أيأسه أمرها، خرج عنها إلى الشام فلقيه عدوٌّ له فقتله، فلمَّا بلغها قتله قالت: لا جَرم لا أفطَم أنسًا حَتَّى يدع الثَّدي، ولا أتزوج حَتَّى يأمرني أنس.

ولما شب أنس تقدَّم لخطبتها أبو طلحة الأنصاري - وكان مشركًا - فأبت، ولما عاوَدَها ثانيةً تفرست في وجهه وتوسمت فيه الخير، فقالت له: إنَّهُ لا ينبغي أن أتزوج مشركًا، أما تعلم يا أبا طلحة أنَّ آلهتكم ينحتها عبدُ آلِ فلان، ولو أشعلتم فيها النار لاحترقت، هل تنفعك هذه الآلهة؟

وأكثرت أُمُّ سُلَيم من أشباه ذلك الكلام، فانصرف أبو طلحة ووقع في قلبه كلامُها، ثُمَّ أتاها - وغرةُ الإسلام بين عينيه - وقال: لقد وقع في قلبي الذي قلتِ، وأعلن إسلامه، عندها قالت: إنِّي أتزوّجُك ولا أريدُ صداقًا غير الإسلام. الله أكبر.

يقول ثابت البُناني[1] رحمه الله تعالى: فما سمعنا بمهرٍ قطّ أكرم مِن مهر أُمّ سُلَيم: الإسلام[2].

عباد الله...

ونال أنس - رَضِي الله عَنهُ - شرف خدمة النبيّ ﷺ فحمل عنه علمًا كثيرًا.

وظل يخدمه عشر سنين كما أخبر هُوَ عن نفسه.

ويُحدِّثنا أنس بن مالك عن يوم مبارك حدث في حياته فيقول:

«قدم رسولُ الله ﷺ المدينة وأنا ابنُ ثمانِ سنين، فأخَذت أُمِّي بيدي، فانطلقت بي

---

(١) تابعي جليل، وكان تلميذًا لأنس بن مالك - رَضِي الله عَنْهُ -.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه عبد الرزاق (١٠٤١٧) وغيره.

إليه فقالت: يا رسول الله لم يبقَ رجلٌ ولا امرأة من الأنصار إلَّا وقد أتحفك بتُحفة، وإنِّي لا أقدرُ عَلَى ما أتحفك به إلَّا ابني هذا، فخُذه فليخدُمك ما بدا لك.

وفي رواية لمسلم: قالت: يا رسول الله هذا أُنيَس ابني آتيك به يخدُمك، فادع الله له، فقال: «**اللهُمَّ أكثر مالهُ وولَده**»، فوالله إنَّ مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي يتَعادُّون عَلَى نحو من مائة اليوم.

وفي رواية: دعا لي رسول الله ﷺ فقال: «**اللهُمَّ أكثر ماله وولده، وأطل حياته**»، فالله أكثر مالي حَتَّى إن كَرمًا لي لتحملُ في السنة مرتين، وَوُلِدَ لصلبي مائة وستة[١].

وفي رواية أَنَّهُ قَالَ: جاءت بي أُمِّي إلى رسول الله ﷺ وأنا غلامٌ فقال: يا رسول الله خويدمك أُنَيس، فادع الله له، فقال: «**اللهُمَّ أكثر ماله وولده وأدخله الجنة**». قَالَ: فقد رأيت اثنتين، وأنا أرجو الثالثة.

قَالَ أبو العالية: كان له - أي لأنس رَضِي الله عَنهُ - بستان يحمل في السَّنة الفاكهة مرتين، وكان بها رَيحان، يجيءُ منه ريحُ المِسك[٢].

عباد الله...

لازم أنس بن مالك رسول الله ﷺ تسع سنوات أو عشر سنوات، فحمل علمًا كثيرًا، ونقل إلينا أدبًا وفيرًا عن رسول الله ﷺ.

ففي «صحيح مسلم» عن أنس قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ أَخَذَ أَبُو طَلحَةَ بِيَدِي فَانطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَنَسًا غُلَامٌ كَيِّسٌ فَلَيَخدُمكَ، قَالَ: فَخَدَمتُهُ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي لِشَيءٍ صَنَعتُهُ لِمَ صَنَعتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلَا لِشَيءٍ لَم أَصنَعهُ لِمَ لَم تَصنَع هَذَا هَكَذَا؟».

قلت: ولا تعارض بين هذه الرواية وما سبق، فلعل أُمّ أنس ذهبت بأنس ومعها زوجها، وفي هذه الرواية دليلٌ عَلَى أن أبا طلحة تزوج بأُم سليم قبل خِدمة أنس لرسول الله ﷺ.

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه ابن عساكر (٣/ ٨٠ب) والبخاري في الأدب المفرد (٦٥٣) بنحوه.

(٢) **رجاله ثقات**: أخرجه الطيالسي، والترمذي (٣٨٣٣)، وحسنه.

وكان النبيُّ ﷺ يلاطفه ويداعبه، ويرفق به.

قَالَ أَنسٌ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن أَحسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرسَلَنِي يَومًا لِحَاجَةٍ فَقُلتُ: وَاللهِ لَا أَذهَبُ، وَفِي نَفسِي أَن أَذهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَخَرَجتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبيَانٍ وَهُم يَلعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَد قَبَضَ بِقَفَايَ مِن وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرتُ إِلَيهِ وَهُوَ يَضحَكُ فَقَالَ: «يَا أُنَيسُ أَذَهَبتَ حَيثُ أَمَرتُكَ؟» قَالَ: قُلتُ: نَعَم أَنَا أَذهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ».

وفي رواية لأحمد عن أنس قَالَ: «خَدَمتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشرَ سِنِينَ فَمَا أَمَرَنِي بِأَمرٍ فَتَوَانَيتُ عَنهُ أَو ضَيَّعتُهُ فَلَامَنِي، فَإِن لَامَنِي أَحَدٌ مِن أَهلِ بَيتِهِ إِلَّا قَالَ: «**دَعُوهُ فَلَو قُدِّرَ** - أَو قَالَ: **لَو قُضِيَ** - **أَن يَكُونَ كَانَ**».

ويواصل أنس - رَضِي الله عَنهُ - الحديث عن أخلاق نبيِّنا فيقول:

«كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيرٍ - قَالَ: أَحسِبُهُ قَالَ: فَطِيمًا - فَقَالَ: وَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَآهُ قَالَ: «**أَبَا عُمَيرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيرُ؟**»[١]، قَالَ: نُغَرٌ كَانَ يَلعَبُ بِهِ، قَالَ: فَرُبَّمَا تَحضُرُهُ الصَّلَاةُ وَهُوَ فِي بَيتِنَا فَيَأمُرُ بِالبِسَاطِ الَّذِي تَحتَهُ فَيُكنَسُ ثُمَّ يُنضَحُ[٢] بِالمَاءِ ثُمَّ يَقُومُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَقُومُ خَلفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا، قَالَ: وَكَانَ بِسَاطُهُم مِن جَرِيدِ النَّخلِ»[٣].

عباد الله...

وكان أنس بن مالك - رَضِي الله عَنهُ - عابدًا مجاهدًا.

عن محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة قَالَ: قيل لأنس: أشهدت بدرًا؟ فقال: وأين أغيبُ عن بدر لا أُمَّ لك. قَالَ الأنصاري: شهدها يخدم رسول الله ﷺ.

قَالَ الحافظ أبو الحجاج المزيّ: لم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي.

قَالَ الإمام الذهبيّ: لم يَعُدَّه أصحابُ المغازي في البدريين لكونه حضرها صبيًّا ما

---

(١) **النغر**: طائرٌ.

(٢) **ينضح**: يرش بالماء عليه من أثر بول أبي عميرة.

(٣) رواه الإمام أحمد.

قاتل، بل بقي في رحال الجيش، فهذا وجهُ الجمع.

ثُمَّ شهد - رَضِيَ الله عَنهُ - ما بعد ذلك من المشاهد.

هذا، وكان أنس بن مالك - رَضِيَ الله عَنهُ - قَدْ أُوتي حظًّا وافرًا من العبادة.

فعن ثمامة، قَالَ: كان أنسٌ يُصلِّي حَتَّى تفطَّر قدماه دمًا، مما يُطيل القيام - رَضِيَ الله عَنهُ -.

وعن ابن سيرين رحمه الله تعالى قَالَ: كان أنس أحسن النَّاس صلاةً في الحضر والسفر.

وعن الحريريّ، قَالَ: أحرم أنس من ذات عرق فما سمعناه متكلِّمًا إلَّا بذكر الله عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى أحلّ[1]، فقال لي: يا ابن أخي هكذا يكون الإحرام.

وعن ثابت البُناني: قَالَ: كان أنس بن مالك إذا ختم القُرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم.

وعن ثمامة بن عبد الله بن أنس قَالَ: كان - رَضِيَ الله عَنهُ - من أشد النَّاس حرصًا عَلَى تطبيق السُّنة.

فعن يزيد بن خَصيفة قَالَ: تنخم أنس بن مالك في المسجد ونسي أن يدفنها[2]، ثُمَّ خرج حَتَّى جاء إلى أهله فذكرها فجاء بشعلة من نار فطلبها حَتَّى وجدها، ثُمَّ حفر لها فأعمق فدفنها.

عباد الله...

وكان أنس بن مالك - رَضِيَ الله عَنهُ - مُجاب الدَّعوة.

فعن ثابت البُناني قَالَ: «كنت مع أنس فجاءت قهرمانة فقالت: يا أبا حمزة عطشت أرضنا، قَالَ: فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البريَّة فصلَّى ركعتين ثُمَّ دعا فرأيتُ السحاب يلتئم ثُمَّ أمطرت حَتَّى خُيِّل إلينا أنها ملأت كل شيء، فلمَّا سكن المطر بَعَثَ أنس بعض

(١) أي: تحلل من إحرامه.

(٢) ففي الحديث: «البُصاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها» متفقٌ عليه.

أهله فقال: انظر أين بلغت السماء، فنظر فلم تَعدُ أرضه إلا يسيرًا». رواه ابن أبي الدنيا، والذهبي من طريق ثابت البناني بلفظٍ مقارب.

قَالَ الإمام الذهبيّ: قلت: هذه كرامةٌ بيِّنةٌ ثبتت بإسنادين[1].

ولا يخفى أن الكرامة ثمرة متابعة النبيّ ﷺ كما تقدّم ذكر ذلك في خطبة سابقة.

عباد الله...

وكانت لأنس - رَضِي الله عَنهُ - مكانة خاصّة عند الشيخين أبي بكر وعمر - رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا -.

يدل عَلَى ذلك:

ما رواه أحد أولاده وهو موسى بن أنس: «أنَّ أبا بكر الصِّدِّيق بعث إلى أنس ليُوجِّههُ عَلَى البحرين ساعيًا، فدخل عليه عُمَر فقال: إنِّي أردتُ أن أبعث هذا عَلَى البحرين - وهو فتًى شابٌّ.

قَالَ: ابعثه فإنه لبيبٌ، كاتبٌ، فبعثه.

فلمَّا قُبض أبو بكر، قدم أنسٌ عَلَى عُمَر، قَالَ عُمَر: هاتِ ما جئتَ به.

قَالَ: يا أمير المؤمنين، البيعةَ أولًا، فبسط يده».

وعن أنس قَالَ: استعملني أبو بكر عَلَى الصدقة، فقدمتُ وقد مات، فقال عُمَر: يا أنس أجئتنا بظهرٍ؟

قلت: نعم.

قَالَ: جئنا به، والمال لك.

قلت: هُوَ أكثرُ من ذلك.

قَالَ: وإن كان، فهو لك، وكان أربعة آلاف».

أيُّها المسلمون...

وامتدت الحياة بأنسٍ - رَضِي الله عَنهُ - فقد استجاب الله سبحانه دعاء نبيِّه ﷺ

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٠١).

كما تقدّم.

وها هُوَ أنس - رَضِي الله عَنهُ - يقول: «لقد دفنتُ من صُلبي مائةً غيرِ اثنين، أو قَالَ: مائة واثنين، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين، ولقد بقيت حَتَّى سئمتُ الحياة».

وكان يقول: «ما بقي أحدٌ صلَّى القبلتين غيري»[١].

وكلما ازداد عمره وطالت به الحياة ازداد شوقًا إلى رسول الله ﷺ وتطلعت نفسه ليوم اللقاء.

روى الإمام أحمد عَن أَنَسٍ قَالَ: سَأَلْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَن يَشفَعَ لِي يَومَ القِيَامَةِ قَالَ: «**أَنَا فَاعِلٌ بِهِم**». قلت: فَأَينَ أَطلُبُكَ يَومَ القِيَامَةِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟

قَالَ: «**اطلُبنِي أَوَّلَ مَا تَطلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**».

قُلتُ: فَإِذَا لَم أَلقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟

قَالَ: «**فَأَنَا عِندَ المِيزَانِ**».

قُلتُ: فَإِن لَم أَلقَكَ عِندَ المِيزَانِ؟

قَالَ: «**فَأَنَا عِندَ الحَوضِ لَا أُخطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَومَ القِيَامَةِ**».

وهاجت أشواق أنس للقاء حبيبه، وتاق شوقًا لرؤياه.

روى أبو داود عن أنس قَالَ: «إِنِّي لأرجو أن ألقى رسول الله ﷺ فأقول: يا رسول الله خويدمك».

فماذا حدث؟

هذا ما سوف نعرفه بعد قليل، إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

❊❊❊❊

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٣١)، وقوله: «صلّى القبلتين» يعني الصلاة إلى بيت المقدس، وإلى الكعبة.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

قلنا: إن العمر امتد بأنس بن مالك - رَضِي الله عَنهُ - وهاج شوقه لرسول الله ﷺ وتاق شوقًا لرؤياه، وكان يقول: «يا رسول الله خويدمك».

واقترب موعد اللقاء، وكان في أواخر حياته قد ضعف عن الصوم، فكان يُطعم المساكين.

روى البخاري: «أطعم أنس بن مالك بعدما كبر عامًا أو عامين كل يوم مسكينًا خبزًا و لحمًا وأفطر».

قَالَ الحافظ: وروى عبد بن حميد من طريق النضر بن أنس، عن أنس أَنَّهُ أفطر في رمضان وكان قد كبر، فأطعم مسكينًا كل يوم، وكان - رَضِي الله عَنهُ - يرى رسول الله ﷺ كل ليلة في منامه.

قَالَ المثنى بن سعيد: «سمعتُ أنسًا يقول: ما من ليلةٍ إلَّا وأنا أرى فيها حبيبي، ثم يبكي» (١).

ومرض - رَضِي الله عَنهُ - ولما اشتد مرضه، ودخل في سياق الموت، جعل يقول وهو يحتضر: لقنوني لا إله إلا الله، فلم يزل يقولها حتى قُبض، وكانت عنده عُصَيَّة من رسول الله ﷺ فأمر بها فدفنت معه، وغسَّله الإمام محمد بن سيرين. واختلف المؤرخون في سنة وفاته، والأصح أَنَّهُ مات سنة ثلاث وتسعين، فيكون عمره على هَذَا مائة وثلاث سنين، وهو آخر مَن مات من الصحابة بالبصرة، رضي الله تعالى عنه.

عباد الله...

وفي الجمعة القادمة، نلتقي مع صحابيّ آخر إن شاء الله، فإلى اللقاء.

---

(١) رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد (٧/ ٢٠).

الخطبة الرابعة والثلاثون

[أ] مع عبد الله بن عباس

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فلقاؤنا اليوم - إن شاء الله تعالى - مع حبر الأُمّة، وفقيه العصر، وإمام التفسير: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب - رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا -.

فمن هُوَ؟

وما هي قِصّته؟

هُوَ ابن عمّ رسول الله ﷺ.

صحب النّبيَّ ﷺ نحوًا من ثلاثين شهرًا[1].

---

(١) «سير أعلام النبلاء»(٣/ ٣٣٢).

قال ابن عباس: «تُوفِّي النبيُّ ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة، وقد ختنت»[١].

روى ابن عباس - رَضِي الله عَنهُ - عن رسول الله ﷺ شيئًا كثيرًا، وعن جماعة من الصَّحابة، وأخذ عنه خلق من الصَّحابة وأمم من التابعين، وله مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله ونبل أصله رضى الله عنه وأرضاه.

وأُمّه أُمّ الفضل «لبابة بنت الحارث الهلالية» أخت ميمونة بنت الحارث أُمّ المؤمنين، وهو آخر إخوة عشرة ذكور من أُمّ الفضل للعباس.

وُلد - رَضِي الله عَنهُ - قبل الهجرة بثلاثِ سنين، وقيل: عام الهجرة، وكان الرسول ﷺ قد بَشَّر بمولده.

فعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «حَدَّثَتنِي أُمُّ الفَضلِ بنتُ الحَارِثِ، قَالَت: بَينَا أَنَا مَارَّةٌ وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي الحِجرِ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ الفَضلِ».

قُلتُ: لَبَّيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «إِنَّكِ حَامِلٌ بِغُلامٍ».

قَالَت: كَيفَ وَقَد تَحَالَفَت قُرَيشٌ لا تُولِدُونَ النِّسَاءَ؟

قَالَ: «هُوَ مَا أَقُولُ لَكِ، فَإِذَا وَضَعتِيهِ فَائتِينِي بِهِ».

فَلَمَّا وَضَعَتهُ أَتَت بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَمَّاهُ عَبدَ اللَّهِ، وَأَلبَأَهُ[٢] مِن رِيقِهِ، ثُمَّ قَالَ: «اذهَبِي بِهِ، فَلَتَجِدِنَّهُ كَيِّسًا».

قَالَت: فَأَتَيتُ العَبَّاسَ فَأَخبَرتُهُ، فَتَلَبَّسَ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ رَجُلا جَمِيلا مَدِيدَ القَامَةِ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ إِلَيهِ فَقَبَّلَ بَينَ عَينَيهِ، ثُمَّ أَقعَدَهُ عَن يَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا عَمِّي، فَمَن شَاءَ فَليُبَاهِ بِعَمِّهِ».

قَالَ العَبَّاسُ: بَعضَ القَولِ يَا رَسُولَ اللَّهَ.

---

(١) قَالَ الهيثمي في «المجمع» (١٥٥٣٤): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.
(٢) ألباه: حنكهُ.

قَالَ: «وَلِمَ لا أَقُولُ وَأَنتَ عَمِّي وَبَقِيَّةُ آبَائِي، وَالعَمُّ وَالِدٌ»[(١)].

وكان ابن عباس - رَضِيَ اللَّـهُ عَنهُمَا - أبيض، طويلًا، مُشربًا صُفرة، جسميًا، وسيمًا، صَبيح الوجه، له وَفرة، يخضبُ بالحنَّاء.

وقال ابن جريج: كنا جلوسًا مع عطاء في المسجد الحرام، فتذاكرنا ابن عباس، فقال عطاء: ما رأيتُ القمر ليلة أربع عشرة إلا ذكرتُ وجه ابنِ عباس.

وعن عكرمة قَالَ: كان ابن عباس إذا مَرَّ في الطريق، قُلن النِّساءُ عَلَى الحِيطان: أَمَرَّ المِسكُ، أم مَرَّ ابنُ عباس؟

عباد الله...

وبلغ ابن عباس - رَضِيَ الله عَنهُ - مكانًا عليًّا، فقد تعددت فضائله، وكثرت مناقبه، وظهرت عليه بركات القرآن، والعلم.

وإليكم شيئًا مما ورد في ذلك:

(١) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنتُ مَعَ أَبِي عِندَ النَّبِيِّ ﷺ وَعِندَهُ رَجُلٌ يُنَاجِيهِ، وَهُوَ كَالمُعرِضِ عَنِ العَبَّاسِ، فَخَرَجنَا مِن عِندِهِ فَقَالَ: أَلَم تَرَ إِلَى ابنِ عَمِّكَ كَالمُعرِضِ عَنِّي.

فَقُلتُ: إِنَّهُ كَانَ عِندَهُ رَجُلٌ يُنَاجِيهِ.

فَقَالَ: أَوَ كَانَ عِندَهُ أَحَدٌ؟

قُلتُ: نَعَم.

قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَل كَانَ عِندَكَ أَحَدٌ؟ فَإِنَّ عَبدَ اللهِ أَخبَرَنِي أَنَّ عِندَكَ رَجُلًا تُنَاجِيهِ.

قَالَ: «هَل رَأَيتَهُ يَا عَبدَ اللَّهِ؟».

قَالَ: نَعَم.

قَالَ: «ذَاكَ جِبرِيلُ وَهُوَ الَّذِي شَغَلَنِي عَنكَ»[(٢)].

---

(١) إسناده حسن: رواه الطبراني، وانظر «المجمع» (١٥٥١٤).

(٢) رجاله ثقات: رواه أحمد في «المسند» (١/ ٢٩٣).

(٢) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ - رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا - قَالَ: كُنتُ فِي بَيتِ خالتي مَيمُونَةَ بنتِ الحَارِثِ، فَوَضَعتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَضُوءًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَن وَضَعَ هَذَا؟».

فَقَالَت مَيمُونَةُ: وَضَعَهُ عَبدُ اللَّهِ.

فَقَالَ: «اللهُمَّ عَلِّمهُ التَّأوِيلَ، وَفَقِّههُ فِي الدِّينِ»[(١)].

(٣) وعن أبي وائل قَالَ: «قرأ ابنُ عباس سورة «النور» ثُمَّ جعل يفسِّرها، فقال رجل: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت»[(٢)].

(٤) عَن طَاوُسٍ، قَالَ: «جَالَستُ سَبعِينَ أَو ثَمَانِينَ شَخصًا مِن أَصحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا أَحَدٌ مِنهُم خَالَفَ ابنَ عَبَّاسٍ، فَيَلتَقِيَانِ إِلا قَالَ: القَولُ كَمَا قُلتَ، أَو قَالَ: صَدَقتَ»[(٣)].

(٥) عَن ابنِ عَبَّاسٍ - رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا - قَالَ: ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدرِهِ وَقَالَ: «اللهُمَّ عَلِّمهُ الحِكمَةَ»[(٤)].

(٦) وعن ابن مسعود - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: «نِعم تُرجمان القُرآن ابن عبَّاس»[(٥)].

(٧) وقال مجاهد: كان ابن عباس - رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا - إذا فَسَّر الشيء رأيتَ عليه نورًا[(٦)].

(٨) عن موسى بن ميسرة، أنَّ العبَّاس بعث ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ في حاجة، فوجد معه رجلاً، فرجع ولم يُكَلِّمه.

فلقي العبَّاسُ رسولَ الله ﷺ بعد ذلك فقال: أرسلتُ إليك ابني، فوجد عندك رجلًا، فلم يستطيع أن يُكلمك.

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أحمد في «المسند» (١/ ٢٦٦).
(٢) **إسناده صحيح**: رواه أبو يعقوب بن سفيان في «تاريخه» (١/ ٤٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢٤) من وجه آخر بلفظ سورة «البقرة».
(٣) قَالَ الهيثمي في «المجمع» برقم (١٥٥٢٢): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.
(٤) رواه البخاري في «صحيحه».
(٥) **موقوف صحيح**: رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢٢٢٦٩) ورجاله رجال الصحيح.
(٦) **صحيح**: رواه عبد الله بن أحمد في «الزوائد على فضائل الصحابة» (١٩٣٥).

قَالَ: «يا عمّ تدري من ذاك الرجل؟».

قَالَ: لا.

قال: «ذاك جبريل لقيني، أما إنه لن يموت حتى يَذهب بصره، ويُؤتى علمًا»[1].

عباد الله...

قَالَ بعض السَّلف: «إن هذا العلم لا يُنال براحة الجسد، ولن يعطيك بعضه حَتَّى تعطيه كلّك».

وكان الإمام مالك - رحمه الله تعالى - يقول: «مع المِحبَرة حَتَّى المقبرة».

ومن الوصايا:

اصبر عَلَى ذل العلم يُعطيك عزًّا.

وكان ابن عباس - رَضِي الله عَنهُ - قدوة لطلّاب العلم، ومنارًا للسائرين عَلَى درب العلماء العاملين.

ويحكي - رَضِي الله عَنهُ - عن نفسه ما لقيه في طلب العلم فيقول:

«لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلتُ لِرَجُلٍ مِنَ الأَنصَارِ: يَا فُلاَنُ هَلُمَّ فَلنَسأَل أَصحَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهُمُ اليَومَ كَثِيرٌ.

فَقَالَ: وَاعَجَباً لَكَ يَا ابنَ عَبَّاسٍ أَتَرَى النَّاسَ يَحتَاجُونَ إِلَيكَ، وَفِى النَّاسِ مِن أَصحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَن تَرَى؟

فَتَرَكَ ذَلِكَ وَأَقبَلتُ عَلَى المَسأَلَةِ، فَإِن كَانَ لَيَبلُغُنِى الحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِيهِ وَهُوَ قَائِلٌ[2] فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِى عَلَى بَابِهِ فَتَسفِى الرِّيحُ عَلَى وَجهِى التُّرَابَ فَيَخرُجُ فَيَرَانِى فَيَقُولُ: يَا ابنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلاَ أَرسَلتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ؟

فَأَقُولُ: لاَ أَنَا أَحَقُّ أَن آتِيَكَ فَأَسأَلَهُ عَنِ الحَدِيثِ.

قَالَ: فَبَقِىَ الرَّجُلُ حَتَّى رَآنِى وَقَدِ اجتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ، فَقَالَ: كَانَ هَذَا الفَتَى أَعقَلَ

---

(١) قَالَ الهيثمي في «المجمع» (١٥٥٢٠): رواه الطبراني في «الأوسط» بأسانيد، ورجاله ثقات.

(٢) قائل: من القيولة، وهو النوم وقت الظهيرة.

مِنِّي»[١].

وعَن سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ عَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدخِلُنِي مَعَ أَشيَاخِ بَدرٍ، فَقَالَ بَعضُهُم: لِمَ تُدخِلُ هَذَا الفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبنَاءٌ مِثلُهُ؟

فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّن قَد عَلِمتُم.

قَالَ: فَدَعَاهُم ذَاتَ يَوم وَدَعَانِي مَعَهُم، وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَومَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُم مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي: ﴿إِذَا جَاءَ نَصرُ اللَّهِ وَالفَتحُ وَرَأَيتَ النَّاسَ يَدخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفوَاجًا﴾؟ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ.

فَقَالَ بَعضُهُم: أُمِرنَا أَن نَحمَدَ اللَّهَ وَنَستَغفِرَهُ إِذَا نُصِرنَا وَفُتِحَ عَلَينَا، وَقَالَ بَعضُهُم: لَا نَدرِي أَو لَم يَقُل بَعضُهُم شَيئًا.

فَقَالَ لِي: يَا ابنَ عَبَّاسٍ أَكَذَاكَ تَقُولُ؟

قُلتُ: لَا.

قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟

قُلتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعلَمَهُ اللَّهُ لَهُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصرُ اللَّهِ وَالفَتحُ﴾ فَتحُ مَكَّةَ فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ، ﴿فَسَبِّح بِحَمدِ رَبِّكَ وَاستَغفِرهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

قَالَ عُمَرُ: مَا أَعلَمُ مِنهَا إِلَّا مَا تَعلَمُ»[٢].

أيها المسلمون...

«وبلغت درجة تحرِّيه في تحصيل العلم إلى أَنَّهُ كان يسألُ عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبيِّ ﷺ». قَالَ الذهبي: إسناده صحيح.

قلت: وهذا غاية الإتقان.

وظل ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا - ينهل من العلم إلى أن رسخت قدمُه، وعلا كعبُه، واشتهر أمرُه، وظهرت عليه بركاتُ دعاء الرسول ﷺ.

---

(١) إسناده صحيح: رواه الحاكم، وقال: صحيح، ووافقه الذهبيّ.

(٢) أخرجه البخاريّ (٨/ ٩٩) وغيره.

يقول أبو صالح: «لقد رأيت من ابن عباس مجلسًا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها به الفخر، لقد رأيت النَّاس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا يذهب.

قَالَ: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي: ضع لي وضوءًا.

قَالَ: فتوضأ وجلس، وقال: اخرج فقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل.

قَالَ: فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر.

ثم قَالَ: إخوانكم، فخرجوا.

ثم قَالَ: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، قَالَ: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر، ثم قَالَ: إخوانكم فخرجوا.

ثم قَالَ: اخرج فقل: من كان يريد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل، فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله أو أكثر، ثم قَالَ: إخوانكم فخرجوا.

ثم قَالَ: اخرج فقل: من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل، فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قَالَ: إخوانكم فخرجوا.

قال أبو صالح: فلوا أن قريشًا كلها فخرت بذلك لكان فخرًا، فما رأيتُ مثل هذا لأحدٍ من النَّاس» [(١)].

عباد الله...

إن طلب العلم فريضة عَلَى كل مسلم.

---

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٦٠، ٦١).

ونفي الجهل عن النفس فريضة شرعيّة، وضرورة بشريّة.

فإن الجاهل يلعب به شياطين الإنس والجن، وما وقع من وقع في فتن الشبهات والشهوات إلَّا بسبب قلّة الحصانة العلمية.

فاطلبوا العلم عباد الله، وجالسوا العلماء، واسألوهم، فقد أمرنا ربُّنا بسؤالهم قائلًا سبحانه: ﴿فَاسأَلُوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لاَ تَعلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال أصحابُ محمد ﷺ: «مَن حَجَبَ اللَّـهُ عنه العلم، عَذَّبه عَلَى الجهل، وأشدُّ منه عذابًا مَن أقبل إليه العلم وأدبَر عنه، ومَن أهدى اللَّـهُ إليه علمًا فلم يعمل به، فقد رغب عن هَدِيَّة الله، وقَصَّر بها»[١].

وفي الجهل قبلَ الموتِ مَوتٌ لأهله	وأجسامُهم قَبل القبورِ قُبورُ
وأرواحُهم في وحشةٍ من جسومهم	وليس لهم حَتَّى النُّشورِ نُشورُ

نسأل الله تعالى أن يُعلِّمنا ما جهلنا، وأن ينفعنا بما علمنا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فإن ثمرة العلم الخشيّة.

قَالَ الله تعالى: ﴿قُل آمِنُوا بِهِ أَو لاَ تُؤمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ مِن قَبلِهِ إِذَا يُتلَى عَلَيهِم يَخِرُّونَ لِلأَذقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعدُ رَبِّنَا لَمَفعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلأَذقَانِ يَبكُونَ وَيَزِيدُهُم خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧- ١٠٩].

قَالَ التيميُّ - رحمه الله -: «مَن أُوتي من العلم ما لم يُبَكِّه لخليقٌ ألَّا يكون أُوتي علمًا، لأنَّ الله تعالى نعت العلماء» ثُمَّ تلا هذه الآية[٢].

---

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة (٢/ ٣٥٩).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٣٠٦).

وقد كان ابن عباس - رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا - من هذا الصِّنف المبارك، الذين إذا تُليت عليهم آيات الرَّحمن: ﴿ **يَخِرُّونَ لِلأَذقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعدُ رَبِّنَا لَـمَفعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلأَذقَانِ يَبكُونَ وَيَزِيدُهُم خُشُوعًا** ﴾.

عن عبد الله بن أبي مليكة، قَالَ: «صحبت ابن عباس - رَضِي الله عَنهُ - من مكَّة إلى المدينة، فكان إذا ترك قام شطر الليل، فسأله أيوب: كيف كانت قراءته؟ قَالَ: قرأ ﴿ **وَجَاءَت سَكرَةُ المَوتِ بِالـحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنهُ تَحِيدُ** ﴾ [ق: ١٩]، فجعل يرتل ويكثر، والله في ذلك النشيج[١]»[٢].

وعن أبي رجاء قَالَ: «كان هذا الموضع من ابن عباس مجرى الدموع، كأنه الشراك[٣] البالي»[٤].

فلله دَرُّه من طين عُجن بماء الوحي، وغُرس بماء الرسالة، فهل يفوح منه إلَّا مسك الهُدَى وعَنبر التُّقى؟[٥]

عباد الله...

وللحديث بقيّة إن شاء الله، فإلى اللقاء.

اللهُمَّ إنَّا نسألك إيمانًا دائمًا، وقلبًا خاشعًا، وعلمًا نافعًا، وعملًا مُتقبَّلًا

آمين... آمين... آمين.

---

(١) النشيج: أحرّ البكاء.
(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٣٢٧).
(٣) الشراك: رباط النَّعل وغيره.
(٤) «الحلية» (١/ ٣٢٩).
(٥) من كلام يحيى بن معاذ الرازيّ.

الخطبة الخامسة والثلاثون

[ب] مع عبد الله بن عباس

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن سيرة حبر الأُمّة، وتُرجمان القُرآن: عبد الله بن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا -.

وفي هذه الخطبة نتكلم عن:

- أدَبِه.
- ومواعظِهِ ووصاياه.
- وقوّة حُجَّته.
- وجِهاده.

ثُمَّ نختم الحديث بوفاته، ما جرى فيها من آية تدل عَلَى منزلته رَضِيَ الله عَنهُ.

عباد الله...

أما عن أدَبِه:

فعَن ابنَ عَبَّاسٍ قَالَ: «أَتيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِن آخِرِ اللَّيلِ فَصَلَّيتُ خلفَهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَجَرَّنِي فَجَعَلَنِي حِذَاءَهُ، فَلَمَّا أَقبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى صَلَاتِهِ خَنَستُ[1] فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمَّا انصَرَفَ قَالَ لِي: «**مَا شَأنِي أجعَلُكَ حِذَائِي فَتَخنِسُ؟**».

فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَيَنبَغِي لِأَحَدٍ أَن يُصَلِّيَ حِذَاءَكَ وَأَنتَ رَسُولُ اللهِ الَّذِي أعطَاكَ اللهُ؟

قَالَ: فَأَعجَبتُهُ، فَدَعَا اللهَ لِي أَن يَزِيدَنِي عِلمًا وَفَهمًا»[2].

وعن الشّعبيّ قَالَ: «ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال: لا تفعل يا ابن عمِّ رسول الله ﷺ، قَالَ: هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا.

فقال زيد: أَرِني يداك؟ فأخرج يديه فقبّلهما، فقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيِّنا».

وَعَنِ ابنِ بُرَيدَةَ الأَسلَمِيِّ، قَالَ: «شَتَمَ رَجُلٌ ابنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: إِنَّكَ لَتَشتُمُنِي، وَفِيَّ ثَلاثُ خِصَالٍ:

إِنِّي لآتِي عَلَى الآيَةِ مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَوَدِدتُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَعلَمُونَ مِنهَا مَا أَعلَمُ مِنهَا.

وَإِنِّي لأَسمَعُ بِالحَاكِمِ مِن حُكَّامِ المُسلِمِينَ يَعدِلُ فِي حُكمِهِ فَأَفرَحُ بِهِ، وَلِعَلِّي لا أُقَاضِي إِلَيهِ أَبَدًا.

وَإِنِّي لأَسمَعُ بِالغَيثِ قَد أَصَابَ البَلَدَ مِن بِلادِ المُسلِمِينَ فَأَفرَحُ، وَمَا لِي بِهِ مِن سَائِمَةٍ»[3].

---

(١) خنس: انقبض وتأخر للوراء.
(٢) رواه الإمام أحمد.
(٣) قال الهيثمي في «المجمع» (١٥٥٢٨): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

أما عن مواعظه ووصاياه:

فمنها:

- كان - رَضِي الله عَنهُ - يقول: يا لسان قُل خيرًا تغنم، واسكت عن شرٍّ تسلم، فإنك إن لا تفعل تندم.

- وجاء إليه رجلٌ يقال له: جندب، فقال له: أوصني.

قَالَ: «أوصيك بتوحيد الله والعمل له، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإن كل خير آتيه أنت بعد ذلك منك مقبول، وإلى الله مرفوع، يا جندب: إنك لن تزد من موتك إلا قُربًا، فصلِّ صلاة مودّع، وأصبح في الدنيا كأنك غريبٌ مسافر، فإنك من أهل القبور، وابك عَلَى ذنبك وتُب من خطيئتك، ولتكن الدنيا عليك أهون من شسع نعلك، فكأن قَد فارقتها وصرت إلى عدل الله، ولن تنتفع بما خلفت، ولن ينفعك إلا عملك».

- وقال بعضهم: أوصى ابن عباس بكلمات خير من الخيل الدهم، قَالَ:

«لا تكلمنّ فيما لا يعنيك حَتَّى ترى له موضعًا.

ولا تمار سفيهًا ولا حليمًا، فإن الحليم يغلبك، والسَّفيه يزدريك.

ولا تذكرن أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذي تحب أن يتكلم فيك إذا تواريت عنه.

واعمل عمل مَن يعلم أَنَّهُ مجزى بالإحسان مأخوذ بالإجرام».

فقال رجل عنده: يا ابن عباس هذا خيرٌ من عشرة آلاف.

فقال ابن عباس: كلمة منه خير من عشرة آلاف.

- **ومن أقواله:**

تمامُ المعروف تَعجيله، وتصغيره وسَتره - يعني أن تعجل العطيّة للمُعطَى، وأن تصغر في عين المعطِي، وأن تسترها عن النَّاس فلا تُظهرها، فإن في إظهارها فتح باب الرياء، وكسر قلب المُعطي، واستحياءه من النَّاس.

- وقال - رَضِي الله عَنهُ -: أعزّ النَّاس عليّ جليسي لو استطعتُ أن لا يقع الذباب عَلَى وجهه لفعلتُ.

▪ وقال - رَضِي الله عَنهُ -: لا يكافئ مَن أتاني يطلب الحاجة فرآني لها موضعًا إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، وكذا رجل بدأني بالسلام أو أوسع لي في مجلسي أو قام لي عن المجلس، أو رجلٌ سقاني شربة ماء عَلَى ظمأ، ورجل حفظني بظهر الغيب.

عباد الله...

أما عن جهاده:

فقد جاهد - رَضِي الله عَنهُ - بلسانه وسيفه، فقد ناظر الخوارج قبل قتالهم، وأنجى الله به آلافًا من البدعة والنَّار.

عَبدُ اللَّهِ بن عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا اعتَزَلَت حَرُورَاءُ[1]، وَكَانُوا فِي دَارٍ عَلَى حِدَتِهِم، قُلتُ لِعَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، أبرد عَنِ الصَّلاةِ لَعَلِّي آتِي هَؤُلاءِ القَومَ، فَأُكَلِّمَهُم، قَالَ: فَإِنِّي أَتَخَوَّفُهُم عَلَيكَ، قَالَ: قُلتُ: كَلا إِن شَاءَ اللهُ.

قَالَ: فَلَبِستُ أَحسَنَ مَا أَقدِرُ عَلَيهِ مِن هَذِهِ اليَمَانِيَّةِ، ثُمَّ دَخَلتُ عَلَيهِم وَهُم قَائِلُونَ فِي نَحرِ الظَّهِيرَةِ، فَدَخَلتُ عَلَى قَومٍ لَم أَرَ قَومًا قَطُّ أَشَدَّ اجتِهَادًا مِنهُم، أَيدِيهِم كَأَنَّهَا ثَفِنُ الإِبِلِ، وَوُجُوهُهُم مُعَلَّبَةٌ مِن آثَارِ السُّجُودِ.

قَالَ: فَدَخَلتُ، فَقَالُوا: مَرحَبًا بِكَ يَا ابنَ عَبَّاسٍ، مَا جَاءَ بِكَ؟

قَالَ: جِئتُ أُحَدِّثُكُم عَن أَصحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، نَزَلَ الوَحيُ وَهُم أَعلَمُ بِتَأوِيلِهِ، فَقَالَ بَعضُهُم: لا تُحَدِّثُوهُ، وَقَالَ بَعضُهُم: لَنُحَدِّثَنَّهُ.

قَالَ: قُلتُ: أَخبِرُونِي مَا تَنقِمُونَ عَلَى ابنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَخَتَنِهِ، وَأَوَّلِ مَن آمَنَ بِهِ، وَأَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُ؟

قَالُوا: نَنقِمُ عَلَيهِ ثَلاثًا، قُلتُ: مَا هُنَّ؟

قَالُوا: أَوَّلُهُنَّ أَنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَقَد قَالَ اللهُ: ﴿إِنِ الحُكمُ إِلا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، قَالَ: قُلتُ: وَمَاذَا؟

قَالُوا: وَقَاتَلَ وَلَم يَسبِ وَلَم يَغنَم، لَئِن كَانُوا كُفَّارًا لَقَد حَلَّت لَهُ أَموَالُهُم، وَلَئِن كَانُوا

---

(١) أي: الخوارج.

مُؤمِنِينَ لَقَد حُرِّمَت عَلَيهِ دِمَاؤُهُم، قَالَ: قُلتُ: وَمَاذَا؟

قَالُوا: وَمَحَا نَفسَهُ مِن أَمِيرِ المُؤمِنِينَ، فَإِن لَم يَكُن أَمِيرَ المُؤمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرُ الكَافِرِينَ.

قَالَ: قُلتُ: أَرَأَيتُم إِن قَرَأتُ عَلَيكُم مِن كِتَابِ اللَّهِ المُحكَمِ، وَحَدَّثتُكُم مِن سُنَّةِ نَبِيِّكُم ﷺ مَا لا تُنكِرُونَ، أَترجِعُونَ؟ قَالُوا: نَعَم.

قَالَ: قُلتُ: أَمَّا قَولُكُم: إِنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقتُلُوا الصَّيدَ وَأَنتُم حُرُمٌ**﴾ [المائدة: ٩٥] إِلَى قَولِهِ: ﴿**يَحكُمُ بِهِ ذَوَا عَدلٍ مِنكُم**﴾ [المائدة: ٩٥]، وَقَالَ فِي المَرأَةِ وَزَوجِهَا: ﴿**وَإِن خِفتُم شِقَاقَ بَينِهِمَا فَابعَثُوا حَكَمًا مِن أَهلِهِ وَحَكَمًا مِن أَهلِهَا**﴾ [النساء: ٣٥]، أَنشُدُكُمُ اللَّهَ أَحُكمُ الرِّجَالِ فِي حَقنِ دِمَائِهِم وَأَنفُسِهِم وَصَلاحِ ذَاتِ بَينِهِم أَحَقُّ أَم فِي أَرنَبٍ ثَمَنُهَا رُبعُ دِرهَمٍ؟

قَالُوا: اللَّهُمَّ فِي حَقنِ دِمَائِهِم وَصَلاحِ ذَاتِ بَينِهِم.

قَالَ: خَرَجتُ مِن هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَم.

وَأَمَّا قَولُكُم: إِنَّهُ قَاتَلَ وَلَم يَسبِ وَلَم يَغنَم، أَتَسبُونَ أُمَّكُم، أَم تَستَحِلُّونَ مِنهَا مَا تَستَحِلُّونَ مِن غَيرِهَا؟ فَقَد كَفَرتُم، وَإِن زَعَمتُم أَنَّهَا لَيسَت بِأُمِّكُم فَقَد كَفَرتُم وَخَرَجتُم مِنَ الإِسلامِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿**النَّبِيُّ أَولَى بِالمُؤمِنِينَ مِن أَنفُسِهِم وَأَزوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُم**﴾ [الأحزاب: ٦]، فَأَنتُم تَتَرَدَّدُونَ بَينَ ضَلالَتَينِ، فَاختَارُوا أَيَّهُمَا شِئتُم؟

أَخَرَجتُ مِن هَذِهِ؟

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَم.

قَالَ: وَأَمَّا قَولُكُم: إِنَّهُ مَحَا نَفسَهُ مِن أَمِيرِ المُؤمِنِينَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا قُرَيشًا يَومَ الحُدَيبِيَةِ عَلَى أَن يَكتُبَ بَينَهُ وَبَينَهُم كِتَابًا، فَقَالَ: اكتُب: «**هَذَا مَا قَاضَى عَلَيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**»، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَو كُنَّا نَعلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدنَاكَ عَنِ البَيتِ، وَلا قَاتَلنَاكَ، وَلَكِنِ اكتُب: مُحَمَّدُ بن عَبدِ اللَّهِ، فَقَالَ: «**وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِن كَذَّبتُمُونِي، اكتُب يَا عَلِيُّ: مُحَمَّدَ بن عَبدِ اللَّهِ**»، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَفضَلَ مِن عَلِيٍّ.

أَخَرَجتُ مِن هَذِهِ؟

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَم.

فَرَجَعَ مِنهُم عِشرُونَ أَلفًا، وَبَقِيَ مِنهُم أَربَعَةُ آلافٍ، فَقُتِلُوا»[(١)].

وقد شارك ابن عباس في فتح إفريقية:

قَالَ الذهبيّ: «قَالَ أبو سعيد بن يونس: غزا ابن عباس إفريقية مع ابن أبي سرح»[(٢)].

وقال ابن الأثير: «إن عبد الله بن سعد لَـمَّا وُلِّيَ أرسل إلى عثمان في غزو إفريقية، والاستكثار من الجموع عليها وفتحها، فاستشار عثمان مَن عنده من الصَّحابة فأشار أكثرهم بذلك، فجهّز إليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من أعيان الصَّحابة منهم عبد الله بن عباس وغيره»[(٣)].

«وخرج في الغزاة مِمَّن حول المدينة خلقٌ كثير[(٤)]، كان فيهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عُمَر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزُّبير، وعبد الله بن جعفر، والحسن، والحسين، لذا سُمِّي هذا الجيش: جيش العبادلة»[(٥)].

وما ظنّك بفروسيّة رجل وشجاعته وبصره بالحرب يجعله عَلَى قائد المسيرة في معركة فاصلة كمعركة صفِّين.

قَالَ الذهبيّ: قَالَ أبو عبيدة - تسمية أمراء عليّ يوم صفّين-: فكان عَلَى الميسرة ابن عباس.

عباد الله...

- هذا هُوَ عبَّاس.
- هذا هُوَ علمه.
- وهذا هُوَ جهاده.
- وهذا هُوَ أدبه.

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٥٩٨)، وغيره.

(٢) «السِّير» (٣/ ٣٣٦).

(٣) «الكامل» (٢/ ٤٨٢، ٤٨٣).

(٤) «البلاذري» (٢٢٨).

(٥) «ابن خلدون» (٢/ ١٢٨).

- وهذا هُوَ خوفه.
- وهذه هي مواعظه، ووصاياه.

ولله دَرُّ حسان بن ثابت - رَضِي الله عَنهُ - حين قَالَ:

سموتَ إلى العَليَا بغير مشقّةٍ فنلت ذراها لا دنيًّا ولا وَغلا

خُلِقتَ حَلِيفًا للمُروءة والنَّدى بليجًا، ولم تُخلَق كَهَامًا ولا خَبلا

وللحديث بقيّة، نلتقي بها بعد قليل إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فقد طال العُمر بابن عباس - رَضِي الله عَنهُ - وكُفّ بصرُه قبل موته، فصبر صبرًا جميلًا.

عن عكرمة عن ابن عباس: أَنَّهُ وقع في عينيه الماء فقال له الطبيب: ننزع من عينيك الماء عَلَى أن لا تُصلي سبعة أيام.

فقال: لا، إنَّهُ من ترك الصلاة وهو يقدر عليها، لقي الله وهو عليه غضبان[1].

وفي رواية: أنهم قالوا له: نزيل هذا الماء من عينيك عَلَى أن تبقى خمسة أيام ولا تُصلي إلا عَلَى عود.

وفي رواية: إلا مستلقيًا، فقال: لا والله، ولا ركعة واحدة، إنَّهُ من ترك صلاةً واحدة متعمدًا لقي الله وهو عليه غضبان.

ثُمَّ ماذا؟

---

(١) إسناده ضعيف: لسوء حفظ شريك النخعيّ.

وفي سنة ثلاث وستين - كما رجَّح ذلك ابن كثير - انتقل ابن عباس إلى جوار ربّه، وصعدت روحه الطاهرة لتستقر هناك ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥١، ٥٢].

وكانت وفاته بالطائف، وكان عمره يوم مات اثنين وسبعين سنة، كما رجَّح ابن كثير، ولما حُمِل عَلَى نعشه حدثت آية عجيبة.

يقول الإمامُ سعيد بن جبير: «مات ابن عباس بالطائف، فجاء طائرٌ لم يُرَ عَلَى خِلقتَه، فدخل نَعشه، ثُمَّ لم يُرَ خارجًا منه، فلمَّا دُفن، تُليت هذه الآية عَلَى شفير القبر لا يُدرى مَن تلاها: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨]»[1].

قَالَ ابن كثير: هذا القول في وفاته هُوَ الذي صححه غيرُ واحدٍ من الأئمة، ونصَّ عليه أحمد بن حنبل والواقدي وابن عساكر، وهو المشهور عند الحُفَّاظ.

وقال الذهبي - بعد أن ساق هذه الكرامة - فهذه قضيَّةٌ متواترة.

وقال أبو الزُّبير: «لَـمَّا مات ابنُ عباس جاءَ طائرٌ أبيض، فدخل في أكفانه، فكانوا يَرَون أَنَّهُ عِلمُه».

هذا هُوَ الشرف والله.

فأين يذهب أصحابُ الدُّنيا الذين تكالبوا عليها؟

بل أين يذهب الذين تطاولوا عَلَى الصَّحابة الكرام، واتهموهم، وأساءوا الأدب معهم.

عباد الله...

ولما مات ابن عباس، انطلقت ألسنةُ الصَّحابة بالثناء عليه:

عن أبي كلثوم، أن ابنَ الحنفيّة لَـمَّا دُفن ابن عبَّاس قَالَ: «اليوم مات رَبَّانيُّ هذه الأُمَّة».

ولما بلغ جابر بن عبد الله - رَضِي الله عَنهُ - وفاةُ ابن عباس - رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا - صفق بإحدى يديه عَلَى الأخرى، وقال: مات أعلم النَّاس وأحلم النَّاس، ولقد أصيبت

---

(١) قَالَ الهيثمي في «المجمع» (١٥٥٣٥): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

به هذه الأُمّة مصيبةٌ لا تُرتَق[1].

وقال رافع بن خديج - رَضِيَ الله عَنهُ -: «مات اليوم مَن كان يحتاج إليه مَن بين المشرق والمغرب في العلم».

وتحت تراب الطائف ينام الجسد الطاهر، آمنًا مطمئنًا.

فهنيئًا لك يا ابن عباس، ورضي الله عنك.

وإلى اللقاء في الجمعة القادمة - إن شاء الله تعالى - مع صحابيّ آخر.



(١) لا تُرتق: لا ترقع، ولا تلتئم.

الخطبة السادسة والثلاثون

مع بلال بن رباح

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَــقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فإن الإنسان لا يوزن عند الله تعالى بحسبه ولا بنسبه.

ولا يُوزن بماله وجماله.

إنما يُوزن بتقواه وأعماله.

قَالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقَاكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وضيفنا اليوم، لم يكن عَلَى قدر من الجمال، ولا مِمَّن يُشار إليهم بالبنان.

فلمَّا أسلم أصبح سيِّدًا في الدنيا والآخرة.

وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء.

فيا تُرى مَن هذا السَّعيد الذي بلغ هذا المكان العالي.

إنَّهُ بلال بن رباح مؤذِّن الرسول ﷺ.

فمن هُوَ بلال؟

وما هي قِصَّتهُ؟

هُوَ بلال بن رباح، يُكنى أبا عبد الكريم، وقيل: أبا عبد الله، وقيل: أبا عمرو.

وأُمّه: حمامة من مُوَلَّدي مكَّة لبني جُمَح، وقيل: من مولّدي السَّراة.

وهو مولى أبي بكر الصِّدِّيق، اشتراه بخمس أواقي، وقيل: بسبع أواقي، وقيل: بتسع أواقي، وأعتقه لله عَزَّ وَجَلَّ، وكان مُؤذِّنًا لرسول الله ﷺ وخازنًا[1].

أسلم بلال - رَضِي الله عَنهُ - في بداية الدَّعوة للإسلام، فنال بذلك شرف السَّبق، ثُمَّ أُوذي في الله، ثُمَّ هاجر، فكان بذلك مِمَّن قَالَ الله تعالى فيهم: **﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُم فِي الدُّنيَا حَسَنَةً وَلأَجرُ الآخِرَةِ أَكبَرُ لَو كَانُوا يَعلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾** [النحل: ٤١، ٤٢].

عباد الله...

كان بلال عبدًا مملوكًا لأميّة بن خَلَف، ولاقى من الأذى في سبيل عقيدته ما لا يقوى عليه أحد غيره، فوقف من التعذيب والتنكيل موقف الجبل الأشم، لا تحركه العواصف، ولا تؤثر فيه الرياح القواصف، كان كلما اشتد عليه الأذى، وتضاعفت أمامه الكروب، ازداد إيمانًا عَلَى إيمانه.

بلغ من قسوة أميّة بن خلف أنَّهُ كان يطرحه عَلَى رمضاء مكَّة وقت الظهيرة، حيث الشمس تضرب وجه الأرض بسياطها الحامية، يسيل منها لعاب كالمهل يشوي الوجوه.

ولا عجب فأميّة عرفه التاريخ بأنه رجل حديد اللِّسان، حديد الوجه، حديد القلب،

(١) «أسد الغابة» (١/ ٢٨٩).

لو وُزعت قسوة قلبه عَلَى النَّاس ما بقي للرحمة سبيلٍ إلى قلب واحد منهم.

كلما اشتد الأذى ببلال كان يردّد هذا النشيد الخالد: «أحَدٌ أحدٌ، فَردٌ صَمَد، لا والدِ ولا ولد».

أجل يا بلال، إن الله واحد في ذاته لا شريك له، واحد في صفاته لا نظير له، إنَّهُ رب السماء والضعفاء والجبال والشجر، إنَّهُ رَبٌّ عزيز قادرٌ له الجبين قَد سجد.

ويردد بلال هذه الكلمات كلما أمره أميّة بالكفر ويشتاط عدو الله غضبًا فيقول له العبد المؤمن: إن أكن عصيتك فقد أطعت الله، عَذِّب ما شئت فإنك إنما تُعذب جسدي، أما روحي فلن تنال منها شيئًا.

لله دَرُّك يا بلال، لقد كنت قدوة في الصمود والثبات عَلَى المبدأ الحق، حَتَّى جعل الله لك من الضيق فَرَجًا، وقد تقدّم الصِّدِّيق - رَضِي الله عَنهُ - فاشتراك وأعتقك وكنت صاحب المكانة المرموقة عند رسول الله ﷺ.

عرفت بالصّوت النّدي في الأذان، حَتَّى قَالَ عنك رسول الله ﷺ: «إنك أندى صوتًا»، وكان لك الشرف العظيم أن تعلن الأذان من فوق البيت الحرام يوم الفتح الأعظم، حيث اشرأبت الأعناق، وقال بعض أهل مكَّة من ذوي النفوس التي ملكها الكِبر: ألم يجد مُحمد غير هذا المؤذِّن؟

فَرَدّ عليهم القرآن الكريم في صراحة ووضوح وحزم وعزم: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقَاكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** [الحجرات: ١٣].

ولا ننسى ذكاءك وسرعة بديهتك وحضور حُجَّتك، عندما سألك سائلٌ فقال لك: يا بلال ابن مَن أنت؟ فقلت له عَلَى الفور: أنا ابن الذي أسجد الله له الملائكة.

صدقت يا بلال، فرسول الله ﷺ يؤيدك كل التأييد إذ يقول: «**كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربيّ عَلَى عجمي إلَّا بالتقوى**»[(١)].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود، والترمذي وغيرهما، وصححه الألباني.

ولا ينكر أحد مكانتك في قلب المصطفى ﷺ، لقد غضب من أبي ذر الغفاري الصحابيّ الزاهد الورع، عندما قَالَ لك في لحظة غضب: يا ابن السوداء، فلمَّا بلغ رسول الله ﷺ ذلك امتلأ غضبًا وقال في حدّة وشدّة: «أَعَيَّرتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»[1].

وأخذت هذه الكلمات كل مأخذ وكأنها سهامٌ بتارة، جعلت أبا ذر - رَضِي الله عَنهُ - يضع خَدّه عَلَى الرمال ويقول: «يا بلال، طأ عَلَى خَدّي بقدميك».

إنَّهُ الأدب والخُلق الذي تربَّى عليه أصحاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

إذا أخطأوا، أو ظلموا أنفسهم، أو شعروا بانحراف في النفس: استيقظت لواعج الوجدان، فذكروا الله، فاستغفروا لذنوبهم[2].

عباد الله...

لقد بلغ بلال في دين الإسلام مكانًا عليًا، يدلّ على ذلك ما يلي:

عَن سَعدِ بن أبي وقّاص قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ فَقَالَ المُشرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطرُد هَؤُلَاءِ لَا يَجتَرِئُونَ عَلَينَا.

قَالَ: وَكُنتُ أَنَا وَابنُ مَسعُودٍ وَرَجُلٌ مِن هُذَيلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَستُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَن يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفسَهُ، فَأَنزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطرُدِ الَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجهَهُ مَا عَلَيكَ مِن حِسَابِهِم مِّن شَيءٍ وَمَا مِن حِسَابِكَ عَلَيهِم مِّن شَيءٍ فَتَطرُدَهُم فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]»[3].

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَاصبِر نَفسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجهَهُ وَلاَ تَعدُ عَينَاكَ عَنهُم تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنيَا وَلاَ تُطِع مَن أَغفَلنَا قَلبَهُ عَن ذِكرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] يقال: إنها نزلت في أشراف قريش، حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخبَّاب وابن

---

(١) أخرجه البخاريّ ومسلم وغيرهما.

(٢) «في رحاب التفسر» للشيخ كشك، (٤/ ٢٧٢٥).

(٣) رواه مسلم.

مسعود، وليفرد أولئك بمجلس على حدة.

فنهاه الله عن ذلك، فقال: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢] الآية، وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء، فقال: ﴿وَاصبِر نَفسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجهَهُ﴾ الآية»[(١)].

قَالَ فضيلة الشيخ/ عبد الحميد كشك - رحمه الله تعالى - في تفسيره لهذه الآية:

«هَذَا هو الإسلام وذاك نبيّه الذي جعل من العبيد سادة، ومن المستضعفين أساتذة وقادة، إنه محرر العبيد الذي جعل من عُبَّاد الحَجَر قادة للبشر، ومن رعاة الغنم زعماءَ للأمة، أراد صناديد قريش أن يجعلوها عنصرية، واستنكفوا أن يجالسوا فقراء المسلمين، لكن الإسلام لا يزن النَّاس بمعيار الذهب والفضة، فلا رنين ولا بريق، إنما تقوى وعملٌ صالح، قَالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقَاكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

كان طاغية الفاشية موسوليني يقول: إيطاليا فوق الجميع، وكان هتلر طاغية النازية يقول: ألمانيا فوق الجميع، وفرحوا بما أُوتوا من العلم، ونادى تشرشل: إنجلترا فوق الجميع، لكن الإسلام حطّم تلك الأصنام، وأزال تلك الأوثان، وأخرج النَّاس من عبادة الإنسان إلى عبادة الواحد الديَّان، ومن ظُلم الطواغيت إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

الناسُ من جهة التصوير أكفَاء	أبوهم آدم والأم حواءُ
فإن يكن لهم في أصلهم شرفٌ	يتفاخرون به فالطين والماء

إن المادية لَـمَّا طغت عَلَى المعنويات أصبحت الموازين مختلة، والقيم منكوسة، والمثل منحوسة.

إن الغني وإن تكلّم بالخطأ	قالوا أصبتَ وصدّقوا ما قَالَ
وإذا الفقير أصاب قالوا كلهم	أخطأت يا هذا وقُلتَ ضلال

---

(١) «مختصر تفسير ابن كثير» (٢/ ٥١٠).

إن الدراهم في المجالس كلها تكسو الرجال مهابة وجلال
فهي اللسان لمن أراد فصاحةً وهي السلاح لمن أراد قتال

تباركت رَبَّنا وتعاليت، يا مَن أَوصَيتَ نبيَّك بهؤلاء الضُّعفاء: ﴿وَاصبِر نَفسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجهَهُ وَلاَ تَعدُ عَينَاكَ عَنهُم تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

قَالَ ابن عباس في تفسير هذه الآية: «ولا تجاوزهم إلى غيرهم يعني: تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة».

هذا هُوَ المعيار الحق والميزان العدل، فالإنسان حيث يثبت لا حيث ينبت وحيث يوجد لا حيث يولد، لقد ضلّت الإنسانيّة ضلالًا بعيدًا عندما غفلوا عن آيات الله وصاروا يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون.

يمشي الفقير وكلّ شيء ضده والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتًا وليس بمذنبٍ ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتَّى الكلاب إذا رأت رجل الفتى حَنَّت إليه وحَرَّكت أذنابها
وإذا رأت يومًا فقيرًا ماشيًا نَبَحت عليه وكشّرت أنيابها

سُبحانك ربِّي، حكمتَ فعدلت، وقُلت وقولك الحق: ﴿وَلاَ تُطِع مَن أَغفَلنَا قَلبَهُ عَن ذِكرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: ٢٨] أي: شغل عن الدِّين وعبادة ربّه بالدنيا، ﴿وَكَانَ أَمرُهُ فُرُطًا﴾ أي: أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعًا له، ولا محبًّا لطريقته، ولا تغبطه بما هو فيه، كما قَالَ سبحانه: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَينَيكَ إِلَى مَا مَتَّعنَا بِهِ أَزوَاجًا مِّنهُم زَهرَةَ الحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفتِنَهُم فِيهِ وَرِزقُ رَبِّكَ خَيرٌ وَأَبقَى﴾ [طه: ١٣١].

ليست السعادة في الانتشاء باحتساء الكئوس المرصعة، إنما السعادة في طاعة الله ورسوله، وفي الرضا بما قضى رَبُّك، وارض بما قسمه اللّهُ لك تكن أغنى النَّاس، السعادة في تزكيّة النفس، وإشراق العقل، ورصفاء الذِّهن عن كلّ ما يشغله ويكدره بماديات الدنيا.

ولستُ أرى السعادة جمع مال ولكن التَّقيَّ هُوَ السعيد

وتقـــوى الله خـــير الـــزَّاد ذخـــرًا وعـــــند الله للأتقـــــى مـــــزيد

وإدراك الـــــذي يأتــــي قـــريب ولكـــن الــــذي يمـــضي بعـــيد

يقول ريتشارد نيكسون: إن الولايات المتحدة لا تعاني أزمة ماديّة، إنما تُعاني أزمة روحانيّة، لقد وجدنا أنفسنا أغنياء في السلع ولكننا فقراء في الروح، نصل في قرب عظيم إلى القمر، ونسقط في خلاف حاد على الأرض. ا.هـ(١).

عَن أَبِي هُرَيرَةَ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لِبِلَالٍ عِندَ صَلَاةِ الفَجرِ: «**يَا بِلَالُ حَدِّثنِي بِأَرجَى عَمَلٍ عَمِلتَهُ فِي الإِسلَامِ فَإِنِّي سَمِعتُ دَفَّ(٢) نَعلَيكَ بَينَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ**».

قَالَ: مَا عَمِلتُ عَمَلًا أَرجَى عِندِي أَنِّي لَم أَتَطَهَّر طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيلٍ أَو نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَن أُصَلِّيَ» (٣).

وعن عُمَر بن الخطاب - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: «أبو بكر سيِّدنا، وأعتق سيّدنا» يعني بلال(٤).

عَن عَائِذِ بنِ عَمرٍو: أَنَّ أَبَا سُفيَانَ أَتَى عَلَى سَلمَانَ وَصُهَيبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذَت سُيُوفُ اللَّهِ مِن عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأخَذَهَا.

قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيخِ قُرَيشٍ وَسَيِّدِهِم؟

فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخبَرَهُ فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكرٍ لَعَلَّكَ أَغضَبتَهُم لَئِن كُنتَ أَغضَبتَهُم لَقَد أَغضَبتَ رَبَّكَ**».

فَأَتَاهُم أَبُو بَكرٍ فَقَالَ: يَا إِخوَتَاه أَغضَبتُكُم؟

قَالُوا: لَا، يَغفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي» (٥).

---

(١) «في رحاب التفسير» (٣/ ٢٢٥٥ - ٢٢٥٧).

(٢) **الدّف** - بالضمّ - : صوت النّعل حال المشي.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاريّ.

(٥) رواه مسلم.

أيُّهَا المسلمون...

ولما أذِنَ الله تعالى للمسلمين بالقتال، حمل بلالٌ السَّيف، وجاهد في الله حقّ جهاده.

والحديث عن جهاده - رَضِي الله عَنهُ - يطول، ويكفي أن نشير في هذه الخطبة اليوم إلى موقف واحد:

كان عبد الرَّحمن بن عوف - رَضِي الله عَنهُ - وأميّة بن خَلَف - لعنه الله - صديقين في الجاهلية بمكّة، فلمَّا كان يوم بدر مرّ به عبد الرَّحمن وهو واقفٌ مع ابنه عليّ بن أميّة، آخذًا بيده، ومع عبد الرَّحمن أدراع قَد استلبها، وهو يحملها، فلمَّا رآه قَالَ: هل لك فيَّ؟ فأنا خيرٌ من هذه الأدراع التي معك، ما رأيتُ كاليوم قطّ، أما لكم حاجة في اللّبن؟[1] فطرح عبد الرحمن الأدراع، وأخذهما يمشي بهما.

قَالَ عبد الرحمن: قَالَ لي أميّةُ بن خَلف وأنا بينه وبين ابنه: مَن الرجل منكم المُعلّم بريشة نعامة في صدره؟

قلتُ: ذاك حمزة بن عبد المطلب.

قَالَ: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل.

قَالَ عبد الرحمن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي، وكان أُميّة هُوَ الذي يعذّب بلالًا بمكة، فقال بلال: رأس الكفر أميّة بن خلف، لا نجوتُ إن نجا.

قلتُ: أي بلال، أسيري.

قَالَ: لا نجوت إن نجا.

قلتُ: أتسمع يا ابن السّوداء.

قَالَ: لا نجوتُ إن نجا.

يا أنصار الله، رأس الكُفر أميّة بن خلف، لا نجوتُ إن نجا.

قَالَ: فأحاطوا بنا حَتَّى جعلونا في مثل المسكة، وأنا أذبّ عنه.

قَالَ: فأخلف رجل السَّيف فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أُميّة صيحةً ما سمعتُ

---

(١) يريد أن مَن أسره افتدى منه بإبلٍ كثيرة اللّبن.

بمثلها قطّ، فقلت: انج بنفسك، فوالله ما أغني عنك شيئًا.

قَالَ: فهبروهما بأسيافهم حَتَّى فرغوا منهما.

فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالًا، ذهبت أدراعي، وفجعني بأسيري.

وفي «زاد المعاد»: أن عبد الرحمن بن عوف قَالَ لأميّة: ابرك، فبرك، فألقى نفسه عليه، فضربوه بالسّيف من تحته حَتَّى قتلوه، وأصاب بعضُ السَّيف رِجل عبد الرحمن ابن وعوف[1].

عباد الله...

وظل بلالٌ - رَضِي الله عَنهُ - ملازمًا للنبيّ ﷺ حَتَّى انتقل النبيُّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

وبعد انتقال النبيّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى قرر بلال الخروج إلى بلاد الشام.

وقبل خروجه وبعد خروجه حدثت أحداث، سنذكرها بعد قليل إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

لَـمَّا توفِّ رسولُ الله ﷺ أراد بلال أن يخرج إلى الشام[2]، فقال له أبو بكر: بل تكون عندي. فقال: إن كنت أعتقتني لنفسك فاحبسني، وإن كنت أعتقتني لله عَزَّ وَجَلَّ فذرني أذهب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ. فذهب إلى الشام، فكان به حَتَّى مات[3].

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٨٩).

(٢) وفي رواية: أَنَّهُ قَالَ لأبي بكر: أردت أن أُرابط في سبيل الله حتى أموت.

(٣) «أسد الغابة» (١/ ٢٩٠)، والأثر أخرجه أبو نعيم أيضًا في «الحلية» (١/ ١٥٠) بسندٍ صحيح.

أيُّهَا المسلمون...

وعلى أرض الشام عاش بلال بن رباح - رَضِي الله عَنهُ - ينشر تعاليم الإسلام، ويرابط في سبيل الله.

وفي سنة ثماني عشرة، وفي طاعون «عمواس» تُوفِّي بلال - رَضِي الله عَنهُ - وقبل أن تسافر روحه إلى الملأ الأعلى قَالَ: «غدًا نلقى الأحبّة، مُحمدًا وحزبه». فقالت امرأته: واويلاه. فقال بلال: وافرحاه. وفي رواية أخرى: «بل واطرباه، غدًا نلقى الأحبّة محمدًا وحزبه». ثُمَّ خرجت الرّوح الطيّبة إلى ربّها راضيةً مرضية.

عباد الله...

وفي الجمعة القادمة إن شاء الله نلتقي مع صحابيّ آخر، فإلى اللِّقاء.

اللهُمَّ اغِفر لنا، وارحمنا وارض عَنَّا، وتقبل مِنَّا، وأدخِلنا الجَنَّة، ونجِّنا من النار، وأصلِح لنا شأنَنَا كُلّهُ.

آمين... آمين... آمين



الخطبة السابعة والثلاثون

مع أبي طلحة الأنصاريَ

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فمازال الحديث موصولًا عن أئمة الهُدى، ومصابيح الدُّجى.

ونلتقي اليّوم إن شاء الله تعالى مع **أبي طلحة الأنصاريّ** رَضِي الله عَنهُ.

وأبو طلحة هُوَ: زيد بن سهل بن الأسود بن حرام، الخزرجيُّ النَّجاريُّ.

كان -.رَضِي الله عَنهُ - جَلدًا، صَيِّتًا، آدم، مربوعًا، لا يُغَيِّر شيبه، شهد بدرًا، وكان أحد النُّقباء، ويسمى أبو طلحة.

وهو الذي قَالَ فيه النبيّ ﷺ: «صوتُ أبي طلحة في الجيش خيرٌ من ألف رجل». أخرجه ابن سعد، وإسناده حسن.

وفي رواية: «لَصَوتُ أَبِي طَلحَةَ فِي الجَيشِ خَيرٌ مِن فِئَةٍ»(١).

عباد الله...

وكان لإسلام أبي طلحة قصّة:

كانت أمّ سُليم (الروميصاء) قد تزوجت مالك بن النضر، فلمّا أسلمت رفض مالك الإسلام، ومات كافرًا، فتزوجت من أبي طلحة، وندع المجال لإسحاق بن إبراهيم، يحدِّثنا عن جدَّتِه أم سُليم، فيقول:

«إنها آمنت برسول الله ﷺ، فجاء أبو أنس وكان غائبًا فقال لها: أصبوتِ؟

فقالت: ما صبوتُ ولكنِّي آمنتُ.

وجعلت تُلقِّن أنسًا - وكان صغيرًا -: قُل لا إله إلا الله، قُل أشهد أن محمدًا رسولُ الله، فجعل أنس ينطقُ بذلك، فكان ذلك يثير الغضبُ في نفس مالك فيقول لها: لا تفسدي عليَّ ابني، فتقول: إنِّي لا أُفسده، ولما أيأسه أمرها، خرج عنها إلى الشام فلقيه عدوٌّ له فقتله.

فلمَّا بلغها قتله قالت: لا جَرم لا أفطَم أنسًا حَتَّى يدع الثَّدي، ولا أتزوج حَتَّى يأمرني أنس.

ولما شب أنس تقدَّم لخطبتها أبو طلحة الأنصاري - وكان مشركًا - فأبت، ولما عاوَدَها ثانيةً قالت له: إنَّهُ لا ينبغي أن أتزوج مشركًا، أما تعلم يا أبا طلحة أنَّ آلهتكم ينحتها عبدُ آلِ فلان، ولو أشعلتم فيها النار لاحترقت، هلْ تنفعك هذه الآلهة؟

فوقع في قلبه الذي قالت.

قَالَ: فأتاها فقال: لقد وقع في قلبي الذي قُلتِ، وأعلن إسلامه.

قالت: فإنِّي أتزوّجُك ولا أريدُ صداقًا غيره».

وعن أنس - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: خطب أبو طلحة أُمَّ سُليم فقالت: أما إنِّي فيك

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد، وقال الشيخ مصطفى العدوي في «فضائل الصحابة» (ص٥٠): إسناده صحيح.

لراغبةٌ، وما مثلك يُرَدُّ، ولكنك كافر، فإن تُسلم فذلك مهري، لا أسألك غيره، فأسلم وتزوجها».

قَالَ ثابت: «فما سمعنا بمهرٍ كان قط أكرم من مهر أُمّ سُليم: الإسلام» [١].

وفي رواية أنها قالت: «ما مثلك يُرَدُّ، ولكنك امرؤ كافر، ولا أريد مهرًا إلا الإسلام، قَالَ: فمن لي بذلك؟ قالت: النبي ﷺ، فانطلق يريده، فقال النبي ﷺ: «جاءكم أبو طلحة وغُرَّةُ الإسلام بين عينيه...» الحديث. رواه الطيالسي.

عباد الله...

ولما أسلم أبو طلحة، وقام القتال بين الحقّ والباطل، انضوى أبو طلحة - رَضِي الله عَنهُ - تحت لواء المجاهدين، وعلى أرض القتال سطَّر أروع آيات الفداء والتضحية.

ففي غزوة بدر:

كان أبو طلحة مِمَّن غشيهم النُّعاسُ قبل القتال؛ قَالَ تعالى: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ**﴾ [الأنفال: ١١].

قَالَ أنس: قَالَ أبو طلحة لقد سقط السَّيف منِّي يوم بدر، لِما غشينا من النُّعاس [٢].

وأبلى فيها بلاءً حسنًا.

وفي غزوة أُحُد:

يحكي أنس - رَضِي الله عَنهُ - عن جهاد أبي طلحة فيقول:

«لَمَّا كَانَ يَومُ أُحُدٍ انهزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو طَلحَةَ بَينَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ بِهِ عَلَيهِ [٣] بِحَجَفَةٍ [٤] لَهُ، وَكَانَ أَبُو طَلحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ القِدِّ يَكسِرُ يَومَئِذٍ قَوسَينِ أَو ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الجَعبَةُ مِن النَّبلِ فَيَقُولُ ﷺ: «**انشُرهَا لِأَبِي طَلحَةَ**».

فَأَشرَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَنظُرُ إِلَى القَومِ فَيَقُولُ أَبُو طَلحَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ بِأَبِي أَنتَ وَأُمِّي لَا

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه عبد الرزاق (١٠٤١٧)، وغيره.
(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد.
(٣) مجوبًا به عليه: مترسًا عليه.
(٤) الحجفة: الترس.

تُشرِف يُصِيبُكَ سَهمٌ مِن سِهَامِ القَومِ نَحرِي دُونَ نَحرِكَ»[(١)].

«وكان - رَضِي الله عَنهُ - إذا بقي مع النبيِّ ﷺ جثا بين يديه، وقال: نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء».

الله أكبر، أيُّ فداء بعد هذا الفداء، هذا وربّ الكعبة هُوَ الحُبّ الصادق، فأين حُبّنا من حُبِّهم؟!

عَن أَنَسٍ - رَضِي الله عَنهُ -: «أَنَّ أَبَا طَلحَةَ كَانَ يَرمِى بَينَ يَدَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَومَ أُحُدٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ خَلفَهُ يَتَتَرَّسُ بِهِ وَكَانَ رَامِيًا وَكَانَ إِذَا رَمَى رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَخصَهُ يَنظُرُ أَينَ يَقَعُ سَهمُهُ، وَيَرفَعُ أَبُو طَلحَةَ صَدرَهُ وَيَقُولُ هَكَذَا: بِأَبِى أَنتَ وَأُمِّى يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ يُصِيبُكَ سَهمٌ نَحرِى دُونَ نَحرِكَ.

وَكَانَ أَبُو طَلحَةَ يَسُوقُ نَفسَهُ بَينَ يَدَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَقُولُ: إِنِّى جَلدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَجِّهنِى فِى حَوَائِجِكَ وَمُرنِى بِمَا شِئتَ».

وفي غزوة حُنين:

كان - رَضِي الله عَنهُ - من المائة الصابرة حول الرسول ﷺ، فَعَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ - رَضِي الله عَنهُ - أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «مَن قَتَلَ كَافِراً فَلَهُ سَلَبُهُ». فَقَتَلَ أَبُو طَلحَةَ يَومَئِذٍ عِشرِينَ وَأَخَذَ أَسلاَبَهُم»[(٢)].

عباد الله...

ويضاف لما سبق: أن أبا طلحة - رَضِي الله عَنهُ - كان سخيًّا، جَوَّادًا، يحب الإنفاق في سبيل الله مِن أحبّ أمواله إليه.

روى البخاريُّ ومُسلم عَن أَنَس بنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: «كَانَ أَبُو طَلحَةَ أَكثَرَ أَنصَارِيٍّ بِالمَدِينَةِ نَخلًا وَكَانَ أَحَبَّ أَموَالِهِ إِلَيهِ بَيرُحَاءَ، وَكَانَت مُستَقبِلَةَ المَسجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدخُلُهَا وَيَشرَبُ مِن مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) إسناده صحيح: رواه أبو داود.

فَلَمَّا أُنزِلَت: ﴿لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قَامَ أَبُو طَلحَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَموَالِي إِلَيَّ بَيرُحَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ أَرجُو بِرَّهَا وَذُخرَهَا عِندَ اللهِ فَضَعهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيثُ أَرَاكَ اللهُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَد سَمِعتُ مَا قُلتَ، وَإِنِّي أَرَى أَن تَجعَلَهَا فِي الأَقرَبِينَ».

قَالَ أَبُو طَلحَةَ أَفعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَفِي بَنِي عَمِّهِ».

أيُّها المسلمون...

وفي يوم من الأيام فقد أبو طلحة ولدًا من أولاده، وكان لفقده قصّة يحكيها لنا أنس - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - فيقول:

«اشتَكَى ابنٌ لِأَبِي طَلحَةَ، فَخَرَجَ أَبُو طَلحَةَ إِلَى المَسجِدِ فَتُوُفِّيَ الغُلَامُ، فَهَيَّأَت أُمُّ سُلَيمٍ المَيِّتَ وَقَالَت لِأَهلِهَا: لَا يُخبِرَنَّ أَحَدٌ مِنكُم أَبَا طَلحَةَ بِوَفَاةِ ابنِهِ.

فَرَجَعَ إِلَى أَهلِهِ وَمَعَهُ نَاسٌ مِن أَهلِ المَسجِدِ مِن أَصحَابِهِ قَالَ: مَا فَعَلَ الغُلَامُ؟ قَالَت: خَيرٌ مِمَّا كَانَ.

فَقَرَّبَت إِلَيهِم عَشَاءَهُم فَتَعَشَّوا وَخَرَجَ القَومُ، وَقَامَت المَرأَةُ إِلَى مَا تَقُومُ إِلَيهِ المَرأَةُ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيلِ[1] قَالَت: يَا أَبَا طَلحَةَ أَلَم تَرَ إِلَى آلِ فُلَانٍ استَعَارُوا عَارِيَةً فَتَمَتَّعُوا بِهَا فَلَمَّا طُلِبَت كَأَنَّهُم كَرِهُوا ذَاكَ؟!

قَالَ: مَا أَنصَفُوا.

قَالَت: فَإِنَّ ابنَكَ كَانَ عَارِيَةً مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَإِنَّ اللهَ قَبَضَهُ، فَاستَرجَعَ وَحَمِدَ اللهَ.

فَلَمَّا أَصبَحَ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: «بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي لَيلَتِكُمَا».

فَحَمَلَت بِعَبدِ اللهِ فَوَلَدَتهُ لَيلًا، وَكَرِهَت أَن تُحَنِّكَهُ حَتَّى يُحَنِّكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ،

(١) أي: بعد أن جامعها.

فَحَمَلتُهُ غُدوَةً وَمَعِي تَمَرَاتُ عَجوَةٍ فَوَجَدتُهُ يَهنَأُ أَبَاعِرَ لَهُ أَو يَسِمُهَا، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ سُلَيمٍ وَلَدَت اللَّيلَةَ فَكَرِهَت أَن تُحَنِّكَهُ حَتَّى يُحَنِّكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَمَعَكَ شَيءٌ؟».

قُلتُ: تَمَرَاتُ عَجوَةٍ، فَأَخَذَ بَعضَهُنَّ فَمَضَغَهُنَّ ثُمَّ جَمَعَ بُزَاقَهُ فَأَوجَرَهُ إِيَّاهُ فَجَعَلَ يَتَلَمَّظُ، فَقَالَ: «حُبُّ الأَنصَارِ التَّمرَ».

قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِّهِ، قَالَ: «هُوَ عَبدُ اللَّهِ»[1].

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٣٤٣) بإسناد رجاله ثقات: قَالَ عباية: «فلقد رأيتُ لذلك الغلام سبع بنين، كلُّهم قَد ختم القرآن».

وذلك جزاء الصابرين.

عباد الله...

ولازم أبو طلحة النبيَّ ﷺ لم يتخلَّف عن غزوة، ولم يقعد عن قتالٍ.

ولما لبَّى النبيُّ ﷺ نداء ربّه، ولحق بالرفيق الأعلى، ازداد أبو طلحة بعده تعبّدًا.

فعن أنس - رَضِي الله عَنهُ -: «أن أبا طلحة صام بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة، لا يُفطر إلَّا يوم فطر أو أضحى».

وفي رواية عنه: «كان أبو طلحة بعد النبيّ ﷺ لا يفطر إلَّا في سفرٍ أو مَرض».

ثُمَّ ماذا؟

ثُمَّ لازم الخلفاء من بعده، مجاهدًا، عابدًا، ذاكرًا، حَتَّى أدركته الوفاةُ.

وكانت لوفاته قصّة، سنذكرها بعد قليل إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) رواه البخاريُّ ومُسلم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

كَرَّت السنون، وكبرت سِنُّ أبي طلحة، وقبل إحدى الغزوات قَالَ له بنوه: قد غزوتَ مع رسول الله ﷺ حتى قُبض، ومع أَبو بكر ومع عمر، فنحن نغزو عنك، فأبى، وقال: جهزوني. فجهزُوه، فركب البحر فمات.

وعن أَنس - رَضِيِ الله عَنهُ -: «أن أَبا طلحة قرأ سورة براءة، فأتى على هذه الآية: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]. قال: أَرى ربي يستنفرني شابًا وشيخًا، جهزوني. فقال له بنوه: قد غزوتَ مع رسول الله ﷺ حتى قبض، ومع أَبو بكر ومع عمر، فنحن نغزو عنك. فقال: جهِّزوني. فجهزُوه، فركب البحر فمات، فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها إِلا بعد سبعة أَيام، فلم يتغيَّر»[١].

وهكذا يصنع الإيمانُ الرجال، إنه صان دين الله تعالى في حال حياته، فصان الله جسده بعد مماته، وهكذا تتجلى بركاتُ الله تعالى عَلَى عبدِهِ الصالح حيًّا وميتًا.

حقًّا إِنَّهُ إخلاص يُعلن عن نفسه.

وهِمَمٌ تَرمي إلى جَنَّات عَدن.

فأين هذه النماذج في دنيا الله اليوم؟!

وفي الجمعة القادمة نلتقي مع صحابي آخر، فإلى اللِّقاء، إن شاء الله تعالى.

۞۞۞۞۞

---

(١) «أسد الغابة» (٦/ ١٦٩، ١٧٠).

الخطبة الثامنة والثلاثون

مع عمَّار بن ياسر

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فنحن اليوم إن شاء الله تعالى مع أبي اليقظان عَمَّار بن ياسر رَضِي الله عَنهُ.

عباد الله...

من هُوَ عَمَّار؟

وما هي قصّته؟

هُوَ عَمَّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب، المذحجيّ ثُمَّ العنسي.

يكنى: أبا اليقظان. وهو حليف بني مخزوم.

وأُمّه: سميّة، وهي أوّل من استشهد في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ.

وهو وأبوه وأُمّه من السابقين الأوّلين إلى الإسلام.

أسلم عَمَّار ورسول الله ﷺ في دار الأرقم هُوَ وصهيب بن سنان في وقت واحد.

قَالَ عَمَّار: لقيتُ صهيب بن سنان عَلَى باب دار الأرقم، ورسول الله ﷺ فيها، فقلت: ماذا تريد؟

فقال: وما تريد أنت؟

فقلت: أردت أن أدخل عَلَى مُحمد وأسمع كلامه.

فقال: وأنا أُريد ذلك.

فدخلنا عليه، فعرض علينا الإسلام، فأسلمنا.

وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلًا.

وروى يحيى بن معين، عن إِسمَاعِيلُ بنُ مُجَالِدٍ، عن بَيَانُ بنُ بِشرٍ عَن وَبَرَةَ بنِ عَبدِ الرَّحمَنِ عَن هَمَّام قَالَ: سَمِعتُ عَمَّارًا يَقُولُ: رَأَيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمسَةُ أَعبُدٍ وَامرَأَتَانِ وَأَبُو بَكرٍ.

عَمَّار يُظهر إسلامه:

أول من أظهر الإسلام سبعةٌ: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وبلال، وخبَّاب، وصهيب، وعمَّار، وسميَّة أُمّ عَمَّار.

فأما رسول الله ﷺ فمنعه أبو طالب، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأخذوا الآخرين فألبسوهم أدراع الحديد، ثُمَّ صهروهم في الشمس حَتَّى بلغ منهم الجهد كل مبلغ من حرّ الشمس، فلَمَّا كان من العشيّ أتاهم أبو جهل ومعه حربة، فجعل يسبُّهم ويوبخهم، وأتى سُميَّة يسبّها ويَرفُث[1]، ثُمَّ طعن فرجها حَتَّى خرجت الحربة من دُبُرها، فقتلها رضي الله عنها[2].

---

(١) الرفث: الفحش من القول.

(٢) «تفسير القرطبي» (١٠/ ١٦٤)، وفي رواية: أَنَّهُ طعنها في قَلبها.

وعَن عَبدِ اللَّهِ بن مسعود - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: أَوَّلُ مَن أَظهَرَ إِسلَامَهُ سَبعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيبٌ، وَبِلَالٌ، وَالمِقدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَومِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُم فَأَخَذَهُم المُشرِكُونَ فَأَلبَسُوهُم أَدرَاعَ الحَدِيدِ وَصَهَرُوهُم فِي الشَّمسِ، فَمَا مِنهُم إِنسَانٌ إِلَّا وَقَد وَاتَاهُم عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالٌ فَإِنَّهُ هَانَت عَلَيهِ نَفسُهُ فِي اللَّهِ وَهَانَ عَلَى قَومِهِ، فَأَعطَوهُ الوِلدَانَ وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ»[(١)].

وعن جابر بن عبد الله - رَضِي الله عَنهُ -: أن رسول الله ﷺ مَرَّ بعمار وأهله وَهُم يُعَذَّبُونَ فقال: «**صَبرًا يَا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوعِدَكُم الجَنَّةُ**»[(٢)].

وعن عثمان - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: «أَقبَلتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ آخِذًا بِيَدِي نَتَمَشَّى فِي البَطحَاءِ إذ بعمار وأبيه وأمه يُعَذَّبُونَ، فَقَالَ أَبُو عَمَّارٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الدَّهرَ هَكَذَا.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**اصبر**»، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ اغفِر لِآلِ يَاسِرٍ وَقَد فَعَلتُ**»[(٣)].

وعن عمرو بن ميمون بإسناد مرسل قَالَ: أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار، قَالَ: فكان رسول الله ﷺ يمرّ به ويمر يده عَلَى رأسه فيقول: «**يا نار كوني بردًا وسلامًا عَلَى عمار كما كنتِ عَلَى إبراهيم عليه السلام، تقتلك الفئة الباغية**»[(٤)].

عباد الله...

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل عمار، نختار منها:

(١) عَن حُذَيفَةَ بن اليمان - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: كُنَّا عِندَ النَّبِيِّ ﷺ جُلُوسًا فَقَالَ: «**إِنِّي لَا أَدرِي مَا قَدرُ بَقَائِي فِيكُم فَاقتَدُوا بِاللَّذَينِ مِن بَعدِي** - وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ - **وَتَمَسَّكُوا بِعَهدِ عَمَّارٍ وَمَا حَدَّثَكُم ابنُ مَسعُودٍ فَصَدِّقُوهُ**»[(٥)].

---

(١) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (١٥٠)، والحاكم (٣/ ٣٨٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبيّ: صحيح.
(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٦٢).
(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١١٧).
(٥) **صحيح**: انظر «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٨٨).

(٢) وعَن أَنسِ بنِ مَالِكٍ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ الجَنَّةَ لَتَشتَاقُ إِلَى ثَلَاثَةٍ عَلِيٍّ وَعَمَّارٍ وَسَلمَانَ**»(١).

(٣) وعَن عَلِيٍّ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: جَاءَ عَمَّارٌ يَستَأذِنُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**ائذَنُوا لَهُ مَرحَبًا بِالطَّيِّبِ المُطَيَّبِ**»(٢).

(٤) وعن عمرو بن شرحبيل، عن رجل من أصحاب النبيّ ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**عَمَّارٌ مُلِيءَ إيماناً إلى مُشَاشِهِ**»(٣).

(٥) وعَن حُذَيفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اقتَدُوا بِاللَّذَينِ مِن بَعدِي أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ وَاهتَدُوا بِهَديِ عَمَّارٍ وَتَمَسَّكُوا بِعَهدِ ابنِ أُمِّ عَبدٍ**»(٤).

(٦) وعَن خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ قَالَ: كَانَ بَينِي وَبَينَ عَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ كَلَامٌ فَأَغلَظتُ لَهُ فِي القَولِ فَانطَلَقَ عَمَّارٌ يَشكُونِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فقال ﷺ: «**مَن عَادَى عَمَّارًا عَادَاهُ اللَّهُ وَمَن أَبغَضَ عَمَّارًا أَبغَضَهُ الله**». قَالَ خَالِدٌ: فَخَرَجتُ فَمَا كَانَ شَيءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِن رِضَا عَمَّارٍ، فَلَقِيتُهُ فَرَضِيَ(٥).

(٧) وعَن عَبدِ اللَّهِ بنِ مَسعُودٍ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**ابنُ سُمَيَّةَ مَا عُرِضَ عَلَيهِ أَمرَانِ قَطُّ إِلَّا اختَارَ الأَرشَدَ مِنهُمَا**»(٦).

(٨) وعَن عَائِشَةَ قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا خُيِّرَ عَمَّارٌ بَينَ أَمرَينِ إلاَّ اختَارَ أَرشَدَهُمَا**»(٧).

(٩) وَعَن قَتَادَةَ عَن خَيثَمَةَ بنِ أَبِي سَبرَةَ قَالَ: أَتَيتُ المَدِينَةَ فَسَأَلتُ اللَّهَ أَن يُيَسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَيَسَّرَ لِي أَبَا هُرَيرَةَ، فَجَلَستُ إِلَيهِ فَقُلتُ لَهُ: إِنِّي سَأَلتُ اللَّهَ أَن يُيَسِّرَ لِي

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٣٧٨٧)، وغيره، وانظر «صحيح الجامع» (١٥٩٨).
(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه في «المقدمة» (١٤٥)، وانظر «الصحيحة» (٢/ ٤٦٦).
(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه في «المقدمة» (١٤٦)، وانظر «الصحيحة» (٨٠٧).
(٤) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٥ - ٤٠٢)، والترمذي (٣٨١٠)، وغيرهما.
(٥) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٨٩)، والحاكم (٣/ ٣٨٩- ٣٩١)، وصححه، ووافقه الذهبيّ.
(٦) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٣٨٩)، والحاكم (٣/ ٣٨٨)، وصححه، ووافقه الذهبيّ.
(٧) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٩٩)، وغيره.

جَلِيسًا صَالِحًا فَوُفِّقتَ لِي. فَقَالَ لِي: مِن أَينَ أَنتَ؟ قُلتُ: مِن أَهلِ الكُوفَةِ جِئتُ أَلتَمِسُ الخَيرَ وَأَطلُبُهُ.

قَالَ: أَلَيسَ فِيكُم سَعدُ بنُ مَالِكٍ مُجَابُ الدَّعوَةِ، وَابنُ مَسعُودٍ صَاحِبُ طَهُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَعلَيهِ، وَحُذَيفَةُ صَاحِبُ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَمَّارٌ الَّذِى أَجَارَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيطَانِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ، وَسَلمَانُ صَاحِبُ الكِتَابَينِ».

قَالَ قَتَادَةُ: وَ«الكِتَابَانِ»: الإِنجِيلُ وَالفُرقَانُ[1].

عباد الله...

وفي عمار نزل قول الحق سبحانه: ﴿إِلَّا مَن أُكرِهَ وَقَلبُهُ مُطمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس قَالَ: «لَـمَّا أراد رسول الله ﷺ أن يهاجر إلى المدينة قَالَ لأصحابه: «**تفرقوا عني، فمن كانت به قوة فليتأخر إلى آخر اللَّيل، ومن لم تكن به قوة فليذهب في أول اللَّيل، فإذا سمعتم بي قد استقرت بي الأرض فألحقوا بي**»، فأصبح بلال المؤذن، وخباب، وعمار، وجارية من قريش كانت أسلمت، فأخذهم المشركون وأبو جهل، فعرضوا على بلال أن يكفر فأبى، فجعلوا يضعون درعًا من حديد في الشمس ثم يلبسوها إياه، فإذا ألبسوها إياه قَالَ: أحدٌ أحدٌ، وأما خباب فجعلوا يجرونه في الشوك، وأما عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقيةً.

وأما الجارية فوتد لها أبو جهل أربع أوتاد، ثم مدها فأدخل الحربة في قلبها حتى قتلها، ثم خلوا عن بلال وخباب وعمار، فلحقوا برسول الله ﷺ فأخبره بالذي كان من أمرهم، واشتد على عمار الذي كان تكلم به، فقال له رسول الله ﷺ: «**كيف كان قلبك حين قلت الذي قلت؟ أكان منشرحًا بالذي قلت أم لا؟**» قَالَ: لا، فأنزل الله: ﴿إِلَّا مَن أُكرِهَ وَقَلبُهُ مُطمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[2].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٨١٣)، وغيره.

(٢) حسن لغيره: أخرجه ابن أبي الدنيا، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٤٨)، وغيرهما، وانظر: «المقبول من أسباب النزول» د. أبو عمر نادي الأزهري (٤٣٠).

عباد الله...

شهد عَمَّار المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبعد وفاته، ومن مواقفه البطوليّة:

(١) جهاده يوم بدر:

أبلى عَمَّار يوم بدر بلاءً حسنًا، وقتل في هذا اليوم عامر بن الحضرمي، حليف بني عبد شمس، وقتل الحارث بن زمعة، وقتل يزيد بن عبد الله، حليف بني مخزوم، وقتل علي بن أميّة بن خلف.

(٢) جهاده يوم اليمامة:

عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا - قال: رأيت عَمَّار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين أَمِنَ الجَنَّة تَفرّون؟ أنا عَمَّار بن ياسر هلموا إليّ. وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب، وهو يقاتل أشدّ القتال[١].

عباد الله...

وقد وردت أحاديث صحيحة أخبر فيها الصادق المصدوق ﷺ أن عَمَّار بن ياسر ستقتله الفئة الباغية، وهذا من معجزات النبوّة:

من هذه الأحاديث:

(١) عن عَمَّار بن ياسر - رَضِيَ الله عَنهُ - قَالَ: ضرب رسول الله ﷺ بيده في خاصرتي فقال: «**خاصِرةٌ مؤمنةٌ، تقتلُك الفئةُ الباغية، آخر زادك ضَيَاحٌ مِن لبن**»[٢].

(٢) وعَن أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبِنَاءِ المَسجِدِ، فَجَعَلنَا نَنقُلُ لَبِنَةً[٣] لَبِنَةً، وَكَانَ عَمَّارٌ يَنقُلُ لَبِنَتَينِ لَبِنَتَينِ، فَتَتَرَّبَ رَأسُهُ، قَالَ: فَحَدَّثَنِي أَصحَابِي وَلَم أَسمَعهُ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ جَعَلَ يَنفُضُ رَأسَهُ وَيَقُولُ: «**وَيحَكَ يَا ابنَ سُمَيَّةَ تَقتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ**»[٤].

وتمر الأيام ويجاهد عَمَّار في بدر، ويشهد جميع الغزوات مع رسول الله ﷺ، وينتقل

---

(١) ابن سعد (٣/ ١/ ١٨١).

(٢) **حسن**: رواه الطبراني، وإسناده حسن، «المجمع» برقم (١٥٦٢٦).

(٣) **اللبن**: هو الطوب الأخضر.

(٤) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» وإسناده حسن، «المجمع» برقم (١٥٦١٤).

الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو راضٍ عن عمّار، يأمر المؤمنين أن يهتدوا بهديه، ويسيروا عَلَى نهجه، وهذا مقامٌ رفيع لا يصل إليه إلا المخلصون، الذين اجتباهم ربهم وهداهم، ويعيش عمّار مع الخلفاء الراشدين المهديين، مجاهدًا وداعيًا وعابدًا، وكلام الرسول ﷺ له: «تَقتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ» يدوّي صداه في وجدانه، وينتظر عن يقين أجله بالكيفية التي أخبر عنها الصادق المصدوق ﷺ.

فكيف قُتل عمّار؟ وفي أي موقعة كان قتله؟

هذا ما سوف نذكره بعد قليل إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وتدور عجلة الزمن، ويُقتل عثمان ظُلمًا، ويتولى عليٌّ بن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - الخلافة، ويدعو معاوية - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - النَّاس لنفسه في الشام[1]، وظهرت ظلمات الفتن الداكنة تلف حياة الأمة الإسلامية، ويؤجج نارها جماعةُ عبد الله بن سبأ اليهوديّ، وذرّ قرن الفتنة، واشتد ساعدُها، وانضوى أكثر أصحاب النبي ﷺ تحت لواء علي بن أبي طالب بصفته الإمام الشرعي للمسلمين، واعتزل جماعة من أسياد الصَّحابة هذه الفتنة، ونِعم ما فعلوا، والمقصود أن الفتنة اشتدت بين الفريقين، ودعا كل فريق لنفسه، وتزاحف الفريقان، والتقى الجمعان عند صفين، ودارت مناقشات وحوارات، ومراسلات بين الفريقين، ولكن كان تيار الفتنة أشد من تحركات المصلحين، وأمواجها أعلى من صيحات المخلصين، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

فلقد دارت رحى الحرب بين الفريقين، وقُتل خلقٌ كثير من الجانبين لا يعلمهم إلا الله،

---

(١) مَرّ في ترجمة علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - أن معاوية لم ينصب نفسه أميرًا للمؤمنين.

وطارت أكف ومعاصم ورءوس عن كواهلها، رحمهم الله جميعًا[(١)].

وخرج عَمَّار بن ياسر مع عليّ بن أبي طالب، فلقد كان عَلَى مَوعد مع القدر وقاتل رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يقول إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوف: «سمعت عَمَّار بن ياسر بصفين في اليوم الذي أُصيب فيه وهو ينادي: إنِّي لقيتُ الجبار وتزوّجتُ الحور العين، اليوم نلقى الأحبّة محمدًا وحِزبه، عهد إليَّ رسول الله ﷺ: «**إن آخر زادك من الدنيا ضَيَاحٌ**[(٢)] **من لبن**»[(٣)].

وعن أبي سنان الدؤلي صاحب رسول الله ﷺ قَالَ: «رأيت عمار بن ياسر دعا غلامًا له بشراب، فأتاه بقدح من لبن فشربه، ثم قَالَ: صدق الله ورسوله اليوم ألقى الأحبة محمدًا وحزبه، إن رسول الله ﷺ قَالَ: «**إن آخر شيء أزوده من الدنيا ضحية لبن**»، ثم قَالَ: والله لو هزمونا حتى يبلغوا سَعَفَات هَجَر لعلمنا أنَّا على حق وأنهم على باطل»[(٤)].

واقتحم عَمَّار يقاتل حَتَّى قُتل - رَضِيَ اللهُ عَنهُ -. ولما استشهد - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - صلى عليه عليّ بن أبي طالب ولم يغسله، وقُبِر هنالك.

ومات عَمَّار ذلكم العبد الصالح الذي قَالَ عنه النبيُّ ﷺ: «**عَمَّارٌ مُلِىءَ إيماناً إلى مُشَاشِهِ**». رَضِيَ اللهُ عَنهُ وأرضاه.

وإلى اللقاء مع صحابيّ آخر، إن شاء الله.

۞۞۞۞۞

---

(١) سبيلنا الكفّ عمّا شجر بين أصحاب النبي ﷺ فنستغفر لهم، ولا نحب ما وقع بينهم، فلقد كان القتال على اجتهاد من الفريقين، والكل في ذَلِكَ مأجور، والله تعالى وصفهم بالإيمان: ﴿**وإن طائفتانِ مِن المُؤمنين...**﴾ [الحجرات: ٩].

(٢) **الضَّياح**: اللبن الرقيق الممزوج.

(٣) رواه الطبراني وأحمد باختصار، ورجالهما رجال الصحيح.

(٤) **حسن**: رواه الطبراني، وانظر «المجمع» (١٥٦٢٥).

الخطبة التاسعة والثلاثون

مع أبي سلمة بن عبد الأسد

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن الصَّحابة الأطهار، ولقاؤنا اليوم إن شاء الله تعالى مع الصحابيّ المجاهد: أبي سلمة بن عبد الأسد.

عباد الله...

هُوَ أبو سلمة بن عبد الأسد، هلال بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم، القُرشي، المخزوميّ.

اسمه: عبد الله بن عبد الأسد.

أُمّه: بَرَّة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

فهو ابن عمّة النبي ﷺ [(١)].

كان أبو سلمة - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - قديم الإسلام، فعن إسحاق، قَالَ: «انطلق أَبو عبيدة بن الحارث، وأَبو سلمة بن عبد الأَسد، والأَرقم بن أَبِي الأَرقم، وعثمان بن مظعون حتى أَتوا رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإِسلام، وقرأَ عليهم القرآن، فأَسلموا وشهدوا أَنه على هُدى ونور.

قال: ثم أَسلم ناس من العرب، منهم سعيد بن زيد، وذكر جماعة» [(٢)].

وهاجر أبو سلمة، وكانت لهجرته قصّة عجيبة:

أخرج ابن إسحاق، عن أُمّ سلمة رضي الله عنها قالت: «لَـمَّا أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة - أي في الهجرة - رَحَّل لي بعيره، ثم حملني عليه، وجعل معي ابني سَلَمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج يقود بي بعيره، فلمَّا رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟

قالت: فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه، قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا.

قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففرق بيني وبين ابني وبين زوجي.

قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسى سنة أو قريبًا منها، حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تحرجون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها.

قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت.

قالت: فردّ بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني.

---

(١) «أسد الغابة» (٦/ ١٤٢).

(٢) نفس المرجع السابق.

قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة.

قالت: وما معي أحد من خلق الله حتى إذا كنت بالتنعيم[١] لقيت عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة[٢] أخا بني عبد الدار، فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة. قَالَ: أَوَمَا معك أحد؟ قلت: ما معي أحد إلا الله وبني هذا.

فقال: والله ما لك من مترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي[٣] فوالله ما صحبت رجلا من العرب قطّ أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجر ثم تنحى إلى الشجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحَّله ثم استأخر عني وقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة. فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قَالَ: زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلا - فأدخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعا إلى مكَّة. فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبًا قطّ كان أكرم من عثمان بن طلحة[٤].

عباد الله...

وكان أبو سلمة مجاهدًا لا يشق له غبار، يفلق بسيفه البتَّار هام المشركين الأشرار.

وهذه لقطات من حياته الجهاديّة:

اللقطة الأولى: جهاده يوم بدر:

شهد أبو سلمة - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - موقعة بدر الكبرى، وأبلى فيها بلاءً حسنًا، فنال

---

(١) التنعيم: وادٍ قريب من مكة.

(٢) قبل إسلامه.

(٣) يهوى بي: يُسرع.

(٤) في سنده «مسلمة بن عبد بن عمر بن أبي سلمة» لم يوثقه غير ابن حبان، وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول.

بذلك شرف مَن قَالَ النبيُّ ﷺ فيهم: «لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهلِ بَدرٍ فَقَالَ اعمَلُوا مَا شِئتُم فَقَد غَفَرتُ لَكُم»[١].

وهذا وسامٌ كبير، ومقامٌ كبير.

اللقطة الثانية: جهاده يوم أُحُد:

شهد أبو سلمة - رَضِي الله عَنهُ - غزوة أُحُد وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وجُرح يومها جُرحًا غائرًا، أقام شهرًا يُداوى منها حَتَّى اندمل.

ولما تجرأت بعض القبائل عَلَى المسلمين بعد غزوة أُحدٍ، أرسل النبيُّ ﷺ سرية أبي سلمة.

وكان أوّل من قام ضد المسلمين بعد هزيمة أُحد: قوم أبي سلمة.

فلمّا علم النبيُّ ﷺ بتجمّعهم لحربه، سارع إلى بعث سريّة قوامها مائة وخمسون مقاتلًا من المهاجرين والأنصار، وأمّر عليهم أبا سلمة - رَضِي الله عَنهُ - وعقد له لواءً.

وتحرّك أبو سلمة بمن معه، وبَاغَتَ بني أسد في ديارهم قبل أن يقوموا بغارتهم، فتشتتوا في الأمر، وأصاب المسلمون إبلاً وشاءً لهم، فاستاقوها، وعادوا إلى المدينة سالمين لم يلقوا حربًا، وكان مبعث هذه السرية حين استهلّ هلال المحرّم سنة ٤ هـ[٢].

عباد الله...

إنها فدائية عجيبة، وبطولة ليس لها نظير، وأستاذية يقف التاريخ لها مُعجبًا مشدودًا ومشدوهًا، لا يملك إلا أن ينحني لها إجلالاً وإكبارًا واحترامًا.

إنَّهُ الحب في الله الذي ملك أقطار نفس هذا الفدائي الكبير، فحارب قومه لَـمَّا كفروا وظلموا، في سبيل الله.

إنها عقيدة الولاء والبراء التي لا يعرف كثير من المسلمين اليوم عنها شيئًا.

إنَّهُ التعلّق بما عند الله من نعيم مقيم في دار الخلد والكرامة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٢٤٣).

أيُّهَا المسلمون...

هذه صورة للرجولة الفارعة التي اصطدم بها الكفر، فماد أمامها وترنح تحت أقدامها.

وهذا اللون من البطولة للأسف مدفون تحت جدران التاريخ، وما يقوم للإسلام صرحٌ، ولا ينكشف عنه طغيانٌ، إلَّا بهذه الفدائية المذخورة في أفئدة الصّديقين والشهداء.

عباد الله...

مَن سرّ هذا الإلهام؟

مَن مشرق هذا الضياء؟

مَن مبعث هذا الاقتدار؟

إنَّهُ محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَـهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ أَلَآ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

فخذوا - أيُّها المسلمون - من أجدادكم عظة وعبرة، فلن يصلح آخر هذه الأُمّة إلَّا بما صلح بها أولها.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ولمَّا عاد البطل أبو سلمة إلى المدينة انتفض جُرحه، فنام على فراشه يعالج سكرات الموت؛ ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

وقبل أن تخرج الروح الطاهرة لملاقاة ربِّها الرحيم، عاده النبي ﷺ.

تَقُول أُمّ سَلَمَةَ: «دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَد شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ»، فَضَجَّ نَاسٌ مِن أَهلِهِ، فَقَالَ: «لَا تَدعُوا عَلَى أَنفُسِكُم إِلَّا بِخَيرٍ فَإِنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اغفِر لِأَبِي سَلَمَةَ وَارفَع دَرَجَتَهُ فِي المَهدِيِّينَ وَاخلُفهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ وَاغفِر لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ وَافسَح لَهُ فِي قَبرِهِ وَنَوِّر لَهُ فِيهِ»[١].

عباد الله...

واتبّاع هدي النبيّ ﷺ يثمر خيري الدنيا والآخرة، وها هي أُمّ سلمة رضي الله عنها تنال الخيرين بسبب هذا الاتباع:

عن ابنُ عُمَرَ بنِ أَبِي سَلَمَةَ عَن أَبِيهِ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَت: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُم مُصِيبَةٌ فَلْيَقُل إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ عِندَكَ احتَسَبتُ مُصِيبَتِي وَأْجُرنِي فِيهَا وَأَبدِلنِي مَا هُوَ خَيرٌ مِنهَا»، فَلَمَّا احتُضِرَ أَبُو سَلَمَةَ قَالَ: اللهُمَّ اخلُفنِي فِي أَهلِي بِخَيرٍ، فَلَمَّا قُبِضَ قُلتُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ اللهُمَّ عِندَكَ أَحتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأْجُرنِي فِيهَا. قَالَت: وَأَرَدتُ أَن أَقُولَ وَأَبدِلنِي خَيرًا مِنهَا فَقُلتُ وَمَن خَيرٌ مِن أَبِي سَلَمَةَ؟ فَمَا زِلتُ حَتَّى قُلتُهَا، فَلَمَّا انقَضَت عِدَّتُهَا خَطَبَهَا أَبُو بَكرٍ فَرَدَّتهُ، ثُمَّ خَطَبَهَا عُمَرُ فَرَدَّتهُ، فَبَعَثَ إِلَيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَت: مَرحَبًا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِرَسُولِهِ[٢].

وعنها رضي الله عنها أن أبا سلمة حدّثهم أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُم مُصِيبَةٌ فَلْيَقُل: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ عِندَكَ احتَسَبتُ مُصِيبَتِي، فأْجُرنِي فِيهَا وَأَبدِلنِي خَيرٌ مِنهَا»، فلمّا مات أبو سلمة قلتُها، فأخلفني خيرًا منه[٣].

إنها بركة الاتباع.

إِنَّهُ فضل الصبر عند الصدمة الأولى.

فخذوا - أيُّها المسلمون - من هذه المواقف عظة وعبرة.

---

(١) أخرجه أحمد ومسلم وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم (٩١٨).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧).

وعلى الله قصد السبيل.

اللهُمَّ اقسِم لنا من خشيتك ما تحولُ به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تُبلِّغُنا به جَنَّتك، ومِن اليقين ما تُهوِّن به علينا مصائب الدنيا.

آمين... آمين... آمين.



الخطبة الأربعون

مع زيد بن ثابت

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فنحن عَلَى موعد مع الصَّحابي المبارك: زيد بن ثابت بن الضَّحاك بن زيد بن لَوذان ابن عمرو بن عبد بن عوف بن غَنم بن مالك بن النجَّار، الأنصاريّ الخزرجي، ثُمَّ النجاري.

أُمّه: النَّوَار بنت مالك بن مُعاوية بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النّجار.

كنيته: أبو سعيد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو خارجة[١].

---

(١) «أسد الغابة».

عباد الله...

أسلم زيد بن ثابت - رَضِي الله عَنهُ - مبكرًا، وكان غلامًا، كما سيأتي بعد قليل إن شاء الله تعالى.

ومن فضائل زيد:

(١) عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَرحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكرٍ، وَأَشَدُّهُم فِي أَمرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصدَقُهُم حَيَاءً عُثمَانُ، وَأَعلَمُهُم بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَأَفرَضُهُم زَيدُ بنُ ثَابِتٍ، وَأَقرَؤُهُم أُبَيٌّ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ**»(١).

(٢) لَـمَّا هاجر النبيُّ ﷺ أسلم زيد وهو ابن إحدى عشرة سنة، فأمره النبيُّ ﷺ أن يتعلّم خط اليهود.

فعن خارجة، عن أبيه، قَالَ: «أتي بي النبيّ ﷺ مقدمه المدينة، فقالوا: يا رسول الله هذا غلام من بني النجار، وقد قرأ مما أُنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأت عَلَى رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك، وقال: «**يا زيد تعلم لي كتاب يهود، فإنِّي والله ما آمنهم عَلَى كتابي**».

قَالَ: فتعلمته، فما مضى لي نصف شهر حَتَّى حذقته، وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم»(٢).

قَالَ زيد: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «**أتُحسن السّريانيّة؟**» قلتُ: لا، قَالَ: «**فتعلمها**»، فتعلمتُها في سبعة عشر يومًا(٣).

وفي رواية: أَنَّهُ قَالَ: «أمرني رسولُ الله ﷺ أن أتعلّم له كتاب يهود، فقال «**إنِّي والله ما آمن يهود عَلَى كتاب**». قَالَ: فما مَرّ بي نصف شهر حَتَّى تعلّمتُه له.

قَالَ: فلَمَّا تعلمتُه كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتبهم»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وابن ماجه، وصحّحه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٨١).

(٢) **حسن صحيح**: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٨٠)، والترمذي (٢٨٧٠)، وأبو داود (٣٦٤٥)، وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٠٩٨): حسن صحيح.

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٨٢)، وغيره.

(٤) **حسن لغيره**: رواه الترمذي.

فانظر - أخي المسلم - إلى هذه الهمّة العالية، وقارن بين همم الصَّحابة وهِممنا.

زيد - رَضِيَ الله عَنهُ - يتقن اللّغة السريانية في نصف شهر، والمسلمون اليوم لا يتقنون اللّغة العربية!!

وهذا الحثّ من رسول الله ﷺ يلفت نظرنا إلى شيء مهمّ ألا وهو: «أن من تعلّم لُغة قَومٍ أمِن مَكرَهم».

إذًا الهدف من تعلّم لغة غير العرب: الأمن من مكر الأعداء[١]، وبعض المسلمين ابتلوا في هذه الأيام بحبّ اللّغات الأجنبيّة حُبًّا يصل إلى درجة الفخر، واحتقار لغتهم الأساسية التي هي لغة القرآن.

فهناك مَن يجيد التحدّث بعدّة لغات أجنبية ولا يستطيع النطق بعبارتين صحيحتين من اللغة العربية، بل يتحرّج أحيانًا من التحدّث بها!! ويُخشى أن يكون هذا الميل ميلًا عقائديًّا.

(٣) وكان زيد يكتب الوحي لرسول الله ﷺ:

قَالَ زيد: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي بعث إليَّ فكتبته[٢].

روى البخاري عَن البَرَاءِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَت: ﴿لَا يَستَوِي القَاعِدُونَ مِن المُؤمِنِينَ﴾ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ادعُ لِي زَيدًا وَليَجِئ بِاللَّوحِ وَالدَّوَاةِ وَالكَتِفِ»، ثُمَّ قَالَ: «اكتُب: لَا يَستَوِي القَاعِدُونَ وَالـمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، وَخَلفَ ظَهرِ النَّبِيِّ ﷺ عَمرُو بنُ أُمِّ مَكتُوم الأَعمَى قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأمُرُنِي فَإِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ البَصَرِ؟ فَنَزَلَت مَكَانَهَا: ﴿لَا يَستَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ غَيرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالـمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥].

(٤) وعن ابن عباس قَالَ: لقد علم المحفّوظون من أصحاب محمد ﷺ أن زيد بن ثابت من الراسخين في العلم[٣].

---

(١) وتنفع معرفة لغة غير العرب في مواكبة التطوّر الحضاري، أما استخدامها في نقل ما يهدم العقيدة والأخلاق فهذا هو المحظور.

(٢) إسناده حسن: أخرجه الطبراني، وحسّنه الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٧).

(٣) رواه البغوي، وصححه الأرناؤوط.

(٥) وكان ابن عباس رغم رسوخ قدمه، وعلوّ كعبه في العلم يحترم زيدًا:

فعن أبي سلمة، أن ابن عباس قام إلى زيد بن ثابت فأخذ بركابه، فقال: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال: إنَّا هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا[1].

(٦) وقال مسروق: كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ : عُمَر، وعلي، وابن مسعود، وزيد، وأُبيّ، وأبا موسى.

(٧) وقال ابن الأثير: كان زيد أعلم الصَّحابة بالفرائض، وكان من أفكه النَّاس إذا خلا بأهله[2].

(٨) ومن أجلّ أعماله - رَضِي الله عَنهُ - جمعه للقرآن:

قَالَ الإمام الذهبيّ - رحمه الله - في ترجمته لزيد بن ثابن رَضِي الله عَنهُ: «ومن جلالة زيد: أن الصِّدِّيق اعتمد عليه في كتابة القرآن العظيم في صحف، وجمعه من أفواه الرجال، ومن الأكتاف والرقاع، واحتفظوا بتلك الصحف مدة، فكانت عند الصِّدِّيق؛ ثم تسلمها الفاروق، ثم كانت بعد عند أم المؤمنين حفصة، إلى أن ندب عثمان زيد بن ثابت ونفرًا من قريش إلى كتاب هذا المصحف العثماني الذي به الآن في الأرض أزيد من ألفي ألف نسخة، ولم يبق بأيدي الأُمّة قرآن سواه؛ ولله الحمد»، ا.هـ[3].

عباد الله...

وجمع الصَّحابة رضوان الله عليهم بين إمامة الدنيا وإمامة الآخرة، وبين إمامة العلم وإمامة الجهاد في سبيل الله، وهذا هُوَ سرّ انتصارهم، وتوفيق الله لهم، ونيلهم سعادة الدّارين.

وحول جهاد زيد - رَضِي الله عَنهُ - يحدّثنا ابن الأثير فيقول: «استصغره رسولُ الله ﷺ يوم بدر فردّه، وشهد أُحُدًا، وقيل: لم يشهدها، وإنما شهد الخندق أول مشاهده، وكان ينقل التراب مع المسلمين.

---

(١) حسن: أخرجه الحاكم (٣/ ٤٢٣) وصحّحه، ووافقه الذهبيّ.

(٢) «أسد الغابة» (٢/ ٣٢٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٤١).

وكانت راية بني مالك بن النجّار يوم تبوك مع عُمارة بن حزم، فأخذها رسول الله ﷺ ودفعها إلى زيد بن ثابت، فقال عمارة: يا رسول الله بلغك عنّي شيء؟ قَالَ: «**لا، ولكن القرآن مقدّم، وزيد أكثر أخذًا للقرآن منك**».

ورُمِيَ يوم اليمامة بسهم فلم يضرّه». ا.هـ[1].

عباد الله...

ومن المواقف التي تجلّى فيها ولاء زيد لله ورسوله ﷺ وتقديم حبّهما عَلَى كل حب:

موقفه بعد وفاة النبيّ ﷺ وذلك أَنَّهُ لَـمَّا تُوفِّي رسولُ الله ﷺ قام خطباء الأنصار فتكلموا، وقالوا: رجل منا، ورجل منكم، فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين ونحن أنصاره، وإنما الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره. فقال أبو بكر: جزاكم الله خيرًا يا معشر الأنصار، وثبّت قائلكم، لو قلتم غير هذا ما صالحناكم[2].

هكذا كان أصحاب محمد ﷺ لم يريدوا الدنيا طرفة عين، بل كان نظرهم دائمًا عَلَى الآخرة.

ولله دَرُّ الحسن البصري حين قَالَ عن الصَّحابة حين ذُكروا بحضرته: «قدَّس اللَّـهُ أرواحَهم، شَهِدوا وَغِبنَا، وعَلِمُوا وجَهِلنا، فما أجمعوا عليه اتَّبعنا، وما اختلفوا فيه وقفنا»[3].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) «أسد الغابة» (٢/ ٣٢٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٢٢)، وصحّحه الذهبيّ في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٣٣).

(٣) «الحسن البصري» هدية من مجلة الأزهر (ص٢١).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد عمر مبارك، وفي سنة خمس وأربعين - وقيل غير ذلك - نام زيد عَلَى فراش الموت، وتأهّبت روحه لملاقاة ربّها تبارك وتعالى، ولما انتهى آخر نَفَس، صعدت روحه إلى ربّها راضية مرضية.

وصلّى عليه مروان بن الحكم.

ولما تُوفِّي قَالَ أبو هريرة - رَضِي الله عَنهُ -: «اليوم مات حَبر هذه الأُمّة، وعسى اللَّـهُ أن يجعل في ابن عبَّاس منه خلفًا»[1].

وعن عَمَّار بن أبي عَمَّار قَالَ: «لَـمَّا مات زيد، جلسنا إلى ابن عباس في ظلٍّ، فقال: هكذا ذهاب العلماء، دفن اليوم علمٌ كثير».

عباد الله...

وفي الجمعة القادمة نلتقي مع صحابيّ آخر إن شاء الله، فإلى اللقاء.

❖❖❖❖❖

---

(١) «أسد الغابة» (٢/ ٣٢٤).

الخطبة الحادية والأربعون

مع سالم مولى أبو حذيفة

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن أصحاب النبيّ ﷺ ولقاؤنا اليوم إن شاء الله تعالى مع الصحابي الجليل: سالم مولى أبي حذيفة.

عباد الله...

سالم مولى أبي حذيفة، وهو سالم بن عبيد بن ربيعة، قاله ابن منده.

وقيل: سالم بن مَعقِل، يكنى أبا عبد الله.

وهو مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة(١)، كان من أهل فارس من إصطَخر، وكان من فضلاء الصَّحابة والموالي وكبارهم، وهو معدود في المهاجرين.

تولَّى أبا حذيفة، وتبنَّاه أبو حذيفة(٢)، فلذلك عُدّ من المهاجرين، وهو معدود في بني عبيد من الأنصار لأنَّهُ منهم(٣).

وقد ورد في فضائل سالم عدّة أحاديث، منها:

(١) عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بن العاص - رَضِيَ اللّهُ عَنهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«خُذُوا القُرآنَ مِن أَربَعَةٍ: مِن ابنِ مَسعُودٍ، وَأُبَيِّ بنِ كَعبٍ، وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، وَسَالِمٍ مَولَى أَبِي حُذَيفَةَ»**(٤).

هذا فضلٌ كبير، وشرفٌ عظيم.

(٢) عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: أَبطَأتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **«مَا حَبَسَكِ يَا عَائِشَةُ؟»** قَالَت: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فِي المَسجِدِ رَجُلًا مَا رَأَيتُ أَحَدًا أَحسَنَ قِرَاءَةً مِنهُ، قَالَ: فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ سَالِمٌ مَولَى أَبِي حُذَيفَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثلَكَ»**(٥).

(٣) عَن عَمرِو بنِ العَاصِ قَالَ: كَانَ فَزَعٌ بِالمَدِينَةِ، فَأَتَيتُ عَلَى سَالِمٍ مَولَى أَبِي حُذَيفَةَ وَهُوَ مُحتَبٍ بِحَمَائِلِ سَيفِهِ، فَأَخَذتُ سَيفًا فَاحتَبَيتُ بِحَمَائِلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا كَانَ مَفزَعُكُم إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ»** ثُمَّ قَالَ: **«أَلَا فَعَلتُم كَمَا فَعَلَ هَذَانِ الرَّجُلَانِ المُؤمِنَانِ»**(٦).

(٤) وقال ابن الأثير في ترجمة سالم - رَضِيَ الله عَنهُ -: «وكان قَد هاجر إلى المدينة قبل النبيّ ﷺ، فكان يؤمّ المهاجرين بالمدينة، فيهم عُمَر بن الخطاب، وغيره، لأنَّهُ كان

(١) سيأتي الحديث عنه عقب الحديث عن سالم، إن شاء الله تعالى.
(٢) قبل إبطال عادة التبنّي، فلما أبطل الإسلام التبنّي سُمّي سالم مولى أبي حذيفة.
(٣) «أسد الغابة» (٢/ ٣٥٦).
(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي.
(٥) صحيح: أخرجه أحمد، والحاكم (٣/ ٢٢٦)، وصححه، ووافقه الذهبيّ.
(٦) قَالَ الهيثمي في «المجمع» (١٥٦٤٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

أكثرهم أخذًا للقرآن» ا.هـ[١].

(٥) وقال ابن الأثير أيضًا في ترجمته لسالم: «وكان عُمَر بن الخطاب - رَضِي الله عَنهُ - يكثر الثناء عليه، حَتَّى قَالَ لَـمَّا أوصى عند موته: لو كان سالم حيًّا ما جعلتُها شورى. قَالَ أبو عُمَر: معناه أَنَّهُ كان يصدر عن رأيه فيمن يُوليه الخلافة». ا.هـ[٢].

هذه بعض فضائل سالم - رَضِي الله عَنهُ - التي تدلّ عَلَى عظم مكانته، وعلوّ مقامه.

عباد الله...

تقدّم أن أبا حذيفة تبنّى سالمًا، وكان يُدعى سالم بن أبي حذيفة، فلمَّا أبطل الإسلام عادة التبنّي سُمِّي سالم مولى أبي حذيفة.

وكان سالم يقيم مع أبي حذيفة في بيته، يدخل ويخرج عَلَى زوجة أبي حذيفة، فخشيت زوجة أبي حذيفة من الإثم، فشكت إلى النبي ﷺ ذلك.

أخرج أبو داود في «سننه» عَن عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ - رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا -: «أَنَّ أَبَا حُذَيفَةَ بنَ عُتبَةَ بنِ رَبِيعَةَ بنِ عَبدِ شَمسٍ كَانَ تَبَنَّى سَالِمًا وَأَنكَحَهُ ابنَةَ أَخِيهِ هِندَ بِنتَ الوَلِيدِ بنِ عُتبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَهُوَ مَولًى لِامرَأَةٍ مِن الأَنصَارِ كَمَا تَبَنَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيدًا، وَكَانَ مَن تَبَنَّى رَجُلًا فِي الجَاهِلِيَّةِ دَعَاهُ النَّاسُ إِلَيهِ وَوُرِّثَ مِيرَاثَهُ حَتَّى أَنزَلَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى فِي ذَلِكَ ﴿ادعُوهُم لِآبَائِهِم﴾ إِلَى قَولِهِ: ﴿فَإِخوَانُكُم فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُم﴾ [الأحزاب: ٥]، فَرُدُّوا إِلَى آبَائِهِم فَمَن لَم يُعلَم لَهُ أَبٌ كَانَ مَولًى وَأَخًا فِي الدِّينِ.

فَجَاءَت سَهلَةُ بِنتُ سُهَيلِ بنِ عَمرٍو القُرَشِيِّ ثُمَّ العَامِرِيِّ وَهِيَ امرَأَةُ أَبِي حُذَيفَةَ فَقَالَت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا نَرَى سَالِمًا وَلَدًا وَكَانَ يَأوِي مَعِي وَمَعَ أَبِي حُذَيفَةَ فِي بَيتٍ وَاحِدٍ وَيَرَانِي فُضلًا، وَقَد أَنزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِم مَا قَد عَلِمتَ فَكَيفَ تَرَى فِيهِ؟ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَرضِعِيهِ»، فَأَرضَعَتهُ خَمسَ رَضَعَاتٍ فَكَانَ بِمَنزِلَةِ وَلَدِهَا مِن الرَّضَاعَةِ، فَبِذَلِكَ كَانَت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا تَأمُرُ بَنَاتِ أَخَوَاتِهَا وَبَنَاتِ إِخوَتِهَا أَن يُرضِعنَ مَن

---

(١) «أسد الغابة» (٢/ ٣٥٦).

(٢) نفس المرجع السابق.

أَحَبَّت عَائِشَةُ أَن يَرَاهَا وَيَدخُلَ عَلَيهَا وَإِن كَانَ كَبِيرًا خَمسَ رَضَعَاتٍ ثُمَّ يَدخُلُ عَلَيهَا. وَأَبَت أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ أَزوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ أَن يُدخِلنَ عَلَيهِنَّ بِتِلكَ الرَّضَاعَةِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَرضَعَ فِي المَهدِ وَقُلنَ لِعَائِشَةَ: وَاللَّهِ مَا نَدرِي لَعَلَّهَا كَانَت رُخصَةً مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لِسَالِمٍ دُونَ النَّاسِ»[1].

قَالَ الشيخ زكريا الحسيني - حفظه الله - عند شرحه لهذا الحديث[2]:

قوله: «أَنَّ أَبَا حُذَيفَةَ بنَ عُتبَةَ كَانَ تَبَنَّى سَالِمًا» التبني معروف، وهو أن يلحق الرجل بنفسه ابنًا ليس له، وقد كان في الجاهلية قبل الإسلام يُلحق الرجل بنفسه الابن ويعدّه من أبنائه حَتَّى إنهما ليتوارثان، فأبطل الإسلام ذلك، وأمر أن يُردّ كل رجل إلى أبيه، وأن يُدْعى به، والذي لا يُعلم له أب يصير من موالي الشخص ومن إخوانه في الدِّين.

قوله: «وَأَنكَحَهُ ابنَةَ أَخِيهِ» هذا الفعل من أبي حذيفة دليلٌ عَلَى تبنيه سالمًا وشدة عنايته به، عَلَى أن العربي كان يفوق في المعاملة بين المولى وغيره، فأبو حذيفة عملاً منه بالتبني زوّج سالمًا ابنة أخيه ولم يأنف من ذلك؛ لأَنَّهُ عدّه ابنه عَلَى الحقيقة، ولو كان يعده مولى ما زوجه ابنة أخيه كما هي عادة العرب في جاهليتهم.

قوله: «فَجَاءَت سَهلَةُ بِنتُ سُهَيلِ بنِ عَمرٍو القُرَشِيِّ، وَهِيَ امرَأَةُ أَبِي حُذَيفَةَ، فَقَالَت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا نَرَى سَالِمًا وَلَدًا وَكَانَ يَأوِي مَعِي وَمَعَ أَبِي حُذَيفَةَ فِي بَيتٍ وَاحِدٍ وَيَرَانِي فُضلًا، وَقَد أَنزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِم مَا قَد عَلِمتَ فَكَيفَ تَرَى فِيهِ؟».

فأما قولها: «إِنَّا كُنَّا نَرَى سَالِمًا وَلَدًا» فلأنهم تبنوه، «وَكَانَ يَأوِي مَعِي وَمَعَ أَبِي حُذَيفَةَ فِي بَيتٍ وَاحِدٍ» وفي رواية: «وليس لنا إلا بيت واحد»، وقولها: «وَيَرَانِي فُضلًا» أي: متبذلة في ثياب مهنتها، أو في ثوب واحد لا إزار تحته.

قوله: «**أَرضِعِيهِ**»، وفي رواية: «**أرضعيه حَتَّى يدخل عليك**»، وفي رواية: «**أرضعيه حَتَّى تحرمي عليه**»، وفي رواية أخرى لَـمَّا قالت: يا رسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة

---

(١) روي هَذَا الحديث مختصرًا بحذف بعض ألفاظه، وبسياق دون هَذَا السياق، فقد أخرجه الإمام البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

(٢) انظر «مجلة التوحيد» التي تصدرها جماعة أنصار السُّنة المحمدية بالقاهرة، العدد ٤٠٨، السنة الرابعة والثلاثون (١٣ - ١٦).

من دخول سالم وهو حليفه، فقال النبي ﷺ: «**أرضيعه**» فقالت: وكيف أرضعه وهو رجل كبير؟ فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «**قَد علمتِ أَنَّهُ كبير**».

وفي رواية أخرى: أن أُم سلمة رضي الله عنها قالت لعائشة رضي الله عنها: إِنَّهُ يدخل عليك الغُلامُ الأيفَعُ الذي ما أحبّ أن يدخل عليَّ؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: أما لك في رسول الله أسوة؟ إن امرأة أبي حذيفة قالت: يا رسول الله، إن سالمًا يدخل عليّ وهو رجل، وفي نفس أبي حذيفة منه شيء، فقال رسول الله ﷺ: «**أرضعيه حَتَّى يدخل عليك**»، والغلام الأيفع في قول أم سلمة: أي الغلام الذي لم يبلغ الحلم.

مذاهب العلماء في رضاع الكبير

قَالَ أبو عُمَر بن عبد البر: وهو مذهب عائشة من بين أزواج النبي ﷺ، أي أن القول بهذا الحديث وهو حديث سالم مولى أبي حذيفة أخذت به أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قَالَ: حملت عائشة حديثها هذا في سالم عَلَى العموم، فكانت تأمر أختها أم كلثوم بنت أبي بكر وبنات إخوانها وبنات أخواتها أن يرضعنّ مَن أحبت أن يدخل عليها.

قَالَ: ورأى غيرها هذا الحديث خصوصًا في سالم، أي: خاصًّا به لا يقاس عليه غيره.

ثُمَّ قَالَ رحمه الله تعالى: واختلف العلماء في ذلك كاختلاف أمهات المؤمنين:

فذهب إلى القول بأن رضاعة الكبير تُحرم، كل من: الليث بن سعد، وعطاء بن أبي رباح، وابن عليّة.

قَالَ الشوكانيّ وحكاه النووي عن داود الظاهري، وإليه ذهب ابن حزم، وقال أيضًا: وهو مذهب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - كما حكاه عنه ابن حزم، وأما ابن عبد البر فأنكر الرواية عنه، وقال: لا يصح.

ونقل ابن عبد البر عن مصنف عبد الرزاق عن ابن جريج قَالَ: سمعت عطاءً يُسأل، قَالَ له رجل: سقتني امرأة من لبنها بعدما كنت رجلًا، أفأنكحها؟ قَالَ: لا، قلت: ذلك رأيك؟ قَالَ: نعم.

قَالَ أبو عُمَر عقب ذلك: هكذا يكون رضاع الكبير - كما ذكر عطاءٌ - يحلب له اللبن ويسقاه، وأما أن تلقمه ثديها كما يصنع بالطفل فلا؛ لأن ذلك لا ينبغي عند أهل العلم.

ثُمَّ قَالَ: وقد أجمع أهل العلم عَلَى التحريم بما يشربه الغلام الرضيع من لبن المرأة وإن لم يمصه من ثديها، وإنما اختلفوا في السعوط به وفي الحُقنة والوَجُور[1] وفي جُبنٍ يصنع له منه.

وهؤلاء القائلون بالتحريم برضاع الكبير عمدتهم حديث عائشة رضي الله عنها الذي معنا.

ولقد ذكر عبد الرزاق في مصنفه عن ابن أبي مليكة بعد أن ساق حديث القاسم عن عائشة رضي الله عنها: فَمَكَثتُ سنةً أو قريبًا منها لا أحدث به رهبة له، ثُمَّ لقيت القاسم، فقلت له: لقد حدثتني حديثًا ما حدثت به بعد، فقال: ما هُوَ؟ فأخبرته، فقال: حدِّث به عنِّي، فإن عائشة أخبرتنيه.

قَالَ ابن عبد البر: هذا يدل عَلَى أَنَّهُ حديث ترك قديمًا، ولم يُعمل به، ولا تلقاه الجمهور بالقبول عَلَى عمومه، بل تلقوه بالخصوص.

مَن لم ير رضاع الكبير من العلماء

ثُمَّ قَالَ: وممن قَالَ: إن رضاع الكبير ليس بشيء: عُمَر بن الخطاب، وعليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وابن عُمَر، وأبو هريرة، وابن عباس، وسائر أمهات المؤمنين غير عائشة، وجمهور التابعين وجماعة فقهاء الأمصار، منهم مالك، وابن أبي ذئب، وابن أبي ليلى، وأبو حنيفة وأصحابه، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيد، والطبري. ا.هـ.

واستدل هؤلاء بقوله تعالى: ﴿وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أَولادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ لِمَن أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، كما استدلوا بأحاديث وآثار، منها:

---

(١) الوجُورُ: الدواء يُصب في الحلق.

(١) عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيهَا وَعِندَهَا رَجُلٌ قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّهُ شَقَّ عَلَيهِ، فَقَالَت: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**انظُرنَ مَا إِخوَانُكُنَّ فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِن المَجَاعَةِ**»[١].

(٢) عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا يُحَرِّمُ مِن الرَّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الأَمعَاءَ فِي الثَّديِ وَكَانَ قَبلَ الفِطَامِ**»[٢].

(٣) عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّـهُ عَنهُمَا - قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**لا رضاع إلا ما كان في الحولين**»[٣].

(٤) عن جابر - رَضِيَ الله عَنهُ - عن النبي ﷺ قَالَ: «**لا رضاع بعد انفصال ولا يُتم بعد احتلام**»[٤].

(٥) وعن ابن مسعود - رَضِيَ الله عَنهُ - يرفعه: «**إِنَّمَا يَحرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا أَنبَتَ اللَّحمَ وَشَدَّ العَظمَ**»[٥].

(٦) روى مالك في «الموطأ» عَن يَحيَى بنِ سَعِيدٍ: «أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ أَبَا مُوسَى الأَشعَرِيَّ فَقَالَ: إِنِّي مَصِصتُ عَنِ امرَأَتِي مِن ثَديِهَا لَبَنًا فَذَهَبَ فِي بَطنِي، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: لاَ أُرَاهَا إِلاَّ قَد حَرُمَت عَلَيكَ. فَقَالَ عَبدُ اللَّهِ بنُ مَسعُودٍ: انظُر مَاذَا تُفتِي بِهِ الرَّجُلَ؟ فَقَالَ أَبُو مُوسَى: فَمَاذَا تَقُولُ أَنتَ؟ فَقَالَ عَبدُ اللَّهِ بنُ مَسعُودٍ: لاَ رَضَاعَةَ إِلاَّ مَا كَانَ فِي الحَولَينِ. فَقَالَ أَبُو مُوسَى: لاَ تَسأَلُونِي عَن شَيءٍ مَا كَانَ هَذَا الحَبرُ بَينَ أَظهُرِكُم.

(٧) وعَن مَالِكٍ عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ وَأَنَا مَعَهُ عِندَ دَارِ القَضَاءِ يَسأَلُهُ عَن رَضَاعَةِ الكَبِيرِ فَقَالَ عَبدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ ابنِ الخَطَّابِ فَقَالَ: إِنِّي كَانَت لِي وَلِيدَةٌ وَكُنتُ أَطَؤُهَا فَعَمَدَتِ امرَأَتِي إِلَيهَا فَأَرضَعَتهَا فَدَخَلتُ عَلَيهَا، فَقَالَت: دُونَكَ فَقَد وَاللَّهِ أَرضَعتُهَا. فَقَالَ عُمَرُ: أَوجِعهَا، وَأتِ جَارِيَتَكَ

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.
(٢) أخرجه الترمذي والحاكم، وصححاه.
(٣) رواه الدارقطني.
(٤) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده.
(٥) رواه أبو داود.

فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ رَضَاعَةُ الصَّغِيرِ[(١)].

قَالَ أبو عُمَر بن عبد البر: قَد ذكرنا أنَّ عُمَر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب كانا لا يريان رضاعة الكبير شيئًا، فيمن ذكرنا من الصَّحابة في هذا الباب، وقال أيضًا: وقد ذكرنا أن أبا موسى رجع إلى قول ابن مسعود في هذه المسألة من رضاع الكبير، ولولا أَنَّهُ بانَ له أنَّ الحقّ في قول ابن مسعود ما رجع إليه، ولا يزال النَّاس بخير ما انصرفوا إلى الحق إذا بان لهم. ا.هـ[(٢)].

ولقد ذكر ابن القيّم في «زاد المعاد» مناظرة بين القائلين برضاع الكبير وبين القائلين بالحولين، وأطال فيها، ونحن نورد هنا ما تلخّص من هذه المناظرة، قَالَ المتعلقون بحديث عائشة بخصوص قصّة سالم مولى أبي حذيفة:

هذا الحديث رواه من الصَّحابة: أمهات المؤمنين، وسهلة بنت سهيل، وهي من المهاجرات، وزينب بنت أم سلمة وهي ربيبة النبي ﷺ، ورواه من التابعين: القاسم بن محمد، وعروة بن الزُّبير، وحميد بن نافع، ورواه عن هؤلاء الزهري، وابن أبي مليكة، وعبد الرحمن بن القاسم ويحيى بن سعيد الأنصاري، وربيعة، ثُمَّ رواه عن هؤلاء أيوب السختياني، وسفيان الثوري، وابن عيينة، وشعبة، ومالك، وابن جريج، وشعيب، ويونس، وجعفر بن ربيعة، ومعمر وسليمان بن بلال، وغيرهم، قَالَ الشوكاني بعد أن نقل هذا الكلام: وهؤلاء هم أئمة الحديث المرجوع إليهم في أعصارهم، ثُمَّ رواه عنهم الجم الغفير والعدد الكثير، وقد قَالَ بعض أهل العلم: إن هذه السُّنة بلغت طرقها نصاب التواتر. ا.هـ[(٣)].

ذكر ابن القيّم بعد ذلك ردود القائلين بثبوت التحريم برضاع الكبير عَلَى أصحاب الحولين مفندين لأدلتهم، وفي آخرها قَالَ: قَالُوا: وَقَد صَحّ عَنهَا أَنّهَا كَانَت تُدخِلُ عَلَيهَا الكَبِيرَ إِذَا أَرضَعَتهُ فِي حَالِ كِبَرِهِ أُختٌ مِن أَخَوَاتِهَا الرّضَاعَ المُحَرّمَ، وَنَحنُ نَشهَدُ بِشَهَادَةِ الله وَنَقطَعُ قَطعًا نَلقَاهُ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ: أَنّ أُمّ المُؤمِنِينَ لَم تَكُن لِتُبِيحَ سِترَ رَسُولِ الله ﷺ

(١) أخرجه مالك في «الموطأ».
(٢) «الاستذكار»، بتصرف.
(٣) «نيل الأوطار».

بِحَيثُ يَنتَهِكُهُ مَن لَا يَحِلّ لَهُ انتِهَاكُهُ، وَلَم يَكُن الله عَزّ وَجَلّ لِيُبِيحَ ذَلِكَ عَلَى يَدِ الصّدّيقَةِ بِنتِ الصّدّيقِ المُبَرّأَةِ مِن فَوقِ سَبعِ سَمَوَاتٍ، وَقَد عَصَمَ الله سُبحَانَهُ ذَلِكَ الجَنَابَ الكَرِيمَ وَالحِمَى المَنِيعَ وَالشّرَفَ الرّفِيعَ أَتَمّ عِصمَةٍ وَصَانَهُ أَعظَمَ صِيَانَةٍ، وَتَوَلّى صِيَانَتَهُ وَحِمَايَتَهُ وَالذّبّ عَنهُ بِنَفسِهِ وَوَحيِهِ وَكَلَامِهِ.

ثُمّ ذكر - رحمه الله تعالى - أن القَائِلِينَ بِالحَولَينِ فِي حَدِيثِ سَهلَةَ هَذَا عَلَى ثَلَاثَةِ مَسَالِكَ:

أَحَدُهَا: أَنّهُ مَنسُوخٌ، وَهَذَا مَسلَكُ كَثِيرٍ مِنهُم، وَلَم يَأتُوا عَلَى النّسخِ بِحُجّةٍ سِوَى الدّعوَى، فَإِنّهُم لَا يُمكِنُهُم إِثبَاتُ التّارِيخِ المَعلُومِ التّأَخّرُ بَينَهُ وَبَينَ تِلكَ الأَحَادِيثِ. وَلَو قَلَبَ أَصحَابُ هَذَا القَولِ عَلَيهِم الدّعوَى وَادّعَوا نَسخَ تِلكَ الأَحَادِيثِ بِحَدِيثِ سَهلَةَ لَكَانَت نَظِيرَ دَعوَاهُم.

المَسلَكُ الثّانِي: أَنّهُ مَخصُوصٌ بِسَالِمٍ دُونَ مَن عَدَاهُ وَهَذَا مَسلَكُ أُمّ سَلَمَةَ وَمَن مَعَهَا مِن نِسَاءِ النّبِيّ ﷺ وَمَن تَبِعَهُنّ، وَهَذَا المَسلَكُ أَقوَى مِمّا قَبلَهُ - أي أن مسلك التخصيص أقوى من مسلك النسخ -.

ثُمّ ذكر أقوال أصحاب هذا القول إلى أن قَالَ:

وَيَتَعَيّنُ هَذَا المَسلَكُ لِأَنّا لَو لَم نَسلُكهُ لَزِمَنَا أَحَدُ مَسلَكَينِ وَلَا بُدّ مِنهُمَا إِمّا نَسخُ هَذَا الحَدِيثِ بِالأَحَادِيثِ الدّالّةِ عَلَى اعتِبَارِ الصّغَرِ فِي التّحرِيمِ وَإِمّا نَسخُهَا بِهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى وَاحِدٍ مِن الأَمرَينِ لِعَدَمِ العِلمِ بِالتّارِيخِ وَلِعَدَمِ تَحَقّقِ المُعَارَضَةِ وَلِإِمكَانِ العَمَلِ بِالأَحَادِيثِ كُلّهَا.

ثُمّ قَالَ - رحمه الله تعالى - فيما أورده من ردود أصحاب الحولين:

وَأَمّا حَدِيثُ السّترِ المَصُونِ وَالحُرمَةِ العَظِيمَةِ وَالحِمَى المَنِيعِ فَرَضِيَ الله عَن أُمّ المُؤمِنِينَ، فَإِنّهَا وَإِن رَأَت أَنّ هَذَا الرّضَاعَ يُثبِتُ المَحرَمِيّةَ فَسَائِرُ أَزوَاجِ النّبِيّ ﷺ يُخَالِفنَهَا فِي ذَلِكَ وَلَا يَرَينَ دُخُولَ هَذَا السّترِ المَصُونِ وَالحِمَى الرّفِيعِ بِهَذِهِ الرّضَاعَةِ، فَهِيَ مَسأَلَةُ اجتِهَادٍ وَأَحَدُ الحِزبَينِ مَأجُورٌ أَجرًا وَاحِدًا وَالآخَرُ مَأجُورٌ أَجرَينِ، وَأَسعَدُهُمَا بِالأَجرَينِ مَن أَصَابَ حُكمَ الله وَرَسُولِهِ فِي هَذِهِ الوَاقِعَةِ، فَكُلّ مِن المُدخِلِ لِلسّترِ المَصُونِ بِهَذِهِ الرّضَاعَةِ وَالمَانِعِ مِن الدّخُولِ فَائِزٌ بِالأَجرِ مُجتَهِدٌ فِي مَرضَاةِ الله وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَتَنفِيذِ

حُكمِهِ وَلَهُمَا أُسوَةٌ بِالنَّبِيَّيِن الكَرِيمَينِ - دَاوُدَ وَسُلَيمَانَ - اللَّذَينِ أَثنَى الله عَلَيهِمَا بِالحِكمَةِ وَالحُكم وَخَصّ بِفَهم الحُكُومَةِ أَحَدَهُمَا.

المَسلَكُ الثَّالِثُ: أَنّ حَدِيثَ سَهلَةَ لَيسَ بِمَنسُوخ وَلَا مَخصُوصٍ وَلَا عَامّ فِي حَقّ كُلّ أَحَدٍ، وَإِنّمَا هُوَ رُخصَةٌ لِلحَاجَةِ لِمَن لَا يَستَغنِي عَن دُخُولِهِ عَلَى المَرأَةِ وَيَشُقّ احتِجَابُهَا عَنهُ، كَحَالِ سَالِمٍ مَعَ امرَأَةِ أَبِي حُذَيفَةَ، فَمِثلُ هَذَا الكَبِيرِ إذَا أَرضَعَتهُ لِلحَاجَةِ أَثّرَ رَضَاعُهُ، وَأَمّا مَن عَدَاهُ فَلَا يُؤَثّرُ إلّا رَضَاعُ الصّغِيرِ وَهَذَا مَسلَكُ شَيخِ الإِسلَامِ ابنِ تَيمِيّةَ رَحِمَهُ الله تَعَالَى، وَالأَحَادِيثُ النّافِيَةُ لِلرّضَاعِ فِي الكَبِيرِ إمّا مُطلَقَةٌ فَتُقَيّدُ بِحَدِيثِ سَهلَةَ، أَو عَامّةٌ فِي الأَحوَالِ، فَتَخصِيصُ هَذِهِ الحَالِ مِن عُمُومِهَا وَهَذَا أَولَى مِن النّسخِ وَدَعوَى التّخصِيصِ بِشَخصٍ بِعَينِهِ وَأَقرَبُ إلَى العَمَلِ بِجَمِيعِ الأَحَادِيثِ مِن الجَانِبَينِ، وَقَوَاعِدُ الشّرعِ تَشهَدُ لَهُ، وَاَللّهُ المُوَفّقُ» ا.هـ[1]..

ويظهر فائدة الأخذ بقول شيخ الإسلام ابن تيميّة في مثل الحالات التي تقوم فيها أسرة بتربية طفل يتيم أو نحوه ثُمَّ يعسر عليهم بعد ذلك الاحتجاب عنه وقد تربّى معهم كواحد من أولاد الأسرة، فحينئذٍ يرتضع هذا الغلام ويصبح محرّمًا يدخل بلا حرج عليه ولا عَلَى الأسرة، والله المستعان.

وبعد، فهذه أحكام شريعتنا بيضاء ناصعة، ليلها كنهارها، كما تَرَكنَا عليها رسولُ الله ﷺ، نرى فيها الطهر والعفاف، وتحري الحقّ والبحث عن الصواب بكل طريق، وقد علمت أخي المسلم قول بعض علمائنا كابن البر: وهكذا يكون رضاع الكبير بأن تحلب المرأة لبنها في كوب ويشربه، لا أن تلقمه ثديها كما يفعل بالصغير، ولقد قَالَ أيضًا في شرح كلمة «فُضُل» وقال ابن وهب: فُضُلٌ: مكشوفة الرأس والصدر، وقيل: الفُضُل: التي عليها ثوبٌ واحد ولا إزار تحته، وقال: وهذا أصح إن شاء الله تعالى؛ لأن انكشاف الصدر لا يجوز أن يضاف إلى ذوي الدين عند ذي محرم ولا غيره، لأن الحرة عورة - مجتمعٌ عَلَى ذلك منها - إلا وجهها وكفيّها.

فالعجب مِمَّن ينطلي عليه تشكيك أعداء الإسلام وما يلقونه من شبهات حول ديننا

---

(١) «زاد المعاد» (ج٥).

الحنيف دين العفّة والطهر والنقاء، أولئك الذين لا يعرفون فضيلةً ولا حياءً ولا سترًا بل يعيشون متكشفين مختلطًا رجالهم بنسائهم كالأنعام أو كالحيوانات الضالة، لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، ثُمَّ يتهجمون عَلَى ديننا وهم لا يعقلون، والعيب ليس فيهم، لكن العيب فيمن ينساق وراءهم من جهلة المسلمين الذين لا يميزون بين حقّ وباطل، ولا بين هدى وضلال، أو ينطلي عليهم أقوال الروافض الذين اتخذوا من سبّ الصَّحابة دينًا ولا سيما خيارهم كالصديق والفاروق وابنتيهما، كأمثال هؤلاء المستهزئين السافرين الذين يقولون: إذًا مَن كان عنده سائق أو خادم فلترضعه امرأته ويدخل عليها، ونحن بدورنا نسأل هؤلاء: وهل عندكم ستر أو حجاب بين نسائكم وبين خدمكم أو سائقيكم؟ ولكن البهتان والإفك والزور له أهله الذين لا يعرفون حياءً ثُمَّ يتهكمون بأهل الحياء والفضيلة والستر. والحمد لله رب العالمين». ا.هـ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

شهد سالم - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - بدرًا، وأُحُدًا، والخندق، والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ.

وكان - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - يُحِبّ أبا حذيفة بن عتبة حُبًّا جمًّا، وكان يودّ لو مات معه أو قُتل في يوم واحد حَتَّى يُدفنا سوّيًّا.

ومرت الأيام، ودرات عجلة الزمن، ونال المحبُّ ما تمنَّى، فقد استُشهدا سويًّا يوم اليمامة.

أمَّا تفصيل استشهادها، فسنذكره في الخطبة القادمة -إن شاء الله تعالى- فإلى اللقاء.

اللهُمَّ اقبل العمل مع قِلّته، والجهَد مع ضآلته، والسَّعي مع شوائبه، عزَّ جاهُك، وجَلَّ ثناؤك، ولا إله إلّا أنت.

آمين... آمين... آمين.

الخطبة الثانية والأربعون
مع أبي حذيفة بن عُتبة

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فنلتقي اليوم إن شاء الله تعالى مع الصَّحابي الجليل أبي حذيفة بن عُتبة رَضِي الله عَنهُ.

وقد تقدّمت الإشارة إليه عند حديثنا عن حبيبه وصاحبه سالم مولى أبي حذيفة.

فمن هُوَ أبو حذيفة؟

وما هي قصّته؟

هُوَ السَّيِّد الكبير الشهيد أبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف

القرشيّ العبشميّ.

أبوه: عتبة بن ربيعة - شيخ الجاهلية - الذي قُتل كافرًا في بدر.

وأُمّه: فاطمة بنت صفوات بن أُميّة بن مُحَرِّث.

أسلم أبو حذيفة - رَضِي الله عَنهُ - قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، فكان بذلك أحد السابقين إلى الإسلام.

ولما أذِن النبيُّ ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، كان أبو حذيفة أحد المهاجرين إليها، وكانت معه امرأته بأرض الحبشة «سهلة بنت سهيل بن عمرو» أخي بني عامر بن لؤي، وولدت له بأرض الحبشة، محمد بن أبي حذيفة، لا عقب له.

وعاد أبو حذيفة من الحبشة إلى مكّة، فأقام مع رسول الله ﷺ حَتَّى هاجر إلى المدينة[١].

وعن صفته، يحدِّثنا ابن الأثير فيقول: «كان أبو حذيفة من فضلاء الصَّحابة، جمع الله له الشرف، والفضل، وكان طويلًا، حَسن الوجه، أحول، أثعل - والأثعل: الذي له سنّ زائدة»[٢].

عباد الله...

وهناك موقف حدث لأبي حذيفة أرّق عليه حياته، وأقض مضجعه، ظل يتألم منه، إلى أن نال الشهادة.

ما هُوَ هذا الموقف؟

نعلم أن والد أبي حذيفة عتبة بن ربيعة قُتل كافرًا في بدر، ورآه أبو حذيفة مقتولًا أمام عينيه، وكان أبو حذيفة يطمع في إسلام أبيه، ولكن كان أمر الله قدرًا مقدورًا[٣].

ولما رآه صريعًا بدرت منه هفوة أذهبت النَّوم من عينيه، ولم يسترح إلا عند استشهاده.

---

(١) «أسد الغابة» (٦/ ٦٥).

(٢) نفس المرجع والصفحة.

(٣) ولا يظلم ربّك أحدًا، فقد سمع عتبة آيات الله، وأصرّ على الكفر إصرارًا، وربّك أعلم بما كان وبما سيكون، وبما لم يكن لو كان كيف يكون.

ويحكى ابن عباس - رَضِي الله عَنهُ - ما حدث فيقول:

أن النبيّ ﷺ قَالَ لأصحابه يومئذ - أي يوم بَدر -: «**إنِّي قَد عَرَفت أَنّ رِجَالًا مِن بَنِي هَاشِمِ وَغَيرِهِم قَد أَخرَجُوا كُرهًا، لَا حَاجَةَ لَهُم بِقِتَالِنَا، فَمَن لَقِيَ مِنكُم أَحَدًا مِن بَنِي هَاشِمِ فَلَا يَقتُلْهُ وَمَن لَقِيَ أَبَا البَختَرِيّ بنَ هِشَام بنِ الحَارِثِ بنِ أَسَدٍ فَلا يَقتُلْهُ وَمَن لَقِيَ العَبّاسَ بنَ عَبدِ المُطّلِبِ، عَمّ رَسُولِ الله ﷺ فَلَا يَقتُلْهُ فَإِنّهُ إِنّمَا أُخرِجَ مُستكرَهًا**».

قَالَ: فَقَالَ أَبُو حُذَيفَةَ: أَنَقتُلُ آبَاءَنَا وَأَبنَاءَنَا وَإِخوَتَنَا وَعَشِيرَتَنَا وَنَترُكُ العَبّاسَ؟ والله لَئِن لَقِيتُهُ لَأُلحِمَنّهُ السّيفَ[1] - قَالَ ابنُ هِشَام: وَيُقَالُ لَأُلجِمَنّهُ (السّيفَ) - قَالَ فَبَلَغَت رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ لِعُمَرِ بنِ الخَطّابِ: «**يَا أَبَا حَفص**- قَالَ عُمَرُ: والله إِنّهُ لَأَوّلُ يَوم كَنّانِي فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ بِأَبِي حَفص - **أَيُضرَبُ وَجهُ عَمّ رَسُولِ الله بِالسّيفِ؟**» فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله دَعنِي فَلأَضرِب عُنُقَهُ بِالسّيفِ فوالله لَقَد نَافَقَ.

فَكَانَ أَبُو حُذَيفَةَ يَقُولُ: مَا أَنَا بِآمِنٍ مِن تِلكَ الكَلِمَةِ الّتِي قُلتُ يَومَئِذٍ وَلَا أَزَالُ مِنهَا خَائِفًا، إلّا أَن تُكَفّرَهَا عَنّي الشّهَادَةُ. فَقُتِلَ يَومَ اليَمَامَةِ شَهِيدًا»[2].

وتحدِّثنا عائشة رضي الله عنها عما حدث بعد انتهاء المعركة، فتقول: «لَـمّا ألقوا - يعني قتلى المشركين - يوم بدر، وقف رسول الله ﷺ عليهم وقال: «**يَا أَبَا جَهلِ ابنَ هِشَام وَيَا عُتبَةَ بنَ رَبِيعَةَ وَيَا شَيبَةَ بنَ رَبِيعَةَ وَيَا أُمَيّةَ بنَ خَلَف** -يُعدِّد كل من في القَلِيب - **هَل وَجَدتُم مَا وَعَدَكُم رَبُّكُم حَقًّا؟ فَإِنِّي قَد وَجَدتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا**».

قَالَ ابن إسحاق: «فبلغني أن رسول الله ﷺ نظر عند مقالته هذه في وجه أبي حذيفة بن عُتبة فرآه كئيبًا قَد تغيّر، فقال رسول الله ﷺ : «**لعلَّك دخلك من شأن أبيك شيء؟**». قال: لا، والله ما شككتُ في أبي ولا في مصرعه، ولكني كنتُ أعرفُ من أبي رأيًا وحلمًا وفضلًا، فكنتُ أرجو أن يُقَرِّبه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه ذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنتُ أرجو له، حزنني ذلك. فدعا رسولُ الله ﷺ لأبي حذيفة بخير»[3].

---

(١) أي: لأطعن لحمه بالسّيف.
(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٣٢).
(٣) «أسد الغابة» (٦/ ٦٦).

ومع أن النبيّ ﷺ دعا له بخير، إلا أن قلقه من تلك الكلمة التي قالها لازمه ملازمة الثوب للبدن، ولن يستريح إلا إذا نال الشهادة.

عباد الله...

إنها الضمائر اليقظة.

إنَّهُ الحبّ الكامل لدين الإسلام.

إنَّهُ الخوف من الله.

إنَّهُ الحرص عَلَى نيل رضا الله، ثُمَّ الجَنَّة.

عاش أبو حذيفة بعد هذا الحدث مع رسول الله ﷺ جنديًا مخلصًا لدينه، وفيًّا لعقيدته - كما كان قبلُ - لا يتخلّف عن غزوة، ولا يقعد عن قتال.

ومع كل هذا، لا تزال الكلمات التي قالها للنبيّ ﷺ يوم بدر تؤرّق عليه حياته، ويرن صداها في أذنه، فيقشعر لها بدنه، ويضطرب بسببها فؤاده، ويخشى عواقبها، ويعتقد أن الشهادة هي الطريق لإقالة هذه العثرة.

ثُمَّ ماذا؟

ثُمَّ نال البطل الشهادة، وأعطاه الله ما كان يرجو.

فكيف استُشهد، وفي أي موقعة كان استشهاده؟

هذا ما سيأتي بيانه بعد قليل إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ومرت الأيام، ودارت عجلة الزمن، وفي موقعة اليمامة، نزل أبو حذيفة أرض القتال، يصول ويجول كالأسد، يضرب بسيفه البتار رقاب الكفرة الأشرار، والمرتدين الفجّار، وقلبه معلّق بالله، داعيًا إيَّاه أن يرزقه الشهادة.

وها هو في أرض المعركة ينادي المسلمين: «يا أهل القرآن زينوا القرآن بأفعالكم».

وحمى وطيس المعركة، ولما بدت بشائر النصر تظهر، أصابته طعنة نافذة، رُفع على إثرها إلى جَنَّة الرحمن، ونال المخلص ما كان يرجو، وها هو كلام الله يطمئنه: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعمَالَهُم * سَيَهدِيهِم وَيُصلِحُ بَالَهُم * وَيُدخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُم﴾ [محمد: ٤ - ٦].

عباد الله...

وكان أخوه وحبيبه سالم في أرض المعركة أيضًا يقاتل قتال الأبرار، قتال الباحث عن الشهادة.

عن إبراهيم بن حنظلة، عن أبيه: أن سالماً مولى أبي حذيفة قيل له يومئذٍ - يعني يوم اليمامة - في اللواء أن يحفظه، وقال غيره: نخشى من نفسك شيئًا فنولي اللواء غيرك، فقال: بئس حامل القرآن أنا إذًا.

فقطعت يمينه فأخذ اللواء بيساره، فقطعت يساره فاعتنق اللواء، وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلَى أَعقَابِكُم وَمَن يَنقَلِب عَلَى عَقِبَيهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيئًا﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُم فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا استَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

فلما صُرع قال لأصحابه: ما فعل أبو حذيفة؟ قيل: قُتل. قال: فما فعل فلان؟ لرجل سماه، قيل: قُتل. قال: فأضجعوني بينهما[١].

وفي «مستدرك الحاكم» (٣/ ٢٢٥): أن سالمًا وُجِد هو ومولاه أبو حذيفة رأسُ أحدهما عند رجلي الآخر صَرِيعَين.

رَضِي الله عَنهُما وأرضاهما.

---

(١) «أسد الغابة» (٢/ ٣٥٨).

الخطبة الثالثة والأربعون

مع عمرو بن الجموح وولده: معاذ بن عمرو

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

نحن عَلَى موعد مع السَّيِّد الكبير، والصّحابي الشّهيد، سيّد بني سلمة: عمرو بن الجموح بن زيد بن حَرَام بن كعب بن سلمة الأنصاريّ السّلَمِي من بني جُشم بن الخزرج[1]، وكذلك عَلَى موعد أيضًا مع ولده: معاذ بن عمرو.

عباد الله...

وعن قصّة إسلام عمرو بن الجموح يحدِّثنا ابن إسحاق فيقول: «كان عمرو بن

---

(١) «أسد الغابة» (٤/ ١٧٦).

الجموح سيِّدًا من سادة بني سلمة، وشريفًا من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنمًا من خشب يقال له «مناة» يعظّمه ويطّهره، فلمَّا أسلم فتيان بني سلمة: ابّنه معاذ بن عمرو[١]، ومعاذ بن جبل في فتيان منهم، كانوا ممن شهد العقبة، فكانوا يدخلون الليل على صنم عمرو فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة، وفيها عذر الناس[٢] منكسًا على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم! من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ ثم يغدو فيلتمسه، فإذا وجده غسله وطيبه، ثم يقول: والله لو أعلم من يصنع لك هذا لأُخزينّه، فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه ففعلوا به ذلك، فيغدو فيجده، فيغسله ويطيبه.

فلما ألحوا عليه استخرجه فغسله وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال: إني والله لا أعلم من يصنع بك ذلك، فإن كان فيك خير فامتنع، هذا السيف معك! فلما أمسى عدوا عليه، وأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبًا ميتًا فقرنوه بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر الناس. وغدا عمرو فلم يجده، فخرج يبتغيه حتى وجده مقرونًا بكلب، فلما رآه أبصر رشده، وكلمه من أسلم من قومه، فأسلم وحَسُن إسلامه.

وقال عمرو حين أسلم، وعَرف مِنَ الله ما عَرف، وهو يذكر صنمه ذلك، وما أبصره من أمره، ويشكر الله الذي أنقذه من العمى والضلال:

تالله لو كنتَ إلهًا لم تكن ... أنت وكلبٌ وَسطَ بئرٍ في قَرَن

أفٍّ لِمَصرَعِك إلهًا مُستَدَن ... الآن فَتَّشنَاك عن سوءِ الغَبَن

فالحمد لله العليّ ذي المَنن ... الواهب الرَّزاق وَدَيَّان الدِّين

هو الذي أنقذني من قبل أن ... أكون في ظُلمة قَبرٍ مُرتَهَن[٣]

وعن فضائل هذا السَّيِّد الكبير يحدِّثنا الشّعبيُّ - رحمه الله - فيقول: «أن نفرًا من

(١) ستأتي قصّته بعد قصّة أبيه إن شاء الله.
(٢) المكان الذي يتغوّطون فيه.
(٣) «أسد الغابة» (٤/ ١٧٦، ١٧٧).

الأنصار من بني سلمة أتوا رسول الله ﷺ فقال: «**مَن سيدكم يا بني سلمة؟**» فقالوا: الجد بن قيس، على بخل فيه، فقال رسول الله ﷺ: «**وأيُّ داء أدوَى من البخل؟ بل سيّدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح**»(١). فقال شاعر الأنصار في ذلك:

وقال رسولُ الله والحقّ قوله	**لِمَن قال منّا من تسمّون سيّدا**
فقالوا له: جدّ بن قيس على التي	**نُبَخّله فيها وإن كان أسودا**
فتى ما تخطّى خطوة لدنيّة	**ولا مدّ في يوم إلى سَوأة يدا**
فسوّد عمرو بن الجموح لجوده	**وحقّ لعمرو بالندى أن يسوّدا**
إذا جاءهُ السؤال أذهب ماله	**وقال: خذوه، إنه عائد غدا**

عباد الله...

وكان بعمرو بن الجموح - رَضِي الله عَنهُ - عَرَجٌ شَديد، يُعذر بسببه من المشاركة في الجهاد.

ولكن نفسه الكبيرة تاقت للشهادة.

ويحكي ابن الكلبيّ قصّة استشهاد عمرو، فيقول: «كان عمرو بن الجموح آخر الأنصار إسلامًا، ولما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى بدر، أراد الخروج معهم، فمنعه بنوه بأمر رسول الله ﷺ لشدة عرجه.

فلما كان يوم أُحُد قال لبنيه: منعتموني الخروج إلى بدر، فلا تمنعوني الخروج إلى أُحُد! فقالوا: إن الله قد عذرك. فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة! فقال رسول الله ﷺ: «**أما أنت فقد عذرك الله، ولا جهاد عليك**»، وقال لبنيه: «**لا عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة**».

فأخذ سلاحه وولى وقال: اللهُمَّ ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائبًا. فلما قتل يوم أحد جاءت زوجه هند بنت عمرو، عمة جابر بن عبد الله، فحملته وحملت أخاها

---

(١) **إسناده قوي**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» وابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ١٧٧).

عبد الله بن عمرو بن حرام[(١)]، فدفنا في قبر واحد، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لقد رأيتهُ يطأ في الجَنَّة بِعَرَجَتِهِ**»[(٢)].

وقيل: «إن عمرو بن الجموح كان به أربعة بنين يقاتلون مع رسول الله ﷺ، وأنه حَمَل يوم أُحُدٍ هو وابنه خلاد على المشركين حين انكشف المسلمون، فقتلا جميعًا»[(٣)].

رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا وعن سائر الصَّحابة أجمعين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وأما عن **معاذ بن عمرو بن الجموح** فهو أحد الشباب المؤمن، الذي بذل كل ما يستطيع في سبيل نصرة دينه[(٤)].

فما هي قصّته؟

إن قصّته أغرب من الخيال، وفوق التصوّر، تعجَّب منها عبد الرحمن بن عوف - رَضِي الله عَنهُ - وهي ثابتة في الصحيحين.

ونترك المجال لسيدنا عبد الرحمن بن عوف يقصّ علينا ما سمع وما رأى فيقول: «بَينَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَومَ بَدرٍ نَظَرتُ عَن يَمِينِي وَشِمَالِي فَإِذَا أَنَا بَينَ غُلَامَينِ مِن الأَنصَارِ حَدِيثَةٍ أَسنَانُهُمَا، تَمَنَّيتُ لَو كُنتُ بَينَ أَضلَعَ مِنهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَل تَعرِفُ أَبَا جَهلٍ؟

قُلتُ: نَعَم، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيهِ يَا ابنَ أَخِي؟

---

(١) سيأتي الحديث عنه - إن شاء الله تعالى.

(٢) «أسد الغابة» (٤/ ١٧٧)، وقد وردت هذه القصّة من طرق صحيحة وحسنة.

(٣) «أسد الغابة» (٤/ ١٧٧).

(٤) وقد تقدّم أنَّهُ كان سببًا في إسلام أبيه.

قَالَ: أُخبِرتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَئِن رَأَيتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعجَلُ مِنَّا.

قَالَ: فَتَعَجَّبتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ فَقَالَ مِثلَهَا، فَلَم أَنشَب[١] أَن نَظَرتُ إِلَى أَبِي جَهلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلتُ: أَلَا تَرَيَانِ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسأَلَانِ عَنهُ.

قَالَ: فَابتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيفَيهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخبَرَاهُ فَقَالَ: «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟**»

فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُمَا: أَنَا قَتَلته.

فَقَالَ: «**هَل مَسَحتُمَا سَيفَيكُمَا؟**» قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيفَينِ فَقَالَ: «**كِلَاكُمَا قَتَلَهُ**».

وَقَضَى بِسَلَبِهِ لِمُعَاذِ بنِ عَمرِو بنِ الجَمُوحِ، وَالرَّجُلَانِ: مُعَاذُ بنُ عَمرِو بنِ الجَمُوحِ وَمُعَاذُ بنُ عَفرَاءَ».

ويحكي معاذ بن عمرو قصّة قتله لأبي جهل وجهاده يومئذٍ فيقول: «جَعلت أبا جهل يوم بدر من شأني، فلمّا أمكنني حَمَلتُ عَلَيهِ فَضَرَبته ضَربَةً أَطَنَّت قَدَمَهُ[٢] بِنِصفِ سَاقِهِ، وَضَرَبَنِي ابنُهُ عِكرِمَةُ[٣] عَلَى عَاتِقِي، فَطَرَح يَدِي، فَتَعَلَّقَت بِجَلدَةٍ مِن جَنبِي، وَأَجهَضَنِي القِتَالُ عَنهُ، فَلَقَد قَاتَلتُ عَامَّةَ يَومِي، وَإِنِّي لَأَسحَبُهَا خَلفِي، فَلَمَّا آذَتنِي وَضَعتُ عَلَيهَا قَدَمِي، ثُمّ تَمَطَّيتُ بِهَا عَلَيهَا حَتّى طَرَحتُهَا»[٤].

يقول الذهبيّ مُعَلِّقًا: «هذه والله الشجاعةُ، لا كآخَر مِن خَدشٍ بسهم يَنقَطِعُ قلبُه، وتخورُ قواه».

نقل هذه القصّة ابنُ إسحاق وقال: ثُمَّ عاش بعد ذلك إلى زمن عثمان، قَالَ: «ثُمّ مَرّ بِأَبِي جَهلٍ وَهُوَ عَقِيرٌ مُعَوّذُ بنُ عَفرَاءَ، فَضَرَبَهُ حَتّى أَثبَتَهُ، فَتَرَكَهُ وَبِهِ رَمَقٌ. وَقَاتَلَ مُعَوّذٌ حَتّى قُتِلَ، ثُمَّ مرّ ابنُ مسعود بأبي جهل، فوبّخهُ وبه رمق، ثُمَّ احتزّ رأسه».

---

(١) لم أنشب: لم ألبث، أي: لم يمض زمن طويل على سؤالها إلا ورأيتُه.

(٢) أي: قطعها.

(٣) قبل إسلامه.

(٤) **رجاله ثقات**: أخرجه ابن هشام (١/ ٦٣٤، ٦٣٥).

عباد الله...

هكذا كان أصحاب محمد ﷺ أعظم ثلة ظهرت في دنيا العقيدة والإيمان، الذين استطالت رءوسهم إلى السماء فَلَامَسَتها، واقتربت السماءُ من رءوسهم فتوّجتها. رضي الله عنهم ورضوا عنه.

فسيروا - عباد الله - عَلَى نهجهم، والزموا غَرزهم، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُم أُولُوا الأَلبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

وفي الجمعة القادمة نلتقي مع صحابيّ آخر إن شاء الله تعالى، فإلى اللقاء.



الخطبة الرابعة والأربعون

مع عبد الله بن عمرو بن حرام

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فنحن اليوم إن شاء الله تعالى مع صحابيّ أظلته الملائكةُ بأجنحتها، وكلمه الله تعالى بغير حجاب.

فيا ترى من هذا السّعيد الذي بلغ هذه المنزلة؟

هُوَ عبد الله بن عمرو بن حَرَام بن ثعلبة بن حَرَام بن كعب بن غَنم بن سلمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشم بن الخزرج، الأنصاري، الخزرجي، السّلمي.

يُكنَى أبا جابر، بابنه جابر بن عبد الله.

وكان عبد الله بن عمرو بن حرام - رَضِيَ الله عَنهُ - من السابقين الأوّلين من الأنصار.

قَالَ ابن الأثير: «كان عبد الله عقبيًا بدريًّا نقيبًا، كان نقيب بني سلمة هُوَ والبراء بن معرور» ا.هـ[1].

عباد الله...

ولما أذِنَ الله تعالى للمؤمنين بالقتال، كان عبد الله بن عمرو بن حرام في مقدمة الصفوف.

فقد جاهد - رَضِيَ الله عَنهُ - في بدر وأُحد، وأبلى فيهما بلاءً حسنًا، فكان - رَضِيَ الله عَنهُ - مِمَّن قَالَ فيهم رسولُ الله ﷺ حين سُئل: أيُّ الشّهَدَاءِ أَفضَلُ؟ فقال: «**الّذِينَ إن يَلقَوا فِي الصّفّ لَا يَلفِتُونَ وُجُوهَهُم حَتّى يَقتُلُوا أُولَئِكَ يَتَلَبّطُونَ فِي الغُرَفِ العُلَى مِن الجَنّةِ وَيَضحَكُ إلَيهِم رَبّك وَإِذَا ضَحِكَ رَبّكَ إلَى عَبدٍ فِي الدّنيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيهِ**»[2].

واستشهد - رَضِيَ الله عَنهُ - في أُحُد، وقبل بدء القتال قَالَ عبد الله لولده جابر: «أرجو أن أكون في أول من يصاب غدًا، فأوصيك ببناتي خيرًا».

ولما بدأ القتال واشتد العراك، كان عبد الله بن عمرو أول شهيد في المعركة، وهكذا حقق الله تعالى له ما تمناه، ولا عجب، أليس من أولياء الله الذين قَالَ الله تعالى في فضلهم: «**ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه**»، بلى هُوَ واحد من هؤلاء، بل هُوَ في مقدمة هؤلاء.

ثُمَّ ماذا؟

يقول جابر: «لَـمَّا أُصيب أبي وخالي[3] يوم أُحُد، فجاءت أُمّي بهما قَد عرضتهما عَلَى ناقة، فأقبلت بهما إلى المدينة، فنادى منادٍ: ادفنوا القتلى في مصارعهم، فَرُدَّا حَتَّى دُفنا في مصارعهما»[4].

---

(١) «أسد الغابة» (٣/ ٣١٧).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وأبو يعلى، وانظر «صحيح الجامع» (١١٠٧).

(٣) خاله هو: عمرو بن الجموح - رَضِيَ الله عَنهُ - تقدم الحديث عنه.

(٤) أخرجه أحمد وغيره وإسناده قويّ.

ويقول جابر - رَضِي الله عَنهُ -: لَـمَّا قُتل أبي يوم أُحُد، جعلتُ أكشفُ عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبيُّ ﷺ: «تَبكِيهِ أَو لَا تَبكِيهِ مَا زَالَت المَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعتُمُوهُ»(١).

ثُمَّ ماذا؟

قَالَ ابن سعد: قالوا: وكان عبد الله أول من قُتل يوم أُحُد، وكان أحمر أصلع ليس بالطويل، وكان عمرو بن الجموح طويلًا، فدفنا معًا عند السيل، فحفر السيل عنهما وعليهما نَمرة، وقد أصابَ عبد الله جرحٌ في وجهه فَيَدهُ عَلَى جُرحه، فأميطت يدُه، فانبعث الدَّم، فَرُدَّت، فسكن الدَّم.

قَالَ جابر: فرأيتُ أبي في حفرته، كأنه نائم، وما تَغيَّر من حاله شيءٌ، وبين ذلك ستٌّ وأربعون سنة، فحوِّلا إلى مكان آخر، وأُخرجوا رطابًا يتثنون.

عباد الله...

وعن أرواح الشهداء، يخبرنا النبيّ ﷺ فيقول: «لَمَّا أُصِيبَ إِخوَانُكُم بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَروَاحَهُم فِي أَجوَافِ طَيرٍ خُضرٍ تَرِدُ أَنهَارَ الجَنَّةِ تَأكُلُ مِن ثِمَارِهَا وَتَأوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِن ذَهَبٍ فِي ظِلِّ العَرشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشرَبِهِم وَمَأكَلِهِم وَحُسنَ مُنقَلَبِهِم قَالُوا: يَا لَيتَ إِخوَانَنَا يَعلَمُونَ بِمَا صَنَعَ اللَّهُ لَنَا لِئَلَّا يَزهَدُوا فِي الجِهَادِ وَلَا يَنكُلُوا عَنِ الحَربِ.

فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أُبَلِّغُهُم عَنكُم» فَأَنزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الآيَاتِ عَلَى رَسُولِهِ: ﴿وَلاَ تَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَموَاتًا بَل أَحيَاءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّـهُ مِن فَضلِهِ وَيَستَبشِرُونَ بِالَّذِينَ لَـم يَلحَقُوا بِهِم مِّن خَلفِهِم أَلَّا خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠](٢).

قَالَ ابن القيّم - رحمه الله -: «فَجَمَعَ لَهُم إِلَى الحَيَاةِ الدَّائِمَةِ مَنزِلَةَ القُربِ مِنهُ، وَأَنَّهُم

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٤)، ومسلم (٢٤٧١) (١٣٠) وغيرهما.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم (٢/ ٢٩٧، ٢٩٨)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبيّ، وقال الأرناؤوط: وهو كما قَالَ. «زاد المعاد» (٣/ ٩٢).

عِندَهُ وَجَرَيَانَ الرِّزقِ المُستَمِرّ عَلَيهِم وَفَرَحِهِم بِمَا آتَاهُم مِن فَضلِهِ، وَهُوَ فَوقَ الرِّضَى بَل هُوَ كَمَالُ الرِّضَى، وَاستِبشَارُهُم بِإِخوَانِهِم الَّذِينَ بِاجتِمَاعِهِم بِهِم يَتِمّ سُرُورُهُم وَنَعِيمُهُم، وَاستِبشَارُهُم بِمَا يُجَدِّدُ لَهُم كُلّ وَقت مَن نِعمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ، وَذَكَّرَهُم سُبحَانَهُ فِي أَثنَاءِ هَذِهِ المِحنَةِ بِمَا هُوَ مِن أَعظَمِ مِنَنِهِ وَنِعَمِهِ عَلَيهِم الَّتِي إن قَابَلُوا بِهَا كُلّ مِحنَة تَنَالُهُم وَبَلِيّة تَلَاشَت فِي جَنبِ هَذِهِ المِنَّةِ وَالنِّعمَةِ، وَلَم يَبقَ لَهَا أَثَرٌ البَتّةَ وَهِيَ مِنّتُهُ عَلَيهِم بِإِرسَالِ رَسُول مِن أَنفُسِهِم إِلَيهِم يَتلُو عَلَيهِم آيَاتِهِ وَيُزَكّيهِم وَيُعَلِّمُهُم الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَيُنقِذُهُم مِن الضَّلَالِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ قَبلَ إرسَالِهِ إِلَى الهُدَى، وَمِن الشّقَاءِ إِلَى الفَلَاحِ وَمِن الظّلمَةِ إِلَى النّورِ، وَمِن الجَهلِ إِلَى العِلمِ.

فَكُلّ بَلِيّة وَمِحنَة تَنَالُ العَبدَ بَعدَ حُصُولِ هَذَا الخَيرِ العَظِيمِ لَهُ أَمرٌ يَسِيرٌ جِدًّا فِي جَنبِ الخَيرِ الكَثِيرِ، كَمَا يَنَالُ النّاسَ بِأَذَى المَطَرِ فِي جَنبِ مَا يَحصُلُ لَهُم بِهِ مِن الخَيرِ فَأَعلَمَهُم أَنّ سَبَبَ المُصِيبَةِ مِن عِندِ أَنفُسِهِم لِيَحذَرُوا، وَأَنّهَا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ لِيُوَحّدُوا وَيَتّكِلُوا وَلَا يَخَافُوا غَيرَهُ، وَأَخبَرَهُم بِمَا لَهُم فِيهَا مِن الحِكَمِ لِئَلّا يَتّهِمُوهُ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَلِيَتَعَرّفَ إِلَيهِم بِأَنوَاعِ أَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَسَلّاهُم بِمَا أَعطَاهُم مِمّا هُوَ أَجَلّ قَدرًا وَأَعظَمُ خَطَرًا مِمّا فَاتَهُم مِن النّصرِ وَالغَنِيمَةِ وَعَزّاهُم عَن قَتلاهم بما نَالُوهُ مِن ثَوَابِهِ وَكَرَامَتِهِ لِيُنَافِسُوهُم فِيهِ وَلَا يَحزَنُوا عَلَيهِم، فَلَهُ الحَمدُ كَمَا هُوَ أَهلُهُ وَكَمَا يَنبَغِي لِكَرَمِ وَجهِهِ وَعِزّ جَلَالِهِ»[1].

وهكذا عزّى الله تعالى نبيّه وأولياءه عَمَّن قُتل منهم في سبيله أحسن تعزية، وألطفها وأدعاها إلى الرضا بما قضاه لهم. وقد كان النبيُّ ﷺ يتمنَّى لو قُتل معهم.

فعَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللّهِ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا ذُكِرَ أَصحَابُ أُحُدٍ: «أَمَا وَاللّهِ لَوَدِدتُ أَنّي غُودِرتُ مَعَ أَصحَابِ فَحصِ الجَبَلِ»[2]. يَعنِي سَفحَ الجَبَلِ.

يقول: قتلتُ معهم. فرضي الله تعالى عن عبد الله بن عمرو بن حرام وعن الصَّحابة أجمعين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٢٤٠).

(٢) إسناده قوي: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٧٥)، وفحص الجبل: سفحه.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ويلقي النبيُّ ﷺ جابرَ بن عبد الله ذاتَ يوم، ويخبره عن مكانة أبيه بعد استشهاده:

لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنكَسِرًا؟».

قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ استُشهِدَ أَبِي قُتِلَ يومَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَينًا.

قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟». قُلتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِن وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا[١]، فَقَالَ: يَا عَبدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحيِينِي فَأُقتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَد سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُم إِلَيهَا لَا يُرجَعُونَ».

قَالَ وَأُنزِلَت هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩][٢].

عباد الله...

هذه قصّة عبد الله بن عمرو بن حرام، وهذه هي مكانته عند ربّه، فماذا جنى أصحاب الدنيا، الذي أخلدوا إلى الأرض واتبعوا هواهم؟ إنهم لم يجنوا إلَّا الحسرة والندامة.

اسمعوا إلى قول ربّكم وهو يبيّن مآل الفريقين: فريق الهُدى، وفريق الضلال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا

---

(١) **كفاحًا**: أي: بدون حجاب، ويلاحظ أن هَذَا كان بعد استشهاده لا في حال حياته.

(٢) **حسن**: رواه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٢٧٦)، والشيخ مقبل الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (٥٤) وغيرهما.

غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس: ٧- ١٠].

اللَّهُمَّ اجعلنا مِن أحبّ خلقك إليك، ومن المقربين لديك

آمين... آمين... آمين.



الخطبة الخامسة والأربعون

مع جُليبيب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فإن البطولة الحقيقيّة قَد تكون منَّا عَلَى مَرمى حَجَر، بل بين أيدينا، ولكننا لا نكشفها، لأنها في كيان رجل مغمور، مثل جُليبيب - رَضِي الله عَنهُ -.

وإذا كانوا في الغرب يعمدون إلى ممثلة داعرة، فينظمون باسمها نشيدًا، ويجعلون من يوم ميلادها عيدًا، بل ويعرضون عليها مئات الملايين لتسمح بلصق صورتها عَلَى طائرة.

إذا كانوا يفعلون ذلك، فما أحرانا أن نحتفظ للبطولة بحقِّها، في البحث عنها، ثُمَّ استثمارها لحساب الحقّ.

وإذا كان من زعماء الدنيا من هُوَ مشغول بمجده الشخصي، بالسطو عَلَى حقّ الآخرين في الكرامة التي ينهبها ليضيفها إلى حسابه ظلمًا وعدوانًا، ولو بقي الآخرون عرايا.

إذا كان مِن الزعماء من هم كذلك، فقد كان رسولنا ﷺ طرازًا آخر، يعيش مع الضعفاء، يعيش معهم لا بمشاعر الإشفاق عليهم فقط، وإنما بمشاعر التقدير التي تفجّر في قلوبهم معاني البطولة والوفاء.

قَالَ ﷺ: «أَبغُونِي ضُعَفَاءَكُم فَإِنَّكُم إِنَّمَا تُرزَقُونَ وَتُنصَرُونَ بِضُعَفَائِكُم»[(١)].

وهكذا لا ينعزل الزعيم مع الصفوة هناك، في غرفة العمليات، وإنما هُوَ في البسطاء الذين يذكرون الله تعالى، والذي تعمّر قلوبهم بالخامة التي تطلب الزعيم الحقّ ليكتشفها، ثُمَّ يطلقها تسري في مرافق الأمّة عملًا وابتكارًا وانتصارًا[(٢)].

هذا مدخل هام للحديث عن ضَيفِ هذه الصفحات **جُليبيب** - رَضِي الله عَنهُ - فلقد كان جُليبيب دميم الوجه، قصير القامة، رَثّ الهيئة والثياب، لا يملك من متاع الدنيا أيّ شيء.

إلا أنَّهُ كان يحمل بين جوانحه، وفي حنايا صدره، إيمانًا أثقل من الجبال، وهذا هُوَ المراد.

فكم من بدن صحيح، ووجه صبيح، ولسان فصيح، غدًا بين أطباق النيران يصيح.

فما هي قصّته؟

يحكي لنا أبو برزة الأسلميّ قصّة جُليبيب - رَضِي الله عَنهُ - فيقول:

أَنَّ جُلَيبِيبًا كَانَ امرَأً يَدخُلُ عَلَى النِّسَاءِ يَمُرُّ بِهِنَّ وَيُلَاعِبُهُنَّ فَقُلتُ لِامرَأَتِي: لَا يَدخُلَنَّ عَلَيكُم جُلَيبِيبٌ فَإِنَّهُ إِن دَخَلَ عَلَيكُم لَأَفعَلَنَّ وَلَأَفعَلَنَّ، قَالَ: وَكَانَت الأَنصَارُ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِم أَيِّمٌ لَم يُزَوِّجهَا حَتَّى يَعلَمَ هَل لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهَا حَاجَةٌ أَم لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) رواه الترمذي وغيره.

(٢) «شبابنا» د. محمود عمارة (١٦٨، ١٦٩).

ﷺ لِرَجُلٍ مِن الأَنصَارِ: «**زَوِّجني ابنَتَكَ**». فَقَالَ: نِعِمَّ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللّهِ وَنُعمَ عَينِي.

فَقَالَ: «**إِنِّي لَستُ أُرِيدُهَا لِنَفسِي**». قَالَ: فَلِمَن يَا رَسُولَ اللّهِ؟

قَالَ: «**لِجُلَيبِيبٍ**».

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أُشَاوِرُ أُمَّهَا، فَأَتَى أُمَّهَا فَقَالَ: رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَخطُبُ ابنَتَكِ، فَقَالَت: نِعِمَّ وَنُعمَةُ عَينِي، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيسَ يَخطُبُهَا لِنَفسِهِ، إِنَّمَا يَخطُبُهَا لِجُلَيبِيبٍ، فَقَالَت: أَجُلَيبِيبٌ ابنَه أَجُلَيبِيبٌ ابنَه أَجُلَيبِيبٌ ابنَه لَا لَعَمرُ اللّهِ لَا تُزَوَّجُهُ.

فَلَمَّا أَرَادَ أَن يَقُومَ لِيَأتِيَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لِيُخبِرَهُ بِمَا قَالَت أُمُّهَا، قَالَت الجَارِيَةُ: مَن خَطَبَنِي إِلَيكُم؟ فَأَخبَرَتهَا أُمُّهَا، فَقَالَت: أَتَرُدُّونَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ أَمرَهُ، ادفَعُونِي فَإِنَّهُ لَم يُضَيِّعنِي.

فَانطَلَقَ أَبُوهَا إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَأَخبَرَهُ، قَالَ: شَأنَكَ بِهَا فَزَوَّجَهَا جُلَيبِيبًا.

قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي غَزوَةٍ لَهُ، قَالَ: فَلَمَّا أَفَاءَ اللّهُ عَلَيهِ قَالَ لِأَصحَابِهِ: «**هَل تَفقِدُونَ مِن أَحَدٍ؟**».

قَالُوا: نَفقِدُ فُلَانًا وَنَفقِدُ فُلَانًا.

قَالَ: «**انظُرُوا هَل تَفقِدُونَ مِن أَحَدٍ؟**».

قَالُوا: لَا.

قَالَ: «**لَكِنِّي أَفقِدُ جُلَيبِيبًا، فَاطلُبُوهُ فِي القَتلَى**».

قَالَ: فَطَلَبُوهُ فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنبِ سَبعَةٍ قَد قَتَلَهُم ثُمَّ قَتَلُوهُ.

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ هَا هُوَ ذَا إِلَى جَنبِ سَبعَةٍ قَد قَتَلَهُم ثُمَّ قَتَلُوهُ.

فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عَلَيهِ فَقَالَ: «**قَتَلَ سَبعَةً وَقَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنهُ**» مَرَّتَينِ أَو ثَلَاثًا، ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلَى سَاعِدَيهِ وَحُفِرَ لَهُ مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدَا رَسُولِ اللّهِ ﷺ ثُمَّ وَضَعَهُ فِي قَبرِهِ وَلَم يُذكَر أَنَّهُ غَسَّلَهُ.

وَحَدَّثَ إِسحَاقُ بنُ عَبدِ اللّهِ بنِ أَبِي طَلحَةَ ثَابِتًا قَالَ: هَل تَعلَم مَا دَعَا لَهَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ؟ قَالَ: «**اللّهُمَّ صُبَّ عَلَيهَا الخَيرَ صَبًّا وَلَا تَجعَل عَيشَهَا كَدًّا كَدًّا**». قَالَ: فَمَا كَانَ فِي

الأَنصَارِ أَيِّمٌ أَنفَقَ مِنهَا [(١)].

وفي رواية للبزار: «فكأنما حَلَّت عن أبويها عقالًا».

يقول الدكتور محمود عمارة - معلقًا عَلَى القصّة -: «لقد بدا جُلَيبيب بمقياس العُرف الاجتماعي السائد، مسلاة ملهاة، بهذا القصير الدميم.

ولكن القيادة المؤمنة تستشعر من بعد ما وراء هذه القشرة المانعة، وإذا يحاسبه مجتمعه عَلَى دمامته وقِصَره، فالحساب ظالم لأَنَّهُ أدانه بشيء لم يُستَشر فيه، ولكن الحساب العادل، ما يكون عَلَى شيء يدخل في اختياره، وهو ما سوف يسفر عنه الغد القريب وعندما يلتقي الجمعان.

وإذ يستشعر ﷺ ما في قلب جُليبيب من عناصر الخير، فإنه يستشعر في نفس اللحظة حقّه في أن يعيش رب أسرة مكرّمًا، من أجل ذلك يدخل طرفًا في قضية زواجه، لكن والد البنت وأمها محجوبان معًا عن رؤية ما في باطن العروس من جنات وعيون، من مكرمات دلّ عليها اختياره ﷺ له، لتكون له شريك حياة، ورفيقة عُمَر.

ولكن المكرمات قليلة العشاق.

فقد رغب أبواها عنه، وهو منعطف خطير وضع البنت في مأزق تناوشها فيه عوامل من برها لهما، ثُمَّ ما يفرضه الإسلام من اتباعها رسول الله ﷺ، ولكنها لم تتردد طويلًا، وآثرت أمر رسول الله ﷺ.

لقد عَلَّمت الفتاة مجتمعها درسًا لا ينساه.

لقد نسي المجتمع أن جُليبيب شاب في قلبه بذرة التوحيد.

وإذا بدا للناس معرى من الأوراق في فصل الخريف، وإذا كان مغمورًا مقهورًا مدفوعًا بالأبواب، فإن ذلك لا يخفي حقيقة صلاحيته ليكون قياديًّا متى وجد العقل الذكي الذي يكتشفه، والمجال الحيوي الذي يُبرز مواهبه.

وصدقت نبوءته ﷺ، وهو المؤيد بالوحي الأعلى، وها هُوَ ذا الإيمان يعلن عن

---

(١) قَالَ الهيثمي في «المجمع» (١٥٩٧٧): هو في الصحيح خاليًا عن الخطبة والتزويج، ورواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

نفسه في شخص جليبيب الذي كان بالأمس مسلاة ملهاة.

ها هُوَ ذا يَنقَض كالصقر عَلَى صفوف المشركين فَيَقْتُل منهم سبعة، وإذا كان قَد قُتِل فإنه يُعلّم الأُمَّة كيف يضحي المسلم بروحه، لتبقى الأُمة عزيزة الجانب مرهوبة القوة، ما دامت باذلة أموالها وأنفسها.

سيبقى جُليبيب الذي فاجأ الأُمَّة بحقيقته، سيبقى عنوان الإيمان وما يمكن أن يفعله في الواقع، مؤكدًا غفلة الأُمة الإسلامية عَلَى مدار التاريخ عن مواهب كثيرة تغيب، ولا يحاول أحد اكتشافها، وهو يطالبها اليوم أن تفهم دور الإيمان بالله تعالى في العودة بالأمة إلى سالف مجدها، لتعتصم به في معترك المذاهب، وليكون أساس التربية وطوق النجاة، حَتَّى لا تتسول نظرية التربية، ونحن بالإيمان أغنياء.

فلنفهم الدرس؛ إننا مدعوون إلى البحث عن المواهب المطمورة في زحمة النَّاس، فما أكثر أمثال جُليبيب فينا، فلننح القشرة البادية، فقد يكون وراء الأكمة أُسود، لقد كان جُليبيب قصير القامة لكنه أطال رقبة المسلمين.

وكان دميم الخِلقة، لكنه جَمَّل وجه تاريخنا بإكليل النَّصر، وكان نكرِة فصار بانتمائه إلى دوحة النبوّة من الخالدين، ولقد انعكس من هذا الشرف قبس عَلَى زوجته الوفيّة، فعاشت من بعده غنيّة أبيّة، وهي من ذكراه في قرار مكين.

ولئن سكت التاريخ عن جُليبيب فلم يفسح له في صفحاته مكانًا بارزًا فإن أُمتنا جعلت من قلوبها مكانًا عليًّا، يقتعده.

ولئن لم تستمتع به زوجته كما استمتعت زميلات لها بأزواجهن، فيكفيها شرفًا أنها أطاعت رسول الله ﷺ مُنَحيَّة رغائب نفسها كأنثى.

ويكفي أنها صارت زوجة البطل، وإلى الأبد». ا.هـ [١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) «شبابنا» د. محمود عمارة، باختصار.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

إن الإنسان لا يوزن عند الله يوم القيامة بجماله، ولا بماله، ولا بحسبه، ولا بنسبه، ولا بمنصبه.

قَالَ تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُم يَومَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ١١]. وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الـحَيَاةُ الدُّنيَا وَيَسخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوا فَوقَهُم يَومَ القِيَامَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢]. وإنما يُوزن الإنسان بتقواه. ولله دَرُّ الشافعي حين قَالَ:

عَلَـي ثـيابٌ لـو تُـباع جمـيعها بفَلس لكـان الفَلسُ مـنهنَ أكثـرا

وفـيهنَ نَفسٌ لـو تُقـاس ببعـضها نفوسُ الـوَرى[1] كانـت أجـلَ وأكبرا

ومَـا ضَـرَ نَـصلَ السّيف إخلاقُ غِمده إذا كـان عَـضبًا حيث وَجَّهتَهُ فَرَى[2]

رضي الله عن جُليبيب وأرضاه.

عباد الله...

وفي الجمعة القادمة نواصل الحديث عن أصحاب النبيّ ﷺ ونلتقي مع صحابيّ آخر، فإلى اللقاء إن شاء الله.

اللهمَّ مَن أحيَيتهُ مِنَّا فأحيِه على الإسلام، ومَن تَوفَّيتَهُ منَّا فتوفَّهُ على الإيمان.

آمين... آمين... آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

---

(١) **الورى**: النَّاس، والمقصود: أهل الغفلة منهم.

(٢) «ديوان الشافعي» (٥٧).

الخطبة السادسة والأربعون

مع ثابت بن الدحداح

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

تعالوا نقف ساعةً في فيض غامر من الحُبِّ الإلهي، مع تاريخ هذا العظيم، هلمّوا نعش في معارج بطولته، نتملى جلالها، ونستشرف آياتها، ونزجي إليه تحيّة إعظام وإكبار، كما أزجى إليه الله تحية الرحمة والمغفرة والرضوان.

إن نفسهُ الخيّرة المعطاءة جعلت من حياته نهرًا دافقًا بالبر، وأسطورة باهرة للبذل، وأحدوثة في فم الأيام والليالي تتناقلها عصرًا بعد عصر، لم تكن تعنيه الحياة بكل ما فيها من زخرف ومتاع، وإنما كانت تعنيه الباقيات الصالحات بكل ما فيها من شفافية وطهر، ولذلك عاش عازفًا عن الدنيا، صادفًا عن بهجتها، متجهًا إلى الله حِله وترحاله،

وحين نتهادى إلى سيرته الطيبة العابقة بالفضل والفضائل، نجده من الأنصار الذين آووا النبيّ ﷺ ونصروه واتبعوا النُّور الذي أُنزل معه.

ونجده أيضًا تلميذًا نابغًا في مدرسة النبوّة، لا يتخلف عن مجلس من مجالس مُعلم الإنسانية وأستاذ البشرية صلوات الله وسلامه عليه.

ونجده كذلك فارسًا شجاعًا يخوض الغمرات، ويقتحم المنايا، ويجابه الأخطار، ويواجه الشدائد، ويصارع المكاره، وإلى جانب هذا يسارع إلى إغاثة الملهوف ونجدة المظلوم ومواساة المحزون، وفوق هذا كله يقف في الذؤابة العليا من حُب الله ورسوله، يستعذب نداء الجهاد، ويستمرئ مشاق القتال، ويشم رائحة الجَنَّة تحت ظلال السيوف(١).

عباد الله...

وضيفنا اليوم هُوَ ثابت بن الدَّحدَاح، وقيل: الدَّحدَاحة بن نُعيم بن غَنم بن إياس.

يُكنى: أبا الدَّحدَاح، كان في بني أنيف أو في بني العجلان من بلى حلفاء بني زيد ابن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف(٢).

قَالَ الدكتور محمود عمارة تحت عنوان: «الشوق إلى الجَنَّة بين الأقوال والأفعال»: «كان الصَّحابة رضوان الله تعالى عليهم أسرع ما يكونون خطى إلى الجَنَّة، بالأفعال وليس بالأقوال، بل بما يشق عَلَى النفس من الأفعال.

وفي مقدمتهم أبو الدحداح - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - والذي ما كاد يسمع قَولِهِ تَعَالَى: ﴿**إِن تُقرِضُوا اللَّهَ قَرضًا حَسَنًا...**﴾ [التغابن: ١٧]، حَتَّى أسرع إلى الرسول ﷺ قائلًا له: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ يُرِيدُ مِنَّا القَرضَ؟ قَالَ: «**نَعَم يَا أَبَا الدَّحدَاحِ**».

قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَد أَقرَضتُ رَبِّي حَائِطِي، وَفِي حَائِطِي سِتَّ مِائَةِ نَخلَةٍ.

ثُمَّ جَاءَ إِلَى الحَائِطِ فَنَادَى يَا أُمَّ الدَّحدَاحِ، وَهِيَ فِي الحَائِطِ، فَقَالَت: لَبَّيكَ، فَقَالَ:

---

(١) «حياة الصالحين» عبد المنعم قنديل (٣/ ٩٧).

(٢) «أسد الغابة» (١/ ٣١٢).

اخرُجِي فَقَد أَقرَضتُهُ رَبِّي.

فقالت: ربح البيع يا أبا الدحداح، ثُمَّ خَرجت بصغارها[١].

كان ﷺ أعرف برجاله، ومن معرفته بهم أَنَّهُ كان يُكلف كل واحد بما يُحسنه من العمل، وبما يُطيقه أيضًا، فالدوافع مختلفة، والأمزجة أيضًا متباينة.

وقد يأمر واحدًا بضرورة أن يُكَفِّر بما له عن ذنب ارتكبه، وقد يسمح لآخر من المذنبين الذين لا يجدون ما ينفقون، يسمح له أن يُطعم عياله، مما وجب عليه من كفَّارة جاءته من خزينة الدولة، ولا يعطيها الفقراء، وربما راعى ﷺ ما بين الصَّحابة من الفروق الفرديّة[٢].

لكن أبا الدحداح الأنصاريّ يتصدق ببستان فيه ستُّمائة نخلة ثُمَّ يباركُ ﷺ ما فعل.

لقد كان أبو الدحداح أولًا: أنصاريًّا، واحدًا من الذين يُؤثرون عَلَى أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. وثانيًا: كان واحدًا من نجباء المدرسة المحمديّة الرائدة، والذين رباهم ﷺ عَلَى الانتصار أولًا عَلَى النفس، عَلَى ما يقول صفيّه عليّ - رَضِيَ الله عَنهُ -: ميدانكم الأول: أنفُسكم، فإن قدرتم عليها كنتم عَلَى غيرها أقدر، وإن خُذِلتم فيها، كنتم عن غيرها أعجز، فجربوا معها الكفاح أولًا.

وقد خاض أبو الدحداح معركته مع النفس، فقَبَض عَلَى ناصيتها، ثُمَّ تفرد بالأمر والنَّهي فكان السَّيِّد المطاع، وعلى ضخامة البستان وما فيه من سكن، ونخيل، إلا أنك لَتُحس بشيء أكبر من هذا وهو تلك العاطفة الإيمانية التي لم تكد تسمع عن الإحسان حَتَّى هُرعت إليه، وبلا تردد، فكانت هذه العاطفة أغلى من الصدق نفسها، عَلَى ما يقول المنفلوطي: «ليس الإحسان هُوَ العطاء كما يظن عامة النَّاس، فالعطاء قَد يكون نفاقًا ورياءً، وقد يكون أحبولة ينصبها المعطي لاصطياد النفوس والأعناق، وقد يكون

---

(١) أورده الهيثمي في «المجمع» برقم (١٥٧٩٢) بنحوه، وقال: رواه أبو يعلى، والطبراني، ورجالهما ثقات، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

(٢) راجع حديثنا عن أبي طلحة الأنصاري حين تصدّق ببيرحاء.

رأس مال يتَّجر فيه صاحبه ليبذل قليلًا ويربح كثيرًا، إنما الإحسان عاطفة كريمة، من عواطف النفس، تتألم لمناظر البؤس، ومصارع الشقاء».

ومع كون الإحسان وليد عاطفة نبيلة، إلا أنَّهُ إلى جانب ذلك وليدُ ذكاء، يجعل من السخاء قضية بَدَهية، يقف بصاحبه مع النَّاس، ودائمًا، إن كانوا مرضى عادهم، وإن كانوا مشاغيل أعانهم، وإذا نسوا ذكّرهم، منطلقًا من مسلَّمات عقليّة تجعل من السخاء شرعة ومنهاجًا.

قَالَ الحسن بن عليّ لابنه وهو يعظه: «يا بُني: لا تُخلف من ورائك شيئًا من الدنيا، فإنك تُخلفه عَلَى رجلين: رجلٍ عمل بطاعة الله، فسعد بما شقِيت به، ورجل عمل بمعصيته، فكنت عونًا له عَلَى ذلك، وليس أحد هذين بحقيق أن تؤثره عَلَى نفسك».

وإذ يبدو أبو الدحداح متألقًا، من خلال هذا المشهد النبيل، إلا أن الزوجة هنا لا تقل عنه نبلًا، فلم تكد تسمع الأمر حَتَّى نفَّذته، بل ورحَّبت به مع أَنَّهُ عَلَى حساب صغارها وهم أعزاؤها، ثُمَّ إنها لم تقحم في القضية أباها، ولا أُمها.

لقد كان الزوج سيد البيت، فكان الوفاق، هذا الوفاق الذي يحل محله الشقاق، حين يستنوق الجمل، وعبثًا تنشد السعادة ولكن بلا أمل. ا.هـ[1].

عباد الله...

لم يقدّم ثابت بن الدحداح ماله فقط في سبيل الله، بل قدَّم نفسه أيضًا، فتحقق فيه قول ربنا سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُم وَأَموَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقتُلُونَ وَيُقتَلُونَ وَعدًا عَلَيهِ حَقًّا فِي التَّورَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالقُرآنِ وَمَن أَوفَى بِعَهدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاستَبشِرُوا بِبَيعِكُمُ الَّذِي بَايَعتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١١١].

قَالَ الإمامُ ابن القيّم - رحمه الله تعالى -: «أَخبَرَ سُبحَانَهُ أَنَّهُ ﴿**اشتَرَى مِنَ المُؤمِنِينَ أَنفُسَهُم وَأَموَالَهُم بِأَنّ لَهُمُ الجَنّةَ**﴾ وَأَعَاضَهُم عَلَيهَا الجَنّةَ، وَأَنّ هَذَا العَقدَ وَالوَعدَ قَد أَودَعَهُ أَفضَلَ كُتُبِهِ المُنَزّلَةِ مِن السّمَاءِ وَهِيَ التّورَاةُ وَالإِنجِيلُ وَالقُرآنُ، ثُمّ أَكّدَ ذَلِكَ بِإِعلَامِهِم أَنّهُ لَا أَحَدَ أَوفَى بِعَهدِهِ مِنهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ثُمّ أَكّدَ ذَلِكَ بِأَن أَمَرَهُم بِأَن

(١) «المتقون هم المتحضرون» د/ محمد عمارة (٥٨ - ٦٠).

يَستَبشِرُوا بِبَيعِهِم الّذِي عَاقَدُوهُ عَلَيهِ، ثُمّ أَعلَمَهُم أَنّ ذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ.

فَليُتَأَمّل العَاقِدُ مَعَ رَبّهِ عَقدَ هَذَا التّبَايُعِ مَا أَعظَمَ خَطَرَهُ وَأَجَلّهُ، فَإِنّ الله عَزّ وَجَلّ هُوَ المُشتَرِي وَالثّمَنُ جَنّاتُ النّعِيمِ وَالفَوزُ بِرِضَاهُ وَالتّمَتّعُ بِرُؤيَتِهِ هُنَاكَ، وَالّذِي جَرَى عَلَى يَدِهِ هَذَا العَقدُ أَشرَفُ رُسُلِهِ وَأَكرَمُهُم عَلَيهِ مِن المَلَائِكَةِ وَالبَشَرِ، وَإِنّ سِلعَةً هَذَا شَأنُهَا لَقَد هُيّئَت لِأَمرٍ عَظِيمٍ وَخَطبٍ جَسِيمٍ.

قَد هَيّئُوك لأمرٍ لَو فَطِنتَ لَه ... فَاربَأ بِنَفسِكَ أَن تَرعَى مَعَ الهَمَلِ

مَهرُ المَحبّةِ وَالجَنّةِ بَذلُ النّفسِ وَالمَالِ لِمَالِكِهِمَا الّذِي اشتَرَاهُمَا مِن المُؤمِنِينَ» ا.هـ[1].

عباد الله...

يقال: إن فوق كل برّ برٌّ حتى يبذل العبدُ دمه فإذا فعل ذَلِكَ فلا برّ فوق ذَلِكَ.

وقال الشاعر في معنى البر:

الجُودُ بالماءِ جُودٌ فيه مَكرُمةٌ ... والجود بالنَّفسِ أقصى غاية الجُود

وكما قدّم ثابت بن الدحداح ما يملك لله، فقد جاء يوم قدَّم فيه نفسه لله أيضًا.

وقصّة استشهاده في يوم أُحُد تكشف عن مدى استعداده دائمًا للتضحية، للبذل، لإعطاء حياته وهي أغلى ما يملك.

كان يوم أُحُد مزدحمًا بالدروس الإلهيّة، الرسول القائد أعد خطة الدفاع والهجوم، وعهده برجاله ألا يخالفوا له أمرًا، ولكن لحكمة عليا خالف الرماة الخمسون الذي صفهم الرسول ﷺ في ثغرة بالجبل أمره، فأصيب أصحاب الرسول بهزيمة مفاجئة، غير متوقعة، وحاول بعض المشركين قتل الرسول، رماه عبد الله بن قمئة فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته، ووقع الرسول ﷺ في حفرة حفرها المشركون فأخذ عليّ ابن أبي طالب بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله، حدث كل هَذَا للرسول في يوم أُحُد حتى ظن المشركون أنَّهُ قُتل وأشاعوا ذَلِكَ بين المسلمين لينالوا من عزائمهم، وليثبطوا من هممهم، وليردوهم عن دينهم إن استطاعوا، ولكن المسلمين كانوا أثبت جنانًا رغم

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٧٢).

مرارة الهزيمة، ورغم كثرة الشهداء، ورغم ما حاق بهم من اضطراب، فوقف ثابت بن الدحداح ينادي بصوت جلجل في كل أرجاء الجبل: يا معشر الأنصار إليَّ إليَّ، إن كان محمد قد قُتل، فإن الله حيٌّ لا يموت، فقاتلوا عن دينكم، قوموا وموتوا على ما مات عليه الرسول، وما إن فرغ من ندائه حتى نهض إليه نفرٌ من الأنصار وراحوا يقاتلون المشركين في استماتة واستبسال، ولكنهم كانوا في مواجهة جيش كثيف السلاح يتقدمه خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل - قبل إسلامهم- فدار قتال عنيف بين الأنصار والمشركين، بيد أن خالد بن الوليد تمكّن بكفاءته القتالية من أن يطعن ثابت بن الدحداح بالرمح طعنة نافذة، وقع على أثرها شهيدًا.

رضي الله عن ثابت بن الدحداح.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وعندما قام المسلمون بدفن الشهداء قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَا مِن مَجْرُوحٍ جُرِحَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بَعَثَهُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ وَجُرحُهُ يَدمَى، اللَّونُ لَونُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ**»[١].

وتحت ثرى أُحُد يرقد جسدُ الشهيد مع إخوانه الذين استشهدوا معه، أمَّا أرواحهم ففي حواصل طير خضر تسرح في أنهار الجَنَّة.

فهنيئًا لهم، ونسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم.

۞۞۞۞۞

---

(١) رواه البخاريّ ومسلم.

الخطبة السابعة والأربعون

مع أبي دُجانة

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فلقاؤنا اليوم - إن شاء الله تعالى - مع صحابيّ جليل، وصفه ابن الأثير -رحمه الله- بقوله: «كان من الشجعان المشهورين بالشجاعة، وكانت له عصابة حمراء يعلّم بها في الحروب، وهو من فضلاء الصَّحابة وأكابرهم» ا.هـ[(١)].

عباد الله...

هُوَ: سمَّاك بن خرشة، وقيل: سمَّاك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن

---

(١) «أسد الغابة» (٢/ ٥١٠).

زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاريّ السّاعدي، أبو دُجانة، وهو مشهور بكنيته[١].

سطَّر أبو دُجانة - رَضِي الله عَنهُ - ملاحم رائعة في مواطن القتال، ونعطِّر هذه الصفحات بذكر بعض مواقفه الجهاديّة:

الموقف الأول: جهاده يوم بدر:

قَالَ ابن الأثير: «شهد بدرًا مع النبيّ ﷺ وكان من الأبطال الشجعان»[٢].

وقتل يومئذٍ من شجعان المشركين: أبا مسافع الأشعري حليف بني مخزوم، وعامر ابن عوف بن ضبيرة أخا عاصم بن ضبيرة، وقتل من بني سهم أبا العاص بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم[٣].

الموقف الثاني: جهاده يوم أُحُد:

في غزوة أُحُد قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَن يأخذ هذا السَّيف بحقِّه؟...**» فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم، حَتَّى قام أبو دُجانة فقال: وما حقّه يا رسول الله؟ قَالَ: «**أن تضرب به العدو حَتَّى ينحني...**» قَالَ: أنا آخذه بحقّه يا رسول الله، فأعطاه إيَّاه.

وقال الزُّبير بن العوام بعد ذلك: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السَّيف فمنعنيه، وأعطاه أبا دجانة، وأنا ابن صفيّة عمته، ومن قريش، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله فأعطاه إيَّاه، وتركني، والله لأنظرنّ ما يصنع، فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء، فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دُجانة عصابة الموت، فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر في الكبول ... أضرب بسيف الله والرسول

---

(١) نفس المرجع.

(٢) «أسد الغابة» (٦/ ٨٨).

(٣) «موسوعة الغزوات الكبرى - بدر» لباشميل (١٨١ - ١٨٣).

وقال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دُجانة يتبختر: «**إنها لمشيّة يبغضها الله، إلَّا في هذا الموطن...**»[(١)].

وحول هذا الموقف يحدِّثنا الأستاذ الدكتور محمد عمارة - حفظه الله - فيقول: «حينما نقترب من الموقف نطالع من دقائقه ما يبهر الأبصار، فالقائد هنا لا يفرض الدور عَلَى الجندي، لكنه يفتح مجال الاختيار أمام كل جندي يثق بنفسه، وإذ يقول ﷺ متسائلًا: «فَمَن يَأخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» فإنه يستدعي بالتساؤل مواهب الصَّحابة، ويوقظ عزائمهم، لتنهض للقيام بدورها ما دامت تحس في نفسها قدرة عليه.

وكانت ظاهرة صحيّة أن تسابق الرجال استجابةً لتساؤل أثار فيهم الشوق إلى الجَنَّة، وفي مقدمتهم ابن عمته الزُّبير بن العوام.

ويُمسك القائد سيفه عن هؤلاء جميعًا، ثُمَّ يؤثره أبا دُجانة الذي سأل عن حقّ السَّيف حَتَّى يراجع نفسه، ويتحقق من قدرته عَلَى الوفاء بحقِّه، حَتَّى إذا أحس نفسه بالقدرة، هب عَلَى الفور كأنما نشط من عقال، وتقدّم ليحمله، في صحبة أمل عظيم في الله تعالى أن يكون عند حسن الظن به، لا سيما بعد أن منع الجميع منه، دونه.

وإنها لفرصة حبيبة إلى نفس الفدائي أن يضرب العدوّ حَتَّى يحصد بالسّيف رأسه، فيوفيه حسابه.

وقد كان في عرض الرسول ﷺ ما يكشف عن دور ذلك الجندي المسلم في معركة تجيء عقب انتصار بدر، وما يفرضه ذلك من فدائية لابد منها إذ يبلغ الصراع حينئذٍ ذروته في معركة حياة أو موت.

ولابد إذن من الجندي الجسور في معركة لا مكان فيها للخائف الحذر.

وكان هذا التسابق الواضح دليلًا عَلَى ارتفاع الأُمّة إلى مستوى مسئولياتها، وإدراكها لطبيعة المعركة في أُحُد.

---

(١) عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ، قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ.

وهذه القدرة العسكرية التي زكّاها الإيمان، وتعهدها القائد العظيم لا تحجب أبصارنا عن التحول الاجتماعي الكبير، وعن جوهر التربية المحمديّة الرامية إلى تغير المفاهيم الخاطئة حَتَّى بين يدي المعارك التي تشدّ إليها الانتباه، ولا تبق اهتمامًا بما سواها.

وما كان للجيش أن ينتصر أبدًا ما لم يكن له سند من قيم أصيلة يقيم كيانه عليها، هذه القيم التي تبدو في موقفه ﷺ من ابن عمته ابن الزُّبير، فابن عمته غاضبٌ؛ لأَنَّهُ تجاوز إلى الأجنبي، مع أَنَّهُ ابن عمته، ثُمَّ هُوَ من قريش، بالإضافة إلى أَنَّهُ قَد سبقه إلى طلب السَّيف، فلماذا لم يؤثره به؟

فانظر كيف كان العرض النبوي الحكيم فرصة ذهبية، تعلن فيه الطبائع عن نفسها، بما تظهره من مكنون سرها، ولولا حكمة الرسول في الاختيار لَـمَّا ظهرت هذه الأسرار، لكنها تبدو ثُمَّ تلاحق بالعلاج والتقويم.

ويحمل أبو دجانة سيفه، ثُمَّ يمضي في جو نزيه عادل، فمعاني القرابة، والانتماء والأولوية كلها، بمقدار ما يبذل الإنسان من نفسه، فالمعركة أولًا والمعركة أخيرًا.

إن قربك لإنجاز المهمة، وانتماءك للمعركة، هُوَ وحده مقياس الاختيار، وهو وحده مناط الحكم لك، أو عليك.

وإذا كانت هناك أسماء لامعة، تحاول فرض نفسها، والاستئثار بموقف ما، فإن بين الجماهير الغفيرة جنودًا بواسل، يراهم القائد الملهم، وإذا لم يكن النَّاس يعرفونهم فيكفيهم شرفًا أن الله عَزَّ وَجَلَّ يعرفهم ببلائهم في المعركة، ويدّخر لهم مقعد صدق عند مليك مقتدر، كفاء ما يقولون به من جهاد.

فالمعركة وحدها هي التي تبرز الكفايات، لأنها وحدها مقر الامتحان العسير، الذي لا يكتب المرء فيها تاريخه بقلمه، ولكن بدمه وعرقه.

وهكذا نرى في موقفه ﷺ فراسة الذي ينظر بنور الله تعالى، لقد كان قلبه أكبر من ساحة القتال عَلَى اتساعها، فاستوعب به ما حوله، ومن حوله، ثُمَّ وازن واختار، فأتاح بالاختيار فرصة برزت فيها كفايات نادرة، كان من الممكن أن تعيش أيامها في الظل بطاقاتها المعطلة التي لم تكتشفها يد صناع.

ولاشك أن ابن العوام يدرك هذه المعاني جيدًا.

وما كان له أن يضيع عمره في نقد لاذع يستهدف به القائد وجنده، أو في هجوم موصل عَلَى موازين المجتمع الذي لم يحقق رغبته.

بيد أَنَّهُ يحاول مخلصًا أن يتحسس مواطن القوة في أبي دجانة والتي رشحته لحمل السَّيف دونه، ليحاول مثله الوصول، ثُمَّ إِنَّهُ كجندي مثله مشغول بالنصر الذي يسره أن يتحقق عَلَى يد أبو دجانة أو عَلَى يده هُوَ، المهم أن ينتصر المسلمون، ويخذل المشركون، وليكن ما يكون.

ويكتشف ابن العوام أحقيّة أبي دُجانة بشرف الاختيار، لقد رأى حُبّه للحرية، وتغنيه بها:

ألا أقـــوم الدهـــر في الكـــبول أضـــرب بـــسيف الله والرســـول

في القيود، الحرية المحكومة بشريعة الله عَزَّ وَجَلَّ، المسهدفة سعادة الإنسان حيثما كان، وليست هي الفوضى التي يروج لنا أدعياؤها. وما أجمل أبا دجانة وهو يمشي تياهًا فخورًا بما يملك من ثقة بالله، ورفح بالجهاد في سبيله، وإنها لمشيّة تستحيل في حلوق الأعداء غصة تشل حركتهم، وتطأ من كبريائهم.

بقدر ما تعلي قدر المسلمين، وترفع من معنوياتهم.

وهي ما تحقق فعلًا عندما هزم المسلمون في أُحُد، لكن نفوسهم بقيت متماسكة في أحلك الظروف بيقينها بربها، وثقتها بنصره المبين الذي إن لم يكن اليوم فغدًا.

وبعد...

فقد قَالَ ﷺ: «**نجا أوّل هذه الأُمَّة باليقين والزهد، ويـهـلك آخــرها بالبُخل والأمل**»[١].

وما حدث من أبي دجانة صورة من صور هذه النجاة التي كانت سمة العصر النبوي كله، والتي كانت تستمد قوتها المعنوية والماديّة من روافد اليقين، والزهد في الدنيا.

---

(١) حسن: أخرجه ابن أبي الدنيا، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٧٤٦).

والأُمّة الإسلامية مطالبة اليوم أن تستلهم عزها من تاريخها المجيد، بالتخلق بأسباب النجاة، كما تحدّث بها رسول الله ﷺ، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩].ا.هـ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

كان هَذَا حال أصحاب النبيِّ ﷺ، تجري الشّهامةُ في عروقهم، ويملأ حبُّ الاستشهاد أقطار نفوسهم، يفلقون هامَ المشركين بسيوفهم، ويطأون على رءوسهم بأقدامهم.

أما نحن اليوم فتُفلَق هامُنا، وتُدنس مقدساتنا، وتُهتك أعراضُنا من عدوّنا.

قَـد استردَ السّبَايا كُـلّ مُنهـزم ... لم تـبق في أسـرِها إلا سـبايانا

ومـا رأيـتُ سـياطَ الـذُّلّ دَامـية ... إلاَّ رأيـتُ علـيهم لَحـم أسـرانا

ومَـا نَمـوتُ عَلَـى حَـدِّ الظّـبا أنفًـا ... حَتَّـى لقـد خَجِلَـت مِـنّا مَـنَايانَا

عباد الله...

وظلّ أبو دجانة ملازمًا للنبيّ ﷺ لا يتخلّف عن غزوة، ولا يقعد عن قتال، حتى لحق النبيُّ ﷺ بالرفيق الأعلى.

وفي عهد أبي بكر - رَضِي الله عَنهُ - ذَرّ قَرنُ الفتنة، وارتدت قبائل عن الإسلام، وأعلنت حالة من التمرّد العام، وَهَبَّت عاصفةُ الرّدة، وكادت أن تقلع الإسلام من جذوره، لولا أن الله تعالى الذي كتب لهذا الدِّين الخلود، قيّض لهذه الأُمّة أبا بكر - رَضِي الله عَنهُ - الذي انتفض كالأسد الهصور، وجَيَّش الجيوش، وعقد الألوية، وأرسل الجنود فأخمد نار الفتنة، وعاد النَّاس إلى أحضان الإسلام.

ومن المعارك التي عقد ألويتها: موقعة اليمامة التي دارت رحاها بين المسلمين وبين

مسيلمة الكذاب المدَّعي النبوّة.

وكان قائد جيش المسلمين خالد بن الوليد، وكان جيش مسيلمة قد تحصَّن في حديقة مُحكمة، ليتمكّنوا من المسلمين، ويتحصّنوا من سهامهم.

وكان أبو دجانة ممن اشترك في هذه المعركة الفاصلة، فلما رأى احتماء المرتدين داخل حديقتهم، فكّر كيف يخرجهم من مخابئهم ليعرِّضَهم لسيوف المسلمين وسهامهم؟ وفي فدائية عجيبة، اقتحم مع جماعة من الصحابة عليهم حديقتهم، وسقطوا في وسطهم، وانكسرت رِجلُ أبي دجانة فهبّ على ساق واحدة، يجاهد ويجالد، ويثخِن المشركين جراحًا، واستطاعوا فتح باب الحديقة، ودخل المسلمون الحديقة كالسَّيل المنهمر، يكبّرون، وحَمِي وطيسُ المعركة، واستطاع أبو دجانة وهو يطأ بقدم واحدة أن يصل إلى مسيلمة فيضربه ضربة كان فيها حتفه[1].

وأسفرت النتيجة عن قتل ما يقرب من عشرة آلاف من جيش مسيلمة، واستشهد من المسلمين ستمائة، كان من بينهم أبو دجانة - رَضِي الله عَنهُ -.

وكأني أراه في أرض المعركة يعلوه الرِّضا والنُّور، ولِمَ لا وهو أحد أصحاب النبيّ ﷺ، وممَّن شهد بدرًا. وحامل سيف رسول الله ﷺ. وقاتل مسيلمة الكذاب.

ثُمَّ هُوَ أحد الشهداء الذين قَالَ الله عنهم: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعمَالَـهُم * سَيَهدِيهِم وَيُصلِحُ بَالَـهُم * وَيُدخِلُهُمُ الـجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَـهُم﴾ [محمد: ٤ - ٦].

وإلى اللقاء مع صحابيّ آخر في الجمعة القادمة، إن شاء الله تعالى.

---

(١) أجهز أبو دجانة وعبد الله بن زيد على مسيلمة بعد أن طعنه وحشي بن حرب بحربته.

الخطبة الثامنة والأربعون

[أ] مع زيد بن حارثة

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فنتكلم اليوم إن شاء الله تعالى عن صحابي ذكره الله في القرآن باسمه.

أتدرون مَن هُوَ؟

هُوَ: زيد بن حارثة بن شراحبيل بن كعب بن عبد العُزّى بن امرئ القيس بن عامر ابن النعمان عامر بن عبد وُدّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللّات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وَبرة بن تَغلب بن حُلوان بن عمران بن لحاف بن قضاعة.

هكذا نسَّبه ابن الكلبي وغَيره، وربما اختلفوا في الأسماء وتقديم بعضها عَلَى بعض،

وزيادة شيء ونقص شيء.

قَالَ الكلبي: وأُمّه سعدى بنت ثعلبة بن عامر بن أفلت من بني مَعن من طيئ.

وقال ابن إسحاق: حارثة بن شرحبيل، ولم يتابع عليه، وإنما هُوَ شراحبيل، ويُكنى أبا أسامة[١].

وقال الإمام الذهبيّ - رحمه الله - في تعريفه لزيد رَضِي الله عَنهُ: «ابن شرحبيل، قائد مؤتة وشهيدها، وحبُّ رسول الله ﷺ وأبو حبِّه، وما أحب ﷺ إلَّا طيبًا، ولم يُسَمِّ الله تعالى في كتابه صحابيًّا باسمه إلَّا زيد بن حارثة وعيسى ابن مريم عليه السلام الذي ينزل حكمًا مقسطًا ويلتحق بهذه الأُمّة المرحومة في صلاته وصيامه وحجه ونكاحه وأحكام الدِّين الحنيف جميعها، فكما أن أبا القاسم سيد الأنبياء وأفضلهم وخاتمهم، فكذلك عيسى بعد نزوله أفضل هذه الأُمّة مطلقًا، ويكون ختامهم، ولا يجيء بعده من فيه خير، بل تطلع الشمس من مغربها، ويأذن الله بدنو الساعة»[٢].

واسمه: زيد بن حارثة بن شراحبيل بن عبد العزّى بن امرئ القيس.

وأُمّه سُعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر، زارت قومها وزيد معها، فأغارت خيل لبني القين في الجاهلية فمرُّوا عَلَى أبيات بني معن فاحتملوا زيدًا وهو يومئذٍ غلام يفعة، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم، فلمّا تزوّجها رسول الله ﷺ وهبته له وكان أبوه حارثة حين فقده قَالَ:

بكيتُ عَلَى زيد ولم أدر ما فعل ... أحيٌّ فيُرجى أم أتى دونه الأجل

فوالله ما أدري وإن كنت سائلا ... أغالك سهلُ الأرض أم غالك الجبل

فياليت شعري هل لك اليوم رجعةٌ ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي مَجل

تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... وتعرض ذكراه إذا قارب الطَّفَل[٣]

وإن هَبت الأرواح هيجن ذكره ... فيا طول ما حزني عليه وما وجل

(١) «أسد الغابة» (٢/ ٣٢٦).
(٢) «أسد الغابة» (١/ ٢٢٠).
(٣) الطَّفَل: المطر.

سـأعمل نـصّ العـيس[1] في الأرضَ ولا أسـأم الـتطواف أو تـسأم الإبـل

حياتـي أو تأتـي علـيَّ منـيَّتي وكـل امـرئ فـانٍ وإن غـرَّ الأمـل

وأوصـى بـه قيـسًا وعمـرًا كلـيهما وأوصـى يـزيدًا ثـُمَّ مـن بعـده جـبل

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد، ويزيد أخو زيد لأمّه.

فحج ناس من كعب فرأوا زيدًا فعرفوه، وعرفهم فقال: أبلغوا أهلي هذه الأبيات فإني أعلم أنهم قَد جزعوا عليَّ، وقال:

أحـنُّ إلى قومـي وإن كـنت نائـيًا فإنـي قعـيد البـيت عـند المـشاعر

فكفّوا عن الـوجد الـذي قَد شجاكم ولا تعملـوا في الأرض نـص الأباعـر

فإنـي بحمـد الله في خـير أسـرة كـرام معـدٍ كابـرًا بعـد كابـر

فانطلقوا فأعلموا أباه فخرج حارثة وكعب بن شراحيل بفدائه، فقدما مكَّة فَسَأَلَا عَن النّبيّ ﷺ فَقِيلَ: هُوَ فِي المَسجِدِ فَدَخَلَا عَلَيهِ فَقَالَا: يَا ابنَ عَبدِ المُطّلِبِ يَا ابنَ هَاشِم يَا ابنَ سَيّدِ قَومِهِ، أَنتُم أَهلُ حَرَم اللهّ وَجِيرَانِهِ تَفُكّونَ العَانِيَ وَتُطعِمُونَ الأَسِيرَ جِئنَاكَ فِي ابنِنَا عِندَك فَامنُن عَلَينَا وَأَحسِن إلَينَا فِي فِدَائِهِ.

قَالَ: «وَمَن هُوَ؟».

قَالُوا: زَيدُ بنُ حَارِثَةَ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «فَهَلّا غَيرَ ذَلِكَ؟».

قَالُوا: مَا هُوَ؟

قَالَ: «أَدعُوهُ فَأُخَيّرُهُ فَإِن اختَارَكُم فَهُوَ لَكُم وَإِن اختَارَنِي فوالله مَا أَنَا بِالّذِي أَختَارُ عَلَى مَن اختَارَنِي أَحَدًا».

قَالَا: قَد رَدَدتَنَا عَلَى النّصَفِ وَأَحسَنت، فَدَعَاهُ فَقَالَ: «هَل تَعرِفُ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: نَعَم، قَالَ: «مَن هَذَا؟» قَالَ: هَذَا أَبِي وَهَذَا عَمّي.

---

(١) **العيس** - بالكسر -: الإبل.

قَالَ: «فَأَنَا مَن قَد عَلِمتَ وَرَأَيت وَعَرَفتَ صُحبَتِي لَك فَاختَرنِي أَو اختَرهُمَا».

قَالَ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَختَارُ عَلَيك أَحَدًا أَبَدًا أَنتَ مِنِّي مَكَانُ الأَبِ وَالعَمّ.

فَقَالَا: وَيحُكَ يَا زَيدُ أَتَختَارُ العُبُودِيَّةَ عَلَى الحُرِّيَّةِ وَعَلَى أَبِيك وَعَمّك وَعَلَى أَهلِ بَيتِك؟ قَالَ: نَعَم قَد رَأَيتُ مِن هَذَا الرَّجُلِ شَيئًا مَا أَنَا بِالَّذِي أَختَارُ عَلَيهِ أَحَدًا أَبَدًا.

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ الله ﷺ ذَلِكَ أَخرَجَهُ إِلَى الحِجرِ فَقَالَ: «أُشهِدُكُم أَنّ زَيدًا ابنِي يَرِثُنِي وَأَرِثُهُ».

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهُ وَعَمّهُ طَابَت نُفُوسُهُمَا فَانصَرَفَا، وَدُعِيَ زَيدَ بنَ مُحَمّدٍ حَتّى جَاءَ الله بِالإِسلَامِ فَنَزَلَت ﴿ادعُوهُم لآبَائِهِم﴾ [الأحزاب: ٥] فَدُعي يومئذٍ زَيدَ بنَ حَارِثَةَ[١].

وستأتي القصّة بتمامها بعد قليل إن شاء الله تعالى.

عباد الله...

أسلم زيد بن حارثة مبكرًا، فعن الزّهري قَالَ: «ما علمنا أحدًا أسلم قبل زيد بن حارثة».

وقال ابن إسحاق: «إن عليًّا بعد خديجة، ثُمَّ أسلم بعده زيد، ثُمَّ أبو بكر».

وقال غيره: أبو بكر، ثُمَّ عليّ، ثُمَّ زيد رضي الله عنهم[٢].

وشهد زيد بن حارثة بدرًا، وهو الذي كان البشير إلى المدينة بالظّفر والنصر، ثُمَّ شارك في سائر الغزوات والمشاهد، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

أيُّها المسلمون...

تقدّم قبل قليل أن زيدًا تزوّج بزينب بنت جحش رضي الله عنها، ثُمَّ طلقها وتزوّجها النبيُّ ﷺ.

وفي قصّة هذا الزواج زلّت أقدام، وضلّت أفهام، وساء قوم الظن بالصادق المصدوق ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٠٤) مطولًا، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢١٧).

(٢) «أسد الغابة» (٢/ ٣٢٨).

فما هي حقيقة هذا الزواج؟ وما الحكمة منه؟

ذكر الحق سُبحَانَهُ وتَعَالَى قصّة زينب مع زيد بن حارثة في سورة الأحزاب: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤمِنٍ وَلاَ مُؤمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَمرًا أَن يَكُونَ لَـهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمرِهِم وَمَن يَعصِ اللَّهَ وَرَسُولَـهُ فَقَد ضَلَّ ضَلالًا مُّبِينًا * وَإِذ تَقُولُ لِلَّذِي أَنعَمَ اللَّـهُ عَلَيهِ وَأَنعَمتَ عَلَيهِ أَمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخفِي فِي نَفسِكَ مَا اللَّـهُ مُبدِيهِ وَتَخشَى النَّاسَ وَاللَّـهُ أَحَقُّ أَن تَخشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيدٌ مِّنهَا وَطَرًا زَوَّجنَاكَهَا لِكَي لاَ يَكُونَ عَلَى المُؤمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزوَاجِ أَدعِيَائِهِم إِذَا قَضَوا مِنهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمرُ اللَّهِ مَفعُولًا * مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِن حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّـهُ لَـهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلُ وَكَانَ أَمرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقدُورًا * الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخشَونَهُ وَلاَ يَخشَونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا * مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُم وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّـهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾** [الأحزاب: ٣٦ - ٤٠].

قَالَ الشيخ عبد الحميد كشك - رحمه الله تعالى - في تفسيره لهذه الآيات ما مختصره:

«رويَ أن رسول الله ﷺ خطب زينب بنت عمّته فظنّت أن الخطبة لنفسه، فلمَّا تبيّن أَنَّهُ يريدها لزيد كرهت ذلك وامتنعت وامتنع أخوها عبد الله لنسبها ومكانتها من قريش، وأن زيدًا كان بالأمس عبدًا، فلمَّا نزل قَولِهِ تَعَالَى: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤمِنٍ وَلاَ مُؤمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَمرًا أَن يَكُونَ لَـهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمرِهِم﴾** رضيا وقال أخوها: مُرني بما شئت، فزوجها رسول الله ﷺ لزيد.

وقد نزلت هذه الآيات في زينب بنت جحش بنت عمّة النبيّ ﷺ أميمة بنت عبد المطلب، وقد خطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله بن جحش، فنزلت: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤمِنٍ وَلاَ مُؤمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَمرًا أَن يَكُونَ لَـهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمرِهِم﴾**، فلمَّا نزلت قَالَ: رضينا يا رسول الله، فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها ستين دِرهمًا وخمارًا، وملحفة، ودرعًا، وإزارًا، وخمسين مدًّا من طعام، وثلاثين صاعًا من تمر.

والحكمة من هذا الزواج: أن التصاق الأدعياء بالبيوت واتصالهم بأنسابهم كان أمرًا

تدين به العرب وتعدّه أصلًا ترجع إليه في الحسب والشرف، وكانوا يعطون الدّعي جميع حقوق الابن ويُجرُون عليه الأحكام التي يعطونها للابن حَتَّى الميراث وحرمة النسب، فأراد الله محو ذلك بالإسلام حَتَّى لا يعرف إلا النَّسَب الصريح، ومن ثُمَّ قَالَ في أول السورة: ﴿**وَمَا جَعَلَ أَدعِيَاءَكُم أَبنَاءَكُم ذَلِكُم قَولُكُم بِأَفوَاهِكُم وَاللَّـهُ يَقُولُ الـحَقَّ وَهُوَ يَهدِي السَّبِيلَ * ادعُوهُم لآبَائِهِم هُوَ أَقسَطُ عِندَ اللَّهِ**﴾ [الأحزاب: ٤، ٥]. وبهذا حرّم عَلَى المسلمين أن ينسبوا الدّعي إلى مَن تبنّاه، وألَّا يكون للمتبّني إلا حق المولى والأخ في الدِّين وحظر عليهم أن يقتطعوا له من حقوق الابن لا قليلا ولا كثيرًا[١].

وما رسخ في النفوس بحكم العادة لا يمكن التخلّص منه إلا بإرادة قويّة، ومن ثُمَّ ألهم اللَّـهُ رسوله أن يلغي هذا الحكم بالعمل، ومِن ثَمّ أرغم بنت عمّته لتتزوج بزيد وهو متبنّاه ليكون هذا الزواج مقدمة لتشريع إلهي جديد، ذلك أَنَّهُ بعد أن تزوجها زيد جعلت تفخر عليه بنسبها، فاشتكى منها إلى رسول الله ﷺ المرة بعد المرة وهو ﷺ يغلبه الحياء في تنفيذ حكم الله، ويقول لزيد: «**أمسِك عليك زوجك واتق الله**»، إلى أن غلب حكمُ الله وسمح لزيد بطلاقها، ثُمَّ تزوجها بعد ذلك ليمزّق حجاب تلك العادة كما قَالَ: ﴿**لِكَي لاَ يَكُونَ عَلَى المُؤمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزوَاجِ أَدعِيَائِهِم إِذَا قَضَوا مِنهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمرُ اللَّهِ مَفعُولًا**﴾ ثم أكّد هذا بقوله: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُم وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّـهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا**﴾.

قَالَ العوفي عن ابن عباس - رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا - قَولِهِ تَعَالَى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤمِنٍ وَلاَ مُؤمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَمرًا أَن يَكُونَ لَـهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمرِهِم**﴾ الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب زينب على فتاه زيد بن حارثة - رَضِي الله عَنهُ - فدخل على زينب بنت جحش الأسديّة رضي الله عنها فخطبها فقالت: لستُ بناكحته، قَالَ رسول الله ﷺ: «**بلى فانكحيه**»، قالت: يا رسول الله أؤمر في نفسي؟ فبينا هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله ﷺ قالت: قد رضيتُه يا رسول الله منكحًا؟ قَالَ

---

(١) يقع كثيرًا من الجُهّال اليوم في خطأ فاحش: يتبنّى ولدًا ويكتبه باسمه، تحت دعوى الشفقة على اليتيم، فيكبر هَذَا الولد ويخلو بامرأة مَن تبنّاهُ، ثم يرثه بعد موته، وهذا ذنبٌ عظيم ومخالفة صريحة للقرآن.

رسول الله ﷺ: «نعم»، قالت: إذًا لا أعصي رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي.

وقال ابن عباس - رَضِي الله عَنهُما -: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤمِنٍ وَلاَ مُؤمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَمرًا أَن يَكُونَ لَـهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمرِهِم﴾ هذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا ولا رأي ولا قول.

قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذ تَقُولُ لِلَّذِي أَنعَمَ اللَّـهُ عَلَيهِ وَأَنعَمتَ عَلَيهِ أَمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخفِي فِي نَفسِكَ مَا اللَّـهُ مُبدِيهِ وَتَخشَى النَّاسَ وَاللَّـهُ أَحَقُّ أَن تَخشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيدٌ مِّنهَا وَطَرًا زَوَّجنَاكَهَا لِكَي لاَ يَكُونَ عَلَى المُؤمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزوَاجِ أَدعِيَائِهِم إِذَا قَضَوا مِنهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمرُ اللَّهِ مَفعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

إنعام الله تعالى عَلَى زيدٌ إنما يتجلى في نعمة الإسلام والتوحيد والهدي إلى الحقّ، وإنعام النبي ﷺ عليه بفضل الله تعالى إنما هُوَ بالعتق والتحرير.

وكان رسول الله ﷺ قَد زوّجه بابنة عمته زينب بنت جحش رضي الله عنها، وأُمها أميمة بنت عبد المطلب، وأصدقها عشرة دنانير وستين درهمًا، وخمارًا، وملحفًا، ودرعًا، وخمسين مدًّا من طعام، وعشرة أمداد من تمر؛ قاله مقاتل بن حيان.

فمكثت عنده قريبًا من سنة أو فوقها، ثُمَّ وقع بينها فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يقول له: ﴿أَمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾.

قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَتُخفِي فِي نَفسِكَ مَا اللَّـهُ مُبدِيهِ وَتَخشَى النَّاسَ وَاللَّـهُ أَحَقُّ أَن تَخشَاهُ﴾ أي: تُخفي في نفسك الأمر الذي أعلمك الله به من أن زيدًا سيُطلق زينب وستكون زوجًا لك، وقد كان رسول الله ﷺ قَد غلبه الحياء فأخفى هذا الأمر، كما أَنَّهُ كان يخشى أن يقول النَّاس عنه إنَّهُ تزوج امرأة متبناه، وقد روى البخاري أن هذه الآية ﴿وَتُخفِي فِي نَفسِكَ مَا اللَّـهُ مُبدِيهِ...﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة - رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا -.

ونقل ما رواه المفسِّرون والمحدّثون في هذه القضية:

قَالَ ابن حجر: «وكان رسُول اللهّ ﷺ أراد أن يُزوِّجها زيد بن حارِثة مولاهُ فكرِهت ذلِك، ثُمّ إنّها رضِيت بِما صنع رسُول اللهّ ﷺ فزوّجها إِيّاهُ، ثُمّ أعلم اللهّ عزّ وجلّ نبِيّهُ ﷺ

بعدُ أنّها مِن أزواجه فكان يستحِي أن يأمُر بِطلاقِها، وكان يخشى النّاس أن يعِيبُوا عليهِ ويقُولُوا تزوّج اِمرأة اِبنه، وكان قد تبنّى زيدًا.

وفي رواية عن عليّ قال: «أعلم اللهّ نبيّه ﷺ أنّ زينب ستكُونُ مِن أزواجه قبل أن يتزوّجها، فلمّا أتاهُ زيد يشكُوها إِليهِ وقال لهُ: «اتّقِ اللهّ وأمسِك عليك زوجك»، قال الله: قد أخبرتُك أنّي مُزوِّجُكها، ﴿وتُخفِي فِي نَفسكَ مَا اللَّهُ مُبدِيه﴾».

وقد أطنب التِّرمِذِيّ الحكِيم فِي تحسِين هذِهِ الرِّواية، وقال: إِنّها مِن جواهِر العِلم المكنُون».

ثُمّ يقول ابن حجر: «والحاصِل أنّ الّذِي كان يُخفِيه النّبيّ ﷺ هُو إِخبار اللهّ إِيّاهُ أنّها ستصِيرُ زوجته، والّذِي كان يحمِلهُ على إِخفاء ذلِك خشية قول النّاس تزوّج اِمرأة اِبنه، وأراد اللهّ إِبطال ما كان أهل الجاهِلِيّة عليهِ مِن أحكام التّبنّي بِأمرٍ لا أبلغ فِي الإِبطال مِنهُ وهُو تزوُّج اِمرأة الّذِي يُدعى اِبنًا. ووُقُوع ذلِك مِن إِمام المُسلِمِين لِيكُون أدعى لِقبُولِهِم. وإِنّما وقع الخبط فِي تأوِيل مُتعلّق الخشية، واللهّ أعلم.

وقد أخرج التِّرمِذِيّ بسنده عن عائِشة قالت: لو كان رسُول اللهّ ﷺ كاتِمًا شيئًا مِن الوحي لكتم هذِهِ الآية ﴿وإِذ تَقُولُ لِلَّذِي أنعَمَ اللهُّ عَلَيه...﴾ الآية.

وإِنّ رسُول اللهّ ﷺ لمّا تزوّجها قالُوا: تزوّج حلِيلة اِبنه، فأنزل اللهّ تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُم وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]». ا.هـ[١].

وقال علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن[٢]:

فإن قلت: ما ذكروه في تفسير هذه الآية وسبب نزولها، من وقوع محبتها في قلب النبي ﷺ عندما رآها وإرادته طلاق زيد لها؛ فيه أعظم الحرج، وما لا يليق بمنصبه ﷺ من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا.

قلت: هذا إقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي ﷺ وبفضله وكيف يقال: رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت؟!

---

(١) «الفتح» (١٠/ ١٤٢).

(٢) توفى سنة ٧٢٥هـ.

قَالَ: وأصح ما في هذا الباب.... أن الله عاتبه وقال: لم قلت: أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك؟ وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء، وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى: ﴿زَوَّجنَاكَهَا﴾فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها لكان يظهر ذلك؛ لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره، فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته وإنما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدًا أن التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضي» ا.هـ[1].

وعلى الله قصد السبيل.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيدٌ مِّنهَا وَطَرًا زَوَّجنَاكَهَا لِكَي لاَ يَكُونَ عَلَى المُؤمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزوَاجِ أَدعِيَائِهِم إِذَا قَضَوا مِنهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمرُ اللَّهِ مَفعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

المقصود بالوطر: الحاجة والأرب، والمراد أَنَّهُ لَـمَّا قضى زيد حاجته من زينب وتزوجها وعاش معها ثُمَّ طُلقت، ﴿زَوَّجنَاكَهَا﴾ وذلك لحكمة بالغة وهدف حكيم بيّنه اللَّـهُ في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿لِكَي لاَ يَكُونَ عَلَى المُؤمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزوَاجِ أَدعِيَائِهِم إِذَا قَضَوا مِنهُنَّ وَطَرًا﴾ لما فصل الله تعالى في القضيّة وقال: ﴿ادعُوهُم لآبَائِهِم هُوَ أَقسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّـم تَعلَمُوا آبَاءَهُم فَإِخوَانُكُم فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُم﴾ [الأحزاب: ٥]، فبعد إبطال الإسلام للتبنّي صارت امرأة المتبنّي بعد طلاقها مِمَّن أحلهنّ الله للمتبنّي إذا تزوجها، ﴿وَكَانَ أَمرُ اللَّهِ مَفعُولًا﴾ أي: نافذًا فالله تعالى إذا حكم لا معقّب لحكمه، وإذا قضى فلا راد لقضائه، وهو سريع الحساب.

---

(١) «تفسير الخازن» (٤/ ٢٦٢).

قَولِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِن حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّـهُ لَـهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلُ وَكَانَ أَمرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِن حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّـهُ لَـهُ﴾ أي: فيما أحلّ له وأمره به من تزويج زينب رضي الله عنها التي طلقها دعيّه زيد بن حارثة رَضِي الله عَنهُ.

وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلُ﴾ أي: هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج وهذا رَدّ عَلَى مَن توهّم من المنافقين نقصًا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيّه الذي كان قَد تبناه.

﴿وَكَانَ أَمرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقدُورًا﴾ أي: وكان أمره الذي يقدره كائنًا لا محالة وواقعًا لا محيد عنه، ولا معدل فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخشَونَهُ وَلاَ يَخشَونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا * مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُم وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّـهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٩، ٤٠].

نشهد يا رسول الله أنك بلغت الرسالة، وأدّيتَ الأمانة ونصحت الأُمّة، ومحوت الظّلمة، وكشفت الغُمّة، وجاهدت في الله حقّ جِهاده حَتَّى أتاك اليقين، فجزاك الله عنا خيرًا.

يـــا داعـــيًا للـــواحد الــدَّيان	يـــا هازمًـــا للبغـــي والطغـــيان
يــا رافعًــا صــوت العدالــة عالــيا	ومـــؤذنًا في الـــنَّاس بالقُـــرآن

لقد ورثت أُمّته مقام البلاغ بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضي الله عنهم، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره، وسرّه وعلانيته، فرضي الله عنهم أجمعين وأرضاهم، ثُمَّ ورثه كل خلف عن سلفهم إلى أن يرث اللَّـهُ الأرض ومَن عليها، فبنورهم يقتدى المهتدون وعلى منهجهم يسلك الموفقون.

قَولِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُم وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّـهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

نهى أن يُقال بعد هذا: زيد بن محمد، أي: لم يكن أباه وإن كان قَد تبنَّاه، فإنه ﷺ لم يعش له ولد ذَكَر حَتَّى بلغ الحُلُم، فإنه ﷺ وُلِدَ له القاسم والطيّب والطّاهر من خديجة رضي الله عنها، فماتوا صغارًا، وولد له ﷺ إبراهيم من مارية القبطيّة، فمات أيضًا رضيعًا، وكان له ﷺ من خديجة أربع بنات: زينب، ورقيّة، وأُمّ كلثوم، وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين، فمات في حايته ﷺ ثلاث وتأخّرت فاطمة رضي الله عنها حَتَّى أُصيبت به ﷺ ثُمَّ ماتت بعده لستة أشهر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فهذه الآية نص في أنَّهُ لا نبيّ بعده وإذا كان لا نبيّ بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى» ا.هـ[(١)].

عباد الله...

والحديث عن زيد - رَضِيَ الله عَنهُ - لم ينته بعد، فهناك جوانب أخرى مهمّة في حياته، سنتكلم عنها في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى. فإلى اللقاء.



---

(١) «في رحاب التفسير» (٥/ ٤١٩٦ - ٤٢٠٦) باختصار شديد.

الخطبة التاسعة والأربعون

[ب] مع زيد بن حارثة

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن: زيد بن حارثة رَضِي الله تَعَالى عَنهُ.

عباد الله...

وردت أحاديث في فضائل زيد - رَضِي الله عَنهُ - منها:

(١) قَالَ سلمة بن الأكوع: غزوتُ مع رسول الله ﷺ، وغزوت مع زيد بن حارثة، وكان يؤمِّره علينا[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) وعن محمد بن أسامة، عن أبيه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «يَا زَيدُ أنت مولاي، وَمِنِّي وَإِلَيَّ، وَأَحَبُّ القَومِ إِلَيَّ»[١].

هذا هُوَ الشرف وربّ الكعبة.

- شهد زيدٌ - رَضِي الله عَنهُ - بدرًا وأُحُدًا والخندق والحديبية وخيبر، واستخلفه رسول الله ﷺ عَلَى المدينة خرج إلى المريسيع وخرج - رَضِي الله عَنهُ - أميرًا في سبع سرايا:

من هذه السّرايا:

(١) سريّة القَرَدَة[٢]:

هي أول سرية خرج فيها زيد أميرًا، وخرج لهلال جمادى الآخرة عَلَى رأس سبعة وعشرين شهرًا من مهاجر النبي ﷺ، أي: في السنة الثالثة.

وكانت قريش قَد حذرت طريق الشام أن يسلكوها، وخافوا من رسول الله ﷺ وأصحابه، وكانوا قومًا تجارًا، فقال صَفوان بن أُميَّة: إنَّ مُحَمَّدًا وأصحابه قَد عَوروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، لا يبرحن السَّاحل، وأهل السَّاحل قَد وَادَعَهُم ودخل عامَّتُهُم معه؟ فما ندري أين نسلك؟ وإن أقمنا نأكل رءوس أموالنا ونحن في دارنا هذه، ما لنا بها نِفَاق[٣]، إنما نزلناها عَلَى التجارة إلى الشام في الصَّيف وفي الشتاء إلى أرض الحبشة، فقال له الأسود بن المطَّلب: فَنَكِّب[٤] عَلَى السَّاحل، وخذ طريق العراق.

ولم يكن صفوان عالمًا بطريق العراق، فاستأجر دليلًا يدعى: «فُرَاتَ بن حَيَّان العِجِليّ» الذي قَالَ لصفوان: أنا أسلك بك طريق العراق، ليس يطؤها أحد من أصحاب محمد، إنما هي أرض نَجدٍ وفيافٍ، فقال له صفوان: فهذه حاجتي، أما الفيافي

---

(١) حسن: رواه الحاكم (٣/ ٢١٧)، وصححه، ووافقه الذهبيّ، وحسنه الحافظ في «الإصابة».

(٢) القَرَدَة: من أرض نجد، بين الرَّبذة والغَمرَة ناحية ذات عرق، وذات عرق: مَهَلّ أهل العراق للحج، وهو الحدّ بين نجد وتُهامة.

(٣) وفي بعض النسخ: «ما لنا بها بقاء»، والنفاق: جمع النفقة.

(٤) نكب: عدل وتنحّى.

فنحن شَاتُونَ، وحاجتنا إلى الماء اليوم قليل.

وتجهَّز صفوان، وأرسل معه أبو زَمعَةَ بثلاثمائة مثقال ذهبٍ ونُقَر[(١)] فضَّة، وبعث معه رجالًا من قريش ببضائع، وخرج معه عبد الله بن أبي ربيعة وحُوَيطب بن عبد العُزَّى في رجال من قريش، وخرج صفوان بمال كثير (نُقَر فضّة، وآنية فضة وزن ثلاثين ألف درهم)، وخرجوا عَلَى ذات عِرق.

وقدم المدينةَ نُعَيمُ بن مسعود الأشجَعِيُّ، وهو على دين قومه، فنزل عَلَى كِنانة بن أبي الحُقيق في بني النَّضير من يهود، فشرب معه، وشرب معه سَليط بن النُّعمان بن أسلم - ولم تحرَّمِ الخمر يومئذٍ - وهو يأتي بني النَّضير ويصيب من شرابهم، فَذَكَر نُعَيمُ خروج صفوان في عِيرِهِ وما معهم من الأموال، فخرج من ساعته إلى النبي ﷺ فأخبره، فأرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في مائة راكب، فاعترضوا عِير قريش وأصابوها، وأفلتَ أعيان قريش، وأسروا رجلًا أو رجلين.

وقدم زيد بالعِير عَلَى النبيِّ ﷺ فخمَّسها، فكان الخُمس يومئذٍ قيمة عشرين ألف درهم، وقسّم ما بقي عَلَى أهل السرية.

وكان في الأسرى فُراتُ بن حيَّان، فَأُتِي به فأسلم[(٢)].

وهكذا صَعَّد النبي ﷺ بهذه الغزوة الحصار الاقتصادي عَلَى قريش، فهدد طريق تجارتهم إلى العراق أيضًا، بعد أن هَدَّد طريق (مكَّة - الشَّام) وطريق (مكَّة - الطائف) في غزواته وسَرَايَاهُ السابقة[(٣)].

(٢) سريّة الطَّرَف[(٤)]:

بعث النبيُّ زيدًا عَلَى سرية إلى الطَّرِف في جمادى الآخرة من سنة ست الهجريَّة، والطرف: ماء قريب من المِرَاضِ دون النُّخَيل عَلَى ستة وثلاثين ميلًا من المدينة، طريق

---

(١) **النقر**: القطعة المذابة من الذهب والفضة.

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٢٩، ٤٣٠)، و«المغازي» للواقدي (١/ ١٩٧، ١٩٨).

(٣) «فرسان النهار» (٣/ ١٢، ١٣).

(٤) **الطّرف**: ماء قريب من المرقى دون النُّخيل، وهو على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة باتجاه العراق.

البَقَرة عَلَى المحجَّة.

وخرج زيد إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلًا، فأصاب نَعَمًا وشاءً، وهربت الأعراب، وصبَّح زيد بالنَّعم المدينة، وهي عشرون بعيرًا، ولم يلق كيدًا، وغاب أربعة ليالٍ، وكان شعارهم: «أَمِت... أَمِت».

وكان هدف هذه السريَّة: تأمين المدينة القاعدة الأمينة للإسلام، وفرض سيطرة المسلمين عَلَى القبائل بالهجوم عليها؛ لأن الهجوم أنجع وسائل الدفاع؛ إذ إنَّ الأعراب إذا لم يُهاجموا من المسلمين، هاجموا المسلمين، كما هُوَ دأبهم[1].

(٣) سريّة حِسمى[2]:

بَعَثَ النبيُّ ﷺ زيدًا عَلَى سرية إلى حِسمَى - وهي وراء وادي القُرَى - في جمادى الآخرة من السنة السَّادسة الهجريّة.

وسبب بعث هذه السريّة: أنَّ دحيَةَ بن حليفة الكلبيَّ - وكان مسلمًا ومن كبار الصَّحابة - أقبل من عند قيصر الرُّوم، وقد أجَارَهُ وكَسَاهُ، فلقيّه الهُنَيد بن عارِض وابنه عارِض بن الهُنَيد في ناس من بني جَذَام بـ«حِسمَى» فقطعوا عليه الطريق، ولم يتركوا عليه إلا سَمَل ثوب، فسمع بذلك نَفرٌ من بني الضُّبَيبِ، فنفروا إليهم، واستنقذوا لدحيّة متاعَهُ.

وقَدِمَ دحيَةُ عَلَى النبيِّ ﷺ فأخبره بذلك، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل، وَرَدَّ معه دحيَةَ.

وكان زيد يسير اللَّيل ويكمن النَّهار، ومعه دليل من بني عُذرَة، فأقبل بهم حَتَّى هجم بهم مع الصُّبح عَلَى القوم، فأغاروا عليهم وقتلوا فيهم فأوجعوا، وقتلوا الهُنَيد وابنَهُ، وأغاروا عَلَى ماشيتهم ونَعَمهم ونسائهم، فأخذوا من النَّعَمِ ألف بعير، ومن الشَّاء خمسة آلاف شاة، ومن السَّبي مائة من النساء والصبيان.

---

(١) «فرسان النهار» (٣/ ١٧).

(٢) حسمى: أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القُرى ليلتان، وبين وادي القرى والمدينة ست ليال.

وبعث النبيُّ ﷺ علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلّي بينهم وبين حُرُمِهِم وأموالهم، فتَوجَّه عليٌّ فلقي رافع بن مَكِيث الجُهَنِيَّ - بَشيرَ زيد ابن حارثة - عَلَى ناقة من إبل القوم؛ فَرَدَّها عليٌّ عَلَى القوم، ولقى زيدًا بالفَحلتَين - وهي بين المدينة وذي المَروَةِ - فأبلغه أمر رسول الله ﷺ فرَدَّ إلى النَّاس كُلَّ ما كان أُخذ لهم[١].

وكان الهدف من هذه السريّة: تأديب بني جُذام الذين اعتدوا عَلَى دحيَةَ بن خليفة الكلبيّ، وهم يعلمون أَنَّهُ أحد المسلمين، وليس النبيُّ ﷺ بالذي يرضى باعتداء أحد عَلَى مسلم من المسلمين، لأن الاعتداء عليه اعتداء عَلَى المسلمين كافة[٢].

(٤) سريّة وادي القُرَى[٣]:

بعث النبيُّ ﷺ زيد بن حارثة عَلَى رأس سرية إلى وادي القُرى في رجب من السنة السادسة الهجريّة، لتأديب بني فَزَارَةَ، فأصيبت هذه السرية وتَسَلَّل زيد من بين القتلى وعاد إلى المدينة، فآلَى عَلَى نفسه ألَّا يَمَسَّ رأسه غُسل جنابة حَتَّى يغزو بني فَزَارَة.

وفي رواية: أنَّ زيدًا خرج في تجارة إلى الشَّام، ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ حَتَّى إذا كان دون وادي القُرى ومعه ناس من أصحابه، لقيه ناس من بني فَزَارَة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه حَتَّى ظَنُّوا أن قَد قتلوا، وأخذوا ما كان معه ثُمَّ استَبَلَّ[٤] زيد، فعاد زيد إلى المدينة[٥].

وهذه الرواية أقرب إلى المنطق وسير الحوادث.

ويبدوا أنَّ المسلمين لم يكتفوا بقطع الطريق التجاريّة (مكَّة - الشَّام) عَلَى تجارة قريش، بل أرادوا استغلال هذه الطريق لتجارتهم بهدف تحسين أوضاعهم الاقتصادية، ولكنَّهم أخفقوا في ذلك، إذ تَبَيَّن لهم أنَّ الوقت لا يزال مُبكِّرًا لاستغلال هذه

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٨٨)، و«مغازي الواقدي» (٢/ ٥٥٥).
(٢) «فرسان النهار» (٣/ ١٩) باختصار.
(٣) **وادي القُرى**: واد بين المدينة والشام، من أعمال المدينة، كثير القُرى.
(٤) **استبلّ**؛ أي: برأ.
(٥) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٩٠).

الطريق[(١)].

(٥) سريّة أُمّ قِرفة بوادي القُرى:

بعث النبيّ ﷺ زيدًا عَلَى رأس سريّة إلى أُمّ قِرفَةَ بوادي القرى عَلَى سبع ليالٍ من المدينة، في شهر رمضان من السَّنة السَّادسة الهجريّة، وهي من فَزَارَة من بني بدر.

وخرج المسلمون من المدينة، يكمنون النهار ويسيرون الليل، وخرج بهم دليلٌ لهم، ونذرت بهم بنو بدر من فَزَارَةَ، فكانوا يجعلون ناطورًا[(٢)] لهم حين يصبحون، فينظر عَلَى جَبَلٍ لهم مشرفٍ وجه الطريق الذي يرون أنهم يأتون منه، فينظر قدر مسيرة يوم، فيقول: اسرحوا، فلا بأس عليكم، هذه ليلتكم.

فلمّا كان زيد وأصحابه عَلَى مسيرة ليلة، أخطأ بهم دليلهم الطريق، فأخذ بهم طريقًا أُخرى، حَتَّى أمسوا وهم عَلَى خطأ، عرفوا خطأهم ثُمَّ صمدوا[(٣)] لهم في اللَّيل حَتَّى صَبَّحُوهُم، وكان زيد نهاهم عن المطاردة، ثُمَّ أمرهم ألَّا يتفرَّقوا، وقال: «إذا كَبَّرت فكَبِّروا»، ثُمَّ أحط بفزارة في بيوتهم، وكبَّر وكبروا، فَخَرَجَ مَسلمَةُ بن الأكوَع فطلب رجلًا منهم حَتَّى قتله، وأخذ جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر، وجدها في بيت من بيوتهم، وهي ابنة أُم قِرفَةَ، واسم أُم قِرفَة: فاطمة بنت ربيعة بن بدر، كما أخذوا أُمَّ قِرفَة، فقتلها قيس بن المُحَسِّر، وقتل النُّعمان وعبيد الله ابني مَسعَدة بن حَكَمَة بن مالك بن بدر[(٤)].

وكانت العرب تقول: «لو كانت أعَزَّ من أُمّ قرفة» لأنها كانت يُعَلَّق في بيتها خمسون سيفًا كلُّهم لها ذو محرم.

وعاد زيد إلى المدينة، فقرع باب النبي ﷺ فخرج إليه مسرعًا واعتنقه وقَبَّلَهُ، فأخبره زيد بانتصاره وغنائمه.

---

(١) «فرسان النَّهار» (٣/ ٢١).

(٢) **الناطور**: حافظ الكرم، والمعنى هنا: الرّاصد.

(٣) **صمدوا لهم**؛ أي: ثبتوا لهم وقصدوهم وانتظروا غفلتهم.

(٤) في «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٦٥): قُتل عبد الله بن مَسعدة، وقُتل بن النّعمان بن مَسعدة بن حَكَمةَ بن مالك بن بدر.

أما جارية ابن أُم قرفة، فقد وهَبَها مَسلمَةُ بن الأكوع لرسول الله ﷺ فوَهَبَها لِحَزن ابن أبِي وَهبٍ - خال النبيِّ ﷺ - فولدت له امرأةً ليس له منها ولد غيرها.

وهكذا أخذ زيد بثأر المسلمين الذين قتلتهم فزَارَةُ، وأعاد هيبة المسلمين إلى تلك المنطقة، ولقَّن فزارة درسًا لا ينسونه أبدًا كما لقَّن غيرها من القبائل مِثلَ هذا الدَّرس[1].

عباد الله...

هذه بعضُ السّرايا التي قادها زيد بن حارثة - رَضِي الله عَنهُ - وهي تكشف لنا عن شخصيته أُشرِب قلبها حُبّ الله ورسوله.

فلله دَرُّ أصحاب مُحَمَّد ﷺ، ما أحلاهم، وما أروعهم، وما أحلى قول نبيِّنا ﷺ فيهم: «**لَا تَسُبُّوا أَصحَابِي فَلَو أَنَّ أَحَدَكُم أَنفَقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم وَلَا نَصِيفَهُ**».

فقبَّح الله الرافضة ما أجهلهم وما أحمقهم.

اللهُمَّ إنَّا نتبرأ مِمَّن تبرأ من أصحاب النبيّ ﷺ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

تقدّم معنا: أنَّ النبيّ ﷺ كان يُحبّ زيدًا وولده أُسامة حُبًّا شديدًا.

ولما عينه أميرًا على بعض الجيوش طعن بعض النَّاس في إمارته.

ولما عيّن ابنه أُسامة بعد ذَلِكَ طعن النَّاس في إمارته أيضًا، فقال ﷺ: «**إن تَطعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَد طَعَنتُم فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِن قَبلِهِ وَايمُ اللَّهِ لَقَد كَانَ خَلِيقًا لِلإِمَارَةِ وَإِن كَانَ مِن أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَإِنَّ هَذَا لَمِن أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعدَهُ**». رواه البخاري وأحمد.

---

(١) «فرسان النَّهار» د. العفاني (٣/ ٢١، ٢٢).

والمقصود: أن زيدًا ظل بجوار النبيّ ﷺ يقاتل عن الدِّين الذي شرفه الله به، ويؤدِّي ما افترض الله عليه، ويبذل كل جهده في سبيل الله مرضاة ربّه سبحانه وتعالى.

عَينهُ على الآخرة، وغايته مرضاة ربِّه، وهدفه نُصرة الإسلام، وهكذا كان كل الأصحاب رضي الله عنهم.

اسمعوا إلى ربكم وهو يقول: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحسَانٍ رَّضِيَ اللَّـهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ وَأَعَدَّ لَـهُم جَنَّاتٍ تَجرِي تَحتَهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ثم ماذا؟

ثُمَّ ختم الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى لزيد بالشهادة، وذلك هُوَ الفوز العظيم.

فكيف استُشهد؟ وفي أي موقعة كان استشهاده؟

هذا ما سوف نذكره في حديثنا عن صاحبيه: جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة رَضِي اللَّـهُ عَنهُمَا.

فإلى اللقاء إن شاء الله.

الخطبة الخمسون

مع جعفر بن أبي طالب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فنحن اليوم عَلَى موعدٍ مع أبي المساكين جعفر بن أبي طالب رَضِي الله عَنهُ.

هُوَ جعفر ابن عمّ رسول الله ﷺ، وأخو عليّ بن أبي طالب لأبويه، وهو جعفر الطيَّار، وكان أشبه النَّاس برسول الله ﷺ خُلُقًا وخَلقًا، أسلم بعد إسلام أخيه عليّ بقليل.

قيل أسلم بعد واحد وثلاثين إنسانًا، وكان هُوَ الثاني والثلاثين، قاله ابن إسحاق.

وله هجرتان: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة.

وكان رسول الله ﷺ يُسمِّيه «أبا المساكين»، وكان أسنّ من عليّ بعشر سنين، وأخوه عُقيل أسنّ منه بعشر سنين، وأخوهم طالب أسنّ من عُقيل بعشر سنين.

عباد الله...

وفي الحبشة دار حوار طويل بن جعفر والنجاشي - رَضِي اللَّهُ عَنهُمَا - أسلم النجاشيّ عَلَى إثره.

وتُحدِّثنا أُمّ سلمة عمَّا حدث هناك فتقول: «لَـمَّا ضاقت علينا مكَّة وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفُتِنُوا، وأروا ما يصيبهم من البلاء، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان هُوَ في مَنعَةٍ من قومه وعَمِّه، لا يصل إليه شيءٌ مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**لَو خَرَجتُم إِلَى أَرضِ الحَبَشَةِ، فَإِنّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظلَمُ عِندَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرضُ صِدقٍ، حَتّى يَجعَلَ الله لَكُم فَرَجًا**»، فخرجنا إليه أرسالًا، حَتَّى اجتمعنا فنزلنا بخير دار إلى خير جَار، وأمنَّا عَلَى ديننا» ا.هـ. [1].

وفي رواية: أنها قالت:

«لَمَّا نَزَلنَا أَرضَ الحَبَشَةِ، جَاوَرنَا بِهَا خَيرَ جَارٍ «النّجَاشِيّ»، أَمِنّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدنَا الله تَعَالَى لَا نُؤذَى وَلَا نَسمَعُ شَيئًا نَكرَهُهُ، فَلَمّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيشًا، ائتَمَرُوا بَينَهُم أَن يَبعَثُوا إِلَى النّجَاشِيّ فِينَا رَجُلَينِ مِنهُم جلدَينِ وَأَن يُهدُوا لِلنّجَاشِيّ هَدَايَا مِمّا يُستَطرَفُ مِن مَتَاعِ مَكّةَ، وَكَانَ مِن أَعجَبِ مَا يَأتِيهِ مِنهَا الأُدمُ[2] فَجَمَعُوا لَهُ أُدمًا كَثِيرًا، وَلَم يَترُكُوا مِن بَطَارِقَتِهِ بِطرِيقًا إلّا أهدَوا لَهُ هَدِيّةً، ثُمّ بَعَثُوا بِذَلِكَ عَبدَ الله بنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمرَو بنَ العَاصِ، وَأَمَرُوهُمَا بِأَمرِهِم وَقَالُوا لَهُمَا: ادفَعَا إِلَى كُلّ بِطرِيقٍ هَدِيّتَهُ قَبلَ أَن تُكَلّمَا النّجَاشِيّ فِيهِم، ثُمّ قَدّمَا إِلَى النّجَاشِيّ هَدَايَاهُ ثُمّ سَلَاهُ أَن يُسَلّمَهُم إِلَيكُمَا قَبل أَن يُكَلّمَهُم.

قَالَت: فَخَرَجَا حَتّى قَدِمَا عَلَى النّجَاشِيّ، وَنَحنُ عِندَهُ بِخَيرِ دَارٍ عِندَ خَيرِ جَارٍ فَلَم يَبقَ مِن بِطَارِقَتِهِ بِطرِيقٌ إلّا دَفَعَا إِلَيهِ هَدِيّتَهُ قَبل أَن يُكَلّمَا النّجَاشِيّ، وَقَالَا لِكُلّ بِطرِيقٍ مِنهُم إِنّهُ قَد ضَوَى[3] إِلَى بَلَدِ المَلِكِ مِنّا غِلمَانٌ دِينَ قَومِهِم وَلَم يَدخُلُوا فِي دِينِكُم وَجَاءُوا

---

(١) **إسناده صحيح**: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٣٤)، أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١١٥).

(٢) **الأدم**: الجلود وهو اسم جمع.

(٣) **ضوى**: لجأ وأتى ليلًا.

بِدِينٍ مُبتَدَعٍ لَا نَعرِفُهُ نَحنُ وَلَا أَنتُم وَقَد بَعَثَنَا إِلَى المَلِكِ فِيهِم أَشرَافَ قَومِهِم لِيَرُدَّهُم إِلَيهِم فَإِذَا كَلَّمنَا المَلِكَ فِيهِم فَأَشِيرُوا عَلَيهِ بِأَن يُسَلِّمَهُم إِلَينَا وَلَا يُكَلِّمَهُم فَإِنَّ قَومَهُم أَعلَى بِهِم عَينًا[١]، وَأَعلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيهِم فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَم.

ثُمَّ إِنَّهُمَا قَدَّمَا هَدَايَاهُمَا إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا لَهُ أَيُّهَا المَلِكُ إِنَّهُ قَد ضَوَى إِلَى بَلَدِك مِنَّا غِلمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَومِهِم وَلَم يَدخُلُوا فِي دِينِك، وَجَاءُوا بِدِينٍ ابتَدَعُوهُ لَا نَعرِفُهُ نَحنُ وَلَا أَنت، وَقَد بَعَثَنَا إِلَيك فِيهِم أَشرَافُ قَومِهِم مِن آبَائِهِم وَأَعمَامِهِم وَعَشَائِرِهِم لِتَرُدَّهُم إِلَيهِم فَهُم أَعلَى بِهِم عَينًا، وَأَعلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيهِم وَعَاتَبُوهُم فِيهِ.

قَالَت: وَلَم يَكُن شَيءٌ أَبغَضَ إِلَى عَبدِ الله بن أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمرِو بنِ العَاصِ[٢] مِن أَن يَسمَعَ كَلَامَهُم النَّجَاشِيّ.

قَالَت: فَقَالَت بَطَارِقَتُهُ حَولَهُ: صَدَقَا أَيُّهَا المَلِكُ قَومُهُم أَعلَى بِهِم عَينًا، وَأَعلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيهِم فَأَسلِمهُم إِلَيهِمَا فَليَرُدَّاهُم إِلَى بِلَادِهِم وَقَومِهِم.

قَالَت: فَغَضِبَ النَّجَاشِيّ، ثُمَّ قَالَ: لَاهَا الله إِذَن لَا أُسلِمُهُم إِلَيهِمَا، وَلَا يَكَادُ قَومٌ جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلَادِي، وَاختَارُونِي عَلَى مَن سِوَايَ حَتَّى أَدعُوَهُم فَأَسأَلَهُم عَمَّا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمرِهِم فَإِن كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسلَمتهم إِلَيهِمَا، وَرَدَدتُهُم إِلَى قَومِهِم وَإِن كَانُوا عَلَى غَيرِ ذَلِكَ مَنَعتُهُم مِنهُمَا، وَأَحسَنتُ جِوَارَهُم مَا جَاوَرُونِي.

قَالَت: ثُمَّ أَرسَلَ إِلَى أَصحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَدَعَاهُم فَلَمَّا جَاءَهُم رَسُولُهُ اجتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعضُهُم لِبَعضٍ مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئتُمُوهُ؟

قَالُوا: نَقُول: والله مَا عَلِمنَا، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاءُوا، وَقَد دَعَا النَّجَاشِيّ أَسَاقِفَتَهُ[٣] فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُم حَولَهُ.

سَأَلَهُم فَقَالَ لَهُم: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي قَد فَارَقتُم فِيهِ قَومَكُم وَلَم تَدخُلُوا بِهِ دِينِي، وَلَا

---

(١) **أعلى بهم عينًا**؛ أي: أبصر بهم.

(٢) كانت هذه القصّة قبل إسلام عمرو بن العاص – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –.

(٣) **الأساقفة**: هم علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم.

فِي دِينِ أَحَدٍ مِن هَذِهِ المِلَلِ؟.

قَالَت: فَكَانَ الّذِي كَلّمَهُ جعفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ - رِضوَانُ الله عَلَيهِ - فَقَالَ لَهُ: أَيّهَا المَلِكُ كُنّا قَومًا أَهلَ جَاهِلِيّةٍ نَعبُدُ الأَصنَامَ وَنَأكُلُ المَيتَةَ وَنَأتِي الفَوَاحِشَ وَنَقطَعُ الأَرحَامَ وَنُسِيءُ الجِوَارَ وَيَأكُلُ القَوِيّ مِنّا الضّعِيفَ فَكُنّا عَلَى ذَلِكَ حَتّى بَعَثَ الله إلَينَا رَسُولًا مِنّا، نَعرِفُ نَسَبَهُ وَصِدقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إلَى الله لِنُوَحّدَهُ وَنَعبُدَهُ وَنَخلَعَ مَا كُنّا نَعبُدُ نَحنُ وَآبَاؤُنَا مِن دُونِهِ مِن الحِجَارَةِ وَالأَوثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدقِ الحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرّحِمِ، وَحُسنِ الجِوَارِ، وَالكَفّ عَن المَحَارِمِ وَالدّمَاءِ، وَنَهَانَا عَن الفَوَاحِشِ، وَقَولِ الزّورِ، وَأَكلِ مَالِ اليَتِيمِ، وَقَذفِ المُحصَنَاتِ، وَأَمَرَنَا أَن نَعبُدَ الله وَحدَهُ لَا نُشرِكُ بِهِ شَيئًا، وَأَمَرَنَا بِالصّلَاةِ وَالزّكَاةِ وَالصّيَامِ - قَالَت: فَعَدّدَ عَلَيهِ أُمُورَ الإِسلَامِ - فَصَدّقنَاهُ وَآمَنّا بِهِ وَاتّبَعنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِن الله فَعَبَدنَا الله وَحدَهُ فَلَم نُشرِك بِهِ شَيئًا، وَحَرّمنَا مَا حَرّمَ عَلَينَا، وَأَحلَلنَا مَا أَحَلّ لَنَا، فَعَدَا عَلَينَا قَومُنَا، فَعَذّبُونَا، وَفَتَنُونَا عَن دِينِنَا، لِيَرُدّونَا إلَى عِبَادَةِ الأَوثَانِ مِن عِبَادَةِ الله تَعَالَى، وَأَن نَستَحِلّ مَا كُنّا نَستَحِلّ مِن الخَبَائِثِ فَلَمّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَضَيّقُوا عَلَينَا، وَحَالُوا بَينَنَا وَبَينَ دِينِنَا، خَرَجنَا إلَى بِلَادِك، وَاختَرنَاك عَلَى مَن سِوَاك؛ وَرَغِبنَا فِي جِوَارِك، وَرَجَونَا أَن لَا نُظلَمَ عِندَك أَيّهَا المَلِكُ.

قَالَت: فَقَالَ لَهُ النّجَاشِيّ: هَل مَعَك مِمّا جَاءَ بِهِ عَن الله مِن شَيءٍ؟

فَقَالَ لَهُ جَعفَرٌ: نَعَم.

فَقَالَ لَهُ النّجَاشِيّ: فَاقرَأهُ عَلَيّ.

قَالَت: فَقَرَأَ عَلَيهِ صَدرًا مِن ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١].

قَالَت: فَبَكَى والله النّجَاشِيّ حَتّى اخضَلّت لِحيَتُهُ، وَبَكَت أَسَاقِفَتُهُ حَتّى أَخضَلّوا مَصَاحِفَهُم حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيهِم.

ثُمّ قَالَ لَهُم النّجَاشِيّ: إنّ هَذَا وَالّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لَيَخرُجُ مِن مِشكَاةٍ وَاحِدَةٍ انطَلِقَا، فلا والله لا أُسلمهم إليكما، ولا يُكادون.

قَالَت فَلَمّا خَرَجَا مِن عِندِهِ قَالَ عَمرُو بنُ العَاصِ: والله لَآتِيَنّهُ غَدًا عَنهُم بِمَا أَستَأصِلُ بِهِ خَضرَاءَهُم[1].

(١) خضراءهم؛ أي: شجرتهم التي تفرعوا منها.

قَالَت: فَقَالَ لَهُ عَبدُ الله بنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانَ أَتقَى الرَّجُلَينِ فِينَا: لَا نَفعَلُ فَإِنَّ لَهُم أَرحَامًا، وَإِن كَانُوا قَد خَالَفُونَا؛ قَالَ: والله لَأُخبِرَنَّهُ أَنَّهُم يَزعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابنَ مَريَمَ عَبدٌ.

قَالَت: ثُمَّ غَدَا عَلَيهِ مِن الغَدِ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا المَلِكُ إِنَّهُم يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابنِ مَريَمَ قَولًا عَظِيمًا، فَأَرسِل إِلَيهِم فَسَلهُم عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ؟

قَالَت: فَأَرسَلَ إِلَيهِم لِيَسأَلَهُم عَنهُ. قَالَت: وَلَم يَنزِل بِنَا مِثلُهَا قَطّ. فَاجتَمَعَ القَومُ ثُمَّ قَالَ بَعضُهُم لِبَعضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابنِ مَريَمَ إِذَا سَأَلَكُم عَنهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ والله مَا قَالَ الله وَمَا جَاءَنَا بِهِ نَبِيُّنَا، كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

قَالَت فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيهِ قَالَ لَهُم: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابنِ مَريَمَ؟

قَالَت: فَقَالَ جَعفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ يَقُولُ: هُوَ عَبدُ الله وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إِلَى مَريَمَ العَذرَاءِ البَتُولِ.

قَالَت: فَضَرَبَ النَّجَاشِيّ بِيَدِهِ إِلَى الأَرضِ فَأَخَذَ مِنهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: والله مَا عَدَا عِيسَى ابنَ مَريَمَ مَا قُلتَ هَذَا العُودَ.

قَالَت: فَتَنَاخَرَت[1] بَطَارِقَتُهُ حَولَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِن نَخَرتُم والله اذهَبُوا فَأَنتُم شُيُومٌ بِأَرضِي - وَالشُّيُومُ: الآمِنُونَ - مَن سَبَّكُم غَرِمَ ثُمَّ قَالَ مَن سَبَّكُم غرم، ثم قَالَ مَن سَبَّكُم غَرِمَ. مَا أُحِبّ أَنَّ لِي دَبَرًا مِن ذَهَبٍ وَأَنِّي آذَيت رَجُلًا مِنكُم.

قَالَ ابنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: دَبَرًا مِن ذَهَبٍ، وَيُقَالُ: فَأَنتُم سُيُومٌ، وَالدَّبَرُ (بِلِسَانِ الحَبَشَةِ): الجَبَلُ .

رُدّوا عَلَيهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا، فَوالله مَا أَخَذَ الله مِنّي الرّشوَةَ حِينَ رَدّ عَلَيّ مُلكِي، فَآخُذَ الرّشوَةَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ النّاسَ فِيّ فَأُطِيعَهُم فِيهِ.

قَالَت: فَخَرَجَا مِن عِندِهِ مَقبُوحَينِ مَردُودًا عَلَيهِمَا مَا جَاءَا بِهِ وَأَقَمنَا عِندَهُ بِخَيرِ دَارٍ مَعَ خَيرِ جَارٍ.

---

(١) تناخرت؛ أي: تكلمت، وكأنه كلام من غضب ونفور.

وفي نهاية الرواية: «فكنا عنده في خير مَنزل، حَتَّى قدمنا عَلَى رسول الله ﷺ وهو بمكَّة» ا.هـ. إسناده صحيح، رواه أحمد.

وما أحوج الدُّعاة اليوم إلى هذا العرض الجيّد للإسلام.

عباد الله...

وكان جعفر - رَضِي الله عَنهُ - أشبه بالنبيّ ﷺ خَلقًا وخُلُقًا.

فعن البراء - رَضِي الله عَنهُ - أن النبيّ ﷺ قَالَ لِجَعفَرٍ: «**أَشبَهتَ خَلقِي وَخُلُقِي**». رواه البخاري.

وكان أجود النَّاس.

عَن أَبِي هُرَيرَةَ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: «وَكُنتُ أُلصِقُ بَطنِي بِالحَصبَاءِ مِن الجُوعِ، وَإِن كُنتُ لَأَستَقرِئُ الرَّجُلَ الآيَةَ هِيَ مَعِي كَي يَنقَلِبَ بِي فَيُطعِمَنِي، وَكَانَ أَخيَرَ النَّاسِ لِلمِسكِينِ جَعفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ كَانَ يَنقَلِبُ بِنَا فَيُطعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيتِهِ، حَتَّى إِن كَانَ لَيُخرِجُ إِلَينَا العُكَّةَ الَّتِي لَيسَ فِيهَا شَيءٌ فَنَشُقُّهَا فَنَلعَقُ مَا فِيهَا». أخرجه البخاري.

والعُكة: زق صغير للسمن.

هذه بعض فضائل جعفر، وسيأتي المزيد إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد حياة حافلة بالعطاء، ختم اللَّـهُ تعالى لعبده جعفر بالشهادة في سبيله.

وكان استشهاده في مؤتة، وكان سبب هذه الغزوة: أن رسول الله ﷺ لَـمَّا بعث جُبيل بن عمرو إلى أمير بُصرى يدعوه إلى الإسلام.

أوثق أميرُ بصرى وثاق جُبيل بن عمرو ثُمَّ قدّمه فضرب عنقه، ولم يُقتل أحدٌ غيره

من بعوث الرسول ﷺ الكثيرة، والرُسل لا يُقتلون، فكان وقع هذه الإهانة شديدًا عَلَى المسلمين، فعزموا عَلَى الاقتصاص لرجلهم، وعلى زلزلة الوالي الأثيم الذي صنع ما صنع لحساب الرومان.

وتجهز المسلمون في جيش يعتبر بالنسبة لهم كبيرًا، إذ بلغت عدته ثلاثة آلاف، وخرج أهل المدينة يودعون الجيش الزاحف ورتّب النبيُّ ﷺ قادة الجيش، فجعل الأمير زيد بن حارثة وقال: «**فَإِن أُصِيبَ زَيدٌ فجَعفَرٌ فَإِن أُصِيبَ جَعفَرٌ فعَبدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ الأَنصَارِيُّ**». أخرجه البخاري وغيره.

وانطلق الجيش إلى مشارف الشَّام، إلا أن أخباره سبقته إلى الروم، فاستعدوا للقتال بجيش كثيف.

فلمَّا وصل المسلمون إلى «معان» عرفوا أن في انتظارهم مائة ألف من الروم، ومائة ألف أخرى من نصارى العرب، والهجوم عَلَى جيش تلك عدته مجازفة مخوّفة، فأقام المسلمون ليلتين بـ«معان»، يتدبرون أمرهم، وقال نفرٌ منهم: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدوّنا، فإمَّا أن يمدنا بالرجال، وإمَّا أن يأمرنا بأمره فنمضي له، ولم يرق ذلك لعبد الله بن رواحة فشجع النَّاس قائلًا: «يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون - يعني الشهادة - وما نُقاتل النَّاس بعددٍ ولا قوّة ولا كثرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدِّين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحُسنيين: إما ظهور وإما شهادة».

وكان لهذه الكلمة الملتهبة أثرها، فاختفت من صفوف المسلمين مشاعر التردد، وقرروا القتال، مهما كانت النتائج، والتقى الجمعان[١]، وعبث أن ننتظر من ثلاثة آلاف بطل أن يصاولوا في ميدان مكشوف فيالق تَربُوا عليهم سبعين ضعفًا، وقاتل زيد بن حارثة - رَضِي الله عَنهُ - براية رسول الله ﷺ حَتَّى شاط في رماح القوم، ثُمَّ قُتل شهيدًا.

وتلقف الراية جعفر بن أبي طالب، فأقبل عَلَى الروم بعنف حَتَّى قُتل شهيدًا، فلمَّا

---

(١) كان هَذَا اللقاء في مؤتة، وكانت في جمادى الأولى سنة ٨ هـ ومؤتة موضع في بلاد الشام.

قُتل - رَضِي الله عَنهُ - حمل عبد الله بن رواحة الراية، ثُمَّ تقدّم بها وهو عَلَى فرس، فلمَّا أحس دقة الموقف اقتحم غمار المعركة وقاتل حَتَّى قُتل شهيدًا.

وبينما تدور رحى المعركة، وقد سقط القوّاد الثلاثة قتلى في ساحة الشرف، إذا بالنعي يصل إلى رسول الله ﷺ عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام.

عَن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيدًا وَجَعفَرًا وَابنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبلَ أَن يَأتِيَهُم خَبَرُهُم فَقَالَ: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَعَينَاهُ تَذرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ سَيفٌ مِن سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيهِم**». أخرجه البخاري.

ثُمَّ تحدث الرسول ﷺ عن قادة الجيش الذي قُتلوا، فقال لأصحابه: «**مَا يَسُرُّهُم أَنَّهُم عِندَنَا**». أخرجه البخاري.

أجل، إن الجوار الذي صاروا إليه أحبّ لنفوسهم، وأقرّ لعيونهم من الدنيا وما فيها[(١)].

عباد الله...

كان جعفر رجلًا سمحًا بماله، كما كان سمحًا بنفسه، وكان مثال المؤمن القويّ اليقين، ترك زوجته وأولاده وذهب إلى ربّه بتلك الخُطا الراسخة الجريئة، فلم تجش نفسه بحب الحياة لحظة بين بوارق السيوف التي تخطف الأبصار والألباب.

قَالَ النبي ﷺ: «**مَرَّ بي جعفر البارحة في نَفَر من الملائكة له جناحان يطير بهما في الجَنَّة، مخضب القوادم بالدم**»[(٢)].

فهنيئًا لك يا ذا الجناحين، يا أبا المساكين.

وإلى اللقاء مع صحابي آخر إن شاء الله تعالى.

❖❖❖❖❖

---

(١) «فقه السيرة» للغزالي (٣٨٧ وما بعدها) باختصار.

(٢) إسناده صحيح على شرط مسلم: قَالَ الحافظ في «الفتح» (٧/ ٩٦): أخرجه الحاكم بإسناد صحيح على شرط مسلم، وفيه: «وهو مخضب الجناحين بالدم، أبيض الفؤاد».

الخطبة الحادية والخمسون

مع عبد الله بن رواحة

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فنلتقي اليوم إن شاء الله تعالى مع قائد مؤتة الثالث، مع **عبد الله بن رواحة** رَضِي الله عَنهُ.

عباد الله...

مَن هُوَ عبد الله بن رواحة؟

وما هي قصّته؟

هُوَ عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر ابن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.

يُكنى: أبا مُحَمَّد، وقيل: أبا رواحة، وقيل: أبو عمرو.

وأُمّه: كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة، من بني الحارث بن الخزرج أيضًا[1].

أسلم عبد الله بن رواحة قديمًا، وكان مِمَّن شهد العقبة، وكان نقيبًا.

وبهذا نال شرف مَن وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحسَانٍ رَّضِيَ اللَّـهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ وَأَعَدَّ لَـهُم جَنَّاتٍ تَجرِي تَحتَهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١٠٠].

وكان رَضِي الله عَنهُ حريصًا على اتبّاع السُّنة، وهكذا كان كُلّ أصحاب النبيّ ﷺ.

ومما يدلّ على حرص عبد الله بن رواحة على اتباع السُّنّة:

ما رواه حَمّاد بن زيد عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: أن عبد الله بن رواحة أتى النبيَّ ﷺ وهو يخطب، فسمعه يقول: «اجلسوا»، فجلس مكانه خارجًا من المسجد حتى فرغ النبيُّ ﷺ من خطبته، فبلغ ذَلِكَ النبيّ ﷺ فقال له: «**زادك اللَّـهُ حرصًا على طواعية الله وطواعية رَسُوله**»[2].

وكان - رَضِي الله عَنهُ - شديد الحُب لمجالس الذِّكر.

قال أبو الدرداء: «أعوذ بالله أن يأتي عليَّ يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة، كان إذا لقيني مقبلاً ضرب بين ثَديَيَّ، وإذا لقيني مدبرًا ضرب بين كَتفَيَّ ثم يقول: يا عُوَيمر، اجلس فلنؤمن ساعة. فنجلس، فنذكر الله ما شاء، ثم يقول: يا عُوَيمر، هذه مجالس الإيمان»[3].

عباد الله...

وكان عبد الله بن رواحة - رَضِي الله عَنهُ - مُحبًّا للجهاد في سبيل الله.

سبحان الله، حياة كلّها طاعة، لقد وُظّفوا كل شيء في خدمة دينهم وأُخراهم، حَتَّى

---

(١) «أسد الغابة» (٣/ ٢١٩).

(٢) قَالَ الحافظ في «الإصابة» (٤٦٧٩) القسم الأول إسناده صحيح.

(٣) «أسد الغابة» (٣/ ٢٢٠).

أنفاسهم، فلله دَرُّهم.

أما نحن، فقد قتلتنا الغفلة، وأذلّتنا الذُّنوب، ومرّغت المعاصي أنوفنا في التراب.

فوصلت الأُمّة أُمةُ الإسلام اليوم إلى هذا الحال الذي يُحزن الصديق ويسرّ العدوّ.

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

أيُّهَا المسلمون...

وهذه لمحاتٌ من حياة ابن رواحة الجهاديّة:

- شهد عبد الله بن رواحة - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - غزوة بدر الكبرى، وهو الذي قَالَ في أسرى المشركين للنبيّ ﷺ: يا رسول الله، أنت في وادٍ كثير الحطب، فأضرم الوادي عليهم نارًا، ثُمَّ ألقهم فيه.
- وشهد كذلك غزوة أُحُد وأبلى فيها بلاءً حسنًا.
- وشهد أيضًا غزوة الخندق، والحديبية، وخيبر، وعمرة القضاء، والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ.

وفي غزوة مؤتة كان استشهاده.

قَالَ ابن إسحاق، حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: سار عبد الله بن رواحة -يعني إلى مؤتة[١]- وكان زيد بن أرقم يتيماً في حجره، فحمله في حقيبة رحله، وخرج به غازياً إلى مؤتة، فسمعه زيدٌ من الليل وهو يتمثل أبياته التي قال:

إذا أدنيتني وحملت رحلي ... مسيرة أربع بعد الحساء[٢]

فشأنك فانعمي وخلاك ذم ... ولا أرجع[٣] إلى أهلي ورائي

وجاء المؤمنون وغادروني ... بأرض الشام مشهور الثواء[٤]

---

(١) راجع أحداثها في قصّتي «زيد بن حارثة»، و«جعفر بن أبي طالب».

(٢) الحساء: جمع حِسَي، والحِسَي: سهل من الأرض يستنقع فيه الماء.

(٣) ولا أرجع: جزم هَذَا الفعل على الدعاء، يدعو بأن يستشهد في هذه السريّة ولا يرجع إلى أهله.

(٤) الثواء: الإقامة.

وردك كل ذي نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل ولا نخل أسافلها رواء[(١)]

فلما سمعه زيد بن أرقم بكى، فخفقه بالدّرّة وقال: ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرّحل!

لَـمَّا أكملت السريّة المتجهة إلى مؤتة، ودَّع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم، فلمّا ودعوا عبد الله بن رواحة بكى. قالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أنا والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة إليها، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]. فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله وردّكم إلينا صالحين ودفع عنكم. فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فَرغ[(٢)] يقذف الزبدا[(٣)]
أو طعنةً بيدي حرّان مجهزةً[(٤)] بحربةٍ تنفيذ الأحشاء والكبدا[(٥)]
حتى يقولوا إذا مرّوا على جدثي[(٦)] أرشده الله من غاز وقد رشدا

ثم أتى عبد اللهُ رسول الله ﷺ فودّعه، ثم خرج القوم حتى نزلوا «معان» فبلغهم أن هرقل نزل بمآب في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة... فأقاموا بمعان يومين، وقالوا: نبعث إلى رسول الله ﷺ فنخبره بكثرة عدونا، فإما أن يمدّنا، وإما أن يأمرنا أمرًا. فشجّعهم عبد الله بن رواحة، فساروا وهم ثلاثة آلاف حتى لحقوا جموع الروم بقرية من قرى البلقاء، يقال لها: مشارف.

---

(١) **البعل**: الذي يشرب بعروقه من الأرض. وقوله: **أسافلها رواء**: أظهر ما فيه أَنَّهُ مبتدأ وخبر، ففي هَذَا البيت إقواء، وهو: اختلاف حركة الرويِّ.
(٢) **ذات فرغ**: يريد: الواسعة.
(٣) **الزّبد**: أصله ما يعلو الماء إذا غلا، وأراد هنا: ما يعلو الدم الذي يتفجّر من الطعنة.
(٤) **مجهزة**: سريعة القتل.
(٥) أي: تخترقها.
(٦) **الجدث**: القبر.

ثُمَّ دارت رحى المعركة عَلَى ما تقدّم بيانه في قصة جعفر بن أبي طالب.

لَـمَّا استُشهد جعفر بن أبي طالب وكادت الراية أن تسقط، التقطها عبد الله بن رواحة، وتقدّم بها، وهو عَلَى فرسه، فجعل يستنزل نفسه ويتردّد بعض التردّد، ثُمَّ قَالَ:

أقسمتُ يا نفس لتنزلنه كارهة أو لَتُطاوعنه

إن أجلَب النَّاسُ وشدّوا الرنّه ما لي أراكِ تَكرَهِين الجَنَّة؟

ثُمَّ نزل، فأتاه ابن عمٍّ له بِعرق من لحم، فقال: شدّ بهذا صُلبك، فإنك قَد لقيت في أيّامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده فانتهس منه نهسة، ثُمَّ ألقاه من يده، ثُمَّ أخذ سهمه فتقدّم، فقاتل حَتَّى قُتل.

فالتقط الراية ثابت بن أرقم، ونادى: يا معشر المسلمين، اصطلحوا عَلَى رجلٌ منكم، قالوا: أنت، قَالَ: ما أنا بفاعل.

فاصطلح النَّاس عَلَى خالد بن الوليد، لَـمَّا أخذ الراية قاتل أشدّ القتال، وانتهت المعركة عَلَى ما سبق بيانه.

والحمد لله الذي لا يُحمد عَلَى مكروهٍ سواه.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

قَالَ ابن الأثير: وكان عبد الله أوّل خارج إلى الغزو وآخر قافل. وكان من الشعراء الذين يناضلون عن رسول الله ﷺ، ومن شعره في النبي ﷺ:

إنِّي تفرّست فيك الخيرَ أعرفُه والله يعلم أن ما خانني البَصَرُ

أنت النبيُّ ومن يُحرَم شَفَاعَتَه يوم الحساب فقد أزرَى به القَدَرُ

فثبّت الله ما آتاك من حَسَنٍ تثبيتَ موسى ونصرًا كالذي نُصِروا

فقال النبي ﷺ: **«وأنت، فثبتك الله يا ابن رواحة»**.

قال هشام بن عروة: فثبته الله أحسن الثبات، فقتل شهيدًا، وفُتحت له أبواب الجَنَّة، فدخلها شهيدًا[1].

اللهُمَّ اغفر لنا وألحقنا بالشهداء والصالحين.

ونلتقي الجمعة القادمة إن شاء الله مع صحابي آخر، فإلى اللقاء.



(١) «أسد الغابة» (٣/ ٢٢٠).

الخطبة الثانية والخمسون

مع عمرو بن العاص

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَــقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فلقاؤنا اليوم إن شاء الله تعالى مع أحد قادة الفتح الإسلامي، مع السَّيِّد الكبير، والقائد العَلَم: عمرو بن العاص رَضِي الله عَنهُ.

فمن هُوَ؟ وما هي قصّته؟

هُوَ عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشيّ السّهمي.

يُكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو محمد.

وأُمّه: النابغة بنت حرملة، سبية من بَني جلان بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عَنزة.

وأخوه لأُمّه: عمرو بن أثاثة العدوي، وعقبة بن نافع بن عبد قيس الفِهري.

وسأل رجلٌ عمرو بن العاص عن أُمّه، فقال: سلمى بنت حرملة، تلقب النابغة من بني عنزة، أصابتها رماح العرب، فبيعت بعكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل، فولدت له، فأنجبت[١].

وكان عمرو بن العاص جزارًا[٢]، وكان يحترف التجارة أيضًا، وكان يسافر بتجارته إلى الشَّام واليمن ومصر والحبشة.

وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي ليسلم إليهم من عنده من المسلمين: جعفر ابن أبي طالب ومن معه، فلم يفعل، وقال له: يا عمرو، وكيف يعزب عنك أمر ابن عمك، فوالله إنه لرسول الله! قال: أنت تقول ذلك؟ قَالَ: إي والله، فأطعني.

فخرج من عنده مهاجرًا إلى النبي ﷺ، فأسلم عام خيبر- وقيل: أسلم عند النجاشي، وهاجر إلى النبي ﷺ.

وقيل: كان إسلامه في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر[٣]، كما سيأتي.

وذكر ابن هشام في «السيرة النبويّة» أن عمرو بن العاص شهد غزوة أُحُد مع المشركين، وكان من أشدّ النَّاس عَلَى رسول الله ﷺ، ونظّم شِعرًا متشفيًا بهزيمة المسلمين في تلك المعركة.

عباد الله...

تقدّم قبل قليل أن عمرو بن العاص رَضِي الله عَنهُ أسلم سنة ثمان للهجرة.

قَالَ ابن الأثير: «قدم على النبي ﷺ هو وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة

---

(١) «أسد الغابة» (٤/ ٢١٠).

(٢) «المعارف» (٥٧٥).

(٣) «أسد الغابة» (٤/ ٢١٠).

العبدري، فتقدم خالد وأسلم وبايع، ثم تقدم عمرو فأسلم وبايع على أن يغفر له ما كان قبله، فقال له رسول الله ﷺ: «**الإسلام والهجرة يَجُبُّ ما قَبله**»(١).

عن الزُّبير بن بكار: «أن رجلا قال لعمرو: ما أبطأ بك عن الإسلام وأنت أنت في عقلك؟ قال: إنَّا كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن يواري حلومهم الجبال، فلما بعث النبي ﷺ فأنكروا عليه فلذنا بهم، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا فإذا حق بين فوقع في قلبي الإسلام فعرفت قريش ذلك مني من إبطائي عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه، فبعثوا إلى فتى منهم فناظرني في ذلك فقلت: أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك؛ أنحن أهدى أم فارس والروم؟ قال: نحن أهدى، قلت: فنحن أوسع عيشًا أم هم؟ قال: هم، قلت: فما ينفعنا فضلنا عليهم إن لم يكن لنا فضل إلا في الدنيا وهم أعظم منا فيها أمرًا في كل شيء.

وقد وقع في نفسي أن الذي يقوله محمد من أن البعث بعد الموت ليجزي المحسن بإحسانه والمسيئ بإساءته حق، ولا خير في التمادي في الباطل»(٢).

قَالَ عمرو: «ثُمَّ جُعل الإسلام في قلبي، فأتيت رسول الله ﷺ لأبايعه، فقلت: ابسط يمينك أبايعك يا رسول الله، فبسط يده ثُمَّ إني قبضت يدي، فقال: «**ما لك يا عمرو؟**» فقلت: أردت أن أشترط. فقال: «**تشترط ماذا؟**» فقلت: أشترط أن يُغفر لي. فقال: «**أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟**» فقد رأيتني ما أحد أحبّ إليَّ من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ في عيني منه، ولو سُئلت أن أنعته ما أطقت؛ لأني لم أكن أطيق أن أملأ عيني منه، إجلالاً له»(٣).

عباد الله...

وقد ورد في فضل عمرو بن العاص رَضِي الله عَنهُ عدة أحاديث صحيحة، منها:

(١) عَن عُقبَةَ بنَ عَامِرٍ قال: سَمِعتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَسلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١) بنحوه.

(٢) «الإصابة» (٥/ ٢).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٥٩).

عَمرُو بنُ العَاص»(١).

(٢) عَن عَمرِو بنِ العَاصِ - رَضِي الله عَنهُ - قَالَ: كَانَ فَزَعٌ بِالمَدِينَةِ فَأَتَيتُ عَلَى سَالِمٍ مَولَى أَبِي حُذَيفَةَ وَهُوَ مُحتَبٍ بِحَمَائِلِ سَيفِهِ، فَأَخَذتُ سَيفًا فَاحتَبَيتُ بِحَمَائِلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا كَانَ مَفزَعُكُم إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا فَعَلتُم كَمَا فَعَلَ هَذَانِ الرَّجُلَانِ المُؤمِنَانِ»(٢).

(٣) وعن طَلحَةَ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ عَمرَو بنَ العَاصِ مِن صَالِحِي قُرَيشٍ»(٣).

قَالَ الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٧٩): «وفي الحديث منقبة عظيمة لعمرو بن العاص - رَضِي الله عَنهُ - إذ شهد له النبيّ ﷺ بأنه مؤمن، فإن هذا يستلزم الشهادة له بالجنة، لقوله ﷺ في الحديث المشهور: «لا يدخل الجَنَّة إلَّا نفس مؤمنة». متفقٌ عليه.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّـهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وعلى هذا فلا يجوز الطعن في عمرو - رَضِي الله عَنهُ - كما يفعل بعض الكتاب المعاصرين وغيرهم من المخالفين، بسبب ما وقع له من الخلاف بل القتال مع عليّ - رَضِي الله عَنهُ - لأن ذلك لا ينافي الإيمان، فإنه لا يستلزم العصمة كما لا يخفى، لاسيما إذا قيل: إن ذلك وقع منه بنوعٍ من الاجتهاد، وليس اتباعًا للهوى.

عباد الله...

ولما أسلم عمرو - رَضِي الله عَنهُ - سارع إلى كتائب المجاهدين، يسابق الزمن، ويساهم في بناء صرح الإسلام العظيم، ويزيل بسيفه المبارك الحواجز التي تحول بين الإنسان وبين الإسلام، ﴿لِّيَهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحيَى مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي، وانظر «صحيح الجامع» (٩٧١).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٣)، وغيره.

(٣) صحيح لغيره: أخرجه الترمذي (٣٨٤٤)، وغيره.

ويكفي أن نشير في هذه الخطبة إلى بعض اللقطات الحيّة من حياته الجهاديّة:

اللقطة الأولى: غزوة ذات السلاسل:

كانت غزوة مؤتة في جمادى الأولى من السنة الثامنة، ولم يلبث المسلمون طويلًا بعدها حَتَّى عادوا إلى مشارف الشَّام يلاحقون خصومهم قبل أن يستريحوا، فخرج عمرو بن العاص ليؤدّب القبائل الضاربة هناك إلَّا أَنَّهُ خشى من كثرة عدوّه، فأرسل إلى النبي ﷺ يطلب مددًا، وانحاز إلى ماء يُسمّى السلاسل حَتَّى يجيئه العون.

وبعث رسول الله ﷺ جيشًا من المهاجرين الأوّلين - فيهم أبو بكر وعمر - يقوده أبو عبيدة بن الجراح.

وأخذ عمرو يطارد القبائل الموالية للروم، فتوغّل في بلاد: بَلِيٍّ، وعُذرة، وبَلقِين، وطيئ.

وكلمّا انتهى إلى موضع قيل له: كان هناك جمع فلمّا سمعوا بك تفرّقوا، وظفر مرّة بواحد من هذه الجموع، فاقتتلوا، وحمل عليهم المسلمون فَهُزِمُوا، وأعجزوهم هربًا في البلاد.

ومع أن عمرو بن العاص دوّخ أولئك الأعراب وشتت شملهم إلَّا أَنَّهُ لم يلقهم في معركة حاسمة.

وعلى أية حال فإن سمعة المسلمين انزاح عنها غبار كثير بهذه الغزوة.

وعَن عَمرِو بنِ العَاصِ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا بَعَثَني رَسُولُ اللهِ ﷺ - عَامَ ذَاتِ السَّلاَسِلِ - احتَلَمتُ فِى لَيلَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ البَردِ، فَأَشفَقتُ إِنِ اغتَسَلتُ أَن أَهلَكَ، فَتَيَمَّمتُ ثُمَّ صَلَّيتُ بِأَصحَابِى صَلاَةَ الصُّبحِ.

قَالَ: فَلَمَّا قَدِمنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَكَرتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «**يَا عَمرُو صَلَّيتَ بِأَصحَابِكَ وَأَنتَ جُنُبٌ**». قُلتُ: نَعَم يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّى احتَلَمتُ فِى لَيلَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ البَردِ فَأَشفَقتُ إِنِ اغتَسَلتُ أَنَ أَهلَكَ وَذَكَرتُ قَولَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَلاَ تَقتُلُوا أَنفُسَكُم إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُم رَحِيمًا**﴾ فَتَيَمَّمتُ ثُمَّ صَلَّيتُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَم يَقُل شَيئًا[١].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود والبيهقي وغيرهما.

وفقه عمرو في هذه المسألة صحيح، فإن التيمم يجوز إذا كان في استعمال الماء مظنة الضرر[١].

اللقطة الثانية: هَدمُ عمرو لسُواع:

لَـمَّا فتح النبيُّ ﷺ مكَّة أرسل عَمرَو بنَ العَاصِ إلَى سُوَاع وَهُوَ صَنَمٌ لِهُذَيلٍ لِيَهدِمَهُ، قَالَ عَمرٌو: فَانتَهَيتُ إلَيهِ وَعِندَهُ السَّادِنُ فَقَالَ مَا تُرِيدُ؟ قُلتُ: أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ أن أهدِمَهُ، فَقَالَ: لَا تَقدِرُ عَلَى ذَلِكَ، قُلت: لِمَ؟ قَالَ: تُمنَعُ. قُلتُ: حَتّى الآنَ أَنتَ عَلَى البَاطِلِ، وَيحَك فَهَل يَسمَعُ أَو يُبصِرُ؟

قَالَ: فَدَنَوتُ مِنهُ فَكَسَرته وَأَمَرتُ أَصحَابِي فَهَدَمُوا بَيتَ خِزَانَتِهِ فَلَم نَجِد فِيهِ شَيئًا، ثُمّ قُلتُ لِلسَّادِنِ كَيفَ رَأَيتَ؟ قَالَ: أَسلَمتُ لله.ا.هـ.

اللقطة الثالثة: جهاده المرتدين:

مات رسول الله ﷺ وعمرو بعُمان، فأقبل حَتَّى انتهى إلى البحرين، فوجد المنذر ابن ساوى في الموت، ثُمَّ خرج عنه إلى بلاد بني عامر فنزل بِقُرّة بن هبيرة[٢]، وهو يقدّم رِجلًا إلى الردة ويؤخر أخرى، ومعه جيش من بني عامر، فأكرم قرّة مثواه؛ فلمَّا أراد عمرو الرحلة خلا به قرّة وقال: يا هذا، إن العرب لا تطيب لكم نفسًا بالأتاوة، فإن أعفيتموها من أخذ أموالها، فتسمع لكم وتطيع، وإن أبيتم فلا تجتمع عليكم. فقال عمرو: أكفرت يا قرّة؟ أتخوِّفنا بالعرب؟ فوالله لأوطئن عليك الخيل في خفش أمك[٣].

ومرَّ بمُسيلمة الكذاب فأعطاه الأمان، فقال له عمرو: اعرض لي ما تقول. فذكر مسيلمة بعض كلامه، فقال عمرو: والله إنك لتعلم أنك من الكاذبين. فتوعده مسيلمة.

ولما وصل عمرو المدينة وعقد أبو بكر أحد عشر لواءً لحرب أهل الردة، عقد لعمرو

---

(١) «فقه السيرة» للغزالي (٣٩٢ - ٣٩٤).

(٢) قرة بن هبيرة: أحد الوجوه الذين وفدوا على رسول الله ﷺ فأسلم، ثم ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، فأسره خالد وبعث به موثقًا إلى أبي بكر، فاعتذر أَنَّهُ خاف مسيلمة الكذاب على ولده وماله، وأنه لم يرتد في الباطن، فعفا عنه أبو بكر. انظر «الإصابة» (٥/ ٢٣٨).

(٣) الخفش: بيت تنفرد فيه النفساء.

وأرسله إلى قُضَاعة، وكان قَد حاربهم في حياة النبي ﷺ في غزوة ذات السلاسل، وكانت قضاعة قَد ارتدت بعد وفاة النبي ﷺ فلمَّا أنفذ إليهم أبو بكر جيشًا بقيادة عمرو، سار عمرو بجيشه في الطريق الذي سلكه من قبل حَتَّى وصل بلاد قضاعة، فأعمل السَّيف في رقابهم وغلبهم عَلَى أمرهم، فعادوا إلى الإسلام، وعاد هُوَ إلى المدينة حاملًا لواء النصر.

اللقطة الرابعة: جهاده وفتوحاته في أرض الروم:

ردَّ أبو بكر عَمرًا إلى عمله الذي كان رسول الله ﷺ ولَّاه إيَّاه في عُمان، فلمَّا أراد إرسال الجيش لفتح أرض الشَّام كتب أبو بكر لعمرو: إني كنت قَد رددتك عَلَى العمل الذي ولَّاك رسول الله ﷺ مرة ووعدك به أخرى، إنجازًا لمواعيد رسول الله ﷺ وقد وليته، وقد أحببت أن أفرغك لما هُوَ خير لك في الدنيا والآخرة، وإلا أن يكون الذي أنت فيه أحبّ إليك.

فكتب إليه عمرو: إني سهمٌ من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي والجامع لها، فانظر أشدَّها وأخشاها وأفضلها فارم به شيئًا إن جاءك من ناحية من النواحي.

فعقد أبو بكر لعمرو وأمره أن يسلك طريق «أيلَة» [1] عامدًا فلسطين، وكان العقد لكل أمير من أمراء الشَّام في بدء الأمر ثلاثة آلاف رجل، فلم يزل أبو بكر يتبعهم الأمداد حَتَّى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة، وكان جيش عمرو مؤلفًا من أهل مكَّة والطائف وهوازن وبني كلاب، وقال أبو بكر لعمرو: قَد وليتك هذا الجيش، فانصرف إلى أرض فلسطين، وكاتب أبا عبيدة وانجده إذا أرادك ولا تقطع أمرًا إلَّا بمشورته.

فأقبل عمرو عَلَى عُمَر بن الخطاب وقال له: يا أبا حفص، أنت تعلم شدَّتي عَلَى العدو وصبري عَلَى الحرب، فلو كلَّمت الخليفة أن يجعلني أميرًا عَلَى أبي عبيدة، وقد رأيت منزلتي عند رسول الله ﷺ، وإني لأرجو أن يفتح الله عَلَى يدي البلاد ويُهلك الأعداء.

---

(١) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام.

فقال عُمَر بن الخطاب: ما كنت بالذي أكلِّمه في ذلك، فإنه ليس عَلَى أبي عبيدة أمير، لأُبو عبيدة أفضل منزلةً منك وأقدم سابقةً منك، والنبي ﷺ قَالَ فيه: «**أبو عبيدة أمين الأمة**»، فقال عمرو: ما ينقص من منزلته إذا كنت واليًا عليه؟

وما كادت جيوش المسلمين تصل أرض الشَّام، حَتَّى بعث هرقل قادته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين، فكان «تذارق» شقيق «هرقل» أمام عمرو عَلَى رأس جيش عدده تسعون ألفًا، ولكن قادة المسلمين فوَّتوا عَلَى الروم فرصة ضرب جيوش المسلمين عَلَى انفراد إذ كاتبوا عَمرًا: ما الرأي؟ فأجابهم: إن الرأي لمثلنا الاجتماع، فإن مثلنا إذا اجتمعنا لا نغلب من قلّة، وإذا نحن تفرقنا لا تقوم كل فرقة له بمن استقبلها لكثرة عدوِّنا.

وكتبوا إلى أبي بكر فأجابهم مثل جواب عمرو، وقال: إن مثلكم لا يؤتى من قلّة، وإنما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب، فاحترسوا منها، واجتمعوا باليرموك.

واجتمع المسلمون باليرموك، واجتمع الروم بها أيضًا، فنزل الروم «الواقُوصَة»[(١)]، وهي عَلَى ضفة اليرموك، وصار الوادي خندقًا لهم، وانتقل المسلمون عن معسكرهم، فنزلوا عَلَى طريق الروم وليس للروم طريق إلَّا عليهم، فقال عمرو: يا أيُّها النَّاس... أبشروا، حصرت والله الروم وقلّ ما جاء محصور بخير.

وفي معركة اليرموك الحاسمة، كان عمرو عَلَى الميمنة، فكان له أثرٌ كبير عَلَى انتصار المسلمين في هذه المعركة.

وفي معركة فتح دمشق نزل عمرو بجيشه في ناحية باب توما، وبعد فتحها سار المسلمون نحو فحل، وتجمعت بقايا الروم في فِحل، وكانت قوتهم ثمانون ألفًا يقودهم سقلار بن مخراق، الذي نظَّم الدفاع عن بيسان، وانضمت قوات أبي عبيدة إلى شرحبيل، عَلَى اعتبار قائد منطقة العمليات، فأعاد شرحبيل التنظيم، ودفع خالد بن الوليد عَلَى المقدمة وتولى أبو عبيدة وعمرو بن العاص قيادة المجنبتين، ولما اقترب جيش المسلمين دمر سقلار مجاري المياه، وأغرق المنطقة التي تحولت إلى مستنقع طيني من

---

(١) **الواقُوصَة**: وادٍ بالشام في أرض حوران.

الصعب التحرك فيه، وتوقف جيش المسلمين فترة من الوقت، وظن سقلار أَنَّهُ يستطيع مباغتة جيش المسلمين، فقام بهجوم مفاجئ، ولكن شرحبيل لا يبيت ولا يصبح إلا عَلَى تعبئة، فتلقى المسلمون الصدمة، واستمرت المعركة اللَّيل بطوله ونهار اليوم التالي، ثُمَّ انتزعت قوات المسلمين النصر، وطاردوا الروم حَتَّى الرَّدغة، أو الرَّداغ، ولم يفلت من الثمانين ألفًا إلا الشريد، وهذه هي المعركة المعروفة في التاريخ باسم غزاة فحلًا، أو ذات الرَّدغة، أو بيسان، وانصرف بعدها أبو عبيدة إلى حمص فيما توجه عمرو بن العاص، وشرحبيل إلى بيسان، وصالحوا أهلها عَلَى مثل صلح أهل دمشق بعد معركة قصيرة وحاسمة.

وشهد عمرو فتح «طبرية» هُوَ وشرحبيل بن حَسنة، وصالحا أهل الأردن، وعلم عمرو أن الروم حشدوا جيوشهم، وعلى رأسها قائد فلسطين أرطبون (أريطيون) في «أجنَادَين» [(١)]، فسار عمرو معه شرحبيل بن حَسنة، واستخلف عَلَى الأردن أبا الأعور السلميّ، وكان الأرطبون أدهى الروم وأبعدها غورًا، وكان قَد وضع بـ«الرملة» [(٢)] جندًا عظيمًا، وبـ«إيلياء» جندًا عظيمًا أيضًا، فلمَّا بلغ عُمَر بن الخطاب الخبر قَالَ: «رَمَينا أرطبون الروم بأرطبون العرب -يقصد عَمرًا- فانظروا عما تنفرج».

وكان معاوية بن أبي سفيان قَد شغل أهل «قَيسَارية» عن عمرو، كما جعل عمرو علقمة بن حكيم الفراسيّ، ومسروق العكيّ وجعل أبا أيوب المالكي بالرملة، فشاغل هؤلاء القادة القوات الرومانية عن قوات عمرو الأصلية.

وأقام عمرو عَلَى «أجنادين» لا يقدر عَلَى الأرطبون، ولا تشفيه الرسل، فسار إليه بنفسه ودخل عليه كأنه رسول، ففطن به الأرطبون، وقال: لا شك أن هذا هُوَ الأمير، أو مَن يأخذ الأمير برأيه، فأمر رجلًا أن يقعد عَلَى طريقه ليقتله إذا مرَّ به، وفطن عمرو إلى غدر الأرطبون، فقال له: قَد سمعت مني، وسمعت منك، وقد وقع قولك مني موقعًا، وأنا واحد من عشرة بعثنا عُمَر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكانفه، ويشهدنا

---

(١) أجنادين: موضع معروف من نواحي فلسطين، وهو قريبٌ من الرملة.

(٢) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلًا.

أموره، فأرجع فآتيك بهم الآن، فإن رأوا في الذي عرضت مثل الذي أرى، فقد رآه أهل العسكر والأمير، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم، وكنت عَلَى رأس أمرك. فقال الأرطبون: نعم، وردَّ الرجل الذي أمره بقتل عمرو، فخرج عمرو من عند الأرطبون، فعلم الروميّ بأن عَمرًا خدعه، فقال: خدعني الرجل، هذا أدهى الخلق، وبلغت خديعته عُمَر بن الخطاب، فقال: لله دَرُّ عمرو.

وعرف عمرو من استطلاعه الشخصي هذا نقاط الضعف في مواضع الروم، فهاجمهم واقتتلوا قتالًا شديدًا، كقتال اليرموك، حَتَّى كثرت القتلى بينهم، ولكن أرطبون انهزم، فأوى إلى إيلياء، ونزل عمرو أجنادين، وانضم علقمة ومسروق وأبو أيوب إلى عمرو بأجنادين[1].

ولما دخل أرطبون إيلياء فتح عمرو غَزَّة، وسَبسَطِيَة[2]، ونَابُلُس[3]، واللُد[4]، ويُبنَى[5]، وعَموَاس[6]، وبَيت جِبرين[7]، ويافا، ورَفَح، وقدم أبو عبيدة بن الجراح وهو محاصر إيلياء وهي بيت المقدس، فطلب أهل إيلياء من أبي عبيدة الصُلح عَلَى مثل ما صولح عليه أهل مدن الشَّام عَلَى أن يكون المتولي للعقد لهم عُمَر بن الخطاب نفسه، فكتب أبو عبيدة إلى عُمَر بذلك، فقدم عُمَر وأنفذ صلح إيلياء، وكتب لهم عهدًا.

وحاصر عمرو قيسارية بعد فتح بيت المقدس، ولكنه خرج إلى مصر، فتولى فتحها معاوية بن أبي سفيان.

لقد شهد عمرو أكثر معارك فتح أرض الشَّام، وكان فتح أكثر فلسطين عَلَى

---

(١) «الطبري» (٣/ ١٠٢)، و«ابن الأثير» (٢/ ١٩٣).

(٢) **سبسطية**: بلدة بنواحي فلسطين، بينها وبين بيت المقدس يومان، وهي من أعمال نابلس.

(٣) **نابلس**: مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ.

(٤) **اللُد**: قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين، وقد أصبحت اليوم بلدة كبيرة.

(٥) **يبنى**: بليد قرب الرملة.

(٦) **عمواس**: هي كورة من فلسطين بالقُرب من بيت المقدس، وهي على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس.

(٧) **بيت جبرين**: بليد بين المقدس وغزة، بينه وبين المقدس مرحلتان، وبينه وبين غزة أقرب من ذَلِكَ.

يديه[١].

اللقطة الخامسة: فتح مصر:

سَيَّر عُمَر بن الخطاب عمرو بن العاص - رَضِي اللَّهُ عَنهُمَا - في جيش إلى مصر، فافتتحها، ولم يزل واليًا عليها إلى أن مات عُمَر، فأمَّره عليها عثمان بن عفان - رَضِي الله عَنهُ - أربع سنين أو نحوها، ثُمَّ عزله عنها واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي السّرح، فاعتزل عمرو بفلسطين.

والمقصود: أن عمرو بن العاص - رَضِي الله عَنهُ - أبلى بلاءً حسنًا في نُصرة الإسلام والمسلمين، والمتتبع لتاريخ جهاده يرى ذلك واضحًا.

ولما قُتل عثمان بن عفان - رَضِي الله عَنهُ - سار عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان - رَضِي اللَّهُ عَنهُمَا - وشهد معه صفين، ومقامه فيها مشهور، وقد تقدّم تفصيل ذلك في ترجمة علي بن أبي طالب رَضِي الله عَنهُ.

ثُمَّ سيَّره معاوية إلى مصر فاستنقذها من يد مُحَمَّد بن أبي بكر، وهو عاملٌ لعليّ عليها، واستعمله معاوية عليها إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين[٢].

عباد الله...

هذه لقطات من حياة عمرو بن العاص الجهاديّة، وهي غيض من فيض.

وفيما تقدّم الكفاية، ونسأل الله التوفيق لاتباعهم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) «فرسان النهار» (٣/ ٤٧٢ - ٤٧٧) باختصار.

(٢) «أسد الغابة» (٤/ ٢١٢).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد حياة حافلة بالعطاء والجهاد، حضرت الوفاة عمرو بن العاص - رَضِي الله عَنهُ - وقبل أن تخرج روحُه الطيّبة لملاقاة ربِّها الكريم الرَّحيم، أظهر عمرو بن العاص - رَضِي الله عَنهُ - انكسارًا لمولاه، وتكلّم بكلماتٍ فيها عظات وعبر.

ونترك المجال لمن سمعوه، ليخبرونا عمَّا سمعوه ورأوه منه قبل موته.

روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رَضِي الله عَنهُ - أَنَّهُ قَالَ: كان أبي كثيرًا ما يقول: إنِّي لأعجب من الرجل الذي ينزل به الموت ومعه عقله ولسانه، فكيف لا يصفه؟

قَالَ: ثُمَّ نزل به الموت ومعه عقله ولسانه، فقلت له: يا أبتاه، قَد كنت تقول: إني لأعجب من رجلٍ ينزل به الموت ومعه عقله ولسانه كيف لا يصفه؟

فقال: «يا بني الموت أعظم من أن يُوصف، ولكن سأصف لك منه شيئًا، والله كأن عَلَى كتفي جبل رضوى، وكأن روحي تخرج من ثقب إبرة، وكأن في جوفي شوكة عوسج، وكأن السماء أطبقت عَلَى الأرض، وأنا بينهما.

ثُمَّ قَالَ: يا بني، إن حالي قَد تحوّل إلى ثلاثة أنواع:

فكنت في أول الأمر أحرص النَّاس عَلَى قتل مُحَمَّد ﷺ، فيا ويلتاه لو مُت عَلَى ذلك الوقت، ثُمَّ هداني الله تعالى للإسلام.

ثُمَّ كان مُحَمَّد ﷺ أحبّ النَّاس إليَّ، وولاني عَلَى السرايا، فيا ليتني مت في ذلك الوقت لأنال دعاء رسول الله ﷺ وصلاته عليَّ.

ثُمَّ اشتغلنا بعده في أمر الدنيا، فلا أدري كيف يكون حالي عند الله تعالى».

فلم أقم من عنده حَتَّى مات، رحمه الله[1].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٧٥).

وفي رواية أخرى: يا بُني؛ والله كأن جنبي في تخت[١]، وكأني أتنفس من سَمّ إبرة، وكأنّ غصن شوكٍ يجذب من قدمي إلى هامتي.

ثُمَّ أنشأ يقول:

ليتني كنت قبل ما قَد بدا لي في تلال الجبال أرعى الوعولا[٢]

وقال قتادة رحمه الله: لَـمَّا احتضر عمرو بن العاص - رَضِيَ الله عَنهُ - قَالَ: كيِّلوا مالي، فكالوه فوجدوه اثنين وخمسين مُدًّا، فقال: مَن يأخذه بما فيه؟ يا ليته كان بعرًا[٣].

وقال الحسن البصري رحمه الله: لَـمَّا احتضر عمرو بن العاص نظر إلى صناديق، قَالَ: مَن يأخذها بما فيها؟ يا ليته كان بعرًا، ثُمَّ أمر الحرس فأحاطوا بقصره، فقال بنوه: ما هذا؟ فقال: ما ترون هذا يغني عني شيئًا[٤].

وقال عبد الله بن عمرو: إن أباه لَـمَّا احتضر قَالَ: اللهُمَّ إنك أمرت بأمورٍ، ونهيت عن أمورٍ، تركنا كثيرًا مما أمرت، ورتعنا في كثيرٍ مما نهيت، اللهُمَّ لا إله إلا أنت، ثُمَّ أخذ بإبهامه، فلم يزل يهلِّلُ حَتَّى فاض - رَضِيَ الله عَنهُ -[٥].

وقال أبو نوفل بن أبي عقرب: جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعًا شديدًا، فقال ابن عبد الله: ما هذا الجزع؟ وقد كان رسول الله ﷺ يُدنيك ويستعملك. قَالَ: أي بُنيّ، قَد كان ذلك، وسأخبرك إي والله ما أدري أحُبًّا كان أم تألفًا، ولكن أشهد عَلَى رجلين أَنَّهُ فارق الدنيا وهو يُحبهما ﷺ ابن سميّة، وابن أُمّ عبد - يعني ابن مسعود - فلمّا جدَّ به وضع يده موضع الأغلال من ذقنه، وقال: اللهُمَّ أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك، فكانت تلك هجيراه - يعني عادته - حَتَّى مات[٦].

---

(١) **تخت**: وعاء كبير تحفظ فيه الثياب.
(٢) **الوعول**: ذكر الأروى، وهي الشاة الجبليّة.
(٣) **خبر حسن**: أخرجه ابن عساكر.
(٤) أخرجه ابن عساكر.
(٥) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن عساكر.
(٦) **خبرٌ صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٩٩، ٢٠٠) في «المسند».

وقال ثابت البنانيّ: كان عمرو بن العاص - رَضِي الله عَنهُ - عَلَى مصر فثقُل فقال لصاحب شرطته: أدخل وجوه أصحابك، فلمّا دخلوا نظر إليهم فقال: ها قَد بلغت هذه الحال، ردوها عني، فقالوا: مثلك أيُّها الأمير يقول هذا؟ هذا أمر الله الذي لا مردَّ له. قَالَ: قَد عرفتُ، ولكن أحببتُ أن تتعظوا، لا إله إلا الله، فلم يزل يقولها حَتَّى مات[1].

وفي رواية: لَـمَّا حضرت عمرو بن العاص - رَضِي الله عَنهُ - الوفاة ذرفت عيناه فبكى، فقال له ابنه عبد الله: يا أبتاه، ما كنتُ أخشى أن ينزل بك أمرٌ من أمر الله عَزَّ وَجَلَّ إلا صبرت عليه، فقال عمرو: يا بُني إنَّهُ نزل لأبيك خصال ثلاث: أما أولهنّ: فانقطاع عمله، وأما الثانية: فهول المطلع، وأما الثالثة: ففراق الأحبّة، وهي أيسرهنّ.

ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ إنك أمرت فتوانيتُ، ونهيت فعصيتُ، اللهُمَّ ومن شيمتك العفو والتجاوز[2].

وعن عبد الله بن عمرو أن أباه أوصاه: إذا مِتُّ فاغسلني غسلة بالماء، ثُمَّ جففني في ثوب، ثُمَّ غسلني الثانية بماءٍ قراحٍ، ثُمَّ جففني، ثُمَّ اغسلني الثالثة بماءٍ فيه كافور، ثُمَّ جففني وألبسني الثياب، ثُمَّ إذا حملتني عَلَى السرير، فامش بي مشيًا بين المشيتين، وكن خلف الجنازة، فإن مقدمها للملائكة، وخلفها لبني آدم، فإذا أنت وضعتني في القبر فسُنَّ[3] عليَّ التراب سنًا.

ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ إنك أمرتنا فأضعنا، ونهيتنا فركبنا، فلا بريء فأعتذر، ولا عزيز فأنتصر، ولكن لا إله إلا الله، وما زال يقولها حَتَّى مات[4].

قَالَ ابن الأثير: وكان موته بمصر ليلة عيد الفطر، فصلّى عليه ابن عبد الله، ودُفن بالمقطم[5].

---

(١) أخرجه ابن عساكر.
(٢) خبرٌ صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٩٩، ٢٠٠) في «المسند» بنحوه، وغيره.
(٣) سَنَّ: صَبَّ.
(٤) خبر صحيح: أخرجه ابن سعد (٤/ ٢٦٠)، وانظر «الصحابة والصالحون على فراش الموت» للأخ/ مجدي فتحي السيد، (١٢٧ - ١٢٩) باختصار.
(٥) «أسد الغابة» (٤/ ٢١٢).

عباد الله...

وفي الجمعة القادمة نلتقي مع صحابيّ آخر إن شاء الله، فإلى أن نلتقي، نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإيَّاكم لِما يُحب ويَرضى.

اللهُمَّ انصر دينك، وكتابك، وسُنَّة نبيِّك، وعِبادك الصَّالحين.

آمين... آمين... آمين.



الخطبة الثالثة والخمسون

مع معاذ بن جبل

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

نحن عَلَى موعِدٍ مع صحابيّ جليل، تعدّدت مناقبه، وكثرت فضائله.

أتدرون مَن هٰذا الصحابي؟

إِنَّهُ معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عَدِيّ بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ ابن سعد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشم بن الخزرج، الأنصاريّ، الخزرجيّ، ثُمَّ الجُشَمي، وأُدَيّ الذي ينسب إليه هُوَ أخو سلمة بن سعد، القبيلة التي ينسب إليها من الأنصار.

وكان معاذ يُكنى أبا عبد الرحمن[١].

أسلم معاذ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - مبكرًا، فهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار.

وكان عمره لَـمَّا أسلم ثماني عشرة سنة[٢].

وتعددت فضائله - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - ومن هذه الفضائل:

(١) عَن عَبدَ اللَّهِ بنَ مَسعُودٍ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**خُذُوا القُرآنَ مِن أَربَعَةٍ: مِن ابنِ أُمِّ عَبدٍ، وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بنِ كَعبٍ، وَسَالِمٍ مَولَى أَبِي حُذَيفَةَ**»[٣].

(٢) عَن أَبِي هُرَيرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**نِعمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكرٍ، نِعمَ الرَّجُلُ عُمَرُ، نِعمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، نِعمَ الرَّجُلُ أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ، نِعمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بنُ قَيسِ بنِ شَمَّاسٍ، نِعمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، نِعمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بنُ عَمرِو بنِ الجَمُوحِ**»[٤].

(٣) عَن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَومًا ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**»، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ، قَالَ: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَن تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكرِكَ وَشُكرِكَ وَحُسنِ عِبَادَتِكَ**»[٥].

(٤) وعن عُمَر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - قَالَ: لو أدركت مُعاذ بن جبل، فاستخلفتُه فسألني ربّي عنه، فقلت: يا ربِّ سمعتُ نبيّك ﷺ يقول: «**إذا حضرت العلماءُ ربّهم يوم القيامة، كان معاذ بن جبل بين أيديهم بِقَذفة حَجَر**»[٦].

وفي رواية: «**إن العلماء إذا حضروا ربّهم كان معاذ بن جبل بين أيديهم رتوة[٧] بحجَر**»[٨].

---

(١) «أسد الغابة» (٥/ ١٧٥، ١٧٦).

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٩٧)، ومسلم (٢٤٦٤).

(٤) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٧٩٥)، وغيره.

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١١٥٢)، وغيره.

(٦) **صحيح**: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٢٨)، وانظر «الصحيحة» (١٠٩١).

(٧) **الرتوة**: الخطوة.

(٨) **صحيح**: انظر «الصحيحة» (١٠٩١).

(٥) عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبو بَكرٍ، وَأَشَدُّهُم فِي أَمرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصدَقُهُم حَيَاءً عُثمَانُ، وَأَعلَمُهُم بِالحَلَالِ وَالحَرَام مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَأَفرَضُهُم زَيدُ بنُ ثَابِتٍ، وَأَقرَؤُهُم أُبَيٌّ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبو عُبَيدَةَ ابنُ الجَرَّاحِ»[١].

(٦) وعَن سهل بن أبي حَثمَة - رَضِي الله عَنهُ -: كان الذين يُفتون عَلَى رسول الله ﷺ ثلاثة من المهاجرين: عُمَر، وعثمان، وعليّ. وثلاثة من الأنصار: أُبيٌّ بن كعب، ومُعاذ، وزيد.

وخطب عُمَر بالجابية فقال: مَن أراد الفقه فليأتِ معاذ بن جبل[٢].

(٧) وقال عُمَر - رَضِي الله عَنهُ -: «عجزت النِّساء أن يلدن مثل مُعاذ، لولا مُعاذ لهلك عُمَر»[٣].

(٨) وعن عبد الله بن مسعود - رَضِي الله عَنهُ - أَنَّهُ قَالَ: «إنَّ مُعاذ كان أُمّة قانتًا لله، فقال رجل من أشجع يُقال له فروة بن نوفل: نسي، إنما ذاك إبراهيم، فقال عبد الله: مَن نسي؟ إنما كنا نشبهه بإبراهيم.

قَالَ: وسُئِل عبد الله عن الأُمّة، فقال: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله»[٤].

لآلئ من مواعظه:

كان معاذ بن جبل - رَضِي الله عَنهُ - كما قَالَ أبو بَحرِيَّة: «إذا تكلّم كأنما يخرج من فِيهِ نورٌ ولؤلؤ».

عباد الله...

وكان معاذ - رَضِي الله عَنهُ - واعظًا مؤثرًا، تدخل مواعظه القلوب بغير استئذان، وهذا دليلٌ عَلَى عمق إيمانه، وعظيم إخلاصه.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٨٤)، والترمذي (٣٧٩٣)، وغيرهما.

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم (٣/ ٢٧١، ٢٧٢) وصحّحه، ووافقه الذهبيّ وابن حجر.

(٣) أخرجه البيهقيّ في «دلائل النبوّة».

(٤) صحيح موقوف: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٧٢)، وصححه، ووافقه الذهبيّ.

ومن مواعظه:

«إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق، والصغير والكبير، والأحمر والأسود، فيوشك قائل أن يقول: ما لي أقرأ على الناس القرآن فلا يتبعوني عليه فما أظنهم يتبعوني عليه حتى أبتدع لهم غيره. إياكم وإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة وأحذركم زيغه الحكيم فإن الشيطان يقول: عليّ في الحكيم كلمة الضلالة، وقد يقول المنافق كلمة الحق فاقبلوا الحق فإن على الحق نورًا.

قالوا: وما يدرينا رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة؟

قال: هي كلمة تنكرونها منه وتقولون ما هذه؟ فلا يثنكم، فإنه يوشك أن يفيء ويراجع بعض ما تعرفون» [(١)].

وقال له رجل: علمني. قال: وهل أنت مطيعي؟ قال: إني على طاعتك لحريص. قال: صم وأفطر، وصلِّ ونم، واكتسب ولا تأثم، ولا تموتنّ إلا وأنت مسلم، وإيَّاك ودعوة المظلوم[(٢)].

وقال - رَضِي الله عَنهُ -: «ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وستبتلون بفتنة السراء، وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورن الذهب، ولبسن رياط الشام وعصب اليمن فأتعبن الغنى وكلَّفن الفقير ما لا يجد» [(٣)].

وقال - رَضِي الله عَنهُ -: «أيها الناس، أربع خلال من استطاع منكم أن لا يدركه شيء منها فلا يدركه شيء منها قالوا: وما هنَّ؟

قال: يأتي زمان يظهر فيه الباطل ويصبح الرجل على دين ويمسي على آخر، ويقول الرجل: والله لا أدري على ما أنا؟ لا يعيش على بصيرة ولا يموت على بصيرة، ويعطي الرجل من المال مال الله على أن يتكلم بكلام الزور الذي يسخط الله عَزَّ وَجَلَّ» [(٤)].

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٢٤٧).
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.

وقال - رَضِي الله عَنهُ -: ثلاث مَن فعلهنّ فقد تعرَّض للمقت: الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر، والأكل من غير جوع[١].

عباد الله...

وكان معاذ - رَضِي الله عَنهُ - يجمع بين العلم والعمل، وهذا هُوَ ثمرة العلم النافع:

يقول جابر بن عبد الله: «كان معاذ بن جبل من أحسن النَّاس وجهًا، وأحسنه خُلقًا، وأسمحه كفًّا»[٢].

وقال ثور بن يزيد: «كان معاذ إذا تهجّد من اللَّيل قَالَ: «اللهُمَّ نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت حيٌّ قيّوم، اللهُمَّ طلبي الجَنَّة بطيءٌ، وهربي من النار ضعيف، اللهُمَّ اجعل لي عندك هُدًى تردّه إلى يوم القيامة، إنك لا تُخلف الميعاد»[٣].

وقال يزيد بن عُميرة، وكان من أصحاب معاذ بن جبل: كان معاذ بن جبل لا يجلس مجلسًا إلَّا قَالَ: «الله حكمٌ قِسطٌ تبارك اسمه، هلك المرتابون».

عباد الله...

وكان معاذ - رَضِي الله عَنهُ - من المجاهدين الأبطال، الذين سطروا في ساحة الوغى آيات الفداء والتضحية، فكان مِمَّن وصفهم الشاعر:

في اللَّيل رهبانٌ وعند قتالِهم ... لعدوِّهم من أشجعِ الفُرسَان

وها هي لقطاتٌ من أرض المعارك تبيِّن لنا شجاعة معاذ - رَضِي الله عَنهُ -:

اللقطة الأولى: جهاده في «فحل بيسان»:

قَالَ ثابت بن سهل بن سعد: كان مُعاذُ بن جبل يومئذٍ من أشدِّ النَّاس علينا حرصًا، وأمضاهم في رِقاب الروم سيفًا، فبينما هُوَ يحارب في ميمنة المسلمين إذ أقبلت

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٢٣٧).
(٢) «أسد الغابة» (٥/ ١٧٧).
(٣) نفس المرجع.

جنودُ الروم تحُوط عَسكر المسلمين، فبرز إليهم معاذ بن جبل في رجاله، ونادى فقال: أيُّهَا النَّاس اعلموا رحمكم الله أن الله قَد وعدكم بالنصر، وأيَّدكم بالإيمان، فانصروا الله ينصركم، ويثبِّت أقدامكم، واعلموا أن الله معكم وناصركم عَلَى عَبَدَةِ الأوثان[١].

اللقطة الثانية: جهاده في معركة اليرموك:

جاء في كتاب «الطريق إلى دمشق» (٤٧٢ - ٤٧٦): «أن معاذ بن جبل - رَضِي الله عَنهُ - أبلى يوم اليرموك بلاءً حسنًا، وكان قائد الميمنة يومها، وكان - رَضِي الله عَنهُ - يخطب صباح المعركة يقول للناس: يا قرَّاء القرآن، ومستحفظي الكتاب، وأنصار الهدى، وأولياء الحق، إن رحمة الله والله لا تُنال، وجنته لا تُدخل بالأماني، ولا يُؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدقين بما وعدهم الله عَزَّ وَجَلَّ، ألم تسمعوا قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَعَدَ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي الأَرضِ كَمَا استَخلَفَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ [النور: ٥٥]، أنتم إن شاء الله منصورون، ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَـهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفشَلُوا وَتَذهَبَ رِيحُكُم وَاصبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال: ٤٦].

واستحيوا من ربكم أن يراكم فرارًا من عدوِّكم، وأنتم في قبضته ورحمته، وليس لأحدٍ منكم ملجأ من دونه، لا متعزز بغير الله».

ولما انقضَّ الروم عَلَى الميمنة صاح معاذ بن جبل: يا عباد الله المسلمين، إنَّ هؤلاء قَد تيسروا للشدّة عليكم، ولا والله لا يردُّهم إلَّا صدق اللّقاء، والصبر في البأساء، ثُمَّ نزل عن فرسه، وقال: مَن أراد أن يأخذ فرسي ويقاتل عليه فليأخذه، وآثر بذلك أن يُقاتل راجلًا مع المُشاة، فوثب إليه ابنه عبد الرحمن بن معاذ بن جبل وهو غُلامٌ قَد احتلم، فقال: يا أبتِ إني لأرجو أن أكون أنا فارسًا أعظم غناء عن المسلمين مني راجلًا، وأنت يا أبت راجلٌ أعظم منك فارسًا، وأعظم المسلمين رجَالة، وإذا رأوك صابرًا محافظًا صبروا إن شاء الله وحافظوا، فقال معاذ: وفقني الله وإيَّاك يا بُنَي.

---

(١) الأزدي (١٣٧).

اللقطة الثالثة: جهاده في معركة حِمص:

قَالَ الواقدي: «وكان معاذ بن جبل قد انفرد في خمسمائة فارس إلى السواد والأموال، وانقض على الروم فلما شعرت الروم والعلوج ممن انغمس في الغارة وحمل الزاد والرحال والأمتعة إلا والطعن قد أخذهم بأسنة الرماح من كل جانب كأنها ألسنة النار المضرمة ونادى مناد: يا فتيان العرب اطلبوا الباب لئلا ينجو أحد من الروم برحالنا وأولادنا، فجعل المسلمون يطلبون الأبواب وكانت علوج الروم قد غرقت كل رحال المسلمين، فلما نظروا إلى معاذ وقد حمل عليهم في رجاله عادت وقد رمت الرحال وطلبت الهرب فانفلت منهم من انفلت وقتل من قتل. قال صهيب بن سيف الفزاري: فوالله ما انفلت من الخمسة آلاف الذين كانوا مع هربيس صاحب حمص إلا ما ينوف عن مائة فارس»[(١)].

هذا بالإضافة إلى أَنَّهُ شهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ.

فلِلَّه دَرّه من إمام عالم، عامل، عادل.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد حياة حافلة بالعطاء، قدّم معاذ خلالها الكثير لدينه، وبيّض طوالها صحائف أعماله، تُوفِّي - رَضِيَ الله عَنهُ - في طاعون عَمَواس، سنة ثماني عشرة، لينال بذلك أجر الشهداء.

قَالَ طارق بن عبد الرحمن: وقع الطاعون بالشام فاستمر فيها، فقال الناس: ما هذا إلا الطوفان إلا أنه ليس بماء. فبلغ معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، فقام خطيباً، فقال: أنه قد بلغني ما تقولون، وإنما هذه رحمة ربكم عَزَّ وَجَلَّ، ودعوة نبيكم ﷺ، وكفت

---

(١) «فتوح الشام» للواقدي (١/ ٢١٧) ط. المكتبة التوفيقية.

الصالحين قبلكم، ولكن خافوا ما هو أشد من ذلك أن يغدو الرجل منكم من منزله لا يدري أمؤمن هو أم منافق، وخافوا إمارة الصبيان(١).

وكان معاذ بن جبل - رَضِي الله عَنهُ - يقول: «اللهُمَّ أت آل مُعاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة، فطعن ابناه، فقال: كيف تجدانكما؟ قالا: يا أبانا: ﴿الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧].

قَالَ: وأنا ستجدانني إن شاء الله من الصابرين، ثُمَّ طُعنت امرأتاه فهلكتا، وطُعن هُوَ في إبهامه فجعل يمسها حَتَّى هلك.

وقال الحسن: لَـمَّا حضر معاذًا الموتُ جعل يبكي، فقيل له: أتبكي وأنت صاحب رسول الله ﷺ، وأنت وأنت؟

فقال: ما أبكي جزعًا من الموت إن حلّ بي، ولا دُنيا تركتها بعدي، ولكن إنما هي القبضتان، فلا أدري من أيّ القبضتين أنا(٢) (٣).

وصعدت روحُه الطاهرة إلى ربِّها مرضيّة، وكان عمره ثماني وثلاثين سنة رَضِي الله عَنهُ.

عباد الله...

وما زال نهر العطاء بفضل الله دافقًا، وفي الجمعة القادمة، نلتقي مع صحابيّ آخر إن شاء الله تعالى، فإلى اللقاء.

❁❁❁❁❁

---

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٤٠)، وغيره.

(٢) إشارة إلى حديث: «إن الله تعالى قبض خلقه قبضتين فقال: هؤلاء في الجَنَّة، وهؤلاء في النار» إسناده صحيح. أخرجه أحمد (٤/ ١٧٦).

(٣) «أسد الغابة» (٥/ ١٧٦).

الخطبة الرابعة والخمسون

مع أبي ذر الغفاريِّ

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فلقاؤنا اليوم إن شاء الله تعالى مع الصحابيِّ الزاهد الكبير أبي ذرّ الغفاريّ رَضِي الله عَنهُ.

عباد الله...

وأبو ذر هُوَ جُندب بين جنادة الغفاريّ.

وأُمّه رَملة بنت الوقيعة، من بني غفار أيضًا[(١)].

(١) «أسد الغابة» (٦/ ٩٢).

قَالَ ابن الأثير: «كان أبو ذرّ - رَضِيَ الله عَنهُ - من كبار الصَّحابة وفضلائهم، قديم الإسلام يقال: أسلم بعد أربعة وكان خامسًا، ثُمَّ انصرف إلى بلاد قومه وأقام بها، حَتَّى قَدِمَ عَلَى رسول الله ﷺ المدينة» ا.هـ[1].

وحدَّثنا - رَضِيَ الله عَنهُ - أَنَّهُ كان رابع مَن أسلم.

قَالَ - رَضِيَ الله عَنهُ -: «لقد رأيتني ربع الإسلام لم يُسلم قبلي إلَّا النبيّ ﷺ وأبو بكر وبلال رَضِيَ اللَّـهُ عَنهُمَا»[2].

وكان لإسلام أبي ذرّ قصّة عجيبة:

«قَالَ أَبُو جَمرَةَ: قَالَ لَنَا ابنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُخبِرُكُم بِإِسلَامِ أَبِي ذَرٍّ؟ قَالَ: قُلنَا: بَلَى.

قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنتُ رَجُلًا مِن غِفَارٍ فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلًا قَد خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقُلتُ لِأَخِي: انطَلِق إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمهُ وَأتِنِي بِخَبَرِهِ، فَانطَلَقَ فَلَقِيَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَقُلتُ: مَا عِندَكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَد رَأَيتُ رَجُلًا يَأمُرُ بِالخَيرِ وَيَنهَى عَنِ الشَّرِّ.

فَقُلتُ لَهُ: لَم تَشفِنِي مِنَ الخَبَرِ، فَأَخَذتُ جِرَابًا وَعَصًا ثُمَّ أَقبَلتُ إِلَى مَكَّةَ فَجَعَلتُ لَا أَعرِفُهُ وَأَكرَهُ أَن أَسأَلَ عَنهُ، وَأَشرَبُ مِن مَاءِ زَمزَمَ وَأَكُونُ فِي المَسجِدِ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ: كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ؟ قُلتُ: نَعَم.

قَالَ: فَانطَلِق إِلَى المَنزِلِ، فَانطَلَقتُ مَعَهُ لَا يَسأَلُنِي عَن شَيءٍ وَلَا أُخبِرُهُ، فَلَمَّا أَصبَحتُ غَدَوتُ إِلَى المَسجِدِ لِأَسأَلَ عَنهُ وَلَيسَ أَحَدٌ يُخبِرُنِي عَنهُ بِشَيءٍ، فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ يَعرِفُ مَنزِلَهُ بَعدُ؟ قُلتُ: لَا.

قَالَ: انطَلِق مَعِي، فَقَالَ: مَا أَمرُكَ؟ وَمَا أَقدَمَكَ هَذِهِ البَلدَةَ؟

قَالَ: قُلتُ لَهُ: إِن كَتَمتَ عَلَيَّ أَخبَرتُكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَفعَلُ.

قَالَ: قُلتُ لَهُ: بَلَغَنَا أَنَّهُ قَد خَرَجَ هَا هُنَا رَجُلٌ يَزعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَرسَلتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ

(١) المرجع السابق.

(٢) قَالَ الهيثمي في «المجمع» (١٥٨١٣): رواه الطبراني بإسنادين أحدهما متصل الإسناد، ورجاله ثقات.

فَرَجَعَ وَلَم يَشفِنِي مِن الخَبَرِ فَأَرَدتُ أَن أَلقَاهُ. فَقَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّكَ قَد رَشَدتَ هَذَا وَجهِي إِلَيهِ فَاتَّبِعنِي ادخُل حَيثُ أَدخُل فَإِنِّي إِن رَأَيتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيكَ قُمتُ إِلَى الحَائِطِ كَأَنِّي أُصلِحُ نَعلِي، وَامضِ أَنتَ، فَمَضَى وَمَضَيتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلتُ لَهُ: اعرِض عَلَيَّ الإِسلَامَ فَعَرَضَهُ فَأَسلَمتُ مَكَانِي.

فَقَالَ لِي: «**يَا أَبَا ذَرٍّ اكتُم هَذَا الأَمرَ وَارجِع إِلَى بَلَدِكَ فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقبِل**».

فَقُلتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَأَصرُخَنَّ بِهَا بَينَ أَظهُرِهِم فَجَاءَ إِلَى المَسجِدِ وَقُرَيشٌ فِيهِ فَقَالَ: يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ إِنِّي أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَقَامُوا فَضُرِبتُ لِأَمُوتَ، فَأَدرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ ثُمَّ أَقبَلَ عَلَيهِم فَقَالَ: وَيلَكُم تَقتُلُونَ رَجُلًا مِن غِفَارَ وَمَتجَرُكُم وَمَمَرُّكُم عَلَى غِفَارَ؟ فَأَقلَعُوا عَنِّي، فَلَمَّا أَن أَصبَحتُ الغَدَ رَجَعتُ فَقُلتُ مِثلَ مَا قُلتُ بِالأَمسِ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ فَصُنِعَ بِي مِثلَ مَا صُنِعَ بِالأَمسِ وَأَدرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ وَقَالَ مِثلَ مَقَالَتِهِ بِالأَمسِ.

قَالَ: فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللهُ»[1].

ويحكي عبادة بن الصَّامت - رَضِي الله عَنهُ - هُوَ الآخر قصّة إسلام أبي ذرّ - رَضِي الله عَنهُ - فيقول:

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَرَجنَا مِن قَومِنَا غِفَارٍ وَكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهرَ الحَرَامَ، فَخَرَجتُ أَنَا وَأَخِي أُنَيسٌ وَأُمُّنَا فَنَزَلنَا عَلَى خَالٍ لَنَا فَأَكرَمَنَا خَالُنَا وَأَحسَنَ إِلَينَا، فَحَسَدَنَا قَومُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ إِذَا خَرَجتَ عَن أَهلِكَ خَالَفَ إِلَيهِم أُنَيسٌ، فَجَاءَ خَالُنَا فذكر عَلَينَا الَّذِي قِيلَ لَهُ.

فَقُلتُ: أَمَّا مَا مَضَى مِن مَعرُوفِكَ فَقَد كَدَّرتَهُ وَلَا جِمَاعَ لَكَ فِيهَا بَعدُ، فَقَرَّبنَا صِرمَتَنَا فَاحتَمَلنَا عَلَيهَا وَتَغَطَّى خَالُنَا ثَوبَهُ فَجَعَلَ يَبكِي، فَانطَلَقنَا حَتَّى نَزَلنَا بِحَضرَةِ مَكَّةَ فَنَافَرَ أُنَيسٌ عَن صِرمَتِنَا وَعَن مِثلِهَا، فَأَتَيَا الكَاهِنَ فَخَيَّرَ أُنَيسًا فَأَتَانَا أُنَيسٌ بِصِرمَتِنَا وَمِثلِهَا مَعَهَا.

قَالَ: وَقَد صَلَّيتُ يَا ابنَ أَخِي قَبلَ أَن أَلقَى رَسُولَ اللهِ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ، قُلتُ:

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٠٠)، ومسلم (٢٤٧٤).

لِمَن؟ قَالَ: للهِ، قُلتُ: فَأَينَ تَوَجَّهُ؟

قَالَ: أَتَوَجَّهُ حَيثُ يُوَجِّهُنِي رَبِّي أُصَلِّي عِشَاءً، حَتَّى إِذَا كَانَ مِن آخِرِ اللَّيلِ أُلقِيتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ[١] حَتَّى تَعلُوَنِي الشَّمسُ.

فَقَالَ أُنَيسٌ: إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَاكفِنِي، فَانطَلَقَ أُنَيسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ فَرَاثَ عَلَيَّ[٢] ثُمَّ جَاءَ فَقُلتُ: مَا صَنَعتَ؟ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ يَزعُمُ أَنَّ اللهَ أَرسَلَهُ.

قُلتُ: فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ. وَكَانَ أُنَيسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ قَالَ أُنَيسٌ: لَقَد سَمِعتُ قَولَ الكَهَنَةِ فَمَا هُوَ بِقَولِهِم، وَلَقَد وَضَعتُ قَولَهُ عَلَى أَقرَاءِ الشِّعرِ فَمَا يَلتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعدِي أَنَّهُ شِعرٌ، وَاللهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ وَإِنَّهُم لَكَاذِبُونَ.

قَالَ: قُلتُ: فَاكفِنِي حَتَّى أَذهَبَ فَأَنظُرَ.

قَالَ: فَأَتَيتُ مَكَّةَ فَتَضَعَّفتُ[٣] رَجُلًا مِنهُم فَقُلتُ: أَينَ هَذَا الَّذِي تَدعُونَهُ الصَّابِئَ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَقَالَ: الصَّابِئَ؟ فَمَالَ عَلَيَّ أَهلُ الوَادِي بِكُلِّ مَدَرَةٍ وَعَظمٍ حَتَّى خَرَرتُ مَغشِيًّا عَلَيَّ.

قَالَ: فَارتَفَعتُ حِينَ ارتَفَعتُ كَأَنِّي نُصُبٌ[٤] أَحمَرُ، فَأَتَيتُ زَمزَمَ فَغَسَلتُ عَنِّي الدِّمَاءَ وَشَرِبتُ مِن مَائِهَا، وَلَقَد لَبِثتُ يَا ابنَ أَخِي ثَلَاثِينَ بَينَ لَيلَةٍ وَيَومٍ مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمزَمَ، فَسَمِنتُ حَتَّى تَكَسَّرَت عُكَنُ بَطنِي وَمَا وَجَدتُ عَلَى كَبِدِي سُخفَةَ جُوعٍ[٥].

قَالَ: فَبَينَا أَهلِ مَكَّةَ فِي لَيلَةٍ قَمرَاءَ إِضحِيَانَ[٦] إِذ ضُرِبَ عَلَى أَسمِخَتِهِم فَمَا يَطُوفُ بِالبَيتِ أَحَدٌ وَامرَأَتَينِ مِنهُم تَدعُوَانِ إِسَافًا وَنَائِلَةَ[٧].

قَالَ: فَأَتَتَا عَلَيَّ فِي طَوَافِهِمَا، فَقُلتُ: أَنكِحَا أَحَدَهُمَا الأُخرَى؟ قَالَ: فَمَا تَنَاهَتَا عَن

---

(١) الخفاء: كساء يطرح على السقاء.
(٢) يقال: راث فلان علينا؛ إذا أبطأ.
(٣) أي: نظرت إلى أضعفهم.
(٤) النصب: الصنم الذي كانوا يذبحون عليه.
(٥) سخفة الجوع: هزاله.
(٦) إضحيان: مضيئة لا غيم فيها.
(٧) صنمان تزعم العرب أنهما رجل وامرأة زنيا في الكعبة فَمُسخا صنمين.

قَولِهِمَا؟

قَالَ: فَأَتَتَا عَلَيَّ، فَقُلتُ: هَنٌ مِثلُ الخَشَبَةِ غَيرَ أَنِّي لَا أَكنِي، فَانطَلَقَتَا تُوَلوِلَانِ وَتَقُولَانِ: لَو كَانَ هَاهُنَا أَحَدٌ مِن أَنفَارِنَا؟

قَالَ: فَاستَقبَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكرٍ وَهُمَا هَابِطَانِ قَالَ: «**مَا لَكُمَا؟**» قَالَتَا: الصَّابِئُ بَينَ الكَعبَةِ وَأَستَارِهَا.

قَالَ: «**مَا قَالَ لَكُمَا؟**»، قَالَتَا: إِنَّهُ قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَملَأُ الفَمَ.

وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى استَلَمَ الحَجَرَ وَطَافَ بِالبَيتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ، ثُمَّ صَلَّى، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَكُنتُ أَنَا أَوَّلَ مَن حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الإِسلَامِ.

قَالَ: فَقُلتُ: السَّلَامُ عَلَيكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

فَقَالَ: «**وَعَلَيكَ وَرَحمَةُ اللهِ**».

ثُمَّ قَالَ: «**مَن أَنتَ؟**»

قَالَ: قُلتُ: مِن غِفَارٍ.

قَالَ: فَأَهوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبهَتِهِ، فَقُلتُ فِي نَفسِي كَرِهَ أَن انتَمَيتُ إِلَى غِفَارٍ فَذَهَبتُ آخُذُ بِيَدِهِ فَقَدَعَنِي صَاحِبُهُ، وَكَانَ أَعلَمَ بِهِ مِنِّي، ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ ثُمَّ قَالَ: «**مَتَى كُنتَ هَاهُنَا؟**»

قَالَ: قُلتُ: قَد كُنتُ هَاهُنَا مُنذُ ثَلَاثِينَ بَينَ لَيلَةٍ وَيَومٍ.

قَالَ: «**فَمَن كَانَ يُطعِمُكَ؟**».

قَالَ: قُلتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمزَمَ فَسَمِنتُ حَتَّى تَكَسَّرَت عُكَنُ بَطنِي وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخفَةَ جُوعٍ.

قَالَ: «**إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامُ طُعمٍ**».

فَقَالَ أَبُو بَكرٍ يَا رَسُولَ اللهِ ائذَن لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيلَةَ، فَانطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكرٍ وَانطَلَقتُ مَعَهُمَا فَفَتَحَ أَبُو بَكرٍ بَابًا فَجَعَلَ يَقبِضُ لَنَا مِن زَبِيبِ الطَّائِفِ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلتُهُ بِهَا، ثُمَّ غَبَرتُ مَا غَبَرتُ، ثُمَّ أَتَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّهُ قَد وُجِّهَت لِي أَرضٌ ذَاتُ نَخلٍ لَا أُرَاهَا إِلَّا يَثرِبَ، فَهَل أَنتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَومَكَ عَسَى اللهُ أَن يَنفَعَهُم**

بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِم؟».

فَأَتَيتُ أُنَيسًا فَقَالَ: مَا صَنَعتَ؟ قُلتُ: صَنَعتُ أَنِّي قَد أَسلَمتُ، وَصَدَّقتُ.

قَالَ: مَا بِي رَغبَةٌ عَن دِينِكَ، فَإِنِّي قَد أَسلَمتُ وَصَدَّقتُ، فَأَتَينَا أُمَّنَا فَقَالَت: مَا بِي رَغبَةٌ عَن دِينِكُمَا، فَإِنِّي قَد أَسلَمتُ وَصَدَّقتُ، فَاحتَمَلنَا حَتَّى أَتَينَا قَومَنَا غِفَارًا فَأَسلَمَ نِصفُهُم وَكَانَ يَؤُمُّهُم أَيمَاءُ بنُ رَحَضَةَ الغِفَارِيُّ وَكَانَ سَيِّدَهُم وَقَالَ نِصفُهُم: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ أَسلَمنَا.

فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ فَأَسلَمَ نِصفُهُم البَاقِي، وَجَاءَت أَسلَمُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِخوَتُنَا نُسلِمُ عَلَى الَّذِي أَسلَمُوا عَلَيهِ فَأَسلَمُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا وَأَسلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ**»[1].

هذا، وقد وردت في فضائل أبي ذر أحاديث، منها:

أخرج الإمام أحمد عن النبيّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَن أَحَبّ أن ينظر إلى المسيح عيسى ابن مريم، إلى بِرِّه، وصِدقهِ، وجِدِّه، فلينظر إلى أبي ذرّ**»[2].

وقال الإمام الذهبيّ - رحمه الله -: «كان أبو ذرّ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وكان رأسًا في الزهد، والصّدق، والعلم، والعمل، قوّالًا بالحقّ، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، عَلَى حِدَّة فيه» ا.هـ[3].

عباد الله...

ولم يكن أبو ذرّ منطويًا عَلَى نفسه، ومنزويًا عن الحياة كما يعتقد البعض، بل كان رأسًا في الجهاد والدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

ومِمَّا يدل عَلَى ذلك:

أَنَّهُ كان حامل راية غفَّار (قبيلته) يوم حُنين.

واشترك - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - في غزوة تبوك، آخر غزوة غزاها النبي ﷺ، وكانت له

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧٣)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٧٤) وغيرهما.
(٢) قَالَ الهيثمي في «المجمع» (١٥٨١٧): رواه أحمد، ورجاله وثقوا، وفي بعضهم خلاف.
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٦، ٤٧).

فيها قصّة يحكيها لنا ابن مسعود - رَضِي الله عَنهُ - فيقول:

«لَـمَّا سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال يتخلف الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان. فيقول: «**دعوه، إن يكن فيه خير فَسَيُلحقه الله بِكُم، وإن يكن غير ذلك فقد أَراحكم الله منه**». حتى قيل: يا رسول الله، تخلف أبو ذر.

فقال رسول الله ﷺ ما كان يقوله، فتلوّم أبو ذر على بعيره[1]، فلما أبطأ عليه أخَذَ متاعه فجعله على ظهره، ثم خرج يتبع رسول الله ﷺ ماشيًا، ونظر ناظر من المسلمين فقال: إن هذا الرجل يمشي على الطريق، فقال رسول الله ﷺ: «**كُن أبا ذر**». فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، وهو والله أَبو ذر.

فقال رسول الله ﷺ: «**يرحم الله أبا ذر، يَمشي وَحدهُ وَيَموتُ وَحدَهُ ويُحشَر وحده**»[2].

عباد الله...

وكان أبو ذرٍّ - رَضِي الله عَنهُ - واعظًا مؤثّرًا، وإليكم بعضًا من هذه المواعظ التي تُكتب بماء الذَّهب:

عن سفيان الثوري - رحمه الله - قَالَ: «قام أبو ذر الغفاريّ عند الكعبة فقال: يا أيها الناس أنا جندب الغفاريّ هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق، فاكتنفه الناس فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرًا أليس يتخذ من الزَّاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلى.

قَالَ: فإن سفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا ما يصلحكم.

قالوا: وما يصلحنا؟

قَالَ: حُجُّوا حجةً لعظائم الأمور وصوموا يومًا شديدًا حرُّه لطول النُّشور، وصلُّوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور، وكلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوم عظيم، تصدَّق بمالك لعلك تنجو من عسيرها.

اجعل الدنيا مجلسين مجلسًا في طلب الحلال، ومجلسًا في طلب الآخرة، الثالث

(١) وكان بعيره هزيلًا، ومعنى تلوّم: تلبّث ومكث.
(٢) «أسد الغابة» (٦/ ٩٤).

يضرّك ولا يَنفَعُك، لا تُرِدهُ.

اجعل المال دِرهمين درهمًا تُنفقه على عيالك من حِلِّه، ودرهمًا تقدّمه لآخرتك، الثالث يضرّك ولا ينفعك، لا تُرِدهُ.

ثم نادى بأعلى صوته: يا أيها الناس قد قتلكم حِرصٌ لا تدركونه أبدًا»[(١)].

وعن إبراهيم التيميّ، قَالَ: قَالَ أبي: «خرجنا حجاجًا فوجدنا أبا ذر بالربذة[(٢)] قائمًا يصلي، فانتظرناه حتى فرغ من صلاته، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: هلم إلى الأخ الناصح الشفيق، ثم بكى فاشتد بكاؤه وقال: قتلني حبّ يوم لا أدركه. قيل: وما يوم لا تدركه؟ قَالَ: طول الأمل»[(٣)].

عباد الله...

وكان أبو ذرّ - رَضِي الله عَنهُ - حليمًا رفيقًا شفيقًا:

قَالَ - رَضِي الله عَنهُ - لرجل شَتَمهُ: «يا هذا لا تُغرق في سبِّنا ودع للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ مَن عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه»[(٤)].

وقال - رَضِي الله عَنهُ - لغلامه يومًا: «لِمَ أرسلتَ الشاة عَلَى عَلَف الفرس؟ قَالَ: أردتُ أن أغيظك. قَالَ أبو ذرّ: لأجمعن مع الغيظ أجرًا، أنت حُرّ لوجه الله»[(٥)].

عباد الله...

هل كان أبو ذر شيوعيًّا كما زعم بعض الكُتَّاب المعاصرين؟

يجيب عن هذا السؤال الشيخ/ مُحَمَّد الغزالي - رحمه الله - فيقول: «قَالَ لي أحد الشيوعيين: أنا مع اليسار الإسلامي.

فلبثت مليًّا ثُمَّ قلت: الإسلام دين ليس له يسار وليس له يمين، إنَّهُ نهج فذٌّ يخالف

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٣٠٢).

(٢) الربذة: بلدة قُرب المدينة، عاش فيها أبو ذر في نهاية حياته وتُوفِّي بها.

(٣) «صفة الصفوة» (١/ ٣٠٣).

(٤) «عيون الأخبار» (١/ ٢٨٥).

(٥) «نثر الدر» (٢/ ٧٧).

المغضوب عليهم كما يخالف الضالين.

قَالَ: أعني أنني مع رأي أبي ذر - رَضِي الله عَنهُ -.

فتفرست فيه ثُمَّ أجبته: إنني أعرف أنك شيوعي، فهل أنت مع أبي ذر في الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين؟ هل أنت مع الرجل الصالح في أداء الفرائض من صلاة وصيام وترك المناكر من خنا وبغي؟ هل أنت معه في الإيثار والمرحمة فلا تبقى لديك فلسًا لأنك أسرع النَّاس إلى البذل والمواساة وطلب الآخرة؟

إن أبا ذر - رَضِي الله عَنهُ - عاش زاهدًا مجاهدًا لم يَخذل الإسلام في موطن ولا نكص في معركة، بل كان أصرح النَّاس رأيًا وأشهدهم في الله بأسًا، فما أنت وأبو ذرّ؟

قَالَ: أنا أُتابعه عَلَى رأيه في المال، إنَّهُ يُحرّم ألا يستبقي أحدٌ عنده فوق حاجته.

قلت ضاحكًا: أحسبك تكلف الآخرين بهذا الرأي، أما أنت فما أحسبك تتنازل للفقراء عن قصر ملكته بطريقةً ما، أو مزرعة جاءتك ولو بطريق الميراث.

لقد ظننتم أن أبا ذر شيوعيًا والرجل بعيد عن هذه النزعة، إنَّهُ مسلم صالح يتبع القرآن والسُّنة ولا يعدل بهما شيئًا في الأولين والآخرين.

والمسلمون كلهم يرون أَنَّهُ في الأزمات التي تهدِّد الإسلام وتهُزُّ أركانه يجب ألا يدخر أحد نفسًا ولا مالًا، وقد كان جمهور المؤمنين في الأيام العصيبة - مثل غزوة العُسرة - يتنافسون في دعم الجهود الحربيّة، فمنهم من يخرج من ماله كله، ومنهم من يخرج من ماله نصفه، ومنهم من يبذل القناطير المقنطرة.

وكذلك كانوا يتباذلون في أيام السلام، فلا يَدَعون محرومًا ولا يُضيعون ضعيفًا، ونهضت تقاليد الكرم وخفت نوازع الشح، واستقرَّ بين النَّاس إنفاق ما زاد عَلَى الحاجة.

لكن شيئًا من ذلك لم يُعَطِّل آيات المواريث، ولم يمنع أصحاب الفضول أن تكون لهم مدخرات تنفعهم في غدهم، وتنفع ذراريهم من بعدهم، ولم يختفِّ التفاوت بين الأغنياء والفقراء في مقادير الثروات التي يحوزونها.

الذي اختفى هوالتضوُّر والبأساء، ربما ظن أبو ذر أن النعماء التي شاعت أن أحدًا

لم يمسك شيئًا يزيد عَلَى حاجته، وربما سبق إلى ذهنه أنَّهُ يحرِّم الادخار عَلَى المؤمن.

لقد اتفق أولو الرأي والعقل عَلَى أن ذلك خطأ، فهل يعني ذلك اتهام الرجل الصالح بأنه من اليسار الإسلامي؟

إن الشريعة في البناء أخت العقيدة في الأساس، ومع الشريعة والعقيدة معًا تسير، ونرفض أي تحريف...». ا.هـ[١].

عباد الله...

هذه لقطات من حياة أبي ذرّ - رَضِيَ الله عَنهُ - يتبيّن لنا من خلالها خِلال هذا الرجل المبارك، وهي خِلالٌ صاغها الإسلام.

فهي جديرة إذًا بالاحترام، والمتابعة.

نسأل الله التوفيق لاتباع أصحاب النبيّ الأمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وفي سنة إحدى وثلاثين، أو اثنين وثلاثين، نام أبو ذر على فراش الموت، وتأهّب للقاء مولاه.

وكان لموته قصّة:

عَن إبرَاهِيمَ يَعنِي ابنَ الأَشتَرِ عَن أَبِيهِ: «أَنَّ أَبَا ذَرٍّ حَضَرَهُ المَوتُ وَهُوَ بِالرَّبَذَةِ فَبَكَت امرَأَتُهُ فَقَالَ: مَا يُبكِيكِ؟ قَالَت: أَبكِي لَا يَدَ لِي بِنَفسِكَ وَلَيسَ عِندِي ثَوبٌ يَسَعُكَ كَفَنًا.

فَقَالَ: لَا تَبكِي فَإِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوم وَأَنَا عِندَهُ فِي نَفَرٍ يَقُولُ: «**لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنكُم بِفَلَاةٍ مِن الأَرضِ يَشهَدُهُ عِصَابَةٌ مِن المُؤمِنِينَ**»، قَالَ: فَكُلُّ مَن كَانَ

---

(١) «الحق المر» (١٣، ١٤).

مَعِي فِي ذَلِكَ المَجلِسِ مَاتَ فِي جَمَاعَةٍ وَفُرقَةٍ فَلَم يَبقَ مِنهُم غَيرِي وَقَد أَصبَحتُ بِالفَلَاةِ أَمُوتُ فَرَاقِبِي الطَّرِيقَ، فَإِنَّكِ سَوفَ تَرَينَ مَا أَقُولُ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا كَذَبتُ وَلَا كُذِبتُ.

قَالَت: وَأَنَّى ذَلِكَ وَقَد انقَطَعَ الحَاجُّ، قَالَ: رَاقِبِي الطَّرِيقَ.

قَالَ: فَبَينَا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا هِيَ بِالقَومِ تَخُدُّ بِهِم رَوَاحِلُهُم كَأَنَّهُم الرَّخَمُ[1] فَأَقبَلَ القَومُ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيهَا فَقَالُوا: مَا لَكِ؟

قَالَت: امرُؤٌ مِن المُسلِمِينَ تُكَفِّنُونَهُ وَتُؤجَرُونَ فِيهِ.

قَالُوا: وَمَن هُوَ؟

قَالَت: أَبُو ذَرٍّ، فَفَدَوهُ بِآبَائِهِم وَأُمَّهَاتِهِم، وَوَضَعُوا سِيَاطَهُم فِي نُحُورِهَا يَبتَدِرُونَهُ، فَقَالَ: أَبشِرُوا أَنتُم النَّفَرُ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيكُم مَا قَالَ، أَبشِرُوا سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِن امرَأَينِ مُسلِمَينِ هَلَكَ بَينَهُمَا وَلَدَانِ أَو ثَلَاثَةٌ فَاحتَسَبَا وَصَبَرَا فَيَرَيَانِ النَّارَ أَبَدًا**»، ثُمَّ قَد أَصبَحتُ اليَومَ حَيثُ تَرَونَ وَلَو أَنَّ ثَوبًا مِن ثِيَابِي يَسَعُنِي لَم أُكَفَّن إِلَّا فِيهِ، فَأَنشُدُكُم اللَّهَ أَن لَا يُكَفِّنَنِي رَجُلٌ مِنكُم كَانَ أَمِيرًا أَو عَرِيفًا أَو بَرِيدًا، فَكُلُّ القَومِ كَانَ قَد نَالَ مِن ذَلِكَ شَيئًا إِلَّا فَتًى مِن الأَنصَارِ كَانَ مَعَ القَومِ.

قَالَ: أَنَا صَاحِبُكَ، ثَوبَانِ فِي عَيبَتِي مِن غَزلِ أُمِّي، وَأَجِدُ ثَوبَيَّ هَذَينِ اللَّذَينِ عَلَيَّ، قَالَ: أَنتَ صَاحِبِي فَكَفِّنِّي».

فكفنه الأنصاري ودفنه في النفر الذين معه منهم حُجر بن عَديّ بن الأدبر ومالك ابن الأشتر في نفر كلهم يمان[2].

وقد ذكر مُحَمَّد بن إسحاق في «المغازي»: أن أبا ذر مات بالربذة سنة اثنين وثلاثين وصَلَّى عليه ابن مسعود منصرفه من الكوفة.

وعن القرظيّ قَالَ: خرج أبو ذر إلى الربذة فأصابه قدره، فأوصاهم أن كفنوني ثُمَّ

---

(١) الرخم: طائر على شكل النِّسر إلا أنَّهُ متبقّع بسوادٍ وبياض.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢٣٢)، وأحمد (٥/ ١٦٦)، وغيرهما، وقال الأستاذ/ مجدي فتحي السيد في كتابه «الصحابة والصالحون على فراش الموت» (٨٩): حديث صحيح بطرقه.

ضعوني عَلَى قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا لهم: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا عَلَى غسله ودفنه، فأقبل ابن مسعود في ركب من أهل العراق - رَضِي الله عَنهُ -[١].

فوداعًا يا أبا ذرّ، ووداعًا يا من أثنى عليك رسول الله ﷺ بقوله: «**مَا أَظَلَّت الخَضرَاءُ وَلَا أَقَلَّت الغَبرَاءُ مِن ذِي لَهجَةٍ أَصدَقَ مِن أَبِي ذَرٍّ**»[٢].

وإلى اللقاء مع صحابيّ آخر إن شاء الله.

اللهُمَّ اجعلنا مِن أحبِّ خَلقِك إليك، ومن المقربين لَديك.

آمين... آمين... آمين.

---

(١) أورده ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥٩٩)، وغيره، وقال الأستاذ مجدي فتحي السيد: سنده ضعيف، فيه بردة بن سفيان في عداد الضعفاء.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (١/ ٣٨٠)، وأحمد (٥/ ١٩٧)، وغيرهما.

الخطبة الخامسة والخمسون

مع أبي الدرداء

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فلقاؤنا اليوم إن شاء الله تعالى مع الإمام الحكيم، الزاهد، أبي الدرداء رَضِي الله عَنهُ.

وهو عويمر بن عامر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عديّ بن كعب ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.

قَالَ ابن الأثير: «وكان من أفاضل الصَّحابة وفقهائهم وحكمائهم» ا.هـ[١].

وقال أيضًا: «وكان فقيهًا عاقلًا حكيمًا»[٢].

---

(١) «أسد الغابة» (٤/ ٢٨٠).

(٢) «أسد الغابة» (٦/ ٩٠).

عباد الله...

ما هي قصّة إسلامه؟

تأخّر إسلام أبي الدرداء - رَضِي الله عَنهُ - فلم يشهد بدرًا، وشهد أُحُدًا وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وقيل: لم يشهد أُحُدًا.

وآخى النبيُّ ﷺ بينه وبين سلمان الفارسيّ.

عباد الله...

وكان أبو الدرداء واعظًا بكّاءً.

فعن ابن جُبير، عن أبيه، قَالَ: «لَـمَّا فُتِحت قُبرص مُرَّ بالسَّبي عَلَى أبي الدرداء، فبكى، فقلتُ له: تبكي في مثل هذا اليوم الذي أعزّ اللّـهُ فيه الإسلام وأهله؟

قَالَ: يا جُبير، بينا هذه الأُمّة قاهرة ظاهرة إذ عَصَوا الله، ما أهون العباد عَلَى الله إذا عصوه».

وها هُوَ أبو الدرداء - رَضِي الله عَنهُ - يعطي الدعاة إلى الله درسًا في كيفية الموعظة.

روى أيوب، عن أبي قلابة: «أن أبا الدرداء مَرَّ عَلَى رجلٍ قَد أصاب ذنبًا، وكانوا يسبّونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟

قالوا: بلى.

قَالَ: فلا تسبّوا أخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم.

قالوا: أفلا تُبغضه؟

قَالَ: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي»[١].

وكانت مواعظ أبي الدرداء - رَضِي الله عَنهُ - بمثابة السَّوط الذي يقرع النفوس لتنهض من كبوتها، وتواصل مسيرتها نحو ربِّها.

وعن أبي الدرداء، - رَضِي الله عَنهُ - قال: «لن تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا، ولا

---

(١) «أسد الغابة» (٤/ ٢٨٠).

تكون متعلمًا حتى تكون بها علمت عاملا؛ إن أخوف ما أخاف إذا وقفت للحساب أن يقال لي: ما عملت فيما علمت».

وروى لقمان بن عامر، أن أبا الدرداء قال: «أهل الأموال يأكلون ونأكل، ويشربون ونشرب، ويلبسون ونلبس، ويركبون ونركب، ولهم فضول أموال ينظرون إليها، وننظر إليها معهم، وحسابهم عليها ونحن منها برآء»[(١)].

وروى لقمان بن عامر أيضًا: «أن أبا الدرداء قَالَ: الحمد لله الذي جعل الأغنياء يتمنون أنهم مثلنا عند الموت، ولا نتمنى أننا مثلهم حينئذ.

ما أنصفنا إخواننا الأغنياء: يحبوننا على الدين، ويعادوننا على الدنيا».

وعن الضحاك قَالَ: «قال أبو الدرداء: يا أهل دمشق أنتم الإخوان في الدِّين، والجيران في الدَّار، والأنصار على الأعداء، ما يمنعكم من مودتي؟ وإنما مؤنتي على غيركم.

ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون؟

وأراكم قد أقبلتم على ما تكفَّل لكم به، وتركتم ما أُمرتم به إلا أن قوما بنوا شديدًا وجمعوا كثيرًا وأمَّلوا بعيدًا، فأصبح بنيانهم قبورًا وأملهم غرورًا وجمعهم بورا.

ألا فتعلموا وعلموا، فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير في الناس بعدهما»[(٢)].

وعن يحيى بن سعيد قَالَ: قال أبو الدرداء: «أدركت الناس ورقًا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورقة فيه، إن نقدتهم نقدوك وإن تركتهم لا يتركوك.

قالوا فكيف نصنع؟

قَالَ: تقرضهم من عِرضك ليوم فقرك»[(٣)].

وعن عبد الرحمن بن محمد المحاربي قَالَ: «بلغني أن أبا الدرداء كتب إلى أخٍ له: أمَّا

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٥٠).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٦٢٨).

(٣) نفس المرجع.

بعد... فلست في شيء من أمر الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك، وهو صائر له أهلٌ بعدك، وليس لك منه إلا ما قدمت لنفسك، فآثرها على المصلح من ولدك فإنك تَقدم على من لا يعذرك، وتجمع لمن لا يحمدك، وإنما تجمع لواحد من اثنين: إمَّا عامل فيه بطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ فيسعد بما شقيت، وإما عاملٌ فيه بمعصية الله عَزَّ وَجَلَّ فيشقى بما جمعت له وليس والله واحد منها بأهل أن تبرد له على ظهرك وأن تؤثره على نفسك.

ارج لمن مضى منهم رحمة الله، وَثِق لِمَن بَقِي منهم برزق الله عَزَّ وَجَلَّ، والسَّلام» [١].

وروى ابن حوشب، عن أبيه: «أنه سمع أبا الدرداء على المنبر يخطب الناس وهو يقول: إني لخائف يوم ينادي مناد فيقول: يا عويمر. فأقول: لبيك رب لبيك. فيقول: أما علمت؟ فأقول: نعم. فيقال: كيف عملت فيما علمت؟ فتأتي كل آية في كتاب الله زاجرة وآمرة تسألني فريضتها، فتشهد علي الآمرة بأني لم أفعل، وتشهد علي الزاجرة بأني لم أنته أو أترك. فأعوذ بالله من قلب لا يخشع، ومن عمل لا ينفع، ومن صوت لا يسمع، وأعوذ بالله من دعاء لا يُجاب» [٢].

وعن عبد الرحمن بن جُبير: «أن رجلا قال لأبي الدرداء: علمني كلمة ينفعني الله بها. قال: «واثنين، وثلاثا، وأربعا، وخمسا، من عمل بهن كان ثوابه على الله عز وجل الدرجات العلا: لا تأكل إلا طيبًا، ولا تكسب إلا طيبًا، ولا تدخل بيتك إلا طيبًا، واسأل الله رزقك يوما بيوم، وإذا أصبحت فاعدد نفسك مع الأموات فكأنك قد لحقت بهم، وهب عرضك لله فمن سبك أو شتمك أو قاتلك فدعه لله، فإذا أسأت فاستغفر الله» [٣].

وعن شرحبيل بن مسلم الخولاني، وعبد الله بن عبيد الكلاعي: «أن أبا الدرداء كان إذا رأى الجنازة قال: أُغدي فإنّا رائحون، وروحي فإنا غادون، موعظة بليغة وغفلة سريعة، كفى بالموت واعظًا، يذهب الأول فالأول، ويبقى الآخر لا حلم له» [٤].

---

(١) نفس المرجع.
(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (١٣٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٣)، وإسناده حسن.
(٣) أخرجه أبو داود (٢٤٦) في «الزهد».
(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٥) في «الزهد».

وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير قَالَ: «أن أبا الدرداء كان يقول: «إن أعمالكم تُعرض عَلَى موتاكم فيسرّون ويساءون».

عباد الله...

وكان أبو الدرداء - رَضِيَ الله عَنهُ - شديد الخوف من الحساب.

عن الزُّهريّ: «أن أبا الدرداء انتهى إلى جارية له تَرعَى غنمًا، فأعطى جاريته فرسه، ثُمَّ قَالَ: لا يغلبك، ثُمَّ طاف في غنمه فانفلتت الفرسُ، فجالت الغنم حَتَّى تكسّر عامتها، فجاء أبو الدرداء إليها يشتد رافعًا السَّوط، حَتَّى إذا دنا منها كَفّ، وقال: لولا القود لأوجعتُك».

هذا هُوَ الخوف من الله في أسمى صوره، وهو ثمرة معرفة الله تعالى.

وثمرة الخوف من الله: الجَنَّة.

قَالَ تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

اللهُمَّ اجعلنا نخشاك كأننا نراك، وأسعدنا بتقواك.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

قَالَ ابن الأثير: «وُلِّيَ أبو الدرداء قضاء دمشق في خلافة عثمان، وتُوفِّيَ قبل أن يُقتَل عثمان بسنتين». ا.هـ(١).

عباد الله...

لم تنقطع مواعظُ أبي الدرداء إلا قُبيل خروج روحه.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٢/ ٣٥٦، ٣٥٧)، وغيره.

وها هُوَ عَلَى فراش الموت يواصل مواعظه.

عن جعفر بن زيد العبدي: «أن أبا الدرداء لَـمَّا نزل به الموت بكى، فقالت له أم الدرداء: وأنت تبكي يا صاحب رسول الله؟ قَالَ: نعم، وما لي لا أبكي ولا أدري عَلَام أُهجَم من ذنوبي» [١].

وروى أبو إدريس الخولاني: «أن أبا الدرداء - رَضِيَ الله عَنهُ - مرض مرضه الذي مات فيه، وكثر العُوَّاد في منزله، فجعل النَّاس يعودونه أرسالًا، فجاء أبو إدريس إلى أبي الدرداء وهو يجود بنفسه، فتخطى النَّاس حَتَّى جلس عند رأسه، فقال أبو إدريس: الله أكبر، الله أكبر، فجعل يكثر.

فرفع أبو الدرداء رأسه فقال: إن الله عَزَّ وَجَلَّ إذا قضى قضاءً أحب أن يُرضى به، ثُمَّ قَالَ: ألا رجلٌ يعمل لمثل مصرعي هذا؟ ألا رجلٌ يعمل لمثل ساعتي هذه؟ ثُمَّ قضى [٢].

وقال ابن أبي المهاجر: لَـمَّا حضرت أبا الدرداء الوفاة جعل يقول: مَن يعمل لمثل مضجعي هذا؟ مَن يعمل لمثل ساعتي هذه؟

قَالَ: وجاء ابنه بلال بن أبي الدرداء، فقال: قُم عنِّي، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠].

ثُمَّ يُردِّد: مَن يعمل لمثل مضجعي هذا؟

مَن يعمل لمثل ساعتي هذه؟ حَتَّى قضى [٣].

وقال معاوية بن قرة - رحمه الله -: «إن أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه، فقالوا: ما تشتكي يا أبا الدرداء؟

قَالَ: أشتكي ذنوبي.

قالوا: فما تشتهي؟

---

(١) «أسد الغابة» (٤/ ٢٨٠).

(٢) «وصايا العلماء عند حضور الموت» للربعي (٥٥، ٥٦).

(٣) «وصايا العلماء عند حضور الموت» للربعي (٥٦).

قَالَ: أشتهي الجَنَّة.

قالوا: أفلا ندعو لك طبيبًا؟

قَالَ: هُوَ الذي أضجعني»[١].

وعن أُمّ الدرداء: «أن أبا الدرداء - رَضِيَ الله عَنهُ - لَـمَّا احتضر جعل يقول: مَن يعمل لمثل يومي هذا؟

مَن يعمل لمثل ساعتي هذه؟

مَن يعمل لمثل مضجعي هذا؟

ثُمَّ يقول: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]. ثُمَّ قُبض رَضِيَ الله عَنهُ وأرضاه»[٢].

عباد الله...

وقبل أن تسافر الرُّوحُ الطيّبة إلى ربِّها - راضية مرضية - تقدّمت أُمّ الدرداء من أبي الدرداء، وقالت له: «إنك خطبتني إلى أبويّ في الدنيا فأنكحوك، وأنا أخطبك إلى نَفسِك في الآخرة.

قَالَ: فلا تنكحين بعدي»[٣].

فخطبها معاوية - أي بعد وفاة أبي الدرداء - فأخبرته بالذي كان، فقال لها: «عليك بالصّيام»[٤].

ما هي آخر كلماته عند الموت؟

وقال شميط بن عجلان: لما نزل بأبي الدرداء الموت جزع جزعًا شديدًا، فقالت له أم الدرداء: ألم تك تخبرنا أنك تحب الموت؟

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٦٤١).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٦٤٢).

(٣) وذلك لقوله ﷺ: «المرأة لآخر أزواجها» رواه الطبراني في «الكبير»، وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٩١): صحيح.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٧٧، ٢٧٨).

قال: بلى وعزة ربي، ولكن نفسي لما استيقنت الموت كرهته، ثم بكى وقال: هذه آخر ساعاتي من الدنيا، لقنوني «لا إله إلا الله» فلم يزل يرددها حتى مات[١].

عباد الله...

وإذا كان هذا هُوَ حال الصَّحابة رضي الله عنهم عند موتهم، فكيف يكون حالُنا مع شدّة تقصيرنا وتفريطنا؟

اللهُمَّ اغفر وارحم، واعف وتكرّم، وتجاوز عمّا تعلم، إنَّك أنت الأعز الأكرم.



(١) «أسد الغابة» (٤/ ٢٨٠).

الخطبة السادسة والخمسون

مع سعد بن معاذ

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فلقاؤنا اليوم إن شاء الله تعالى مع صحابيّ اهتزّ لموتهِ عرشُ الرَّحمن.

يا تُرى مَن هذا العبد الصالح الذي نال هذا الشرف، وارتفع إلى هذا الأفق العالي؟ رجل في الأرض يموت، يهتز العرش لموته؟

يا سعادة مَن يعرف الله، تعالوا يا بني الإنسان، تعالوا لنرى جميعًا عظمة هذا الدِّين، وعظمة رجاله.

مَن هذا الصحابي الجليل؟

إِنَّهُ سعد بن معاذ بن النُّعمان بن زيد بن عبد الأشهل.

يُكنى أبا عمرو.

وأُمّه: كبشة بنت رافع، من المبايعات.

أسلم - رَضِي الله عَنهُ - عَلَى يد مصعب بن عمير - كما تقدم - فأسلم بإسلامه بنو عبد الأشهل، وهي أول دار أسلمت من الأنصار.

عباد الله...

ولسعدٍ - رَضِي الله عَنهُ - مواقف خالدة، تُكتب بماء الذهب، نذكر منها ثلاثة مواقف:

الموقف الأول: مع أبي جهل - لعنه الله -:

عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: «انطَلَقَ سَعدُ بنُ مُعَاذٍ مُعتَمِرًا[١]، فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ أَبِي صَفوَانَ، وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا انطَلَقَ إِلَى الشَّام[٢] فَمَرَّ بِالمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعدٍ فَقَالَ أُمَيَّةُ لِسَعدٍ: انتَظِر حَتَّى إِذَا انتَصَفَ النَّهَارُ وَغَفَلَ النَّاسُ انطَلَقتُ فَطُفتُ، فَبَينَا سَعدٌ يَطُوفُ إِذَا أَبُو جَهلٍ فَقَالَ: مَن هَذَا الَّذِي يَطُوفُ بِالكَعبَةِ؟

فَقَالَ سَعدٌ: أَنَا سَعدٌ.

فَقَالَ أَبُو جَهلٍ: تَطُوفُ بِالكَعبَةِ آمِنًا وَقَد آوَيتُم مُحَمَّدًا وَأَصحَابَهُ؟

فَقَالَ: نَعَم، فَتَلَاحَيَا بَينَهُمَا فَقَالَ أُمَيَّةُ لسَعدٍ: لَا تَرفَع صَوتَكَ عَلَى أَبِي الحَكَمِ فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهلِ الوَادِي.

ثُمَّ قَالَ: سَعدٌ وَاللَّهِ لَئِن مَنَعتَنِي أَن أَطُوفَ بِالبَيتِ لَأَقطَعَنَّ مَتجَرَكَ بِالشَّامِ.

قَالَ: فَجَعَلَ أُمَيَّةُ يَقُولُ لِسَعدٍ: لَا تَرفَع صَوتَكَ، وَجَعَلَ يُمسِكُهُ، فَغَضِبَ سَعدٌ فَقَالَ: دَعنَا عَنكَ فَإِنِّي سَمِعتُ مُحَمَّدًا ﷺ يَزعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ.

قَالَ: إِيَّايَ؟

قَالَ: نَعَم.

---

(١) كان ذَلِكَ بعد إسلامه.

(٢) أي: لتجارته.

قَالَ: وَاللهِ مَا يَكذِبُ مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ، فَرَجَعَ إِلَى امرَأَتِهِ فَقَالَ: أَمَا تَعلَمِينَ مَا قَالَ لِي أَخِي اليَثرِبِيُّ؟

قَالَت: وَمَا قَالَ؟

قَالَ: زَعَمَ أَنَّه سَمِعَ مُحَمَّدًا يَزعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي.

قَالَت: فَوَاللهِ مَا يَكذِبُ مُحَمَّدٌ.

قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى بَدرٍ وَجَاءَ الصَّرِيخُ قَالَت لَهُ امرَأَتُهُ: أَمَا ذَكَرتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ اليَثرِبِيُّ؟

قَالَ: فَأَرَادَ أَن لَا يَخرُجَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهلٍ: إِنَّكَ مِن أَشرَافِ الوَادِي فَسِر يَومًا أَو يَومَينِ فَسَارَ مَعَهُم فَقَتَلَهُ اللهُ» [١].

الموقف الثاني: يوم بدر:

لَـمَّا تحرّك جيشُ قريش حَتَّى نزلوا بالعدوة القصوى وتحرّك جيش المسلمين حَتَّى نزلوا بالعدوة الدنيا، واقترب كلا الفريقين من الآخر، فنظر الرسول ﷺ حوله، فوجد أولئك المؤمنين بين مهاجرٍ باع في سبيل الله نفسه وماله، وأنصاريّ ربط مصيره وحاضره بهذا الدِّين الذي اقتداه وآوى أصحابه.

وقبل الشروع في القتال ومجابهة الأعداء والإقدام عَلَى الموت، استشار الرسول أصحابه: «**أشيروا عليّ أيُّها الناس**».

فقام أبو بكر فقال وأحسن، ثُمَّ قام عُمَر بن الخطاب فقال وأحسن، ثُمَّ قام المقداد ابن عمرو فقال: «يا رسول الله امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا هاهُنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لو سِرت بنا إلى برك الغماد[٢] لجالدنا معك من دونه حَتَّى تبلغه».

فقال له رسول الله ﷺ خيرًا، ودعا له.

---

(١) رواه البخاري والبيهقي.

(٢) **برك الغماد**: موضع بناحية اليمن، وقيل:هو موضع في أقاصي أرض هجر.

ثُمَّ قَالَ: «أشيروا عليّ أيُّها النَّاس» وإنما يريد الأنصار، وذلك أنَّهُم كانوا عدد النَّاس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنَّا برءاء من ذمامك حَتَّى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمعنك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا.

فكان رسول الله ﷺ يتخوّف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا مِمَّن دهمه بالمدينة، فلمَّا قَالَ ذلك قَالَ له سعد بن معاذ - رَضِي الله عَنهُ -: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟». قَالَ: «نعم».

فقال: «قَد آمنَّا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئتَ به هُوَ الحق، وأعطيناك عَلَى ذلك عهودنا ومواثيقنا عَلَى السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لَـمَّا أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غدًا، إنَّا لصُبرٌ في الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسِر عَلَى بركة الله».

وفي رواية: «لعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض، فَصِل حبال من شئت واقطع حبال من شئت، وعادِ من شئت وسالم مَن شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحبّ إلينا مما تركت».

فسرّ رسول الله ﷺ بقول «سعد» ثُمَّ قَالَ: «**سيروا وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنِّي أنظر إلى مصارع القوم...**».

الموقف الثالث: مع يهود بني قريظة:

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها في حصن بني حارثة يوم الخندق وأُمُّ سعد معها، فعبر سعد عليه درع مقلّصة قَد خرجت منه ذراعهُ كلها وفي يده حربة يرفل بها، ويقول:

لبِّث قليلاً يشهد الهَيجا حمَل
لا بأسَ بالموتِ إذا حانَ الأجَل

يعني: حَمَل بن بدر.

فقاله له أُمّه: أي بُنيّ قَد أخَّرت.

فقلت لها: يا أُمّ سعد، لوددتُ أن درع سعد كانت أسبغ مِمَّا هي.

فرمى سعد بسهم قطع منه الأكحل[(١)]، رماه ابن العَرِقَة، فلمَّا أصابه قَالَ: خذها مني وأنا ابن العرقة، فقال: «عَرَّق الله وجهك في النار، اللهُمَّ إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا، فأبقني لها، فإنه لا قوم أحبُّ إليَّ من أن أجاهدهم فيك من قوم آذوا نبيّك وكذّبوه وأخرجوه، اللهُمَّ إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم، فاجعلها لي شهادة، ولا تُمتني حَتَّى تُقِرَّ عيني من بني قريظة»[(٢)].

كان بنو قريظة قَد نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ وتحالفوا مع الأحزاب لتسهيل دخولهم المدينة والقضاء عَلَى المسلمين، ولكن الله سلَّم.

وكان النبي ﷺ قَد أرسل إليهم سعد بن معاذ يذكّرهم بالعهد الذي أبرموه مع رسول الله ﷺ فسبُّوه وآذوا الرسول.

قَالَ الشيخ مُحَمَّد الغزالي: «ومسلك بني إسرائيل بإزاء المعاهدات التي أمضوها قديمًا وحديثًا يجعلنا نجزم بأن القوم لا يدعون خسّتهم أبدًا، وأنهم يرعون المواثيق ما بقيت هذه المواثيق متمشية مع أطماعهم ومكاسبهم وشهواتهم، فإذا أوقفت تطلعهم إلى الحرام نبذوها نبذ النواة، ولو تركت الحمير نهيقها، والأفاعي لدغها، ترك اليهود نقضهم للعهود»[(٣)].

وبعث الله تعالى الريح عَلَى المشركين ﴿وَكَفَى اللَّـهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّـهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وبعد أن هزم الله الأحزاب وحده، لحق أبو سفيان ومَن معه بتهامة، ولحق عيينة بن حصن ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم[(٤)]، ورجع رسول الله

---

(١) **الأكحل**: عرق في اليد يعضد، ولا يقال عرق الأكحل. (مختار الصحاح ص ٥٦٤).

(٢) رجاله ثقات: أخرجه أحمد بنحوه (٦/ ١٤١).

(٣) «فقه السيرة» (٣٢٤).

(٤) **صياصيهم**: حصونهم.

ﷺ المدينة وأمر فضربت عَلَى سعد بن معاذ خيمة في المسجد.

فجاء جبريل وعلى ثناياه النقع، فقال: «أَوَقَدْ وضعتم السلاح؟ فوالله ما وضعت الملائكة السلاح بعد، اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم».

فلبس رسول الله ﷺ لأمته[١] وأذَّن في النَّاس بالرحيل فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة، حَتَّى قالوا: ننزل عَلَى حُكم سعد بن معاذ، وكانوا مواليه وحفاءه في الجاهلية.

بعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فَحُمل عَلَى حِمار، فخف به قومه فجعلوا يقولون: يا أبا عمرو، حلفاؤك ومواليك ومَن قَد علِمت، ولا يرجع إليهم شيئًا حَتَّى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قَد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم، فقال له رسول الله ﷺ: **«احكم فيهم»**.

قَالَ: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم، وتقسّم أموالهم.

فقال رسول الله ﷺ: **«لقد حكمت فيهم بحكم الله وبحكم رسوله»**[٢].

عباد الله...

وبعد هذا الحكم الذي وافق حكم الله تعالى، دعا سعدٌ بدعاء استُجيب له فيه.

ما هُوَ هذا الدُّعاء؟

هذا ما سوف نذكره بعد قليل إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) اللأمة: الدرع.

(٢) أصل الحديث في الصحيحين.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

قالت عائشة - رَضِي الله عَنهُ - ثُمَّ دعا الله عَزَّ وَجَلَّ سعدٌ فقال: «اللهُمَّ إن كُنتَ أَبقَيتَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ مِن حَربِ قُرَيشٍ شَيئًا فَأَبقِنِي لَهَا، وَإِن كُنتَ قَطَعتَ الحَربَ بَينَهُ وَبَينَهُم فَاقبِضنِي إِلَيكَ.

قَالَت: فَانفَجَرَ كَلمُهُ[1] وَكَانَ قَد بَرِئَ[2]، فَحَضَرَهُ[3] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ. فَوَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَعرِفُ بُكَاءَ عُمَرَ مِن بُكَاءِ أَبِي بَكرٍ وَأَنَا فِي حُجرَتِي».

عن محمود بن لبيد - رَضِي الله عَنهُ - قال: لَـمَّا أُصيب أكحَلُ سعد يوم الخندق، فثقل، حوَّلوه عند امرأة يقال لها رفيدة، وكانت تداوي الجرحى، فكان النبي ﷺ إذا مَرَّ به يقول: «**كيف أمسيت؟**» وإذا أصبح قال: «**كيف أصبحت؟**» فيخبره.

حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها فثقل فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله ﷺ كما كان يسأل عنه، وقالوا قد انطلقوا به، فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه فأسرع المشي حتى تقطعت شسوع نعالنا وسقطت أرديتنا عن أعناقنا، فشكا ذلك إليه أصحابه: يا رسول أتعبتنا في المشي، فقال: «**إني أخاف أن تسبقنا الملائكة إليه فتغسِّله كما غَسَّلت حنظلة**». فانتهى رسول الله ﷺ إلى البيت وهو يُغسَّل، وأُمّه تبكيه وهي تقول:

ويـــــل أم ســــــعد ســــــعدا حـــــــــــزامة وجـــــــــــدا

(١) كَلْمه: جُرحه.

(٢) برِئَ: شُفي.

(٣) أي لحظة احتضاره.

فقال رسول الله ﷺ : «**كلُّ نائحةٍ تكذبُ إلا أُمّ سعد**». ثم خرج به.

قَالَ: يقول له القوم، أو مَن شاء الله منهم: يا رسول الله ما حملنا ميتًا أخف علينا من سعد.

فقال: «**ما يمنعكم من أن يخفَّ عليكم وقد هبط من الملائكة كذا وكذا، لم يهبطوا قطُّ قبل يومهم قد حَمَلوه معكم**»[١].

وعن عبد الله بن شدّاد، قَالَ: «دخل رسول الله ﷺ على سعد، وهو يكيد نَفسَه فقال: «**جَزاكَ الله خيرًا من سيِّد قوم، فقد أنجزت ما وعدته وليُنجِزنَّك اللّـهُ ما وعدَك**»[٢].

ولَّما صعدت روحُه إلى خالقها، جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: «**مَن هذا العبد الصالح الذي مات؟ فُتحت له أبوابُ السَّماء، وتحرَّك له العَرش**».

فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعدٌ، فجلس عَلَى قبره»[٣].

قَالَ الإمامُ الذهبيّ: «والعرش خَلقٌ لله مُسَخّرٌ إذا شاء أن يهتز اهتز بمشيئة الله، وجعل فيه شعورًا لحبّ سعد، كما جعل الله تعالى شعورًا في جبل أُحُد بحُبِّه النبيّ ﷺ، وقال تعالى: ﴿**يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ**﴾ [سبأ: ١٠]، وهذا حَقٌّ».

وفي «صحيح البخاريّ» قولُ ابن مسعود: «كنا نسمعُ تسبيح الطعام وهو يُؤكل»[٤]، وهذا بابٌ واسع، سبيلهُ الإيمان.

وقال ابن عبد البر: «حديث اهتزاز العرش ثابت متواتر، وقال السُّهَيليُّ: رواه جماعة من الصَّحابة منهم: جابر، وأبو سعيد، وأُسيد بن حضير، ورميثة بنت عمرو، قَالَ: وهو محمولٌ عَلَى الحقيقة لأن العرش لا يمتنع عليه الحركة والاهتزاز»[٥].

وها هي ملائكة الرحمن تغشى جنازة سعد، تدعو له وتشارك في حمل نعشه،

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢/ ٧، ٨).
(٢) **رجاله ثقات**: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢/ ٩).
(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٢٠٦)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
(٤) أخرجه البخاري (٣٥٧٩).
(٥) «البداية والنهاية» (٣/ ٢٨٤).

وتزفه إلى جناتِ عَدن.

عن ابن عُمَر - رَضِيَ اللَّـهُ عَنهُمَا - قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفتحت أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُمَّ ضمةً ثُمَّ أُفرج عنه**» يعني سعدًا. أخرجه أحمد وإسناده صحيح.

عباد الله...

ولما انفجر جرحُ سعد، عجَّل إليه رسول الله ﷺ فأسنده إلى صدره والدماءُ تسيل عليه، فجاء أبو بكر فقال: «وانكسار ظهراه عَلَى سعد» قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَهلًا أبا بكر**»، فجاء عُمَر فقال: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون».

ولما مات - رَضِيَ الله عَنهُ - صلَّى عليه رسول الله ﷺ، ودُفِنَ في البقيع وعاش - رَضِيَ الله عَنهُ - سبعًا وثلاثين سنة.

عباد الله...

وفي الجمعة القادمة نلتقي مع صحابيّ آخر، إن شاء الله - فإلى اللقاء.

اللهُمَّ اهدنا فيمن هَدَيتَ، وعَافِنَا فِيمن عَافَيت.

آمين... آمين... آمين.



الخطبة السابعة والخمسون

مع أبي هريرة

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا * يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فلقاؤنا اليوم - إن شاء الله تعالى - مع ذاكرة عصر الوحي.

مع الإمام المحدِّث الفقيه: أبي هريرة - رَضِي الله عَنهُ -.

من هُوَ أبو هريرة؟

وما هي قصته؟

هُوَ: أبو هريرة الدوسيّ اليماني، اختلفوا في اسمه عَلَى ثمانية عشر قولًا، أرجحها: عبد الرحمن بن صخر.

كناه الرسول ﷺ: أبا هريرة.

والمشهور عنه أَنَّهُ كُني بأولاد هرة بَرِيَّة قَالَ وجدتُها، فأخذتها في كُمِّي، فكُنيتُ بذلك.

وعن عبد الله بن رافع: قلتُ لأبي هريرة: لِمَ كَنُّوك أبا هريرة.

قَالَ: أما تفرقُ مني؟

قلت: بلى، إني لأهابك.

قَالَ: كنتُ أرعى غنمًا لأهلي، فكانت لي هُريرة ألعبُ بها فكنَّوني بها[1].

قَالَ ابن سيرين: كان أبو هريرة أبيض لينًا، لحيته حمراء.

أسلم - رَضِي الله عَنهُ - سنة سبع ورسول الله ﷺ بخيبر.

ويُحدِّثنا - رَضِي الله عَنهُ - عن قصّة قدومه بعد إسلامه إلى المدينة فيقول: «خرج النبيُّ ﷺ إلى خيبر، وقدمتُ المدينة مُهاجرًا، فصليتُ الصُّبح خلف سِباع بن عُرفُطة - كان استخلفه[2] - فقرأ في السّجدة الأولى بسورة مريم، وفي الآخرة ويلٌ للمطففين، فقلتُ: ويل لأبي، قلَّ رجلٌ كان بأرض الأزد إلَّا كان له مكيالان، مكيال لنفسه، وآخر يَبخسُ به الناس»[3].

وفي رواية للبزار: فقلتُ: هلك فلان، له صاعان، صاع يُعطي به، وصاع يأخذ به.

صحب أبو هريرة - رَضِي الله عَنهُ - النبيَّ ﷺ أربع سنين[4]، وحمل عنه علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فأكثر الرواية عنه وحمل إلينا من هديهِ وسُنتهِ وأحكامهِ الشيء الكثير، وأصبح من أهم المراجع المعتمدة عند أصحاب الرسول ﷺ وعند التابعين، ومن بعدهم إلى يومنا هذا، وعندما تعجَّب البعض من كثرة روايته للحديث قَالَ أبو هريرة: «إِنَّكُم تَقُولُونَ إِنَّ أَبَا هُرَيرَةَ يُكثِرُ الحَدِيثَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَقُولُونَ: مَا بَالُ

---

(١) إسناده حسن: أخرجه الترمذي (٣٨٤٠) في «المناقب».

(٢) أي على المدينة.

(٣) إسناده قوي: أخرجه يعقوب بن سفيان في «تاريخه» (٣/ ١٦٠)، وابن سعد.

(٤) قَالَ الإمام الذهبيّ: وهذا أصح، فمن فتوح خيبر إلى الوفاة - أي وفاة النبي ﷺ - أربعة أعوام وليالٍ. «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٩٠).

المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِثلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ؟

وَإِنَّ إِخوَتِي مِن المُهَاجِرِينَ كَانَ يَشغَلُهُم صَفقٌ بِالأَسوَاقِ وَكُنتُ أَلزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطنِي، فَأَشهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحفَظُ إِذَا نَسُوا، وَكَانَ يَشغَلُ إِخوَتِي مِن الأَنصَارِ عَمَلُ أَموَالِهِم وَكُنتُ امرَأً مِسكِينًا مِن مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ أَعِي حِينَ يَنسَونَ، وَقَد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ: «**إِنَّهُ لَن يَبسُطَ أَحَدٌ ثَوبَهُ حَتَّى أَقضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ ثُمَّ يَجمَعَ إِلَيهِ ثَوبَهُ إِلَّا وَعَى مَا أَقُولُ**».

فَبَسَطتُ نَمِرَةً عَلَيَّ حَتَّى إِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ جَمَعتُهَا إِلَى صَدرِي فَمَا نَسِيتُ مِن مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِلكَ مِن شَيءٍ» متفق عليه.

وفي رواية أَنَّهُ قَالَ: «تزعمون أني أكثر الرواية عن رسول الله ﷺ - والله الموعد - إِنِّي كنت امرأً مسكينًا، أصحَبُ رسول الله ﷺ عَلَى ملء بطني، وإنه حدثنا يومًا وقال: «**مَن يبسط ثَوبَه حَتَّى أقضي مقالتي، ثُمَّ قبضه إليه، لم يَنس شيئًا سَمِع منِّي أبدًا**». ففعلتُ، فوالذي بعثَه بالحق، ما نسيتُ شيئًا سمعته منه». متفق عليه.

قَالَ الحافظ في «الفتح» (١/ ١٠٤) بعد أن ذكر الإسنادين: والإسنادان جميعًا محفوظان صححهما الشيخان.

عباد الله...

وتعرّض أبو هريرة - رَضِي الله عَنهُ - لهجوم عنيف شنّه الأعداء عليه قديمًا وحديثًا، واتهموه بالكذب عَلَى رسول الله ﷺ، فماذا قَالَ أصحاب النبي ﷺ والعلماء عن علم أبي هريرة؟

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى طَلحَةَ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ - رَضِي الله عَنهُ - فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَرَأَيتَ هَذَا اليَمَانِيَّ - يَعنِي أَبَا هُرَيرَةَ - أَهُوَ أَعلَمُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنكُم نَسمَعُ مِنهُ مَا لَا نَسمَعُ مِنكُم أَو يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَم يَقُل؟

قَالَ: أَمَّا أَن يَكُونَ سَمِعَ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَم نَسمَع فَلَا أَشُكُّ إِلَّا أَنَّهُ سَمِعَ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَم نَسمَع، وَذَاكَ أَنَّهُ كَانَ مِسكِينًا لَا شَيءَ لَهُ ضَيفًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدُهُ مَعَ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكُنَّا نَحنُ أَهلَ بُيُوتَاتٍ وَغِنًى وَكُنَّا نَأتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَفَي

النَّهَارِ، فَلَا أَشُكُّ إِلَّا أَنَّهُ سَمِعَ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ نَسمَع وَلَا نَجِدُ أَحَدًا فِيهِ خَيرٌ يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُل»[(١)].

وعن عروة بن الزُّبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: «أَلَا يُعجِبُكَ أَبُو هُرَيرَةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَنبِ حُجرَتِي يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يُسمِعُنِي ذَلِكَ، وَكُنتُ أُسَبِّحُ (أصلي نافلة) فَقَامَ قَبلَ أَن أَقضِيَ سُبحَتِي، وَلَو أَدرَكتُهُ لَرَدَدتُ عَلَيهِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَم يَكُن يَسرُدُ الحَدِيثَ كَسَردِكُم». رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

وقول السَّيِّدة عائشة: «وَلَو أَدرَكتُهُ لَرَدَدتُ عَلَيهِ» أي: لأنكرت عليه، وبيّنت له أن الترتيل في الحديث أولى من السرد.

قَالَ الحافظ: «واعتذر عن أبي هريرة بأنه كان واسع الرواية، كثير المحفوظ، فكان لا يتمكَّن من المهل عند إرادة التحديث، كما قَالَ بعض البلغاء: أريد أن أقتصر، فتزدحم القوافي عَلَى فِيَّ» ا.هـ.

وقيل لابن عُمَر: هل تُنكر مما يُحدِّثُ به أبو هريرة شيئًا؟

فقال: لا، ولكنه اجترأ وجَبُنَّا[(٢)].

فقال أبو هريرة: فما ذنبي إن كنتُ حفظتُ ونَسُوا.

قَالَ الإمام الذهبيّ - رحمه الله تعالى -: «احتجَّ المسلمون قديمًا وحديثًا بحديثه؛ لحفظه وجلالته وإتقانه وفقهه، وناهيك أنَّ مثل ابن عباس يتأدَّب معه، ويقول: أفتِ يا أبا هريرة» ا.هـ.

ويُحدِّثُ أبو هريرة - رَضِيَ الله عَنهُ - عن نفسه فيقول: «ما أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثًا مني عنه، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتبُ، وكنتُ لا أكتب».

وهذا الحديث يدل عَلَى أن أبا هريرة كان يُجزم بأنه ليس في الصَّحابة أكثر حديثًا منه إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، مع أن الموجود المروي عن عبد الله بن عمرو أقل من

(١) إسناده حسن: رواه الترمذي (٣٨٣٧)، وحسنه، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥١٠)، والحافظ في «الإصابة» (١٢/ ٧٦).

الموجود المروي عن أبي هريرة بأضعاف مضاعفة.

وقد قَالَ العلماء: إن السبب فيه من جهات:

أحدها: أن عبد الله كان مشتغلًا بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم، فَقَلَّت الرواية عنه.

ثانيها: أَنَّهُ كان أكثر مُقَامِهِ بعد فتوح الأمصار بمصر أو بالطائف، ولم تكن الرحلة إليهما مِمَّن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة، وكان أبو هريرة متصديًا فيها للفتوى والتحديث إلى أن مات، ويظهر هذا من كثرة من حَمَل عن أبي هريرة، فقد ذكر البخاريّ أَنَّهُ روى عنه ثمانمائة نفس من التابعين.

ثالثها: ما اختصّ به أبو هريرة من دعوة النبي ﷺ له بأن لا ينسى ما يحدِّثه به.

رابعها: أن عبد الله كان قَد ظفر في الشَّام بحمل جَمَل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها ويحدِّث منها، فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين.

هذا هُوَ فضل أبي هريرة، وقُتِل الخرَّاصون، الأقزام الذين سخَّروا أقلامهم للحط من شأن الأئمة الأعلام، فأين الثرى من الثريا؟

أما قوله - رَضِي الله عَنهُ - عن نفسه: «حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين: فأمَّا أحدهما: فبثثتُهُ في النَّاس، وأمَّا الآخر: فلو بثثتهُ لقطع هذا البلعوم» [(١)].

فقد حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه عَلَى الأحاديث التي فيها تبيين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه، ولا يصرح به خوفًا عَلَى نفسه منهم، كقوله: «أوعذ بالله من رأس الستين وإمارة الصِّبيان»، يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية، لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة، فمات قبلها بسنة.

وقال ابن المنير: «جعل بعضهم هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، وذلك الباطل، إنما حاصله الانحلال من الدِّين،

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١/ ١٨٤) في «العلم».

وإنما أراد أبو هريرة - رَضِي الله عَنهُ - بقوله: «قطع» أي: قطع أهل الجَور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم، وتضليله لسعيهم، ويؤيّد ذلك أن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعيّة ما وسعه كتمانها»[(١)].

عباد الله...

- وكان أبو هريرة من أبرّ النّاس بأُمّه.

ويروى لنا أبو هريرة - رَضِي الله عَنهُ - قصّة برّه بوالدته، فيقول يزيد بن عبد الرحمن حدثني أبو هريرة، قَالَ:

«وَقَالَ لَنَا: وَاللَّهِ مَا خَلَقَ اللَّهُ مُؤمِنًا يَسمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي.

قُلتُ: وَمَا عِلمُكَ بِذَلِكَ يَا أَبَا هُرَيرَةَ؟

قَالَ: إِنَّ أُمِّي كَانَت امرَأَةً مُشرِكَةً وَإِنِّي كُنتُ أَدعُوهَا إِلَى الإِسلَامِ وَكَانَت تَأبَى عَلَيَّ، فَدَعَوتُهَا يَومًا فَأَسمَعَتنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكرَهُ، فَأَتَيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبكِي، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنتُ أَدعُو أُمِّي إِلَى الإِسلَامِ وَكَانَت تَأبَى عَلَيَّ وَإِنِّي دَعَوتُهَا اليَومَ فَأَسمَعَتنِي فِيكَ مَا أَكرَهُ فَادعُ اللَّهَ أَن يَهدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيرَةَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهدِ أُمَّ أَبِي هُرَيرَةَ**».

فَخَرَجتُ أَعدُو أُبَشِّرُهَا بِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَتَيتُ البَابَ إِذَا هُوَ مُجَافٍ وَسَمِعتُ خَضخَضَةَ المَاءِ وَسَمِعتُ خَشفَ رِجلٍ - يَعنِي وَقعَهَا - فَقَالَت: يَا أَبَا هُرَيرَةَ كَمَا أَنتَ، ثُمَّ فَتَحَت البَابَ وَقَد لَبِسَت دِرعَهَا وَعَجِلَت عَن خِمَارِهَا، فَقَالَت: إِنِّي أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

فَرَجَعتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبكِي مِن الفَرَحِ كَمَا بَكَيتُ مِن الحُزنِ، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبشِر فَقَد استَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَكَ وَقَد هَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيرَةَ.

فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادعُ اللَّهَ أَن يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ المُؤمِنِينَ وَيُحَبِّبُهُم إِلَينَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّب عُبَيدَكَ هَذَا وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ المُؤمِنِينَ وَحَبِّبهُم**

---

(١) هامش «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٩٧).

إِلَيهِمَا». أخرجه أحمد وإسناده حسن.

- وعن أبي هريرة قَالَ: «خرجتُ يومًا من بيتي إلى المسجد، فوجدتُ نفرًا، فقالوا: ما أخرجك؟ قلتُ الجوع.

فقالوا: ونحن والله ما أخرجنا إلا الجوع.

فقمنا فدخلنا عَلَى رسول الله ﷺ، فقال: «**ما جاء بكم هذه الساعة؟**».

فأخبرناه، فدعا بطبق فيه تمر، فأعطى كُلّ رجلٍ منا تمرتين، فقال: «**كُلوا هاتين التمرتين، واشربوا عليهما من الماء، فإنهما ستُجزيانكم يومَكم هذا**».

فأكلتُ تمرةً، وخبأتُ الأخرى، فقال: «**يا أبا هريرة، لم رفَعتها؟**».

قلت: لأمي، قَالَ: «**كُلها فسنعطيك لها تمرتين**» [١].

- وصورة ثالثة يقصُّها علينا أبو مرَّة، فيقول: «إن أبا هريرة كان يستخلفه مروان[٢]، وكان يكون بـ«ذي الحُلَيفة» فكانت أُمّه في بيت، وهو في بيت آخر.

قَالَ: فإذا أراد أن يخرج وقف عَلَى بابها، فقال: السلام عليكم يا أمَّتاه ورحمة الله وبركاته.

فتقول: وعليك السلام يا بُني ورحمة الله وبركاته.

فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرًا.

فتقول: يا بني وأنت فجزاك الله خيرًا ورضي عنك كما بررتني كبيرًا».

ما أجمل هذه المحاورة، وما أبدع ما تحمله في طياتها من معاني الإنسانية السَّامية، مناجاة بليغة، فيه تحية القلب، وولاء النفس، واعتراف بالجميل، وشكر عَلَى الإحسان، وهكذا فليكن الأبناء.

وروى ابن عساكر [٣]: أن أبا هريرة لازم أُمَّه، ولم يحج حَتَّى ماتت، لصحبتها.

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٣٢٨)، ورجاله ثقات خلا والد محمد بن هلال فقد وثقه ابن حبان.

(٢) مروان بن الحكم من أمراء بني أُميّة، والقصة في «الأدب المفرد» للبخاري.

(٣) في «تاريخه» (٤٧/ ٥١٦).

▪ وكان - رَضِي الله عَنهُ - متعبدًا:

عن الطُّفاوي، قَالَ: «نزلتُ عَلَى أبي هريرة بالمدينة ستة أشهر، فلم أرَ من أصحاب رسول الله ﷺ رجلًا أشدَّ تشميرًا ولا أقوَم عَلَى ضَيفٍ من أبي هريرة، دخلتُ عليه ذاتَ يوم، وهو عَلَى سريره، ومعه كيس فيه نَوًى - أو حصى - أسفل منه سوداء[(١)]، فيسبِّحُ ويُلقي إليها، فإذا فرغ منها ألقى إليها الكيس، فأوعته فيه، ثُمَّ ناولته فيعيد ذلك[(٢)].

▪ وعن أبي عثمان النَّهديّ، قَالَ:

تضيَّفتُ أبا هريرة سبعًا، فكان هُوَ وامرأته وخادمه يَعتَقِبُون اللَّيل أثلاثًا: يُصلِّي هذا، ثُمَّ يوقظ هذا، ويُصلِّي هذا، ثُمَّ يوقظ هذا.

قلت: يا أبا هريرة، كيف تصوم؟

قَالَ: أصومُ من أوّل الشهر ثلاثًا[(٣)].

وفي «صفة الصفوة»: عن عكرمة أن أبا هريرة كان يسبّح في كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، ويقول: أسبّح بقدر ذنبي[(٤)].

عباد الله...

وتمضي الأيام بأبي هريرة، ويلحق النبيُّ ﷺ بالرفيق الأعلى، ويطول العُمرُ بأبي هريرة، ويُعيَّن عَلَى بعض الأمصار، ويفتح الله عليه من الدنيا، فتأتيه راغمة صاغرة، ويتذكّر أبو هريرة ما كان فيه من جهد وفقر، فيتوجه إلى الله تعالى الشُّكر.

عن مضارب بن حَزن قَالَ: «بينا أنا أسير تحت اللَّيل، إذا رجلٌ يُكبِّر، فألحقه

---

(١) سوداء؛ أي: امرأة سوداء.

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٢/ ٥٤٠، ٥٤١)، والثابت: هو عَدّ التسبيح على الأنامل، وللشيخ/ بكر ابن عبد الله بن أبو زيد - حفظه الله - رسالة لطيفة بعنوان «السُّبحة.. تاريخها، وحكمها» فراجعها فإنها مهمّة.

(٣) صحيح: ذكره الحافظ في «الإصابة» (١٢/ ٧٧) ونسبه لأحمد في «الزهد».

(٤) «صفة الصفوة» (١/ ٣٥١).

بعيري، فقلت: مَن هذا؟

قَالَ: أبو هريرة.

قلتُ: ما هذا التكبير؟

قَالَ: شكر.

قلتُ: عَلَى مه؟

قَالَ: كنتُ أجيرًا لبُسرةَ بنت غَزوان بُعقبة رجلي، وطعام بطني، وكانوا إذا ركبوا سقتُ بهم، وإذا نزلوا خدمتهم، فزوجنيها الله، فهي امرأتي» [١].

وفي رواية: «أَنَّهُ صلى بالناس يومًا، فلمَّا سَلَّم رفع صوته، فقال: الحمد لله الذي جعل الدِّين قوامًا، وجعل أبا هريرة إمامًا، بعد أن كان أجيرًا لابنة غَزوان عَلَى شبع بطنه، وحَمُولة رِجله» [٢].

ولم تغيِّر الإمارة من نفسه المتواضعة، وشمائله الحَسَنة أي شيء.

يقول ثعلبة بن أبي مالك القرظيّ: «أقبل أبو هريرة في السوق يحملُ حُزمةَ حطبٍ، وهو يومئذٍ خليفة، لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير».

عباد الله...

هذا هُوَ أبو هريرة المفترى عليه.

اللهُمَّ إنَّا نشهدك بأننا نحبّه ونحبّ مَن أحبه، اللهُمَّ احشرنا معه يا رب العالمين، ويا أرحم الراحمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) **رجاله ثقات**: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٨٠).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» .

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد رحلة حافلة بالعطاء، عاش خلالها أبو هريرة داعيًا ومجاهدًا، وفي سنة ستين أو قبلها بسنة، مرض أبو هريرة، ودنا الأجل، وأحسّ بقرب اللقاء، فبكى - رَضِي الله عَنهُ - فقيل له: ما يبكيك؟

قَالَ: ما أبكي عَلَى دُنياكم هذه، ولكن عَلَى بُعد سفري، وقلة زادي، وأني أمسيتُ في صعود، مهبطُه عَلَى جَنَّة أو نار، فلا أدري أيُّهما يؤخذ بي.

وفي رواية: «فلا أدري إلى أيهما يُسلك بي».

وعن المقبريّ، قَالَ: «دخل مروان عَلَى أبي هريرة في شكواه، فقال: شفاك الله يا أبا هريرة. فقال: اللهُمَّ إني أحب لقاءك فأحبَّ لقائي. فما بلغ مروان وسط السوق حَتَّى مات رَضِي الله عَنهُ».

وفي طبقات ابن سعد[1]: «صلى عَلَى أبي هريرة الأميرُ الوليد بن عُتبة بعد العصر، وشيَّعه ابنُ عُمَر، وأبو سعيد، ودُفن بالبقيع».

قَالَ ابن الجوزي: توفِّي أبو هريرة بالمدينة، ويقال: بالعقيق، في آخر خلافة معاوية - رَضِي الله عَنهُ - وله ثمان وسبعون سنة، رحمه الله.

اللهمَّ إنَّا نسألك الرِّضا بالقضاء، وبَردَ العيش بعد الموت، ونسألك لذَّة النَّظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضَرَّاء مُضرَّة، ولا فتنة مُضلّة.

آمين... آمين... آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

---

(١) (٤/ ٣٣٩، ٣٤٠).

الفهرس